عَقِيدَةُ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ

بَيْنَ ابْنِ عَبْدِ الْبَرِّ الْقُرْطُبِيِّ وَابْنِ تَيْمِيَةَ

جمع وترتيب

الدكتور

أشرف حسين أحمد عيسوي

الناشر

دار العلوم والحكم للنشر والتوزيع

بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء

- أهدي هذا العمل المتواضع إلى كل باحث عن الحقيقة في ميدان العقيدة

أشرف عيسوي

عقيدة أهل السنة والجماعة
بين ابن عبدالبر القرطبي وابن تيمية

بسم الله الرحمن الرحيم

الطبعة الأولى
١٤٣١ هـ / ٢٠١٠ م

رقم الايداع : ٨٤٦٢ / ٢٠١٠

مطبعة العمرانية للأوفست
الجيزة : ٣٣٧٥٦٢٩٩

الناشر
دار العلوم والحكم للنشر والتوزيع

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

المقدمة(١)

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾[آل عمران: ١٠٢]

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾[النساء: ١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾[الأحزاب: ٧٠-٧١].

أما بعد:

فإن العقيدة الصحيحة الصافية هي ما يسعى المسلم إلى تحصيله، فالعقيدة روح المسلم وسبب سعادته؛ ولذا عليه أن يسعى إلى تنقيتها من كل ما يمكن أن يكدر صفوها أو يعكر غديرها، فتكون أول ما يسعى المسلم إلى تحصيله، وفي هذا إعمال لسنة رسول الله ﷺ؛ حيث كان ﷺ يوصي رسله بأن يكون أول ما يعلمونه للناس ويدعونهم إليه العقيدة الصحيحة، فعن معبد مولى ابن عباس قال: سمعت ابن عباس رضي الله عنه يقول: «**لَـمَّا بَعَثَ النَّبِيُّ ﷺ مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ إِلَى نَحْوِ أَهْلِ الْيَمَنِ، قَالَ لَهُ: إِنَّكَ تَقْدَمُ عَلَى قَوْمٍ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ؛ فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَى أَنْ يُوَحِّدُوا اللَّهَ تَعَالَى، فَإِذَا عَرَفُوا ذَلِكَ فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي يَوْمِهِمْ وَلَيْلَتِهِمْ، فَإِذَا صَلَّوْا، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ**

---

(١) هذه خطبة الحاجة التي كان رسول الله ﷺ يعلمها أصحابه، وكان السلف الصالح يفتتحون بها خطبهم في دروسهم وكتبهم.

اللَّهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ زَكَاةً فِي أَمْوَالِهِمْ تُؤْخَذُ مِنْ غَنِيِّهِمْ فَتُرَدُّ عَلَى فَقِيرِهِمْ، فَإِذَا أَقَرُّوا بِذَلِكَ فَخُذْ مِنْهُمْ وَتَوَقَّ كَرَائِمَ أَمْوَالِ النَّاسِ»(١).

فقوله ﷺ: «فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَى أَنْ يُوَحِّدُوا اللَّهَ تَعَالَى» دليل على عظم مكانة العقيدة التي من أول أبوابها توحيد الألوهية، وقوله ﷺ: «فَإِذَا عَرَفُوا ذَلِكَ فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ» دليل على أنه لا ينتقل لأي باب من أبواب العلم أو العمل إلا بعد التأكد من تعلم العقيدة الصحيحة وإخلاص التوحيد لله ﷻ.

لكن مع تقدم الزمان وابتعادنا عن عصر النبوة الصافي، وبعدنا عن معين الصحابة الشافي، ومع كثرة ما أصاب الأمة الإسلامية من محن وإحن، وكثرة من دخل الإسلام من ملل ونحل، تأثروا بالإسلام وأثروا فيه، ظهر سؤال جد خطير هو من أين نأخذ عقيدتنا الإسلامية؟ وكيف نتأكد من صفائها؟ مما لاشك فيه أن فهم سلفنا الصالح للعقيدة كان أوسع من فهمنا وأصفى مما نحن عليه؛ وذلك لقرب عهدهم بالتنزيل، ولاغترافهم من فيض النبي الكريم، قال ابن تيمية: «كان القرن الأول من كمال العلم والإيمان على حال لم يصل إليها القرن الثاني وكذلك الثالث وكان ظهور البدع والنفاق بحسب البعد عن السنن والإيمان، وكلما كانت البدعة أشد، تأخر ظهورها، وكلما كانت أخف كانت إلى الحدوث أقرب، فلهذا حدث أولا بدعة الخوارج والشيعة ثم بدعة القدرية والمرجئة وكان آخر ما حدث بدعة الجهمية، حتى قال ابن المبارك ويوسف بن أسباط وطائفة من العلماء من أصحاب أحمد وغيرهم:إن الجهمية ليسوا من الثنتين وسبعين فرقة، بل هم زنادقة وهذا مع أن كثيرًا من بدعهم دخل فيها قوم ليسوا زنادقة بل قبلوا كلام الزنادقة جهلًا وخطأً قال الله تعالى:﴿لَوْ خَرَجُوا فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ﴾[التوبة:آية ٤٧] فأخبر سبحانه أن في المؤمنين من هو مستجيب للمنافقين، فما يقع فيه بعض أهل الإيمان من أمور بعض المنافقين هو من هذا»(٢)،

(١) صحيح البخاري: ٦/ ٢٦٨٥/ ٦٩٣٧، صحيح مسلم: ١/٥١/١٩.
(٢) العقيدة الأصفهانية: ص١٨٤

وعلى ذلك فإني أردت في هذا الكتاب أن أقرب أقوال أحد الأعلام من المتقدمين في العقيدة؛ فاستدعيت قلم ابن عبدالبر القرطبي وأقواله في العقيدة، وذلك من خلال كتبه، وخاصة كتابيه التمهيد والاستذكار، لما في هذين الكتابين من أقوال لسلفنا الصالح، وآثار تدل على مدى حفظ هذا العالم لأحاديث رسول الله، وأهل الحديث لهم شرف ومزية ليست لغيرهم؛ فهم الذين حفظوا الدين بحفظهم لأحاديث رسول الله ﷺ والعقيدة هي روح هذا الدين.

وما من شك في أن الإمام أبا عمر ابن عبدالبر القرطبي هو أحد أوعية العلم الكبار، وأئمة رجاله في تاريخ الإسلام؛ لذا كان لزامًا علينا أن نتوقف أمام هذا العلم لنتعرف عقيدته.

وقد تناول كثير من الباحثين قديمًا وحديثًا ابن عبدالبر وكتبه، ومن هذه الدراسات التي اهتمت بابن عبدالبر وأعماله:

- ابن عبدالبر القرطبي وأثره في الحديث والفقه - دراسة إسماعيل الندوي.
- ابن عبدالبر محدثًا - دراسة الطاهر بن الصادق الأنصاري.
- مدرسة الحديث في الأندلس وإمامها ابن عبدالبر - أحمد رضا.
- ابن عبدالبر الأندلسي وجهوده في التاريخ - دراسة ليث سعود الجاسم.
- ابن عبدالبر وآراؤه التربوية - علي سليمان الربيع.
- عقيدة الإمام ابن عبدالبر في التوحيد والإيمان - عرضًا ودراسة - سليمان بن صالح الغصن، وهو يختلف عما نقوم به هنا، حيث يتناول عمل الشيخ الغصن بابين من أبواب العقيدة هما التوحيد والإيمان على حين لم يتطرق إلى غيرهما من أبواب العقيدة؛ بينما جاء عملنا هذا مستوعبًا إن لم يكن لكل فهو لجل أقوال ابن عبدالبر في العقيدة، كما أننا لم نكتفِ بعرض أقوال ابن عبدالبر وحسب بل أتبعناها بأقوال شيخ الإسلام ابن تيمية أو تلميذه ابن قيم الجوزية في نفس المسألة.

- **وقد دفعني للقيام بهذا العمل ما يأتي:**

أولًا: إننا في عصر طغت فيه المادية طغيانًا شديدًا، مما جعل الناس مزعزعين في عقائدهم، لاسيما مع هذا الطوفان الأوروبي والغزو الفكري الذي نراه رأي العين صباحًا ومساءً.

ثانيًا: ابتعاد الناس عن كتب الأوائل من الراسخين في العلم جعلتهم يخبطون في حياتهم وفي عقيدتهم، فيقبلون كل قول من كل قائل دون تثبت أو رجوع إلى القرآن الكريم أو السنة النبوية.

ثالثًا: ضعف الهمم العوالي عند الناس - إلا من رحم الله - فلا يرجعون إلى أمهات الكتب ودواوين الإسلام.

رابعًا: أنني أردت أن أضع بين يدي القارئ خلاصة أقوال ابن عبدالبر في العقيدة، مع مقارنتها بأقوال شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن قيم الجوزية.

خامسًا: أنني حين أتناول العقيدة من منظور ابن عبدالبر فإنني أتناولها عن عالم من الراسخين في العلم كما أنه حافظ للسنة النبوية، فهو حافظ المغرب كما أنه من أئمة المالكية وعرف بميل للشافعية وكان في بدايته ظاهريًا، أي أنني حين أعرض لأقواله في العقيدة فإنني أعرض للعقيدة من وجهة نظر عالم موسوعي غاص العلوم الشرعية وعاشها، وعرف الأقوال المختلفة ورواها.

منهجي في الكتاب:

١- اتبعت في هذا الكتاب المنهج الاستقرائي التحليلي المقارن، والذي تسير خطواته كالتالي:

أ- راجعت كتب ابن عبدالبر ولاسيما التمهيد والاستذكار، فقمت بجمع أقوال الشيخ في العقيدة بعد استخلاصها من هذين الكتابين.

ب - نقلت أقوال ابن عبدالبر كما هي بألفاظ ابن عبدالبر دون تدخل أو تعديل،

وهذا الأمر كان من الصعوبة بمكان؛ لكبر حجم الكتب التي أبحث فيها[1] ولتفرق الكلام في القضية الواحدة في أكثر من موضع من كتبه.

ج ـ لما كان عمل ابن عبدالبر في هذين الكتابين (التمهيد والاستذكار) شرحًا لموطأ الإمام

مالك الذي هو في المقام الأول كتاب حديث، فقد نقلت الحديث الذي أثار ابن عبدالبر القضية العقدية فيه، حتى يتهيأ للقارئ متابعة مقصود ابن عبدالبر.

د ـ أردفت أقوال ابن عبدالبر بأقوال شيخ الإسلام الإمام ابن تيمية في نفس الجزئية أو تلميذه ابن قيم الجوزية، وذلك في غالب المسائل الواردة، مما ييسر للقارئ عقد مقارنة بين أقوال الشيخين.

٢ ـ عرفت بابن عبدالبر تعريفًا موجزًا، وأحلت على المصادر التي ترجمت له.

٣ـ جمعت الأقوال المتشابهة في مبحث واحد، ووضعت لها عنوانًا يقرب فهمها، ويوضح مقصودها.

٤ ـ قمت بعزو الآيات الواردة في الكتاب إلى سورها مع بيان رقم الآية واسم السورة.

٥ـ خرجت الأحاديث الواردة في الكتاب على الرغم من كثرتها، فإن كان الحديث في الصحيحين أو أحدهما اكتفيت بذلك، وإن كان الحديث في غيرهما بينت درجة الحديث.

٦ ـ ترجمت ترجمة موجزة لبعض العلماء (واكتفيت بالمغمورين منهم دون الأعلام)

---

(١) طبع (التمهيد) في وزارة الأوقاف الإسلامية بالمغرب في ستة وعشرين مجلدًا بتحقيق عدة من العلماء، ثم في دار الكتب العلمية ١٩٩٩ في عشر مجلدات مع آخر للفهارس بتحقيق (محمد عبدالقادر عطا)، وفي دار إحياء التراث العربي في تسع مجلدات بتحقيق (عبدالرزاق المهدي)، وفي دار الفكر في عشر مجلدات بتحقيق شهاب الدين أبو عمرو.
وطبع (الاستذكار) في المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ١٩٧١ بتحقيق (علي النجدي ناصف)، ثم في مؤسسة الرسالة بيروت في (٣٠) مجلدا بتحقيق (عبدالمعطي قلعجي)، وفي دار الكتب العلمية ٢٠٠٠ بتحقيق (سالم محمد عطا) و(محمد علي معوض) .

ممن وردت أسماؤهم في المتن.

٧ ـ نسبت الأشعار والأراجيز الواردة إلى أصحابها، كما بينت البحر الشعري الذي ينتمي البيت له.

٨ ـ وضعت خلاصة في آخر الموضوع وضحت من خلالها منهج ابن عبدالبر في العقيدة.

٩ ـ صنعت فهارس للآيات القرآنية، وآخر للأحاديث النبوية والآثار، وثالث للأشعار والأراجيز، وفهارس للموضوعات.

١٠ـ صدرت الكتاب بأقوال ابن عبدالبر في النية، لما لأهمية النية وعظم خطرها على أعمال الإنسان؛ وذلك اقتضاء بفعل شيخ الإسلام وعميد المحدثين البخاري في صحيحه.

ونسأل الله ﷻ أن يُحسن النية ويوفق للصواب ويرشد للسداد، إنه ولي ذلك والقادر عليه والمستعان. وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه المآب.

وكتبه
د/ أشرف حسين أحمد عيسوي
جوال : 0182328251
البريد الإلكتروني
dr_ashraf_aisawy@yahoo.com

التعريف بابن عبدالبر[(١)]

(٣٦٨هـ - ٤٦٣هـ =٩٧٨م - ١٠٧١م)

اسمه ونسبه: الإمام العلامة العلم حافظ المغرب شيخ الإسلام أبو عمر يوسف بن عبدالله بن محمد بن عبدالبر بن عاصم النمري الأندلسي القرطبي، نسبه من النمر بن قاسط في ربيعة من أهل قرطبة.

وقال ابن فرحون: إن اسمه يوسف بن عمر بن عبدالبر بن عبدالله بن محمد بن عبدالبر[(٢)]، ووافقه على ذلك صاحب كشف الظنون فقال: الصحيح أن اسمه يوسف ابن عمر بن عبدالبر بن عبدالله القرطبي[(٣)].

والذي يترجح لي أن اسمه يوسف بن عبدالله بن محمد بن عبدالبر بن عاصم النمري وذلك لأسباب منها:

أولاً - الذين ذكروا (ترجموا) ابن عبدالبر من المعاصرين له ذكروا أن اسمه يوسف ابن عبدالله بن محمد بن عبدالبر بن عاصم، مثال ذلك الحافظ علي بن هبة الله أبو نصر ابن ماكولا[(٤)] في الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف في الأسماء

---

(١) مصادر الترجمة: سير أعلام النبلاء: ١٨ /١٥٣، وتذكرة الحفاظ: ٣ / ١١٢٨، وشذرات الذهب: ٣/٣١٤، والديباج المذهب: ص ٣٥٧، طبقات الحفاظ: ١/ ٤٣١، الوفيات: للقسنطي: ١/ ٢٤٩، وفيات الأعيان: لابن خلكان: ٧/٦٦، الأعلام: ٨/٢٤٠.

(٢) الديباج المذهب: ٣٥٧.

(٣) كشف الظنون: ٢/٣٧٩.

(٤) المولى الأمير الكبير الحافظ الناقد النسابة الحجة، أبو نصر علي بن هبة الله بن علي بن جعفر بن علي ابن محمد، صاحب كتاب الإكمال في مشتبه النسبة وغير ذلك، وهو مصنف كتاب مستمر الأوهام، مولده في شعبان سنة اثنتين وعشرين وأربع مائة، واختلف في وفاته على أقوال منها: قال الحافظ ابن عساكر: سمعت إسماعيل بن السمرقندي يذكر أن ابن ماكولا كان له غلمان ترك أحداث؛ فقتلوه بجرجان في سنة نيف وسبعين وأربع مئة، وقال الحافظ ابن ناصر: قتل الحافظ ابن ماكولا وكان قد سافر نحو كرمان ومعه مماليكه الأتراك؛ فقتلوه؛ وأخذوا ماله في سنة خمس وسبعين وأربع مائة هكذا نقل ابن النجار هذا، وقال الحافظ أبو سعد السمعاني: سمعت ابن ناصر يقول: قتل ابن ماكولا بالأهواز إما في سنة ست أو سنة سبع وثمانين وأربع مائة، وقال السمعاني: =

والكنى والأنساب، وابن ماكولا من المعاصرين له حيث ولد في سنة اثنتين وعشرين وأربعمائة، وتوفي في سنة خمس وسبعين أربعمائة، وعلى ذلك فهو أدرى باسمه.

ثانيًا ـ المتقدمون على ابن فرحون ـ المولود بعد الثلاثين وسبعمائة ـ كالإمام الذهبي ـ المولود في سنة ثلاث وسبعين وستمائة ـ ذكروا أن اسمه يوسف بن عبدالله بن محمد ابن عبدالبر بن عاصم.

ثالثًا ـ ابن عبدالبر نفسه حين يتحدث عن نفسه يذكر أن هذا اسمه، فيقول في بداية التمهيد على سبيل المثال: قال أبو عمر يوسف بن عبدالله بن محمد بن عبدالبر النمري[1]. وأهل مكة أعرف بشعابها، وصاحب البيت أدرى بمتاعه.

كنيته: أبو عمر.

لقبه: ابن عبدالبر.

مولده: ولد ابن عبدالبر بقرطبة حاضرة الأندلس في ذلك الوقت في سنة ثمان وستين وثلاث مائة، في شهر ربيع الآخر. وقيل في جمادى الأولى؛ فاختلفت الروايات في الشهر عنه.

شيوخه: لزم أبو عمر أحمد بن عبدالملك بن هاشم الفقيه الإشبيلي، ولزم أبا الوليد ابن الفرضي، سمع من أبي محمد عبدالله بن محمد بن عبدالمؤمن سنن أبي داود بروايته عن ابن داسة، وحدثه أيضًا عن إسماعيل بن محمد الصفار، وحدثه بالناسخ والمنسوخ لأبي داود عن أبي بكر النجاد، وناوله مسند أحمد بن حنبل بروايته عن القطيعي، وسمع من المعمر محمد ابن عبدالملك بن ضيفون أحاديث الزعفراني بسماعه من ابن الأعرابي عنه، وقرأ عليه تفسير محمد بن سنجر في مجلدات، وقرأ على أبي القاسم عبدالوارث بن سفيان موطأ ابن وهب بروايته عن قاسم بن أصبغ عن ابن وضاح عن سحنون، وغيره عنه، وسمع من سعيد بن نصر مولى الناصر لدين الله

= خرج من بغداد إلى خوزستان وقتل هناك بعد الثمانين، وقال أبو الفرج الحافظ في المنتظم: قتل سنة خمس. سير أعلام النبلاء: ١٨/٥٦٩ـ ١٨/٥٧٦.

(١) التمهيد: ١/١.

الموطأ وأحاديث وكيع يرويها عن قاسم بن أصبغ عن القصار عنه، وسمع منه في سنة تسعين وثلاث مائة كتاب المشكل لابن قتيبة، وقرأ عليه مسند الحميدي، وسمع من أبي عمر أحمد بن محمد بن أحمد بن الجسور المدونة، وسمع من خلف بن القاسم ابن سهل الحافظ تصنيف عبدالله بن عبدالحكم، وسمع من الحسين بن يعقوب البجاني، وقرأ على عبدالرحمن بن عبدالله بن خالد الوهراني موطأ ابن القاسم، وقرأ على أبي عمر الطلمنكي أشياء، وسمع من يحيى بن عبدالرحمن بن وجه الجنة، وأبي المطرف عبدالرحمن بن مروان القنازعي، وأحمد بن فتح بن الرسان، وأبي عمر أحمد ابن عبدالله بن محمد بن الباجي، وأحمد ابن القاسم التاهرتي، وعبدالله بن محمد بن أسد الجهني، وأبي حفص عمر بن حسين بن نابل، ومحمد بن خليفة الإمام وغيرهم.

وقد أجاز له من ديار مصر أبو الفتح بن سيبخت صاحب البغوي، وعبدالغني بن سعيد الحافظ وأجاز له من الحرم أبو الفتح عبيد الله السقطي، وآخر من روى عنه بالإجازة علي بن عبدالله بن موهب الجذامي.

* **تلاميذه:** سمع منه عالم كثير من جلة أهل العلم كأبي العباس الدلائي، وأبي محمد بن أبي قحافة، وأبي عبدالله الحميدي، وأبي علي الغساني وأبي بحر سفيان بن العاصي، وحدث عنه أبو محمد بن حزم، ومحمد بن فتوح الأنصاري، وأبو داود سليمان بن أبي القاسم نجاح، وأبو عمران موسى بن أبي تليد وطائفة سواهم.

* **مذهبه الفقهي:** كان أولًا أثريًا ظاهريًا، ثم تحول مالكيًا مع ميل بيِّنٍ إلى فقه الشافعي في مسائل، ولا ينكر له ذلك؛ فإنه ممن بلغ رتبة الأئمة المجتهدين، ومن نظر في مصنفاته بان له منزلته من سعة العلم، وقوة الفهم وسيلان الذهن.

* **مذهبه في العقيدة:** قال عنه الذهبي: **«وكان في أصول الديانة على مذهب السلف لم يدخل في علم الكلام بل قفا آثار مشايخه رحمهم الله»**(١).

وذكر ابن قيم الجوزية مذهبه في العقيدة في أبيات متفرقة من قصيدته فقال (من

(١) سير أعلام النبلاء: ١٦١/١٨.

الكامل):

وَحَكَى ابنُ عبدالبِرِّ فِي تَمهِيدِهِ ... وَكِتَابِ الاستِذكَارِ غَيرَ جَبَانِ
إجمَاعَ أهلِ العِلمِ أنَّ اللَّه فَو ... قَ العَرشِ لَم يُنكِرهُ ذُو إيمَانِ
وأتَى هُنَاك بِمَا شَفَى أهلَ الهُدَى ... لَكِنَّهُ مَرَضٌ عَلَى العُميَانِ
وَاللَّهُ فَوقَ العَرشِ جَلَّ جَلاَلُه ... سُبحَانَهُ عَن نَفي ذِي البُهتَان
ذَكَرَ ابنُ عبدالبَرِّ فِي استِيعَابِه ... هَذَا وَصَحَّحَهُ بِلاَ نُكرَان
وَحَديثُ مِعرَاجِ الرَّسُولِ فَثَابِتٌ ... وَهُوَ الصَّرِيحُ بِغَايَةِ التِّبيَان

• **أقوال العلماء فيه:** قال الحميدي(١): أبو عمر فقيه، حافظ مكثر، عالم بالقراءات، وبالخلاف، وبعلوم الحديث والرجال، قديم السماع يميل في الفقه إلى أقوال الشافعي.

وقال عنه الذهبي: طلب العلم بعد التسعين وثلاث مائة، وأدرك الكبار، وطال عمره، وعلا سنده، وتكاثر عليه الطلبة، وجمع وصنف ووثق وضعف، وسارت بتصانيفه الركبان، وخضع لعلمه علماء لزمان.

وقال: كان إمامًا دينًا ثقةً مُتقِنًا علامةً متبحرًا صاحب سنة واتباع، وكان أولًا أثريًا ظاهريًا - فيما قيل - ثم تحول مالكيًا مع ميلٍ بيِّنٍ إلى فقه الشافعي في مسائل، ولا ينكر له ذلك فإنه ممن بلغ رتبة الأئمة المجتهدين، ومن نظر في مصنفاته بان له منزلته من سعة العلم وقوة الفهم وسيلان الذهن.

وقال أبو القاسم بن بشكوال: ابن عبدالبر إمام عصره وواحد دهره.

وقال أبو علي بن سكرة: سمعت أبا الوليد الباجي يقول: لم يكن بالأندلس مثل أبي عمر بن عبدالبر في الحديث، وهو أحفظ أهل المغرب(٢).

---

(١) الحميدي الإمام القدوة، الأثري، المتقن، الحافظ، شيخ المحدثين، أبو عبدالله محمد بن أبي نصر فتوح ابن عبدالله بن فتوح بن حميد بن يصل، الأزدي الحميدي الأندلسي الميورقي، الفقيه الظاهري، صاحب ابن حزم وتلميذه. ولد قبل سنة عشرين وأربع مائة، وتوفي في سنة ثمان وثمانين وأربع مائة عن بضع وستين سنة أو أكثر. سير أعلام النبلاء: ١٩/١٢٠.

(٢) وفيات الأعيان: ٧ /٦٦.

قال أبو عبدالله بن أبي الفتح: كان أبو عمر أعلم من بالأندلس في السنن والآثار واختلاف علماء الأمصار.

وقال عنه ابن خلكان: إمام عصره في الحديث والأثر وما يتعلق بهما.

* مصنفاته العلمية: ألف أبو عمر في الموطأ كتبًا مفيدةً منها كتاب التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، فرتبه على أسماء شيوخ مالك على حروف المعجم، وهو كتاب لم يتقدمه أحد إلى مثله، قال ابن حزم: لا أعلم في الكلام على فقه الحديث مثله فكيف أحسن منه؟!، ثم صنع كتاب الاستذكار الجامع لمذاهب علماء الأمصار فيما تضمنه الموطأ من معاني الرأي والآثار شرح فيه الموطأ على وجهه، وجمع كتابًا جليلًا مفيدًا، وهو الاستيعاب في أسماء الصحابة، وله كتاب جامع بيان العلم وفضله وما ينبغي في روايته وحمله، وله كتاب الكافي في مذهب مالك، وكتاب الاكتفاء في قراءة نافع وأبي عمرو، وكتاب التقصي في اختصار الموطأ وكتاب الإنباه عن قبائل الرواة، وكتاب الانتقاء لمذاهب الثلاثة العلماء مالك، وأبي حنيفة، والشافعي، وكتاب البيان في تلاوة القرآن، وكتاب الأجوبة المستوعبة عن المسائل المستغربة، وكتاب الكنى، و كتاب الدرر في اختصار المغازي والسير، وكتاب القصد والأمم في نسب العرب والعجم، وكتاب الشواهد في إثبات خبر الواحد، وكتاب الإنصاف في بسم الله من الخلاف، وكتاب الفرائض، وكتاب أشعار أبي العتاهية، و كتاب العقل والعقلاء وما جاء في أوصافهم، وله كتاب صغير في قبائل العرب وأنسابهم سماه جمهرة الأنساب، وصنف كتاب بهجة المجالس وأنس المجالس والمحاضرة.

* من أشعاره: يقول في نهاية كتابه التمهيد:

سمير فؤادي مذ ثلاثين حجة ... وصيقل ذهني والمفرج عن همي
بسطت لكم فيه كلام نبيكم ... بما في معانيه من الفقه والعلم
وفيه من الآثار ما يقتدى به ... إلى البر والتقوى وينهى عن الظلم

* ومن نظمه:

تذكرت من يبكي علي مداومًا فلم ألف إلا العلم بالدين والخبر
علوم كتاب اللّه والسنن التي أتت عن رسول اللّه في صحة الأثر

وقال أبو عمر بن عبدالبر متمثلًا بأبيات للإمام أحمد بن حنبل:

دين النبي محمد آثار نعم المطية للفتى الأخبار
لا تخدعن عن الحديث وأهله فالرأي ليل والحديث نهار
ولربما جهل الفتى طرق الهدى والشمس طالعة لها أنوار

* وفاته: وتوفي أبو عمر بشاطبة ليلة الجمعة سلخ ربيع الآخر سنة ثلاث وستين وأربع مائة، واستكمل خمسًا وتسعين سنة وخمسة أيام، فرحمه اللّه رحمة واسعة.

وقد رثاه بعض الشعراء منهم عبدالكريم البسطي؛ فقال (من الطويل):

طويتُ بساطَ الأُنْسِ مُذْ غَابَ شخصُكُمْ فماليَ مُذْ غِبْتُم سبيلٌ إلى الأُنْسِ
وأمْرِ ضَني شَوْقي إليكمْ وقُرْبُكمْ شِفائي من الأمْراضِ لو صَحَّ للنَّفْسِ
وقد كنت أرجو رفعَ شوقي بكَتْبِكُمْ فضاعفه حتى تبلّد لي حِسّي
وحُبُّ ابنِ عبدالبرِّ مُنْذُ غَرسْتُه بِقَلْبي جَنَيْتُ الجاهَ والعزَّ منْ غرْسِي

وقال عبدالباقي العمري (من الكامل):

للّه درُّك يا ابن عبدالبر مِن بحر طمى زخاره بعبابهِ
فلقد أجدتَ بما به استوعبتَ من أسماء آل محمدٍ وصحابهِ
أنت الذي مستوعبًا أصبحتَ كل الفضلِ والإحسانِ في استيعابهِ

أقوال ابن عبدالبر في النية

عن علي بن أبي طالب ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «نِيَّةُ الْمُؤْمِنِ خَيْرٌ مِنْ عَمَلِهِ، وَنِيَّةُ الْفَاجِرِ شَرٌّ مِنْ عَمَلِهِ، وَكُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى نِيَّتِهِ»[١].

قال أبو عمر[٢]: ومعنى هذا الحديث ـ والله أعلم ـ: أن النية بغير عمل خير من العمل بلا نية، وتفسير ذلك أن العمل بلا نية لا يُرفع ولا يصعد، فالنية بغير عمل خير من العمل بغير نية؛ لأن النية تنفع بلا عمل، والعمل بلا نية لا منفعة فيه.

ويحتمل أن يكون المعنى فيه نية المؤمن في الأعمال الصالحة أكثر مما يقوى عليه منه، ونية الفاجر في الأعمال السيئة أكثر مما يعمله منها، ولو أنه يعمل ما نوى من الشر أهلك الحرث والنسل، ونحو هذا، والله أعلم.

ويدل هذا الحديث على أن المؤمن قد يقع منه عمل بغير نية، فيكون لغوًا، وهو مع ذلك مؤمن، ويدل أيضًا على أن المؤمن قد ينوي من الأعمال ما لا يعان عليه، وأن الفاجر قد ينوي من الأعمال ما يعصم منه ولا يصل إليه، وقد روى أبو هريرة عن النبي ﷺ ما يعارض ظاهره هذا الحديث، وليس بمعارض إذا حمل على ما وصفنا، والله أعلم.

حدثنا أحمد بن محمد، حدثنا أحمد بن الفضل، حدثنا محمد بن جرير، حَدَّثَنَا أَبُو

---

(١) ضعيف: رواه البيهقي في شعب الإيمان عن أنس: ٦٨٥٩/٣٤٣/٥، وقال البيهقي: «هذا إسناد ضعيف»، ورواه الطبراني في المعجم الكبير عن سهل بن سعد الساعدي: ٥٩٤٢/١٨٥/٦، والهيثمي في مجمع الزوائد: ٦١/١، وقال الهيثمي: «رواه الطبراني في الكبير، ورجاله موثقون إلا حاتم بن عباد بن دينار الجرشي لم أر من ذكر له ترجمة»، والعجلوني في كشف الخفاء: ٤٣٠/٢/ ٢٨٣٦، وقال العجلوني: «رواه العسكري في الأمثال، والبيهقي عن أنس مرفوعًا. قال ابن دحية: لا يصح. والبيهقي إسناده ضعيف، وله شواهد منها ما أخرجه الطبراني عن سهل بن سعد الساعدي مرفوعًا «نِيَّةُ الْمُؤْمِنِ خَيْرٌ مِنْ عَمَلِهِ، وَعَمَلُ الْمُنَافِقِ خَيْرٌ مِنْ نِيَّتِهِ، وَكُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى نِيَّتِهِ، فَإِذَا عَمِلَ الْمُؤْمِنُ عَمَلًا نَارَ فِي قَلْبِهِ نُورٌ» وللعسكري بسند ضعيف، عن النواس بن سمعان بلفظ: «نِيَّةُ الْمُؤْمِنِ خَيْرٌ مِنْ عَمَلِهِ، ونية الفاجر شر من عمله» وروى الديلمي عن أبي موسى الجملة الأولى، وزاد وإن الله ﷻ ليعطي العبد على نيته ما لا يعطه على عمله، وذلك لأن النية لا رياء فيها قال في المقاصد: «وهي وان كانت كمال فبمجموعها يتقوى الحديث»، وضعفه ابن حجر في الفتح: ٢١٩/٤.

(٢) التمهيد: لابن عبدالبر: ٢٦٥/١٢ـ ٢٦٩.

كُرَيْبٍ، حَدَّثَنَا أَبُو خَالِدٍ الْأَحْمَرُ، عَنْ هِشَامِ بن حسان، عَنْ ابْنِ سِيرِينَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كُتِبَتْ لَهُ حَسَنَةٌ، وَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَعَمِلَهَا كُتِبَتْ لَهُ عَشْرًا إِلَى سَبْعِ مِائَةِ ضِعْفٍ، وَمَنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا لَمْ تُكْتَبْ، وَإِنْ عَمِلَهَا كُتِبَتْ»(١).

حدثنا أحمد بن محمد قال: حدثنا أحمد بن الفضل الدينوري قال: حدثنا محمد بن جرير، حدثنا محمد بن بشار، حدثنا يحيى بن سعيد، حدثنا الحسن بن ذكوان، عن أبي رجاء عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال: «من هم بحسنة، فلم يعملها كتبت له حسنة واحدة، وإن عملها كتبت له عشرًا، وإن هم بسيئة، فلم يعملها كتبت له حسنة. قال: قلت: أنت سمعت ابن عباس يقول: لم يعملها كتبت له حسنة؟ قال: نعم»(٢).

قال أبو عمر: حديث ابن عباس مخالف لحديث أبي هريرة في هذا الموضع، ويحتمل أن يكون ذلك فيمن هم بسيئة، فتركها خوف الله، فقد روي عن ابن عباس، ومجاهد، وإبراهيم النخعي في قول الله ﷻ: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾﴾ [الرحمن: ٤٦] هو الرجل يهم بالمعصية، ثم يتركها؛ لخوف المقام بين يدي الله ﷻ.

حدثنا عبدالوارث بن سفيان قراءة مني عليه، أن قاسم بن أصبغ حدثهم قال: حدثنا عبيد بن عبدالواحد البزار قال: حدثنا محبوب بن موسى قال: حدثنا أبو إسحاق الفزاري عن حميد الطويل عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ رَجَعَ مِنْ غَزْوَةِ تَبُوكَ فَدَنَا مِنْ الْمَدِينَةِ فَقَالَ: «إِنَّ بِالْمَدِينَةِ أَقْوَامًا مَا سِرْتُمْ مَسِيرًا، وَلَا قَطَعْتُمْ وَادِيًا إِلَّا كَانُوا مَعَكُمْ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَهُمْ بِالْمَدِينَةِ، قَالَ: وَهُمْ بِالْمَدِينَةِ، حَبَسَهُمْ الْعُذْرُ»(٣).

قال أبو عمر: هذا أبين شيء فيما قلنا؛ لأن هؤلاء لما نووا الجهاد وأرادوه وحبسهم العذر، كانوا في الأجر كمن قطع الأودية، والشعاب مجاهدًا بنفسه، وهذا أشبه

(١) صحيح مسلم: ١/١١٨/١٣٠.
(٢) صحيح البخاري: ٥ /٢٣٨٠/٦١٢٦، صحيح مسلم: ١/١١٨/١٣١.
(٣) صحيح البخاري: ٤/١٦١٠/٤١٦١.

الأسباب بالذي غلبه النوم فمنعه من صلاة كان قد عزم عليها، ونوى القيام إليها. وهذا الحديث لم يسمعه حميد من أنس.

حدثنا عبدالله بن محمد، حدثنا محمد بن بكر، حدثنا أبو داود، حدثنا موسى بن إسماعيل قال: حدثنا حماد عن حميد عن موسى بن أنس عن أبيه أنس بن مالك ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: **«لَقَدْ تَرَكْتُمْ بِالْمَدِينَةِ أَقْوَامًا مَا سِرْتُمْ مَسِيرًا، وَلَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ، وَلَا قَطَعْتُمْ مِنْ وَادٍ إِلَّا وَهُمْ مَعَكُمْ فِيهِ. قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَكَيْفَ يَكُونُونَ مَعَنَا وَهُمْ بِالْمَدِينَةِ؟ فَقَالَ: حَبَسَهُمُ الْعُذْرُ»**، وقال الله ﷻ: ﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُو۟لِى ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ دَرَجَةً ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٩٥].

حدثنا أحمد بن قاسم، حدثنا قاسم بن أصبغ، حدثنا الحارث بن أبي أسامة، حدثنا يزيد بن هارون، وحدثنا عبدالوارث قال: حدثنا قاسم بن أصبغ قال: حدثنا بكر، حدثنا مسدد قال: حدثنا هشيم قالوا جميعًا: أخبرنا العوام بن حوشب قال: حدثنا إبراهيم بن عبدالرحمن السكسكي أبو إسماعيل، أنه سمع أبا بردة بن أبي موسى، سمع أبا موسى يقول: سمعت رسول الله ﷺ مرة ولا مرتين يقول: **«إِذَا كَانَ الْعَبْدُ يَعْمَلُ عَمَلًا صَالِحًا فَشَغَلَهُ عَنْهُ مَرَضٌ أَوْ سَفَرٌ، كُتِبَ لَهُ كَصَالِحِ مَا كَانَ يَعْمَلُ، وَهُوَ صَحِيحٌ مُقِيمٌ»**(١).

❊ ❊ ❊

(١) صحيح: رواه أبو داود في سننه: ٣ / ١٨٣ / ٣٠٩١، والحاكم في المستدرك: ١/٤٩١/١٢٦١، والطبراني في الأوسط: ١/٨٢/٢٣٦، وله شاهد في صحيح البخاري: ٣/١٠٩٢/٢٨٣٤، وحسنه الألباني في صحيح سنن أبي داود: ح (٣٠٩١).

الباب الأول

أقوال ابن عبدالبر في أسماء الله عز وجل وصفاته

- ❏ الفصل الأول: القول في أسماء الله عز وجل.
- ❏ الفصل الثاني: القول في صفات الله عز وجل.
- ❏ الفصل الثالث: القول في القرآن الكريم.

الفصل الأول
القول في أسماء الله ﷻ

أقوال ابن عبدالبر في هل الدهر من أسماء الله؟

عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «يُؤْذِينِي ابْنُ آدَمَ يَسُبُّ الدَّهْرَ، وَأَنَا الدَّهْرُ بِيَدِي الأَمْرُ، أُقَلِّبُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ»(١).

حدثنا عبدالوارث بن سفيان قال: حدثنا قاسم بن أصبغ(٢) قال: حدثنا محمد بن وضاح قال: حدثنا أبو الطاهر، وزيد بن البشر قالا: أخبرنا ابن وهب عن يونس بن يزيد عن الزهري قال: أخبرني أبو سلمة بن عبدالرحمن قال: قال أبو هريرة: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «قَالَ اللَّهُ تبارك وتعالى: يَسُبُّ بَنُو آدَمَ الدَّهْرَ، وَأَنَا الدَّهْرُ بِيَدِي اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ»(٣).

قال أبو عمر(٤): فمن أهل العلم من يروي هذا الخبر بنصب الدهر على الظرف، يقول: «أنا الدهرَ كلَّه بيدي الأمر أقلب الليل والنهار»، ومنهم من يرويه بالرفع على معنى حديث مالك ومن تابعه، والمعنى فيه أن أهل الجاهلية كانوا يذمون الدهر في أشعارهم وأخبارهم، ويضيفون إليه كل ما يصنعه الله بهم، وقد حكى الله عنهم قولهم: ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُم بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٢٤﴾﴾ [الجاثية: ٢٤] فنهى الله عن قولهم ذلك، ونهى رسول الله ﷺ عنه أيضًا بقوله: «لَا تَسُبُّوا الدَّهْرَ» يعني: لأنكم إذا سببتموه وذممتموه لما يصيبكم فيه من المحن والآفات والمصائب وقع السب والذم على الله؛ لأنه الفاعل ذلك وحده لا شريك له، وهذا ما لا يسع أحدًا جهله، والوقوف على معناه لما يتعلق به الدهرية أهل التعطيل

(١) صحيح البخاري: ٤/١٨٢٥/٤٥٤٩، صحيح مسلم: ٤/١٧٦٢/٢٢٤٦.

(٢) قاسم بن أصبغ بن محمد بن يوسف بن ناصح، وقيل: واضح بدل ناصح، انتهى إليه علو الإسناد بالأندلس مع الحفظ والإتقان وبراعة العربية والتقدم في الفتوى والحرمة التامة والجلالة، مات بقرطبة في جمادى الأولى سنة أربعين وثلاث مائة وكان من أبناء التسعين. سير أعلام النبلاء: ١٥/٤٧٢.

(٣) صحيح البخاري: ٥/٢٢٨٦/٥٨٢٧، صحيح مسلم: ٤/١٧٦٢/٢٢٤٦.

(٤) التمهيد: ١٨/١٥٤-١٦١.

والإلحاد، وقد نطق القرآن، وصحت السنة بما ذكرنا، وذلك أن العرب كان من شأنها ذم الدهر عندما ينزل بها من المكاره، فيقولون: أصابتنا قوارع الدهر(١) وأبادنا الدهر وأتى علينا الدهر، ألا ترى إلى قول شاعرهم(٢) (الطويل):

رَمَتني بَناتُ الدَهرِ مِن حَيثُ لا أَرى ... فَكَيفَ بِمَن يُرمى وَلَيسَ بِرامِ
فَلَو أَنَّها نَبلٌ إِذًا لَاتَّقَيتُها ... وَلَكِنَّني أُرمى بِغَيرِ سِهامِ
وَأَفنى وَما أُفني مِنَ الدَهرِ لَيلَةً ... وَلَم يُغنِ ما أَفنَيتُ سِلكَ نِظامِ

وقال أبو العتاهية(٣) فذكر الزمان والدهر وهما سواء، ومراده في ذلك كله ما يحدث الله من العبر فيها لمن اعتبر (الكامل):

إِنَّ الزَمانَ إِذا رَمى لَمُصيبُ ... والعود منه إذا عجمت صليب
إِنَّ الزَمانَ لِأَهلِهِ لَمُؤَدِّبٌ ... لَو كانَ يَنفَعُ فيهِمُ التَأديبُ
كيف اغتررت بصرف دهرك يا أخي ... كيف اغتررت به وأنت لبيب
ولقد رأيتك للزمان مجربًا ... لو كان يحكم رأيك التجريب

وهذا المعنى في شعره كثير جدًا.

وقال غيره وهو المساور بن هند:

بليت وعلمي في البلاد مكانه ... وأفنى شبابي الدهر وهو جديد

(١) القارعة: النازلة الشديدة تنزل بأمر عظيم، ولذلك قيل ليوم القيامة: القارعة ويقال: قرعتهم قوارع الدهر أي: أصابتهم. لسان العرب: ٨/ ٢٦٥.

(٢) عمرو بن قُمَيئَة بن ذريح بن سعد بن مالك الثعلبي البكري الوائلي النزاري، شاعر جاهلي مقدم، نشأ يتيمًا، وأقام في الحيرة مدة وصحب حجرًا أبا امرئ القيس الشاعر، وخرج مع امرئ القيس في توجهه إلى قيصر فمات في الطريق فكان يقال له (الضائع).

(٣) أبو العَتَاهِيَة إسماعيل بن القاسم بن سويد العيني، العنزي، أبو إسحاق. شاعر مكثر، سريع الخاطر، في شعره إبداع، يعد من متقدمي المولدين، من طبقة بشار وأبي نواس وأمثالهما. كان يجيد القول في الزهد والمديح وأكثر أنواع الشعر في عصره. ولد ونشأ قرب الكوفة، وسكن بغداد. كان في بدء أمره يبيع الجرار ثم اتصل بالخلفاء وعلت مكانته عندهم. وهجر الشعر مدة، فبلغ ذلك الخليفة العباسي المهدي، فسجنه ثم أحضره إليه وهدده بالقتل إن لم يقل الشعر، فعاد إلى نظمه، فأطلقه. توفي في بغداد.

وقال غيره(١) (الوافر):

حَنَتْنِي حَانِيَاتُ الدَّهْرِ حَتَّى ... كَأَنِّي خَاتِلٌ يَدْنُو لِصَيْدِ
قَصِيرُ الخَطْوِ يَحْسَبُ مَنْ رَآنِي ... وَلَسْتُ مُقَيَّدًا أَمْشِي بِقَيْدِ
تَقَارَبَ خَطْوُ رِجْلِكَ يا سُوَيْدُ ... وَقَيَّدَكَ الزَّمَانُ بِشَرِّ قَيْدِ

وقال امرؤ القيس(٢) (الطويل):

أَلا إِنَّمَا الدَّهْرُ لَيَالٍ وَأَعْصُرٍ ... وَلَيْسَ عَلَى شَيْءٍ قَوِيمٍ بِمُسْتَمِرِ

وقال أيضًا (الوافر):

أُرَجِّي مِنْ صُرُوفِ الدَّهْرِ لِينًا ... وَلَمْ تَغْفَلْ عَنِ الصُّمِّ الهِضَابِ

وقال أبو ذؤيب الهذلي(٣) (الكامل):

أَمِنَ المَنُونِ وَرَيْبِهَا تَتَوَجَّعُ ... وَالدَّهْرُ لَيْسَ بِمُعْتِبٍ مِنْ يَجْزَعُ

وقال أرطأة بن سهية(٤) (الطويل):

---

(١) أبو الطَمحان القَيني حنظلة بن شرقي، أحد بني القين، من قضاعة. شاعر، فارس، معمر، مخضرم عاش في الجاهلية، وكان فيها من عشراء الزبير بن عبدالمطلب، وهو ترب له، أدرك الإسلام وأسلم ولم ير النبي ﷺ.

(٢) امرؤ القيس بن حجر بن الحارث الكندي. شاعر جاهلي، أشهر شعراء العرب على الإطلاق، يماني الأصل، مولده بنجد، كان أبوه ملك أسد وغطفان وأمه أخت المهلهل الشاعر. قال الشعر وهو غلام، وجعل يشبب ويلهو ويعاشر صعاليك العرب، فبلغ ذلك أباه، فنهاه عن سيرته فلم ينته، فأبعده إلى حضرموت، موطن أبيه وعشيرته، وهو في نحو العشرين من عمره. أقام زهاء خمس سنين، ثم جعل يتنقل مع أصحابه في أحياء العرب، يشرب ويطرب ويغزو ويلهو، إلى أن ثار بنو أسد على أبيه فقتلوه، فبلغه ذلك وهو جالس للشراب فقال: رحم الله أبي! ضيعني صغيرًا وحملني دمه كبيرًا، لا صحو اليوم ولا سكر غدًا، اليوم خمر وغدًا أمر. ونهض من غده فلم يزل حتى ثأر لأبيه.

(٣) أبو ذُؤَيب الهذلي خويلد بن خالد بن محرِّث أبو ذُؤيب من بني هذيل بن مدركة المضري. شاعر فحل، مخضرم، أدرك الجاهلية والإسلام، وسكن المدينة واشترك في الغزو والفتوح، وعاش إلى أيام عثمان، فخرج في جند عبدالله بن سعد بن أبي السرح إلى إفريقية سنة (٢٦ هـ) غازيًا. فشهد فتح إفريقية.

(٤) أرطأة بن سهيّة أرطأة بن زفر بن عبدالله بن مالك الغطفاني المري، أبو الوليد ابن سهية (وهي أمه) بنت زامل. وقيل: كانت أمة لضرار بن الأزور وصارت إلى زفر وهي حامل فجاءت بأرطاة: شاعر من فرسان الجاهلية، معمر عاش قريبًا من نصف عمره في الإسلام، وأدرك خلافة عبدالملك بن مروان ودخل عليه وعمره ١٣٠ سنة، وأنشده من شعره، وعمي قبل وفاته.

عن الدهر فاصفح إنه غير معتب وفي غير من قد وارت الأرض فاطمع

وقال الراجز(١):

ألقى علي الدهر رجلًا ويدًا والدهر ما أصلح يوما أفسدا
يصلحه اليوم ويفنيه غدا ويسعد الموت إذا الموت عدا

وأشعارهم في هذا أكثر من أن تحصى خرجت كلها على المجاز، والاستعارة والمعروف من مذاهب العرب في كلامها؛ لأنهم يسمون الشيء ويعبرون عنه بما يقرب منه، وبما هو فيه، فكأنهم أرادوا ما ينزل بهم في الليل والنهار من مصائب الأيام، فجاء النهي عن ذلك تنزيها لله؛ لأنه الفاعل ذلك بهم في الحقيقة، وجرى ذلك على الألسنة في الإسلام، وهم لا يريدون ذلك ألا ترى أن المسلمين الخيار الفضلاء قد استعملوا ذلك في أشعارهم على دينهم وإيمانهم جريًا في ذلك على عادتهم، وعلما بالمراد، وأن ذلك مفهوم معلوم لا يشكل على ذي لب هذا سابق البربري(٢) على فضله يقول (الكامل):

المَرْءُ يَجمَعُ وَالزَّمانُ يُفرق وَيَظل يَرقع وَالخطوب تمزق

ويروى أن هذا الشعر لصالح بن عبدالقدوس.

وهذا سليمان العدوي وكان خيرا متدينا يقول:

أيا دهرًا عملت فينا أذاكا وولّيتنا بعد وجه قفاكا
جعلت الشرار علينا رؤوسًا وأجلست سفلتنا مستواكا
فيا دهر إن كنت عاديتنا فها قد صنعت بنا ما كفاكا

---

(١) دويد القضاعي.

(٢) سابق بن عبدالله البربري الرقي. فقيه ومحدث وأحد شعراء الزهد في العهد الأموي أخذ الشعر عنه وتتلمذ له أبو العتاهية، من أهل خراسان، سكن الرقة، عرف بأبي أمية البربري وقد صحف الزبيدي صاحب تاج العروس اسمه بقوله (سابق بن عبدالله البرقي المعروف بالبربري) وترجم ابن عساكر لسابق البربري المحدث وسابق البربري الزاهد وتوهم أنهما اثنان بينما هما شخص واحد. روى الذهبي أنه من موالي بني أمية وفد على عمر بن عبدالعزيز وله معه حكايات لطيفة.

وقالت صفية الباهلية[1] (البسيط):

أَخنى على واحدٍ ريبُ الزمانِ وما يُبقي الزمانُ على شيءٍ ولا يذرُ

وقال أبو العتاهية وموضعه من الخير موضعه (الكامل):

دَهرٌ يُؤَمِّنُنا الخُطوبَ وَقَد نَرى في كُلِّ ناحِيَةٍ لَهُنَّ شِباكا
يا دَهرُ قَد أَعظَمتَ عِبرَتَنا بِمَن دارَت عَلَيهِ مِنَ القُرونِ رَحاكا

وروينا أن مالك بن أنس رحمه اللَّه كان ينشد لبعض صالحي أهل المدينة:

أخي لا تعتقد دنيا قليلًا ما تواتيكا
فكم قد أهلكت أليفا خلا لو تنبيكا
ولا تغررك زهرتها فتلقي السم في فيكا

في أبيات كثيرة فمرة يضيفون ذلك إلى الدهر ومرة إلى الزمان ومرة إلى الأيام ومرة إلى الدنيا وذلك كله مفهوم المعنى على ما ذكرنا وفسرنا والحمد للَّه.

وقال أبو العتاهية (الطويل):

أَيا عَجَبًا لِلدَهرِ لا بَل لِرَيبِهِ تَخَرَّمَ رَيبُ الدَهرِ كُلَّ إِخاءِ
وَمَزَّقَ رَيبُ الدَهرِ كُلَّ جَماعَةٍ وَكَدَّرَ رَيبُ الدَهرِ كُلَّ صَفاءِ

وقال آخر (البسيط):

يا دهر ويحك ما أبقيت لي أحدا وأنت والد سوء تأكل الولدا
أستغفر اللَّه بل ذا كله قدر رضيت باللَّه ربا واحدا صمدا
لا شيء يبقى سوى خير تقدمه ما دام ملك لإنسان ولا خلدا

ومما ينشد للمأمون ويروى له من قوله:

أنا في علمي بالدهر أبو الدهر وأمه
ليس يأتي الدهر يوما بسرور فيتمه
فكما سر أخاه فكذا سوف يغمه

(١) صفية الباهلية: شاعرة جاهلية، لها شعر في رثاء أخيها.

ليس للدهر صديق حامد الدهر يذمه

وقال ابن المغيرة في شعر يرثي به أباه:

أين من يسلم من صرف الردى حكم الموت علينا فعدل
فكأنا لا نرى ما قد نرى وخطوب الدهر فينا تنتضل

وقال نصر بن أحمد:

كأنما الدهر قد أغرى بنا حسدا ونعمة اللّٰه مقرون بها الحسد

وقال جحظة[1]:

أيا دهر ويحك كم ذا الغلط وضيع علا وكريم سقط
وعير تسيب في جنة وطرف بلا علف يرتبط
وجهل برؤوس وعقل برأس وذاك مشتبه مختلط
وأهل القرن كلهم ينتمون إلى آل كسرى فأين النبط

وقال غيره (الوافر):

رأيت الدهر بالأشراف يكبو ويرفع راية القوم اللئام
كأن الدهر موتور حقود يطالب ثأره عند الكرام

والأشعار في هذا لا يحاط بها كثرة وفيما لوحنا به منها كفاية، والحمد للّٰه[2].

(١) جحظة البرمكي أحمد بن جعفر بن موسى بن يحيى بن خالد البرمكي أبو الحسن، شاعر عباسي وكان قبيح المنظر، جاحظ العينين، فلقب بجحظة، وكان طنبوريًّا حاذقًا يصوغ اللحن ويجود الغناء وقد عمر طويلًا، له (ديوان شعر) وقد ضاع أكثره.

(٢) قال ابن تيمية: «تنازع المسلمون في تسمية الله بالدهر»، ففي الصحيح عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يسب أحدكم الدهر؛ فإن الله هو الدهر، ولا يقولن أحدكم للعنب الكرم؛ فإن الكرم الرجل المسلم» وفي الصحيح عن أبي هريرة ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: قال الله ﷻ: «يسب ابن آدم الدهر، وأنا الدهر أقلب الليل والنهار» وفي رواية أخرى «يؤذيني ابن آدم، يقول: يا خيبة الدهر، فإني أنا الدهر، أقلب ليله ونهاره؛ فإذا شئت قبضتهما» هذه ألفاظ مسلم قال القاضي أبو يعلى في إبطال التأويلات: اعلم أن أبا بكر الخلال قال: أخبرني بشر بن موسى الأسدي قال: سألت أبا عبدالله أحمد بن حنبل عن الدهر؛ فلم يجبني فيه بشيء، قال القاضي: وظاهر هذا أن أحمد توقف عن الأخذ بظاهر الحديث، وقال حنبل: سمعت هارون الحمال يقول لأبي عبدالله: كنا عند سفيان بن عيينة بمكة؛ فحدثنا أن النبي ﷺ قال: «لا تسبوا الدهر» فقام فتح بن =

= سهل فقال: يا أبا محمد، نقول يا دهر ارزقنا؟ فسمعت سفيان يقول: خذوه فإنه جهمي وهرب، فقال أبو عبدالله: القوم يردون الآثار عن رسول الله ﷺ ونحن نؤمن بها ولا نرد على رسول الله ﷺ قوله.

قال القاضي: وظاهر هذا أنه أخذ بظاهر الحديث، ويحتمل أن يكون قوله ونحن نؤمن بها راجع إلى أخبار الصفات في الجملة، ولم يرجع إلى هذا الحديث خاصة.

قال وقد ذكر شيخنا أبو عبدالله رَحِمَهُ اللَّهُ يعني ابن حامد هذا الحديث في كتابه، وقال: لا يجوز أن يسمى الله دهرًا، والأمر على ما قاله؛ لأنه قد روي في بعض ألفاظ الحديث ما يمنع من حمله على ظاهره هذا، ولم يرد في غيره من أخبار الصفات ما دل على صرفه عن ظاهره؛ فلهذا أوجب حملها على ظاهرها، وذلك أنه روي فيه أنه «يؤذيني ابن آدم يسب الدهر، وأنا الدهر بيدي الأمر، أقلب الليل والنهار» وفي لفظ «آخر لي الليل والنهار أجدده وأبليه، وأذهب بملوك وآتي بملوك» فتبين أن الدهر هو الليل والنهار خلق له وبيده، وأنه يجدده ويبليه؛ فامتنع أن يكون إلا له، وأصل هذا الخبر أنه ورد على سبب، وهو أن الجاهلية كانت تقول أصابني الدهر في مالي بكذا، ونالتني قوارع الدهر ومصائبه؛ فيضيفون كل حادث يحدث بما هو جار بقضاء الله وقدره وخلقه وتقديره من مرض أو صحة أو غنى أو فقد أو حياة أو موت إلى الدهر، ويقولون لعن الله هذا الدهر والزمان، ولذلك قال قائلهم:

أَمِنَ المَنونِ وَريبِها تَتَوَجَّعُ   وَالدَهرُ لَيسَ بِمُعتِبٍ مِن يَجزَعُ

وقال تعالى: ﴿نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ﴾ [سورة الطور: آية (٣٠)] أي: ريب الدهر وحوادثه، وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ﴾[سورة الجاثية: ٢٤] فأخبر عنهم بما كانوا عليه من نسبة أقدار الله وأفعاله إلى الدهر؛ فقال النبي ﷺ: «لا تسبوا الدهر» أي: إذا أصابتكم المصائب لا تنسبوها إليه؛ فإن الله هو الذي أصابكم بها لا الدهر؛ وإنكم إذًا سببتم الدهر، وفاعل ذلك ليس هو الدهر.

وقال أبو بكر الخلال: سألت إبراهيم الحربي عن قول النبي ﷺ: «لا يقولن أحدكم يا خيبة الدهر؛ فإن الله هو الدهر» وعن «لا تسبوا الدهر؛ فإن الله هو الدهر» قال: كانت الجاهلية تقول الدهر هو الليل والنهار، يقولون: الليل والنهار فعل بنا كذا؛ فقال الله تعالى: أنا أفعل ليس الدهر، قال القاضي: فقد بين إبراهيم الحربي أن الخبر ليس على ظاهره، وأنه ورد على سبب. وذكر أبو عبيد نحو ما ذكرنا؛ فقال: لا ينبغي لأحد من أهل الإسلام أن يجهل وجهه، وذلك أن أهل التعطيل يحتجون به على المسلمين، واحتج به بعضهم فقال: ألا تراه يقول: «فإن الله هو الدهر» ؟ قال: وتأويله أن العرب كان شأنها أن تذم الدهر، وتسبه عند المصائب التي تنزل بهم من موت أو هرم أو تلف؛ فيقولون أصابتهم قوارع الدهر، وأبادهم الدهر، وأتى عليهم الدهر؛ فيجعلونه الذي يفعل ذلك فيذمونه عليه؛ فقال النبي ﷺ: «لا تسبوا الذي فعل بكم هذه الأشياء أو يصيبكم بهذه المصائب؛ فإنكم إذا سببتم فاعلها فإنما يقع السب على الله تعالى، وهو الفاعل لها لا الدهر» بيان تلبيس الجهمية: ١/١٢٤-١٢٦.

الفصل الثاني

القول في صفات الله ﷻ

- ❑ أقوال ابن عبدالبر في إثبات صفة العلو للّه.
- ❑ أقوال ابن عبدالبر في نزول الله ﷻ إلى السماء الدنيا.
- ❑ أقوال ابن عبدالبر في رؤية الله ﷻ.
- ❑ أقوال ابن عبدالبر في ضحك الله ﷻ.
- ❑ أقوال ابن عبدالبر في وعد الله ﷻ ووعيده.
- ❑ قول ابن عبدالبر في أن الله ﷻ لا يلحقه الملل.
- ❑ أقوال ابن عبدالبر في محبة الله ﷻ.
- ❑ أقوال ابن عبدالبر فيمن جهل ببعض صفات الله.
- ❑ أقوال ابن عبدالبر في خلق صفات الله ﷻ.
- ❑ أقوال ابن عبدالبر في أحاديث الصفات.

أقوال ابن عبدالبر في إثبات صفة العلو لله

عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل، فيقول: من يدعوني فأستجيب له؟ من يسألني فأعطيه؟ من يستغفرني فأغفر له هذا؟»(١).

قال أبو عمر ابن عبدالبر(٢): «وفيه دليل على أن الله ﷻ في السماء على العرش من فوق سبع سماوات كما قالت الجماعة، وهو من حجتهم على المعتزلة، والجهمية في قولهم: إن الله في كل مكان وليس على العرش».

والدليل على صحة ما قاله أهل الحق في ذلك قول الله ﷻ: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه: ٥] وقوله ﷻ: ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيّٖ وَلَا شَفِيعٍۚ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ [السجدة: ٤] وقوله: ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِيَ دُخَانٞ﴾ [فصلت: ١١] وقوله: ﴿إِذٗا لَّٱبۡتَغَوۡاْ إِلَىٰ ذِي ٱلۡعَرۡشِ سَبِيلٗا﴾[الإسراء: ٤٢] وقوله تبارك اسمه: ﴿إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾[فاطر: ١٠] وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ﴾[الأعراف: ١٤٣]، وقال: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخۡسِفَ بِكُمُ ٱلۡأَرۡضَ﴾ [الملك: ١٦] وقال جل ذكره: ﴿سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ٱلۡأَعۡلَى ۝١﴾ [الأعلى: ١] وهذا من العلو، وكذلك قوله: ﴿ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وقوله: ﴿ٱلۡكَبِيرُ ٱلۡمُتَعَالِ﴾ [الرعد: ٩]، وقوله: ﴿رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلۡعَرۡشِ﴾[غافر: ١٥] و قوله: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوۡقِهِمۡ﴾ [النحل: ٥٠].

والجهمي يزعم أنه أسفل، وقال جل ذكره: ﴿يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ثُمَّ يَعۡرُجُ إِلَيۡهِ﴾ [السجدة: ٥] وقوله: ﴿تَعۡرُجُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيۡهِ﴾ [المعارج: ٤]، وقال لعيسى عليه السلام: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ [آل عمران: ٥٥]، وقال: ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيۡهِۚ﴾ [النساء: ١٥٨]، وقال ﷻ: ﴿فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيۡلِ

---

(١) صحيح البخاري: ١/٣٨٤/١٠٩٤، وصحيح مسلم: ١/٥٢١/ ٧٥٨.
(٢) التمهيد: ٧/١٢٩،٧/١٤٣.

وَٱلنَّهَارِ﴾[فصلت: ٣٨] وقال ﷻ: ﴿وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ﴾ [الأنبياء: ١٩] وقال: ﴿لَيْسَ لَهُۥ دَافِعٌ ۝ مِّنَ ٱللَّهِ ذِى ٱلْمَعَارِجِ ۝٣﴾ [المعارج: آية ٢-٣] والعروج: هو الصعود.

وأما قوله تعالى: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ﴾ [الملك: ١٦] فمعناه من على السماء يعني: على العرش، وقد يكون (في) بمعنى على ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿فَسِيحُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ﴾[التوبة: ٢] أي: على الأرض، وكذلك قوله: ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ﴾[طه: ٧١] وهذا كله يعضده قوله تعالى: ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ [المعارج: ٤] وما كان مثله مما تلونا من الآيات في هذا الباب، وهذه الآيات كلها واضحات في إبطال قول المعتزلة.

وأما ادعاؤهم المجاز في الاستواء، وقولهم في تأويل استوى: استولى، فلا معنى له؛ لأنه غير ظاهر في اللغة، ومعنى الاستيلاء في اللغة: المغالبة، والله لا يغالبه ولا يعلوه أحد، وهو الواحد الصمد، ومن حق الكلام أن يحمل على حقيقته، حتى تتفق الأمة أنه أريد به المجاز إذ لا سبيل إلى اتباع ما أُنزل إلينا من ربنا إلا على ذلك، وإنما يوجه كلام الله ﷻ إلى الأشهر والأظهر من وجوهه ما لم يمنع من ذلك ما يجب له التسليم، ولو ساغ ادعاء المجاز لكل مدع ما ثبت شيء من العبارات، وجل الله ﷻ عن أن يُخاطبَ إلا بما تفهمه العربُ في معهود مخاطباتها مما يصح معناه عند السامعين.

والاستواء معلوم في اللغة ومفهوم: وهو العلو، والارتفاع على الشيء، والاستقرار، والتمكن فيه. قال أبو عبيدة في قوله تعالى: ﴿ٱسْتَوَىٰ﴾ قال: علا. قال: وتقول العرب: استويت فوق الدابة، واستويت فوق البيت. وقال غيره: ﴿ٱسْتَوَىٰ﴾ أي: انتهى شبابه واستقر، فلم يكن في شبابه مزيد.

قال أبو عمر: الاستواء الاستقرار في العلو، وبهذا خاطبنا الله ﷻ وقال: ﴿لِتَسْتَوُۥا۟ عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ ثُمَّ تَذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا ٱسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ﴾[الزخرف: ١٣] وقال: ﴿وَٱسْتَوَتْ

عَلَى ٱلْجُودِيِّ﴾ [هود: ٤٤]، وقال: ﴿فَإِذَا ٱسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلْفُلْكِ﴾ [المؤمنون: ٢٨] وقال الشاعر:

فأوردتهم ماء بفيفاء قفرة وقد حلق النجم اليماني فاستوى

وهذا لا يجوز أن يتأول فيه أحد استولى؛ لأن النجم لا يستولى، وقد ذكر النضر بن شميل - وكان ثقةً مأمونًا جليلًا في علم الديانة واللغة - قال: حدثني الخليل - وحسبك بالخليل - قال: أتيت أبا ربيعة الأعرابي، وكان من أعلم من رأيت؛ فإذا هو على سطح فسلمنا فرد علينا السلام وقال لنا: استووا فبقينا متحيرين، ولم ندر ما قال. قال: فقال لنا أعرابي إلى جنبه: إنه أمركم أن ترتفعوا. قال الخليل: هو من قوله ﷻ: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ﴾ [فصلت: ١١] فصعدنا إليه، فقال: هل لكم في خبز فطير، ولبن هجير، وماء نمير؟ فقلنا: الساعة فارقناه. فقال: سلامًا، فلم ندر ما قال. فقال الأعرابي: إنه سالمكم متاركة لا خير فيها ولا شر. قال الخليل: هو من قوله ﷻ: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَـٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَـٰمًا﴾ [الفرقان: ٦٣].

وأما نزع من نزع منهم بحديث يرويه عبدالله بن واقد الواسطي عن إبراهيم بن عبدالصمد عن عبدالوهاب بن مجاهد عن أبيه عن ابن عباس في قوله تعالى: «﴿ٱلرَّحْمَـٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ على جميع بريته، فلا يخلو منه مكان»[(١)].

فالجواب عن هذا: أن هذا حديث منكر عن ابن عباس، ونقلته مجهولون ضعفاء؛ فأما عبدالله بن داود الواسطي، وعبدالوهاب بن مجاهد فضعيفان، وإبراهيم بن عبدالصمد مجهول لا يعرف وهم لا يقبلون أخبار الآحاد العدول، فكيف يسوغ لهم الاحتجاج بمثل هذا من الحديث لو عقلوا أو أنصفوا؟!أما سمعوا الله ﷻ حيث يقول:﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَـٰهَـٰمَـٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَـٰبَ ۝٣٦ أَسْبَـٰبَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَـٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ كَـٰذِبًا﴾ [غافر: الآيتان: ٣٦-٣٧] فدل

(١) ضعيف: ضعفه ابن حجر في لسان الميزان: ١/ ٧٨ / ٢١٣، وقال ابن حجر: أورده ابن عبدالبر في التمهيد، وقال: لا يصح، وعبدالله وعبدالوهاب ضعيفان، وإبراهيم مجهول لا يعرف.

على أن موسى عليه السلام كان يقول: إلهي في السماء، وفرعون يظنه كاذبًا، فسبحان من لا يُقدِّرُ الخلقُ قَدرَه.

ومن هو فوق العرش فرد موحد   مليك على عرش السماء مهيمن
مَليكٌ عَلى عَرشِ السَماءِ مُهيمِنٌ   لِعِزَّتِهِ تَعنو الوجوهُ وَتَسجُدُ

وهذا الشعر لأمية بن أبي الصلت، وفيه يقول في وصف الملائكة (من الطويل):

فمن حامل إحدى قوائم عرشه   ولولا إله الخلق كلوا وأبلدوا
قيام على الأقدام عانون تحته   فرائضهم من شدة الخوف ترعد

قال أبو عمر: فإن احتجوا بقول الله عز وجل: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ﴾ [الزخرف: ٨٤] وبقوله: ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ﴾[الأنعام: ٣] وبقوله: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟﴾ [المجادلة: ٧] وزعموا أن الله تبارك وتعالى في كل مكان بنفسه، وذاته تبارك وتعالى.

قيل لهم: لا خلاف بيننا وبينكم وبين سائر الأمة أنه ليس في الأرض دون السماء بذاته، فوجب حمل هذه الآيات على المعنى الصحيح المجتمع عليه. وذلك أنه السماء إلهٌ معبودٌ من أهل السماء، وفي الأرض إلهٌ معبودٌ من أهل الأرض، وكذلك قال أهل العلم بالتفسير، فظاهر التنزيل يشهد أنه على العرش، والاختلاف في ذلك بين، وأسعد الناس به من ساعده الظاهر.

وأما قوله في الآية الأخرى:﴿وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ﴾ فالإجماع والاتفاق قد بين المراد بأنه معبود من أهل الأرض، فتدبر هذا فإنه قاطع إن شاء الله.

ومن الحجة أيضًا في أنه عز وجل على العرش فوق السماوات السبع، أن الموحدين أجمعين من العرب والعجم إذا كربهم أمر أو نزلت بهم شدةٌ رفعوا وجوهَهم إلى السماء، يستغيثون ربهم تبارك وتعالى، هذا أشهر وأعرف عند الخاصة والعامة من أن يُحتاج فيه إلى أكثر من حكايته؛ لأنه اضطرارٌ لم يؤنبهم عليه أحدٌ، ولا أنكره عليهم

مسلمٌ، وقد قال ﷺ للأمة التي أراد مولاها عتقها ـ إن كانت مؤمنة ـ فاختبرها رسول الله ﷺ بأن قال لها: **«أين الله؟ فأشارت إلى السماء، ثم قال لها: من أنا؟ قالت: رسول الله، قال: أعتقها، فإنها مؤمنة»** فاكتفى رسول الله ﷺ منها برفعها رأسها إلى السماء واستغنى بذلك عما سواه.

أخبرنا عبيد بن محمد قال: حدثنا عبدالله بن مسرور قال: حدثنا عيسى بن مسكين قال: حدثنا محمد بن سنجر قال: حدثنا أبو المغيرة قال: حدثنا الأوزاعي قال: حدثنا يحيى بن أبي كثير عن هلال بن أبي ميمونة عن عطاء بن يسار عن معاوية بن الحكم قال: **«أطلقت غنيمة لي، ترعاها جارية لي في ناحية أحد، فوجدت الذئب قد أصاب شاة منها، وأنا رجل من بني آدم آسف كما يأسفون، فصككتها صكة، ثم انصرفت إلى النبي ﷺ فأخبرته، فعظم علي. قال: فقلت: يا رسول الله، فهلا أعتقها؟ قال: فأتني بها. قال: فجئت بها إلى النبي ﷺ فقال لها: أين الله؟ فقالت: في السماء. فقال: من أنا؟ قالت: أنت رسول الله. قال: إنها مؤمنة، فأعتقها»**[1].......

وأما احتجاجهم: لو كان في مكان لأشبه المخلوقات؛ لأن ما أحاطت به الأمكنة واحتوته مخلوق فشيء لا يلزم، ولا معنى له؛ لأنه ﷻ ليس كمثله شيء من خلقه، ولا يقاس بشيء من بريته، لا يدرك بقياس، ولا يقاس بالناس لا إله إلا هو، كان قبل كل شيء، ثم خلق الأمكنة، والسماوات والأرض وما بينهما، وهو الباقي بعد كل شيء، وخالق كل شيء لا شريك له، وقد قال المسلمون وكل ذي عقل: إنه لا يعقل كائن لا في مكان منا، وما ليس في مكان فهو عدم، وقد صح في المعقول، وثبت بالواضح من الدليل أنه كان في الأزل لا في مكان، وليس بمعدوم؛ فكيف يقاس على شيء من خلقه أو يجري بينه وبينهم تمثيل أو تشبيه؟! تعالى الله عما يقول الظالمون علوًا كبيرًا، الذي لا يبلغ من وصفه إلا إلى ما وصف به نفسه، أو وصفه به نبيه ورسوله أو اجتمعت عليه الأمة الحنيفية عنه.

---

(١) صحيح مسلم: ١/٣٨١ / ٥٣٧.

فإن قال قائل منهم: إنا وصفنا ربنا أنه كان لا في مكان ثم خلق الأماكن، فصار في مكان، وفي ذلك إقرار منا بالتغيير والانتقال إذ زال عن صفته في الأزل، وصار في مكان دون مكان. قيل له: وكذلك زعمت أنت أنه كان لا في مكان، وانتقل إلى صفة هي الكون في كل مكان، فقد تغير عندك معبودك، وانتقل من لا مكان إلى كل مكان، وهذا لا ينفك منه؛ لأنه إن زعم أنه في الأزل في كل مكان كما هو الآن فقد أوجب الأماكن والأشياء موجودة معه في أزله، وهذا فاسد؛ فإن قيل: فهل يجوز عندك أن ينتقل من لا مكان في الأزل إلى مكان؟ قيل له: أما الانتقال وتغير الحال، فلا سبيل إلى إطلاق ذلك عليه؛ لأن كونه في الأزل لا يوجب مكانًا، وكذلك نقله لا يوجب مكانًا، وليس في ذلك كالخلق، لأن كون ما كونه يوجب مكانًا من الخلق، ونقلته توجب مكانًا، ويصير منتقلًا من مكان إلى مكان والله ﷻ ليس كذلك؛ لأنه في الأزل غيرُ كائن في مكان، وكذلك نقلته لا توجب مكانًا، وهذا ما لا تقدر العقول على دفعه.

ولكنا نقول استوى من لا مكان إلى مكان، ولا نقول انتقل، وإن كان المعنى في ذلك واحدًا، ألا ترى أنَّا نقول: له العرش، ولا نقول: له سرير، ومعناهما واحد. ونقول: هو الحكيم، ولا نقول: هو العاقل. ونقول: خليل إبراهيم، ولا نقول: صديق إبراهيم، وإن كان المعنى في ذلك كله واحدًا لا نسميه ولا نصفه ولا نطلق عليه إلا ما سمى به نفسه على ما تقدم ذكرنا له من وصفه لنفسه لا شريك له، ولا ندفع ما وصف به نفسه؛ لأنه دفع للقرآن، وقد قال الله ﷻ: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ۝٢٢﴾ [الفجر: ٢٢] وليس مجيئه حركةً، ولا زوالًا، ولا انتقالًا؛ لأن ذلك إنما يكون إذا كان الجائي جسمًا أو جوهرًا، فلما ثبت أنه ليس بجسم ولا جوهر، لم يجب أن يكونَ مجيئه حركةً ولا نقلةً. ولو اعتبرت ذلك بقولهم: جاءت فلانًا قيامتُهُ، وجاءه الموتُ، وجاءه المرضُ، وشبه ذلك مما هو موجودٌ نازلٌ به، ولا مجيء لبان لك. وبالله العصمة والتوفيق.

فإن قال: إنه لا يكون مستويًا على مكان إلا مقرونًا بالتكييف. قيل: قد يكون

الاستواء واجبًا والتكييف مرتفع، وليس رفع التكييف يوجب رفع الاستواء، ولو لزم هذا لزم التكييف في الأزل؛ لأنه لا يكون كائن في لا مكان إلا مقرونًا بالتكييف، وقد عقلنا وأدركنا بحواسنا أن لنا أرواحًا في أبداننا، ولا نعلم كيفية ذلك، وليس جهلنا بكيفية الأرواح يوجب أن ليس لنا أرواح، وكذلك ليس جهلنا بكيفية استوائه على عرشه يوجب أنه ليس على عرشه.

أخبرنا عبدالوارث بن سفيان قال: حدثنا قاسم بن أصبغ قال: حدثنا أحمد بن زهير قال: حدثنا أبو عبدالله محمد بن عبدالله الخزاعي قال: حدثنا حماد بن سلمة عن يعلى بن عطاء عن وكيع بن حرس عن عمه أبي رزين العقيلي قال: قلت: **«يا رسول الله، أين كان ربنا تبارك وتعالى قبل أن يخلق السماء والأرض؟ قال: كان ما فوقه هواء وما تحته هواء، ثم خلق عرشه على الماء»**

قال أبو عمر: قال غيره - في هذا الحديث -: **«كان في عماء فوقه هواء وتحته هواء»**[(١)] - والهاء في قوله فوقه وتحته راجعة إلى العماء - وقال أبو عبيدة: العماء هو الغمام، وهو ممدود. وقال ثعلب: هو عما مقصور. أي: في عما عن خلقه، والمقصود الظلم، ومن عمى عن شيء فقد أظلم عليه.

أخبرنا أبو محمد عبدالله بن محمد بن عبدالمؤمن قال: حدثنا أحمد بن جعفر بن حمدان بن مالك قال: حدثنا عبدالله بن أحمد بن حنبل قال: حدثني أبي قال: حدثنا سريج بن النعمان قال: حدثنا عبدالله بن نافع قال: قال مالك بن أنس: الله ﷻ في السماء وعلمه في كل مكان، لا يخلو منه مكان. قال: وقيل لمالك: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ كيف استوى؟ فقال مالك: استواؤه معقول، وكيفيته مجهولة، وسؤالك عن هذا بدعة، وأراك رجل سوء، وقد روينا عن ربيعة بن أبي عبدالرحمن أنه

(١) ضعيف: رواه الإمام أحمد في المسند: ٤ / ١١ / ١٦٢٣٣، والطيالسي في مسنده: ح (١٠٩٣)، والترمذي: ٥ / ٢٨٨ / ٣١٠٩، وقال أبو عيسى: «هذا حديث حسن»، وابن ماجه: ١/٦٤/ ١٨٢، وابن حبان في صحيحه: ٦١٤١/٨/١٤، والطبراني في المعجم الكبير: ١٩/ ٢٠٧، وضعفه الألباني في سنن الترمذي: ح (٣١٠٩)، وسنن ابن ماجه: ح (١٨٢) .

قال في قول الله ﷻ: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ مثل قول مالك هذا سواء.

وأما احتجاجهم بقوله ﷻ: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجۡوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمۡ وَلَا خَمۡسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمۡ وَلَآ أَدۡنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمۡ أَيۡنَ مَا كَانُواْ﴾ [المجادلة: آية ٧] فلا حجة لهم في ظاهر هذه الآية؛ لأن علماء الصحابة والتابعين الذين حملت عنهم التأويل في القرآن قالوا في تأويل هذه الآية: هو على العرش وعلمه في كل مكان، وما خالفهم في ذلك أحد يحتج بقوله.

ذكر سنيد عن مقاتل بن حيان عن الضحاك بن مزاحم في قوله: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجۡوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمۡ وَلَا خَمۡسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمۡ وَلَآ أَدۡنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمۡ أَيۡنَ مَا كَانُواْ﴾ [المجادلة: ٧] قال: هو على عرشه وعلمه معهم أين ما كانوا. قال: وبلغني عن سفيان الثوري مثله. قال سنيد: وحدثنا حماد بن زيد عن عاصم بن بهدلة عن زر بن حبيش عن ابن مسعود قال: الله فوق العرش لا يخفى عليه شيء من أعمالكم. قال سنيد: وحدثنا هشيم عن أبي بشر عن مجاهد قال: إن بين العرش وبين الملائكة سبعين حجابًا: حجاب من نور، وحجاب من ظلمة.

وأخبرنا إبراهيم بن شاكر قال: حدثنا عبدالله بن محمد بن عثمان قال: حدثنا سعيد ابن جبير وسعيد بن عثمان قالا: حدثنا أحمد بن عبدالله بن صالح قال: حدثنا يزيد بن هارون عن حماد بن سلمة عن عاصم بن بهدلة عن زر عن عبدالله بن مسعود قال: ما بين السماء إلى الأرض مسيرة خمسمائة عام، وما بين كل سماء إلى الأخرى مسيرة خمسمائة عام، وما بين السماء السابعة إلى الكرسي مسيرة خمسمائة عام، والعرش على الماء، والله تبارك وتعالى على العرش يعلم أعمالكم.

قال أبو عمر: لا أعلم في هذا الباب حديثًا مرفوعًا إلا حديث عبدالله بن عميرة وهو حديث مشهور بهذا الإسناد رواه عن سماك جماعة منهم أبو خالد الدالاني...عن الأحنف بن قيس عن العباس بن عبدالمطلب: أن رسول الله ﷺ نظر إلى سحابة مرت؛ فقال: «**ما تسمون هذه؟**» قالوا: السحاب. قال: «**والمزن؟**» قالوا: والمزن. قال: «**والعنان؟**»

قالوا: نعم. قال: «كم ترون بينكم وبين السماء؟» قالوا: لا ندري. قال: «بينكم وبينها إما واحدة أو اثنتين أو ثلاث وسبعون سنة، والسماء فوقها كذلك بينهما مثل ذلك» حتى عد سبع سماوات «ثم فوق السماء السابعة بحر بين أعلاه وأسفله كما بين سماء إلى سماء، ثم فوق ذلك ثمانية أوعال بين أظلافهم وركبهم مثل ما بين سماء إلى سماء، ثم الله فوق ذلك»(١) وفي رواية فروة بن أبي المغراء هذا الحديث عن الوليد ابن أبي ثور قال في الأوعال: ما بين رؤوسهم إلى أظلافهم مثل ذلك «يعني: ما بين سماء إلى سماء، ثم فوقهم العرش ما بين أعلاه وأسفله مثل ذلك، ثم الله فوق ذلك»، وفيه حديث جبير بن مطعم مرفوعًا ـ أيضًا ـ وأخبرنا عبدالوارث بن سفيان قال: حدثنا قاسم بن أصبغ قال: حدثنا أحمد بن زهير قال: حدثنا يحيى بن معين قال: حدثنا وهب بن جرير قال: حدثنا أبي قال: سمعت محمد بن إسحاق يحدث عن يعقوب بن عتبة عن جبير بن مطعم عن أبيه عن جده قال: أتى النبي ﷺ أعرابي فقال: يا رسول الله، جهدت الأنفس، وضاع العيال، ونهكت الأموال، فاستسق الله لنا، فإنا نستشفع بك على الله، ونستشفع بالله عليك. فقال رسول الله ﷺ: «ويحك أتدري ما تقول؟!» وسبح رسول الله ﷺ فما زال يسبح حتى عرف ذلك في وجوه أصحابه، ثم قال: «ويحك إنه لا يستشفع بالله على أحد من خلقه، شأن الله أعظم من ذلك ويحك، وتدري ما الله؟ إن الله على عرشه على سماواته وأرضه لهكذا، وأشار بأصابعه الخمس مثل القبة ـ وأشار يحيى بن معين بأصابعه كهيئة القبة ـ وإنه ليئط أطيط الرحل بالراكب»(٢).

---

(١) ضعيف: رواه الترمذي: ٥/٤٢٤/٣٣٢٠، وقال أبو عيسى: «هذا حديث حسن غريب»، وأبو داود: ٤/٢٣١/٤٧٢٣، وابن ماجه: ١/٦٩/١٩٣، والبزار في مسنده: ٤/١٣٦/١٣١٠، وقال البزار: «وهذا الحديث لا نعلمه يروى بهذا الكلام، وهذا اللفظ إلا من هذا الوجه»، وضعفه ابن الجوزي في العلل المتناهية: ١/٢٥، وضعفه الألباني في سنن الترمذي: ح (٣٣٢٠)، وسنن ابن ماجه: ح (١٩٣).

(٢) سنن أبي داود: ٤/٢٣٢/٤٧٢٦، مسند البزار: ٨/٣٥٤/٣٤٣٢، وقال البزار: «وهذا الحديث لا نعلمه يروى عن النبي من وجه من الوجوه إلا من هذا الوجه»، والطبراني في المعجم الكبير: ٢/ ١٢٨/١٥٤٧، وضعفه الألباني في ضعيف سنن أبي داود: ح (٤٧٢٦).

أخبرني أبو القاسم خلف بن القاسم قال: حدثنا عبدالله بن جعفر بن الورد قال: حدثنا أحمد بن إسحاق بن واضح قال: حدثنا أبو داود سليمان بن الأشعث قال: حدثنا أحمد بن إبراهيم الدورقي قال: حدثنا علي بن الحسن بن شقيق قال: حدثنا عبدالله بن موسى الضبي قال: سألت سفيان الثوري عن قوله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾[الحديد: ٤] قال: علمه... **قال أبو داود:** وحدثنا أحمد بن إبراهيم الدورقي قال: حدثنا يحيى بن موسى علي بن الحسن ابن شقيق عن ابن المبارك قال: الرب تبارك وتعالى على السماء السابعة على العرش، قيل له: بحد ذلك. قال: نعم، هو على العرش فوق سبع سماوات. قال: وحدثنا أحمد بن إبراهيم الدورقي قال: حدثني محمد بن عمرو الكلابي قال: سمعت وكيعًا يقول: كفر بشر بن المريسي في صفته هذه قال: هو في كل شيء. قيل له: وفي قلنسوتك هذه؟ قال: نعم. قيل له: وفي جوف حمار؟ قال: نعم. وقال عبدالله بن المبارك: إنا لنحكي كلام اليهود والنصارى، ولا نستطيع أن نحكي كلام الجهمية.

حدثنا أحمد بن قاسم بن عبدالرحمن قال: حدثنا قاسم بن أصبغ قال: حدثنا الحرث ابن أبي أسامة قال: حدثنا روح بن عبادة قال: حدثنا ابن جريج قال: أخبرنا موسى بن عقبة، عن نافع: أن أبا هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا أحب الله العبد نادى جبريل** عليه السلام **إن الله قد أحب فلانًا فأحبه، فيحبه جبريل، ثم ينادي جبريل في أهل السماء: إن الله قد أحب فلانًا فأحبوه، فيحبه أهل السماء، ثم يوضع له القبول في الأرض**»(١).

وقال ابن عبدالبر(٢): في هذا الحديث من العلم والفقه أن الله عز وجل في السماء ليس في الأرض عن معاوية بن الحكم قال: قلت: «**يا رسول الله، إنا كنا حديث عهد بجاهلية، فجاء الله بالإسلام وإن رجالاً منا يتطيرون؟ قال: ذلك شيء يجدونه في صدروهم فلا يضرهم. قال: يا رسول الله، ورجالاً منا يأتون الكهان؟ قال: فلا تأتوهم. قال: يا رسول**

(١) صحيح مسلم: ٤/٢٠٣٠/٢٦٣٧.
(٢) التمهيد: ٢١/٢٣٨.

الله، ورجالًا منا يخطون؟ قال: كان نبي الله يخط، فمن وافق خطه، فذاك. قال: وبينا أنا مع رسول الله ﷺ «في الصلاة عطس رجل من القوم، فقلت: يرحمك الله. فحذفني القوم بأبصارهم؛ فقلت: أمياه إنكم تنظرون إلي؟ قال: فضربوا على أفخاذهم، فلما رأيتهم يسكتوني لكني سكت. قال: فلما انصرف رسول الله ﷺ «فبأبي هو وأمي ما رأيت معلمًا قبله ولا بعده أحسن تعليمًا منه، والله ما ضربني، ولا كهرني، ولا سبني ولكن قال: إن صلاتنا هذه لا يصلح فيها شيء من كلام الناس إنما هي التسبيح، والتكبير، وتلاوة القرآن. قال: ثم اطلعت غنيمة لي ترعاها جارية لي في ناحية أحد، فوجدت الذئب قد أصاب منها شاة، وأنا رجل من بني آدم آسف كما يأسفون فصككتها صكة، ثم انصرفت إلى النبي ﷺ «فأخبرته فعظم علي، قال: فقلت: يا رسول الله، فهلا أعتقها؟ قال: ائتيني بها، قال: فجئت بها إلى رسول الله ﷺ «فقال لها: أين الله؟ فقالت: في السماء؛ فقال: من أنا؟ فقالت: أنت رسول الله ﷺ، «قال: إنها مؤمنة فأعتقها»[١].

قال أبو عمر[٢]: معاني هذا الحديث واضحة يستغني عن الكلام فيها، وأما قوله: **«أين الله؟ فقالت: في السماء»**؛ فعلى هذا أهل الحق لقول الله ﷻ: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ﴾ [الملك: ١٦] ولقوله: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾ [فاطر: ١٠] ولقوله: ﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ [المعارج: ٤]، ومثل هذا في القرآن كثير... وفيه رد على المعتزلة، وبيان لتأويل قول الله ﷻ: ﴿الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه: آية: ٥] ولم يزل المسلمون في كل زمان إذا دهمهم أمر، وكربهم غم يرفعون وجوههم، وأيديهم إلى السماء رغبة إلى الله ﷻ في الكف عنهم.

حدثنا أحمد بن عمر حدثنا عبدالله بن محمد حدثنا أحمد بن خالد حدثنا علي بن عبدالعزيز حدثنا أبو عبيد قال: سمعت ابن علية يحدث عن سعيد الجريري قال: حدثت أن أبا الدرداء ترك الغزو عامًا، فأعطى رجلًا صرةً فيها دراهم، فقال: انطلق فإذا رأيت رجلًا يسير من القوم ناحية في هيئته بذاذة فادفعها إليه. قال: ففعل؛ فرفع رأسه

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) التمهيد: ٢٢/٨٠ - ٨١.

إلى السماء، وقال: «اللّهم لم تنس حديدًا، فاجعل حديدًا لا ينساك. قال: فرجع الرجل إلى أبي الدرداء، فأخبره؛ فقال: ولي النعمة ربها»(١).

(١) قال ابن قيم الجوزية: «إثبات استواء الرب على العرش بالآيات القرآنية: وتأمل ما في هذه الآيات من الرد على طوائف المعطلين والمشركين؛ فقوله: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ [سورة الفرقان: آية (٥٩)] يتضمن إبطال قول الملاحدة القائلين بقدم العالم، وأنه لم يزل، وأن الله سبحانه لم يخلقه بقدرته ومشيئته، ومن أثبت منهم وجود الرب جعله لازمًا لذاته أزلًا وأبدًا غير مخلوق، كما هو قول ابن سينا والنصير الطوسي وأتباعهما من الملاحدة الجاحدين لما اتفقت عليه الرسل - عليهم الصلاة والسلام - والكتب وشهدت به العقول والفطر، وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ يتضمن إبطال قول المعطلة والجهمية، الذين يقولون ليس على العرش شيء سوى العدم، وأن الله ليس مستويًا على عرشه، ولا ترفع إليه الأيدي، ولا يصعد إليه الكلم الطيب، ولا رفع المسيح - عليه الصلاة والسلام - إليه، ولا عرج برسوله محمد، ولا تعرج الملائكة والروح إليه، ولا ينزل من عنده جبريل - عليه الصلاة والسلام - ولا غيره، ولا ينزل هو كل ليلة إلى السماء الدنيا، ولا يخافه عباده من الملائكة وغيرهم من فوقهم، ولا يراه المؤمنون في الدار الآخرة عيانًا بأبصارهم من فوقهم، ولا تجوز الإشارة إليه بالأصابع إلى فوق كما أشار إليه النبي ﷺ في أعظم مجامعه في حجة الوداع، وجعل يرفع أصبعه إلى السماء وينكبها إلى الناس، ويقول اللهم أشهد» .
قال شيخ الإسلام: وهذا كتاب الله من أوله إلى آخره، وسنة رسوله، وكلام الصحابة والتابعين، وكلام سائر الأئمة مملوء بما هو نص أو ظاهر في أن الله سبحانه وتعالى فوق كل شيء، وأنه فوق العرش فوق السماوات مستو على عرشه مثل قوله تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ [سورة فاطر: آية (١٠)] وقوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ [سورة آل عمران: آية (٥٥)] وقوله تعالى: ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ﴾ [سورة النساء: آية (١٥٨)] وقوله تعالى: ﴿مِّنَ ٱللَّهِ ذِي ٱلْمَعَارِجِ ۝٣ تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ [سورة المعارج: آية (٣-٤)]وقوله تعالى: ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ﴾ [سورة السجدة: آية (٥)] وقوله تعالى: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ﴾ [سورة النحل: آية (٥٠)] وقوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ﴾ [سورة البقرة: آية (٢٩)] وقوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِي ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٥٤ ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ۝٥٥﴾ [سورة الأعراف: آية (٥٤-٥٥)] وقوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ۝٣﴾ [سورة يونس: آية (٣)]فذكر التوحيدين في هذه الآية، وقوله تعالى: ﴿تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ ٱلْأَرْضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلْعُلَى ۝٤ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ [سورة طه: آية (٤-٥)] وقوله تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَيِّ ٱلَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِۦ وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا ۝٥٨ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ =

....

= ﴿الرَّحْمَٰنُ فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا ۝٥٩﴾ [سورة الفرقان: آية (٥٨-٥٩)] وقوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ۚ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝٤﴾ [سورة الحديد: آية (٤)] فذكر عموم علمه وعموم قدرته وعموم إحاطته وعموم رؤيته، وقوله تعالى: ﴿أَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ۝١٦ أَمْ أَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ۖ فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ ۝١٧﴾ [سورة الملك: ١٦- ١٧] وقوله تعالى: ﴿تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [سورة فصلت: ٤٢] وقوله تعالى: ﴿تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ۝١﴾ [سورة الزمر: آية (١)] وقوله تعالى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَّعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ ۝٣٦﴾ [سورة غافر: آية (٣٦)] قال أبو الحسن الأشعري: وقد احتج بهذه الآية على الجهمية؛ فكذب فرعون موسى عليه السلام في قوله إن الله فوق السماوات...

إثبات استوائه جل وعلا بالأحاديث الصحيحة:

وأما الأحاديث فمنها قصة المعراج، وهي متواترة، وتجاوز النبي السماوات سماء سماء حتى انتهى إلى ربه تعالى؛ فقربه وأدناه، وفرض عليه الصلوات خمسين صلاة؛ فلم يزل بين موسى عليه السلام وبين ربه تبارك وتعالى، وينزل من عند ربه تعالى إلى عند موسى فيسأله كم فرض عليك؛ فيخبره، فيقول ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف؛ فيصعد إلى ربه فيسأله التخفيف، وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله: «لما خلق الله الخلق كتب في كتاب فهو عنده فوق العرش: إن رحمتي تغلب غضبي» وفي لفظ آخر: «كتب في كتابه على نفسه؛ فهو موضوع عنده أن رحمتي تغلب غضبي» وفي لفظ: «وهو وضع عنده على العرش» وفي لفظ: «وهو مكتوب عنده فوق العرش» وهذه الألفاظ كلها في صحيح مسلم. وفي صحيح البخاري عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قام فينا رسول الله بخمس كلمات؛ فقال: «إن الله لا ينام ولا ينبغي له أن ينام، يخفض القسط ويرفعه، ويرفع إليه عمل الليل قبل النهار، وعمل النهار قبل الليل، حجابه النور لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه» وذكر البخاري في كتاب التوحيد في صحيحه حديث أنس رضي الله عنه حديث الإسراء وقال فيه: «ثم علا به يعني جبرائيل فوق ذلك بما لا يعلمه إلا الله حتى جاوز سدرة المنتهى، ودنا الجبار رب العزة؛ فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى، فأوحى إليه فيما أوحى إليه خمسين صلاة، ثم هبط حتى بلغ موسى؛ فاحتبسه وقال: يا محمد، ماذا عهد إليك ربك؟ قال: عهد إلي خمسين صلاة في كل يوم وليلة قال: إن أمتك لا تستطيع ذلك؛ فارجع؛ فليخفف عنك ربك وعنهم، فالتفت النبي إلى جبرائيل كأنه يستشيره في ذلك فاشار إليه جبريل أن نعم إن شئت، فعلا به إلى الجبار تبارك وتعالى، فقال: وهو مكانه يا رب، خفف عنا» وذكر الحديث وفي الصحيحين عن الأعرج عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل، وملائكة بالنهار، ويجتمعون في صلاة الفجر وصلاة العصر، ثم يعرج الذين باتوا فيكم فيسألهم ربهم وهو أعلم، كيف تركتم عبادي؟ فيقولون: تركناهم وهم يصلون، وآتيناهم وهم يصلون» ولما حكم سعد بن معاذ رضي الله عنه في بني قريظة بأن تقتل مقاتلتهم، وتسبى ذريتهم، وتغنم أموالهم قال له النبي:

....

= «لقد حكمت فيهم بحكم الملك من فوق سبعة أرقعة» وفي لفظ «من فوق سبع سماوات» وأصل القصة في الصحيحين، وهذا السياق لمحمد بن إسحاق في المغازي، وفي الصحيحين من حديث أبي سعيد ﷺ قال: «بعث علي بن أبي طالب إلى النبي بذهيبة في أديم مقروض لم تحصل من ترابها، قال: فقسمها بين أربعة بين عيينة بن بدر، والأقرع بن حابس، وزيد الخيل، والرابع إما علقمة وإما عامر بن الطفيل، قال رجل من أصحابه: كنا نحن أحق بهذا من هؤلاء؛ فبلغ النبي؛ فقال: ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء يأتيني خبر السماء مساء وصباحًا» وفي صحيح مسلم عن معاوية بن الحكم السلمي ﷺ قال: «لطمت جارية لي فأخبرت رسول الله؛ فعظم ذلك علي فقلت: يا رسول الله، أفلا أعتقها؟ قال: بلى، ائتني بها قال: فجئت بها رسول الله؛ فقال لها: أين الله؟ قالت: في السماء، قال: فمن أنا؟ قالت: أنت رسول الله، قال: اعتقها فإنها مؤمنة» وفي صحيح البخاري عن أنس ابن مالك ﷺ قال: «كانت زينب ﷺ عنها تفتخر على أزواج النبي، وتقول: زوجكن أهاليكن وزوجني الله من فوق سبع سماوات» وفي سنن أبي داود من حديث جبير بن مطعم قال: «جاء أعرابي إلى النبي؛ فقال: يا رسول الله، نهكت الأنفس، وجاع العيال، وهلكت الأموال استسق ربك، فإنا نستشفع بالله عليك، وبك على الله؛ فقال النبي: سبحان الله، سبحان الله، فما زال يسبح حتى عرف ذلك في وجوه أصحابه؛ فقال: ويحك، أتدري ما الله؟ إن شانه أعظم من ذلك، إنه لا يستشفع به على أحد من خلقه، إنه لفوق سمائه على عرشه، وانه لهكذا، وانه ليئط به أطيط الرحل بالراكب» وفي سنن أبي داود أيضًا ومسند الإمام أحمد من حديث العباس بن عبدالمطلب ﷺ عنه قال: «كنت في البطحاء في عصابة، وفيهم رسول الله؛ فمرت سحابة فنظر إليها وقال: ما تسمون هذه؟ قالوا: السحاب، قال: والمزن، قالوا: والمزن، قال: والعنان، قالوا: والعنان، قال: هل تدرون ما بعد ما بين السماء والأرض؟ قالوا: لا ندري، قال: إن بعد ما بينهما إما واحدة أو اثنتان أو ثلاث وسبعون سنة، ثم السماء فوقها كذلك حتى عد سبع سماوات ثم فوق السماء السابعة بحر بين أعلاه وأسفله مثل ما بين سماء إلى سماء، ثم فوق ذلك ثمانية أو عال بين أظلافهم وركبهم مثل ما بين سماء إلى سماء، وفوق ظهورهم العرش، أسفله وأعلاه مثل ما بين سماء إلى سماء ثم الله ﷻ فوق ذلك» زاد أحمد «وليس يخفى عليه شيء من أعمال بني آدم» وفي سنن أبي داود أيضًا عن فضالة بن عبيد عن أبي الدرداء ﷺ قال: سمعت رسول الله يقول: «من اشتكى منكم أو اشتكى أخ له؛ فليقل: ربنا الله الذي في السماء تقدس اسمك، أمرك في السماء والأرض كما رحمتك في السماء، اجعل رحمتك في الأرض اغفر لنا حوبنا وخطايانا، أنت رب الطيبين، انزل رحمة من رحمتك وشفاء من شفائك على هذا الوجع فيبرأ» وفي مسند الإمام أحمد عن أبي هريرة ﷺ: «أن رجلا أتى النبي بجارية سوداء أعجمية فقال: يا رسول الله، إن علي رقبة مؤمنة؛ فقال لها رسول الله: أين الله؟ فأشارت بأصبعها السبابة إلى السماء؛ فقال لها: من أنا فأشارت بأصبعها إلى رسول الله وإلى السماء، أي: أنت رسول الله، فقال: أعتقها» وفي جامع الترمذي عن عبدالله بن عمرو بن العاص ﷺ: أن رسول الله قال: «الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء» قال الترمذي: حديث حسن صحيح، وفي جامع الترمذي أيضًا عن عمران بن حصين =

أقوال ابن عبدالبر في نزول الله ﷻ إلى السماء الدنيا

عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «**ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل، فيقول من يدعوني فأستجيب له؟ من يسألني فأعطيه؟ من يستغفرني فأغفر له هذا؟**»[(١)].

قال أبو عمر[(٢)]: وأما قوله ﷺ في هذا الحديث: «**ينزل ربنا تبارك وتعالى إلى سماء الدنيا**» فقد أكثر الناس التنازع فيه، والذي عليه جمهور أئمة أهل السنة أنهم يقولون: ينزل كما قال رسول الله ﷺ، ويصدقون بهذا الحديث، ولا يكيفون، والقول في

= قال: قال رسول الله: «يا حصين، كم تعبداليوم إلها؟ قال أبي: سبعة ستة في الأرض وواحد في السماء، قال: فأيهم تعد لرغبتك ورهبتك؟ قال: الذي في السماء قال: يا حصين، أما إنك لو اسلمت لعلمتك كلمتين ينفعانك، قال: فلما أسلم حصين قال: يا رسول الله، علمني الكلمتين اللتين وعدتني، قال: قل: اللهم ألهمني رشدي وأعذني من شر نفسي» وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «والذي نفسي بيده ما من رجل يدعو امرأته إلى فراشه؛ فتأبى عليه إلا كان الذي في السماء ساخطًا عليها حتى يرضى عنها» وروى الشافعي في مسنده من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «أتى جبريل بمرآة بيضاء فيها نكتة سوداء إلى النبي؛ فقال النبي: ما هذه يا جبريل؟ قال: هذه الجمعة فضلت بها أنت وأمتك، فالناس لكم تبع اليهود والنصارى، ولكم فيها خير، وفيها ساعة لا يوافقها مؤمن يدعو الله بخير إلا استجيب له، وهو عندنا يوم المزيد؛ فقال النبي: يا جبريل، وما يوم المزيد؟ فقال: إن ربك اتخذ في الجنة واديا أفيح فيه كثب من مسك، فإذا كان يوم الجمعة أنزل الله تبارك وتعالى ما شاء من ملائكته، وحوله منابر من نور عليها مقاعد النبيين، وحف تلك المنابر بمنابر من ذهب مكللة بالياقوت والزبرجد عليها الشهداء والصديقون؛ فجلسوا من ورائهم على تلك الكثب؛ فيقول الله ﷻ: أنا ربكم قد صدقتكم وعدي فاسألوني أعطكم؟ فيقولون: ربنا نسألك رضوانك؛ فيقول: قد رضيت عنكم، ولكم ما تمنيتم، ولدي مزيد فهم يحبون يوم الجمعة لما يعطيهم فيه ربهم من الخير، وهو اليوم الذي استوى فيه ربك سبحانه وتعالى على العرش، وفيه تقوم الساعة» ولهذا الحديث عدة طرق جمعها أبو بكر بن أبي داود في جزء وفي سنن ابن ماجة من حديث جابر ابن عبدالله رضي الله عنهما قال: قال رسول الله: «وبينما أهل الجنة في نعيمهم إذ سطع لهم نور فرفعوا رؤوسهم؛ فإذا الرب تعالى قد أشرف عليهم من فوقهم؛ فقال: السلام عليكم يا أهل الجنة، قال: وذلك قوله تعالى: ﴿سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ۝٥٨﴾ [سورة يس: آية (٥٨)] قال: فينظر إليهم وينظرون إليه؛ فلا يلتفتون إلى شيء من النعيم ما داموا ينظرون إليه حتى يحتجب عنهم، ويبقى نوره وبركته عليهم في ديارهم...» إجتماع الجيوش الإسلامية: ص٤٥. ٦١.

(١) صحيح البخاري: ١٠٩٤/٣٨٤/١، وصحيح مسلم: ١/٥٢١/ ٧٥٨.

(٢) التمهيد: ١٤٣/٧. ١٤٤، والاستذكار: ٢ /٥٢٩.

كيفية النزول كالقول في كيفية الاستواء والمجيء والحجة في ذلك واحدة.

وقد قال قوم من أهل الأثر - أيضًا -: إنه ينزل أمره، وتنزل رحمته. وروى ذلك عن حبيب كاتب مالك وغيره، وأنكره منهم آخرون وقالوا: هذا ليس بشيء؛ لأن أمره ورحمته لا يزالان ينزلان أبدًا في الليل والنهار، وتعالى الملك الجبار الذي إذا أراد أمرًا قال له: كن فيكون في أي وقت شاء، ويختص برحمته من يشاء متى شاء، لا إله إلا هو الكبير المتعال.

وقد روى محمد بن علي الجبلي - وكان من ثقات المسلمين بالقيروان - قال: حدثنا جامع بن سوادة بمصر قال: حدثنا مطرف عن مالك بن أنس: أنه سُئل عن الحديث «إن الله ينزل في الليل إلى سماء الدنيا» فقال مالك: يتنزل أمره، وقد يحتمل أن يكون كما قال مالك رَحِمَهُ اللَّهُ على معنى: أنه تتنزل رحمته وقضاؤه بالعفو والاستجابة، وذلك من أمره. أي: أكثر ما يكون ذلك في ذلك الوقت، والله أعلم. ولذلك ما جاء فيه من الترغيب في الدعاء، وقد روى من حديث أبي ذر أنه قال: «يا رسول الله، أي الليل أسمع؟ قال: جوف الليل الغابر»(١) يعني: الآخر، وهذا على معنى ما ذكرنا. ويكون ذلك الوقت مندوبًا فيه إلى الدعاء كما ندب إلى الدعاء عند الزوال، وعند النداء، وعند نزول غيث السماء، وما كان مثله من الساعات المستجاب فيها الدعاء والله أعلم.

وقال آخرون: ينزل بذاته. أخبرنا أحمد بن عبدالله، أن أباه أخبره قال: حدثنا أحمد ابن خالد قال: حدثنا يحيى بن عثمان بن صالح - بمصر - قال: سمعت نعيم بن حماد

---

(١) صحيح: رواه أحمد في المسند: ٥ / ١٧٩ / ٢١٥٩٥، وابن أبي شيبة في المصنف: ٢ / ٧٣ / ٦٦١٥، وعبدالرزاق: ٢ / ٤٢٥ / ٣٩٤٩، وأبو داود: ٢ / ٢٥ / ١٢٧٧، والنسائي في الكبرى: ٣/ ١٦٩ / ٤٨٨٠، والحاكم في المستدرك: ٥٨٣/٢٦٨/١، وابن خزيمة في صحيحه: ١ /١٢٨ / ٢٦٠، والبيهقي في السنن الصغرى: ٩٥٩/٥٣٣/١، والهيثمي في مجمع الزوائد: ٤١٧٩/٤٥٥/٤، والطبراني في المعجم الكبير: ٢٧٩/١٣٣/١، وصححه الألباني في سنن أبي داود: ح (١٢٧٧).

يقول: حديث النزول يرد على الجهمية قولهم، قال: وقال نعيم: ينزل بذاته، وهو على كرسيه.

قال أبو عمر: ليس هذا بشيء عند أهل الفهم من أهل السنة؛ لأن هذا كيفية، وهم يفزعون منها؛ لأنها لا تصلح إلا فيما يحاط به عيانًا، وقد جل الله وتعالى عن ذلك، وما غاب عن العيون فلا يصفه ذوو العقول إلا بخبر، ولا خبر في صفات الله إلا ما وصف نفسه به في كتابه، أو على لسان رسوله ﷺ فلا نتعدى ذلك إلى تشبيه أو قياس أو تمثيل أو تنظير؛ فإنه ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

قال أبو عمر: أهل السنة مجمعون على الإقرار بالصفات الواردة كلها في القرآن والسنة، والإيمان بها، وحملها على الحقيقة لا على المجاز، إلا أنهم لا يكيفون شيئًا من ذلك، ولا يحدون فيه صفة محصورة، وأما أهل البدع والجهمية والمعتزلة كلها والخوارج فكلهم ينكرها ولا يحمل شيئا منها على الحقيقة، ويزعمون أن من أقر بها مُشبِّه، وهم عند من أثبتها نافون للمعبود والحق فيما قاله القائلون بما نطق به كتاب الله، وسنة رسوله ﷺ وهم أئمة الجماعة والحمد لله.

روى حرملة بن يحيى قال: سمعت عبدالله بن وهب يقول: سمعت مالك بن أنس يقول: من وصف شيئًا من ذات الله ﷻ مثل قوله:﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾[المائدة: آية ٦٤] وأشار بيده إلى عنقه، ومثل قوله: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١] فأشار إلى عينيه أو أذنه أو شيئًا من بدنه قطع ذلك منه؛ لأنه شَبَّه اللَّهَ بنفسه، ثم قال مالك: أما سمعت قول البراء حين حدث أن النبي ﷺ قال: **«لا يُضحى بأربع من الضحايا، وأشار البراء بيده كما أشار النبيُّ ﷺ بيده قال البراء: ويدي أقصر من يد رسول الله ﷺ»**(١) فَكَرِهَ البراء أن يصف رسول الله ﷺ إجلالًا له، وهو مخلوقٌ

---

(١) صحيح: رواه أحمد في المسند: ١٨٥٦٦/٢٨٩/٤، وابن الجارود في المنتقى: ٤٨١/١٢٨/١، والنسائي في الكبرى: ٤٤٥٩/٥٣/٣، وابن ماجة: ٣١٤٤/١٠٥٠/٢، والحاكم في المستدرك: ١٧١٨/٦٤٠/١، وقال الحاكم: «هذا حديث صحيح، ولم يخرجاه لقلة روايات سليمان ابن عبدالرحمن»، وصححه الألباني في سنن ابن ماجة: ح (٣١٤٤) .

فكيف الخالق الذي ليس كمثله شيء؟!.

أخبرنا عبدالله بن محمد بن بكر حدثنا أبو داود حدثنا هارون بن معروف حدثنا سفيان عن هشام بن عروة عن أبيه عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: **«لا يزال الناس يتساءلون حتى يقولوا: هذا خلق الله الخلق، فمن خلق الله؟ فمن وجد من ذلك شيئًا فليقل: آمنت بالله»**(١).

وأخبرنا عبدالله حدثنا محمد حدثنا أبو داود حدثنا محمد بن عمرو حدثنا سلمة ابن الفضل حدثني محمد بن إسحاق قال: حدثني عتبة بن مسلم ـ مولى بني تميم ـ عن أبي سلمة بن عبدالرحمن عن أبي هريرة قال: سمعت رسول الله ﷺ فذكر نحوه. قال: **«فإذا قالوا ذلك فقولوا:** ﴿ٱللَّهُ أَحَدٌ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾ [الإخلاص] **ثم ليتفل عن يساره ثلاثًا، ويستعيذ بالله من الشيطان الرجيم»**(٢)، رُوي عن محمد بن الحنفية أنه قال: لا تقوم الساعة حتى تكون خصومة الناس في ربهم. وقد روي ذلك مرفوعا عن النبي ﷺ، وقال سحنون: من العلم بالله الجهل بما لم يخبر به عن نفسه. وهذا الكلام أخذه سحنون عن ابن الماجشون قال: أخبرني الثقة عن الثقة عن الحسن بن أبي الحسن قال: لقد تكلم مطرف ابن عبدالله بن الشخير على هذه الأعواد بكلام ما قيل قبله ولا يقال بعده، قالوا: وما هو يا أبا سعيد، قال: قال: الحمد لله الذي مِن الإيمانِ به الجهل بغير ما وصف من نفسه.

أخبرنا أحمد بن محمد قال: حدثنا الحسن بن سلمة قال: حدثنا ابن الجارود قال: حدثنا سحنون ابن منصور قال: قلت لأحمد بن حنبل: ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة حين يبقى ثلث الليل الآخر إلى السماء الدنيا؟ أليس تقول بهذه الأحاديث؟ ويرى

---

(١) صحيح مسلم: ١/١١٩/١٣٤.

(٢) حسن: رواه أبو داود: ٤/٢٣١/٤٧٢٢، والنسائي في الكبرى: ٦/١٦٩/١٠٤٩، وحسنه الألباني في سنن أبي داود: ح (٤٧٢٢) .

أهل الجنة ربهم؟ وبحديث: لا تقبحوا الوجوه؛ فإن اللَّه خلق آدم على صورته؟ واشتكت النار إلى ربها حتى يضع اللَّه فيها قدمه؟ وأن موسى ﷺ لطم ملك الموت صلوات اللَّه عليه؟ قال أحمد: كل هذا صحيح.

وقال إسحاق: كل هذا صحيح، ولا يدعه إلا مبتدع أو ضعيف الرأي.

قال أبو عمر: الذي عليه أهل السنة وأئمة الفقه والأثر في هذه المسألة وما أشبهها الإيمان بما جاء عن النبي ﷺ فيها والتصديق بذلك وترك التحديد والكيفية في شيء منها.

أخبرنا أبو القاسم خلف بن القاسم قال: حدثنا عبداللَّه بن جعفر بن الورد قال: حدثنا أحمد بن إسحاق قال: حدثنا أبو داود قال: حدثنا أحمد بن إبراهيم عن أحمد ابن نصر أنه سأل سفيان بن عيينة قال: حديث عبداللَّه: **«إن اللَّه ﷻ يجعل السماء على أصبع»**، وحديث: **«إن قلوب بني آدم بين أصبعين من أصابع الرحمن»** و **«إن اللَّه يعجب أو يضحك ممن يذكره في الأسواق»**. و**«أنه ﷻ ينزل إلى السماء الدنيا كل ليلة»**، ونحو هذه الأحاديث، فقال: هذه الأحاديث نرويها، ونقر بها كما جاءت بلا كيف.

قال أبو داود: وحدثنا الحسن بن محمد قال: سمعت الهيثم بن خارجة قال: حدثني الوليد بن مسلم قال: سألت الأوزاعي وسفيان الثوري ومالك بن أنس والليث بن سعد عن هذه الأحاديث التي جاءت في الصفات، فقالوا: أمروها كما جاءت بلا كيف، وذكر عباس الدوري قال: سمعت يحيى بن معين يقول: شهدت زكريا بن عدي سأل وكيع بن الجراح فقال: يا أبا سفيان هذه الأحاديث، يعني: مثل الكرسي موضع القدمين، ونحو هذا فقال: أدركت إسماعيل بن أبي خالد وسفيان ومسعرًا يحدثون بهذه الأحاديث، ولا يفسرون شيئًا.

قال عباس بن محمد الدوري: وسمعت أبا عبيد القاسم بن سلام[١] وذكر له عن رجل من أهل السنة أنه كان يقول: هذه الأحاديث التي تروى في الرؤية «والكرسي موضع القدمين» و «ضحك ربنا من قنوط عباده» و«إن جهنم لتمتليء» وأشباه هذه الأحاديث. وقالوا: إن فلانًا يقول: يقع في قلوبنا أن هذه الأحاديث حق، فقال: ضعفتم عندي أمره، هذه الأحاديث حق لا شك فيها رواها الثقات بعضهم عن بعض، إلا أنا إذا سُئلنا عن تفسير هذه الأحاديث لم نفسرها، ولم نذكر أحدًا يُفسرها، وقد كان مالك ينكر على من حدث بمثل هذه الأحاديث ذكره أصبغ وعيسى عن ابن القاسم قال: سألت مالكًا عمن يحدث الحديث: «إن الله خلق آدم على صورته»، والحديث: «إن الله يكشف عن ساقه يوم القيامة»، و «أنه يدخل في النار يده حتى يخرج من أراد». فأنكر ذلك إنكارًا شديدًا، ونهى أن يحدث به أحدًا، وإنما كره ذلك مالك خشية الخوض في التشبيه بكيف...

وأخبرنا أحمد بن عبدالله بن محمد بن علي قال: حدثني أبي قال: حدثنا أحمد بن خالد قال: سمعت ابن وضاح يقول: سألت يحيى بن معين عن التنزل؟ فقال: أقر به، ولا تحد فيه بقول، كل من لقيت من أهل السنة يصدق بحديث التنزل. قال: وقال لي ابن معين: صدق به ولا تصفه.

وحدثنا أحمد بن سعيد بن بشر قال: حدثنا ابن أبي دليم قال: حدثنا ابن وضاح قال: سألت يحيى بن معين عن التنزل؟ فقال: أقر به، ولا تحد فيه.

وأخبرنا محمد بن عبدالملك قال: حدثنا عبدالله بن يونس قال: حدثنا بقي بن

---

(١) أبو عبيد القاسم بن سلام الامام المجتهد البحر، مولده بهراة، وكان أبوه روميًا، قال أحمد بن سلمة: سمعت إسحاق بن راهويه يقول: الله يحب الحق، أبو عبيد أعلم مني وأفقه، وقال أيضًا: نحن نحتاج إلى أبي عبيد وأبو عبيد لا يحتاج إلينا، وقال أحمد بن حنبل: أبو عبيد أستاذ، وهو يزداد كل يوم خيرًا، وسئل يحيى بن معين عنه؛ فقال: أبو عبيد يُسأل عن الناس، وقال أبو داود: ثقة مأمون، قلت: من نظر في كتب أبي عبيد علم مكانه من الحفظ والعلم، وكان حافظًا للحديث وعلله ومعرفته، عارفًا بالفقه والاختلاف، رأسا في اللغة، إمامًا في القراءات، له فيها مصنف، ولي قضاء الثغور مدة، مات بمكة سنة أربع وعشرين ومائتين. تذكرة الحفاظ: ٤١٧/٢.

مخلد قال: حدثنا بكار بن عبدالله القرشي قال: حدثنا مهدي بن جعفر عن مالك بن أنس أنه سأله عن: قول الله ﷻ: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه: ٥] كيف استوى؟ قال: فأطرق مالك، ثم قال: استواؤه مجهول، والفعل منه غير معقول، والمسألة عن هذا بدعة. قال بقي: وحدثنا أيوب ابن صلاح المخزومي (بالرملة) قال: كنا عند مالك إذ جاءه عراقي فقال له: يا أبا عبدالله، مسألة أريد أن أسألك عنها. فطأطأ مالك رأسه. فقال له: يا أبا عبدالله ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه: ٥] كيف استوى؟ قال: سألت عن غير مجهول، وتكلمت في غير معقول، إنك امرؤ سوء أخرجوه، فأخذوا بضبعيه فأخرجوه.

وقال يحيى بن إبراهيم بن مزين[1]: إنما كره مالك أن يتحدث بتلك الأحاديث؛ لأن فيها حدًا وصفة وتشبيهًا، والنجاة في هذا الانتهاء إلى ما قال الله ﷻ ووصف به نفسه بوجه ويدين وبسط واستواء وكلام؛ فقال: ﴿فَأَيۡنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجۡهُ ٱللَّهِۚ﴾[البقرة:آية (١١٥)] وقال: ﴿بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ﴾ [المائدة: ٦٤] وقال: ﴿وَٱلۡأَرۡضُ جَمِيعٗا قَبۡضَتُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطۡوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ﴾[الزمر: ٦٧] وقال: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه: ٥] فليقل قائل بما قال الله، ولينته إليه ولا يعدوه ولا يفسره ولا يقل كيف فإن في ذلك الهلاك؛ لأن الله كلف عبيده الإيمان بالتنزيل، ولم يكلفهم الخوض في التأويل الذي لا يعلمه غيره.

وقد بلغني عن ابن القاسم أنه لم ير بأسا برواية الحديث **«إن الله ضحك»** وذلك لأن الضحك من الله والتنزل والملالة والتعجب منه ليس على جهة ما يكون من عباده.

قال أبو عمر: الذي أقول أنه من نظر إلى إسلام أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة

---

(١) يحيى بن إبراهيم بن مزين: مولى رملة بنت عثمان بن عفان، روى عن مطرف والقعنبي، وروى عن يحيى بن مضر عن الثوري حكاية لمالك بن يروي، وهو من أهل الأندلس، وابنه الحسن بن يحيى بن إبراهيم بن مزين، أندلسي قرطبي، مات بها قبل سنة ثمانين ومائتين، وأخوه سعيد بن يحيى بن إبراهيم بن مزين أندلسي أيضًا، يروي عن أبيه وعن محمد بن وضاح وغيرهما، وكان فقيهًا مقدمًا، توفي بالأندلس سنة إحدى وتسعين ومائتين. الإكمال: لابن ماكولا: ١٨٧/٧.

وسعد وعبدالرحمن وسائر المهاجرين والأنصار وجميع الوفود الذين دخلوا في دين اللَّه أفواجًا، علم أن اللَّه ﷻ لم يعرفه واحد منهم إلا بتصديق النبيين بأعلام النبوة ودلائل الرسالة لا من قبل حركة، ولا من باب الكل والبعض، ولا من باب كان ويكون، ولو كان النظر في الحركة والسكون عليهم واجبًا وفي الجسم ونفيه والتشبيه ونفيه لازمًا ما أضاعوه، ولو أضاعوا الواجب ما نطق القرآن بتزكيتهم وتقديمهم، ولا أطنب في مدحهم وتعظيمهم، ولو كان ذلك من عملهم مشهورًا أو من أخلاقهم معروفًا لاستفاض عنهم ولشهروا به كما شهروا بالقرآن والروايات، وقول رسول اللَّه ﷺ: «**ينزل ربنا إلى السماء الدنيا**» عندهم مثل قول اللَّه ﷻ: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ﴾ [الأعراف: ١٤٣] ومثل قوله: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ۝٢٢﴾ [الفجر: ٢٢] كلهم يقول: ينزل، ويتجلى، ويجيء بلا كيف. لا يقولون: كيف يجيء؟ وكيف يتجلى؟ وكيف ينزل؟ ولا من أين جاء؟ ولا من أين تجلى؟ ولا من أين ينزل؟ لأنه ليس كشيء من خلقه، وتعالى عن الأشياء، ولا شريك له.

قال أبو عمر: ومحال أن يكون من قال عن اللَّه ما هو في كتابه منصوص مشبهًا، إذا لم يكيف شيئًا وأقر أنه ليس كمثله شيء(١).

---

(١) قال ابن تيمية: «القول في الاستواء والنزول كالقول في سائر الصفات التي وصف الله بها نفسه في كتابه وعلى لسان رسوله؛ فان الله تعالى سمى نفسه بأسماء، ووصف نفسه بصفات سمى نفسه حيًا عليمًا حكيمًا قديرًا سميعًا بصيرًا غفورًا رحيمًا إلى سائر أسمائه الحسنى، قال الله تعالى: ﴿وَإِن تَجْهَرْ بِٱلْقَوْلِ فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى ۝٧﴾ [سورة طه: آية (٧)] وقال: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ﴾[سورة البقرة: آية (٢٥٥)].... ومذهب سلف الأمة وأئمتها أن يوصف الله بما وصف به نفسه، وبما وصفه به رسوله من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل، فلا يجوز نفى صفات الله تعالى التي وصف بها نفسه، ولا يجوز تمثيلها بصفات المخلوقين، بل هو سبحانه ليس كمثله شيء وهو السميع البصير، ليس كمثله شيء لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله» مجموع الفتاوى: ٥/ ١٩٤-١٩٥.

أقوال ابن عبدالبر في رؤية الله ﷻ

قال ابن عبدالبر(١): وفي قول الله ﷻ: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ﴾ [الأعراف: ١٤٣] دلالة واضحة أنه لم يكن قبل ذلك متجليًا للجبل، وفي ذلك ما يفسر معنى حديث التنزيل، ومن أراد أن يقف على أقاويل العلماء في قوله ﷻ: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ﴾ فلينظر في تفسير بقي ابن مخلد، ومحمد بن جرير، وليقف على ما ذكرا من ذاك ففيما ذكرا منه كفاية، وبالله العصمة والتوفيق.

وفي قول الله ﷻ: ﴿فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى﴾ [الأعراف: ١٤٣] دلالة واضحة لمن أراد الله هداه أنه يُرى إذا شاء، ولم يشأ ذلك في الدنيا بقوله ﷻ: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣] وقد شاء ذلك في الجنة بقوله: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة: الآيتان (٢٢ - ٢٣] ولو كان لا يراه أهل الجنة لما قال: ﴿فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى﴾ [الأعراف: ١٤٣] وفي هذا بيان أنه لا يُرى في الدنيا؛ لأن أبصار الخلائق لم تعط في الدنيا تلك القوة، والدليل على أنه ممكن أن يرى في الآخرة بشرطه في الرؤية ما يمكن من استقرار الجبل، ولا يستحيل وقوعه، ولو كان محالًا كون الرؤية لقيدها بما يستحيل وجوده، كما فعل بدخول الكافرين الجنة، فقيد قبل ذلك بما يستحيل من دخول الجمل سم الخياط، ولا يشك مسلم أن موسى كان عارفًا بربه، وما يجوز عليه، فلو كان عنده مستحيلًا لم يسأله ذلك، ولكان بسؤاله إياه كافرًا كما لو سأله أن يتخذ شريكًا أو صاحبةً، وإذا امتنع أن يرى في الدنيا بما ذكرنا لم يكن لقوله: ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة: ٢٣] وجه إلا النظر إليه في القيامة على ما جاء في الآثار الصحاح عن النبي ﷺ وأصحابه وأهل اللسان، وجعل الله الرؤية لأوليائه يوم القيامة، ومنعها من أعدائه ألم تسمع إلى قوله ﷻ: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾﴾ [المطففين: ١٥] وإنما يحتجب الله عن أعدائه المكذبين، ويتجلى لأوليائه المؤمنين، وهذا معنى قول مالك في تفسير هذه الآية، وأما قوله في تأويل قول الله ﷻ:

(١) التمهيد: ١٥٣/٧- ١٥٤، وما بعدهما.

﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾[القيامة: الآيتان (٢٢ - ٢٣] فإن أشهب روى عن مالك أنه سمعه وسئل عن قول الله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ قال: ينظرون إلى الله ﷻ قال موسى: ﴿قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ﴾[الأعراف: ١٤٣] وعلى هذا التأويل في هذه الآية جماعة أهل السنة وأئمة الحديث والرأي(١).

ذكر أسد بن موسى قال: حدثنا جرير عن ليث عن عبدالرحمن بن سابط في قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾﴾ قال: من النعمة، ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ قال: تنظر إلى الله.

قال: وحدثنا حماد بن زيد عن عطاء بن السائب عن أبيه قال: صلى بنا عمار بن ياسر، وكان في دعائه: «اللَّهم إني أسألك النظر إلى وجهك، والشوق إلى لقائك».

وقد جاء أن موسى قال له ربه حينئذ: لن تراني عين إلا ماتت. إنما يراني أهل الجنة الذين لا تموت أعينهم، ولا تبلى أجسادهم.

وجاء عن الحسن أنه قال: لما كلم موسى ربه دخل قلبه من السرور بكلامه ما لم يدخل قلبه مثله، فدعته نفسه إلى أن يريه نفسه.

وعن قتادة، وأبي بكر بن أبي شيبة، وجماعة مثل ذلك، وذكر سنيد عن حجاج عن أبي جعفر عن الربيع عن أبي العالية في قوله: ﴿تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٣] قال: أول من آمن بك أنه لا يراك أحد إلا يوم القيامة، ولو كان فيها عهد إلى موسى قبل ذلك أنه لا يرى لم يسأل ربه ما يعلم أنه لا يعطيه إياه، ولو كان ذلك عنده غير ممكن لما سأله ما لا يمكن عنده.

---

(١) قال ابن تيمية: «أما إثبات رؤية الله تعالى بالأبصار في الآخرة؛ فهو قول سلف الأمة وأئمتها، وجماهير المسلمين من أهل المذاهب الأربعة وغيرها، وقد تواترت فيه الأحاديث عن النبي ﷺ عند علماء الحديث، وجمهور القائلين بالرؤية يقولون: يرى عيانًا مواجهة كما هو المعروف بالعقل، كما قال النبي ﷺ: «إنكم سترون ربكم ﷻ يوم القيامة كما ترون الشمس والقمر لا تضامون في رؤيته» وفي لفظ «كما ترون الشمس والقمر صحوًا» وفي لفظ «هل تضارون في رؤية الشمس صحوًا، ليس دونها سحاب؟ قالوا: لا، قال: فهل تضارون في رؤية القمر صحوًا ليس دونه سحاب؟ قالوا: لا، قال: فإنكم ترون ربكم كما ترون الشمس والقمر» منهاج السنة النبوية: ٣/٣٤١.

وأهل البدع المخالفون لنا في هذا التأويل يقولون: إن من جوز مثل هذا وأمكن عنده؛ فقد كفر فيلزمهم تكفير موسى نبي الله ﷺ وكفى بتكفيره كفرًا وجهلًا.

حدثنا محمد بن عبدالملك قال: حدثنا أحمد بن محمد بن زياد الأعرابي قال: حدثنا الحسن بن محمد بن الصباح الزعفراني قال: حدثنا وكيع قال: حدثنا إسماعيل ابن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم عن جرير بن عبدالله قال: «**كنا جلوسًا عند رسول الله ﷺ فنظر إلى القمر ليلة البدر فقال: أما إنكم ستعرضون على ربكم، فترونه كما ترون هذا لا تضامون في رؤيته**»[(١)]، وقال: حدثنا وكيع قال: حدثنا إسرائيل عن أبي إسحاق عن عامر بن سعد عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [يونس:آية ٢٦] قال: الجنة،﴿وَزِيَادَةٌ﴾ قال: هو النظر إلى وجه الله عز وجل، ورواه الثوري عن أبي إسحاق عن عامر بن سعد عن سعيد بن يمان عن أبي بكر الصديق مثله.

وحدثنا إبراهيم بن شاكر قال: حدثنا عبدالله بن محمد بن عثمان قال: حدثنا سعيد ابن جبير، وسعيد بن عثمان قالا: حدثنا أحمد بن عبدالله بن صالح قال: حدثنا يزيد ابن هارون، وأخبرنا عبدالوارث بن سفيان قال: حدثنا قاسم بن أصبغ قال: حدثنا محمد بن إسماعيل الصائغ قال: حدثنا عفان، وحدثنا عبدالوارث، حدثنا قاسم، حدثنا إبراهيم بن عبدالرحمن قال: حدثنا عفان ابن مسلم وعبيد الله بن عائشة قالوا: حدثنا حماد بن سلمة عن ثابت عن عبدالرحمن بن أبي علي عن صهيب عن النبي ﷺ قال: «**إذا دخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار، نادى مناد: يا أهل الجنة، لكم عند الله موعد يريد أن ينجزكموه، فيقولون: وما هو؟! ألم يبيض وجوهنا، ويثقل موازيننا، ويجرنا من النار، ويدخلنا الجنة؟ فيكشف الحجاب، فينظرون إليه**»[(٢)]، وقال إبراهيم: وقال الآخر: فينظرون إلى الله تعالى، قال: فوالله ما أعطاهم الله شيئًا أقر لأعينهم، ولا أحب إليه من النظر إليه، ثم تلا هذه الآية ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾واللفظ لحديث

---

(١) صحيح البخاري: ٢٠٩/١/ ٥٤٧، وصحيح مسلم: ٦٣٣/٤٣٩/١.

(٢) صحيح مسلم: ١٨١/١٦٣/١.

عبدالوارث، والآثار في هذا المعنى كثيرة جدًا، فإن قيل فقد روى سفيان الثوري عن منصور عن مجاهد في قول الله ﷻ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾﴾ [القيامة: ٢٢] قال: حسنة، ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة: ٢٣] قال: تنظر الثواب. ذكره وكيع وغيره عن سفيان.

فالجواب: أنَّا لم ندع الإجماع في هذه المسألة، ولو كانت إجماعًا ما احتجنا فيها إلى قول، ولكن قول مجاهد هذا مردود بالسنة الثابتة عن النبي ﷺ وأقاويل الصحابة وجمهور السلف، وهو قول عند أهل السنة مهجور، والذي عليه جماعتهم ما ثبت في ذلك عن نبيهم ﷺ وليس من العلماء أحد إلا وهو يؤخذ من قوله ويترك إلا رسول الله ﷺ، ومجاهد وان كان أحد المقدمين في العلم بتأويل القرآن، فإن له قولين في تأويل اثنين هما مهجوران عند العلماء مرغوب عنهما أحدهما: هذا، والآخر قوله: في قول الله ﷻ: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ [الإسراء: ٧٩] حدثنا أحمد بن عبدالله، حدثنا أبو أمية الطرسوسي، حدثنا عثمان بن أبي شيبة، حدثنا محمد بن فضيل عن ليث عن مجاهد ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ قال: يوسع له على العرش فيجلسه معه. وهذا قول مخالف للجماعة من الصحابة ومن بعدهم، فالذي عليه العلماء في تأويل هذه الآية أن المقام المحمود: الشفاعة، والكلام في هذه المسألة من جهة النظر يطول وله موضع غير كتابنا هذا وبالله التوفيق.

حدثنا عبدالوارث بن سفيان، حدثنا قاسم بن أصبغ، حدثنا أحمد بن زهير، حدثنا القاسم بن خارجة قال: حدثنا الوليد بن مسلم قال: سألت الأوزاعي، وسفيان الثوري، ومالك بن أنس، وليث ابن سعد غير مرة عن الأحاديث التي فيها ذكر الرؤية؛ فقال: أمروها كيف جاءت بلا كيف.

أقوال ابن عبدالبر في ضحك الله ﷻ

عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «يضحك الله ﷻ إلى رجلين، يقتل أحدهما الآخر كلاهما يدخل الجنة، يقاتل هذا في سبيل الله فيقتل، ثم يتوب الله على القاتل فيقاتل فيستشهد»[1].

قال ابن عبدالبر[2]: وأما قوله «يضحك الله» فمعناه يرحم الله عبده عند ذاك، ويتلقاه بالروح والراحة والرحمة والرأفة، وهذا مجاز مفهوم[3]، وقد قال الله ﷻ: في

---

(١) صحيح البخاري: ٣/١٠٤٠/٢٦١٧، صحيح مسلم: ٣ / ١٥٠٤ / ١٨٩٠.

(٢) التمهيد: ١٨/٣٤٤ ـ ٣٤٥، والاستذكار: ٥/٩٧.

(٣) لعل هذا سبق قلم من ابن عبدالبر؛ لأنه أوّل صفة من صفات الله، وحملها على المجاز، وهو القائل: «أهل السنة مجمعون على الإقرار بالصفات الواردة كلها في القرآن والسنة، والإيمان بها وحملها على الحقيقة لا على المجاز، إلا أنهم لا يكيفون شيئًا من ذلك ولا يحدون فيه صفة محصورة، وأما أهل البدع، والجهمية، والمعتزلة كلها، والخوارج، فكلهم ينكرها ولا يحمل شيئًا منها على الحقيقة» التمهيد: ٧/١٤٥.

وقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية: وذكر الشافعي المعتقد بالدلائل فقال: لله أسماء وصفات جاء بها كتابه، وأخبر بها نبيه أمته لا يسع أحدًا من خلق الله قامت عليه الحجة ردها إلى أن قال: نحو إخبار الله سبحانه إيانا أنه سميع بصير وأن له يدين لقوله: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [سورة المائدة: ٦٤] وأن له يمينًا بقوله: ﴿وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾[سورة الزمر: آية (٦٧)] وأن له وجهًا لقوله: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [سورة القصص: آية (٨٨)] وقوله: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾﴾ [سورة الرحمن: آية (٢٧)] وأن له قدمًا لقوله ﷺ: «حتى يضع الرب فيها قدمه» يعني: جهنم، وأنه يضحك من عبده المؤمن لقوله ﷺ للذي قتل في سبيل الله: «إنه لقي الله وهو يضحك إليه» وأنه يهبط كل ليلة إلى سماء الدنيا لخبر رسول الله بذلك، وأنه ليس بأعور لقول رسول الله ﷺ إذ ذكر الدجال فقال: «إنه أعور، وإن ربكم ليس بأعور» وأن المؤمنين يرون ربهم يوم القيامة بأبصارهم كما يرون القمر ليلة البدر، وأن له إصبعًا لقوله ﷺ: «ما من قلب إلا وهو بين إصبعين من أصابع الرحمن» قال: وسوى ما نقله الشافعي أحاديث جاءت في الصحاح، والمسانيد، وتلقتها الأمة بالقبول، والتصديق نحو ما في الصحيح من حديث الذات، وقوله: «لا شخص أغير من الله» وقوله: «أتعجبون من غيرة سعد، والله لأنا أغير من سعد، والله أغير مني» وقوله: «ليس أحد أحب إليه المدح من الله، ولذلك مدح نفسه، وليس أحد أغير من الله من أجل ذلك حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن»، وقوله: «يد الله ملأى» وقوله: «بيده الأخرى الميزان يخفض ويرفع»، وقوله: «إن الله يقبض يوم القيامة الأرضين وتكون السماوات بيمينه، ثم يقول: أنا الملك» .... وقوله: «لا تزال جهنم يلقى فيها، وتقول: هل من مزيد؟ حتى يضع رب العزة فيها قدمه - وفي رواية. رجله ينزوي بعضها إلى بعض، وتقول: قد قد - وفي رواية. قط قط بعزتك»، ونحو قوله: «فيأتيهم الله في صورته التي يعرفون =

السابقين الأولين والتابعين لهم بإحسان ﴿رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ﴾[التوبة: ١٠٠] وقال في المجرمين:﴿فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا انتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾ [سورة الزخرف: ٥٥] وأهل العلم يكرهون الخوض في مثل هذا وشبهه من التشبيه كله في الرضا والغضب، وما كان مثله من صفات المخلوقين، وباللَّه العصمة والتوفيق، وأما قوله: «يضحك اللَّه إليه» أي: يتلقاه اللَّه ﷻ بالرحمة والرضوان والعفو والغفران، ولفظ الضحك ها هنا مجازًا؛ لأن الضحك لا يكون من اللَّه ﷻ على ما هو من البشر؛ لأنه ليس كمثله شيء، ولا تشبهه الأشياء.

= فيقول: أنا ربكم؛ فيقولون: أنت ربنا»، وقوله: «يحشر الله العباد؛ فيناديهم بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب أنا الملك أنا الديان» إلى غيرها من الأحاديث هالتنا أو لم تهلنا بلغتنا أو لم تبلغنا اعتقادنا فيها، وفي الآي الواردة في الصفات: أنا نقلبها، ولا نحرفها، ولا نكيفها، ولا نعطلها، ولا نتأولها، وعلى العقول لا نحملها، وبصفات الخلق لا نشبهها، ولا نعمل رأينا وفكرنا فيها، ولا نزيد عليها، ولا ننقص منها بل نؤمن بها، ونكل علمها إلى عالمها كما فعل ذلك السلف الصالح، وهم القدوة لنا في كل علم.روينا عن إسحاق أنه قال: «لا نزيل صفة مما وصف الله بها نفسه، أو وصفه بها الرسول عن جهتها لا بكلام، ولا بإرادة إنما يلزم المسلم الأداء، ويوقن بقلبه أن ما وصف الله به نفسه في القرآن إنما هي صفاته، ولا يعقل نبي مرسل ولا ملك مقرب تلك الصفات إلا بالأسماء التي عرفهم الرب ﷻ فأما أن يدرك أحد من بني آدم تلك الصفات فلا يدركه أحد» . مجموع الفتاوى: ٤/ ١٨١-١٨٥.

أقوال ابن عبدالبر في وعد الله ﷻ ووعيده

عن جابر بن عبدالله ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: **«من حلف على منبري هذا على يمين آثمة فليتبوأ مقعده من النار»**(١)

قال ابن عبدالبر(٢): ومذهبنا في الوعيد أنه غير نافذ في هذا، وفي كل ما أوعد الله أهل الإيمان عليه النار والعذاب؛ فإن الله بالخيار في عبده المذنب إن شاء أن يغفر له غفر، وإن شاء أن يعذبه عذبه؛ لقول الله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ﴿١١٦﴾﴾ [النساء: ١١٦] والتوبة تمحو السيئات كلها كفرًا كانت أو غير ذلك(٣) قال الله ﷻ: ﴿قُل لِّلَّذِينَ

---

(١) صحيح: سنن أبي داود: ٣٢٤٦/٢٢١/٣، سنن ابن ماجه: ٢٣٢٥/٧٧٩/٢، المستدرك على الصحيحين: ٧٨١٠/٣٢٩/٤، صحيح ابن حبان: ٤٣٦٨/٢١٠/١٠، سنن النسائي الكبرى: ٣/ ٤٩١/ ٦٠١٨، السنن المأثورة: ٥٤٤/٣٩١/١، سنن البيهقي الكبرى: ١٠٠٨٥/٣٩٨/٧، مسند أبي عوانة: ٥٩٨٠/٤٧/٤، موطأ مالك: ١٤٠٨/٧٢٧/٢، وصححه الألباني في سنن أبي داود: ح (٣٢٤٦) وسنن ابن ماجه: ح (٢٣٢٥) .

(٢) التمهيد: ٨٣/٢٢.

(٣) قال ابن تيمية: «والوعيدية من الخوارج والمعتزلة يوجبون العذاب في حق أهل الكبائر؛ لشمول نصوص الوعيد لهم، مثل قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلۡيَتَٰمَىٰ ظُلۡمًا إِنَّمَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ نَارٗاۖ وَسَيَصۡلَوۡنَ سَعِيرٗا ﴿١٠﴾﴾ [سورة النساء: آية (١٠)] وتجعل المعتزلة إنفاذ الوعيد أحد الأصول الخمسة، التي يكفرون من خالفها، ويخالفون أهل السنة والجماعة في وجوب نفوذ الوعيد فيهم وفي تخليدهم، ولهذا منعت الخوارج والمعتزلة، أن يكون لنبينا شفاعة في أهل الكبائر، في إخراج أهل الكبائر من النار»، وهذا مردود بما تواتر عنه من السنن في ذلك كقوله: «شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي» وأحاديثه في إخراجه من النار من قد دخل، وليس الغرض هنا تحرير هذه الأصول، وإنما الغرض التنبيه عليها، وكان ما أوقعهم في ذلك أنهم سمعوا نصوص الوعيد فرأوها عامة؛ فقالوا: يجب أن يدخل فيها كل من شملته، وهو خبر، وخبر الله صدق؛ فلو أخلف وعيده كان كإخلاف وعده، والكذب على الله محال؛ فعارضهم غالية المرجئة بنصوص الوعد، فإنها قد تتناول كثيرًا من أهل الكبائر، فعاد كل فريق إلى أصله الفاسد؛ فقال الأولون: نصوص الوعد لا تتناول إلا مؤمنًا، وهؤلاء ليسوا مؤمنين، وقال الآخرون: نصوص الوعيد لا تتناول إلا كافرًا، وكل من القولين خطأ؛ فان النصوص مثل قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلۡيَتَٰمَىٰ ظُلۡمًا﴾ لم يشترط فيها الكفر، بل هي في حق المتدين بالإسلام، وقوله: «من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة» لم يشترط فيه فعل الواجبات، بل قد ثبت في الصحاح «وان زنى، وان سرق، وان شرب الخمر» فهنا اضطرب الناس؛ فألغى قوم من المرجئة العموم، وقالوا: ليس في اللغة عموم، وهم =

كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ﴾[الأنفال: ٣٨] إلا أن حقوق الآدميين لا بد فيها من القصاص بالحسنات والسيئات.

= الواقفية في العموم من المرجئة وبعض الأشعرية والشيعية، وإنما التزموا ذلك لئلا يدخل جميع المؤمنين في نصوص الوعيد، وقالت المقتصدة: بل العموم صحيح، والصيغ صيغ عموم؛ لكن العام يقبل التخصيص، وهذا مذهب جميع الخلائق من الأولين والآخرين إلا هذه الشرذمة، قالوا: فمن عفي عنه كان مستثنى من العموم، وقال قوم آخرون: بل إخلاف الوعيد ليس بكذب، وإن العرب لا تعد عارًا أو شنارًا أن يوعد الرجل شرًا ثم لا ينجزه، كما تعد عارًا أو شنارًا أن يعد خيرًا ثم لا ينجزه، وهذا قول طوائف من المتقدمين والمتأخرين، وقد احتجوا بقول كعب بن زهير يخاطب النبي (البسيط):

أُنبِئْتُ أَنَّ رَسولَ اللَهِ أَوعَدَني ... وَالعَفوُ عِندَ رَسولِ اللَهِ مَأمولُ

قالوا: «فهذا وعيد خاص، وقد رجا فيه العفو مخاطبًا للنبي ﷺ فعلم أن العفو عن المتوعد جائز، وإن لم يكن من باب تخصيص العام، والتحقيق أن يقال: الكتاب والسنة مشتمل على نصوص الوعد والوعيد كما ذلك مشتمل على نصوص الأمر والنهي، وكل من النصوص يفسر الآخر ويبينه فكما أن نصوص الوعد على الأعمال الصالحة مشروطة بعدم الكفر المحبط؛ لأن القرآن قد دل على أن من ارتد فقد حبط عمله، فكذلك نصوص الوعيد للكفار والفساق مشروطة بعدم التوبة؛ لأن القرآن قد دل على أن الله يغفر الذنوب جميعًا لمن تاب، وهذا متفق عليه بين المسلمين؛ فكذلك في موارد النزاع؛ فإن الله قد بين بنصوص معروفة أن الحسنات يذهبن السيئات، وأن من يعمل مثقال ذرة خيرًا يره، ومن يعمل مثقال ذرة شرًا يره، وانه يجيب دعوة الداعي إذا دعاه، وان مصائب الدنيا تكفر الذنوب، وأنه يقبل شفاعة النبي في أهل الكبائر، وانه لا يغفر أن يشرك به، ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء كما بين أن الصدقة يبطلها المن والأذى، وأن الربا يبطل العمل، وانه إنما يتقبل الله من المتقين أي في ذلك العمل ونحو ذلك؛ فجعل للسيئات ما يوجب رفع عقابها، كما جعل للحسنات ما قد يبطل ثوابها، لكن ليس شيء يبطل جميع السيئات إلا التوبة، كما انه ليس شيء يبطل جميع الحسنات إلا الردة، وبهذا تبين أنا نشهد بأن ﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾ على الإطلاق والعموم، ولا نشهد لمعين أنه في النار لأنا لا نعلم لحوق الوعيد له بعينه؛ لأن لحوق الوعيد بالمعين مشروط بشروط، وانتفاء موانع، ونحن لا نعلم ثبوت الشروط وانتفاء الموانع في حقه» مجموع الفتاوى: ١٢/ ٤٨٠-٤٨٤.

قول ابن عبدالبر في أن الله ﷻ لا يلحقه الملل

عن إسماعيل بن أبي حكيم أنه بلغه أن رسول الله ﷺ سمع امرأة من الليل تصلي فقال: **«من هذه؟ فقيل: الحولاء بنت تويت، لا تنام الليل؛ فكره ذلك رسول الله ﷺ حتى عرفت الكراهية في وجهه، ثم قال: إن الله لا يمل حتى تملوا، أكلفوا من العمل ما لكم به طاقة»**[(١)]

قال ابن عبدالبر[(٢)]:وأما قوله: **«إن الله لا يمل حتى تملوا»** فمعناه عند أهل العلم: إن الله لا يمل من الثواب والعطاء على العمل حتى تملوا أنتم العمل وتقطعونه؛ فينقطع عنكم ثوابه، ولا يسأم من أفضاله عليكم إلا بسآمتكم عن العمل، وأنتم متى تكلفتم من العمل والعبادة ما لا تطيقون وأسرفتم لحقكم الملل وضعفتم عن العمل، فانقطع عنكم الثواب بانقطاع العمل يحضهم ﷺ بهذا المعنى على القليل الدائم، ويخبرهم أن النفوس لا تحتمل الإسراف عليها، وأن ذلك سبب إلى قطع العمل، ومن هذا حديث ابن مسعود قال: **«كان النبي ﷺ يتخولنا بالموعظة في الأيام مخافة السآمة علينا»**[(٣)]، ومنها أيضا قوله ﷺ: **«لا تشادوا الدين فإنه من غالب الدين يغلبه الدين»**[(٤)] ومنه الحديث: **«إن هذا الدين متين، فأوغل فيه برفق، فإن المنبت لا يقطع أرضًا، ولا يبقى ظهرًا»**[(٥)]وقال ﷺ

---

(١) صحيح البخاري: ١/٢٤/٤٣.

(٢) التمهيد: ١/١٩٤- ١٩٦، الاستذكار: ٢/٨٦- ٨٨.

(٣) صحيح البخاري: ١/ ٣٨ / ٦٨، صحيح مسلم: ٤/٢١٧٣/٢٨٢١.

(٤) لم أجده بهذا اللفظ، وإنما روى البخاري في صحيحه (١/ ٢٣ / ٣٩): عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «إن الدين يسر، ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه، فسددوا، وقاربوا، وأبشروا، واستعينوا بالغدوة والروحة، وشيء من الدلجة» .

(٥) ضعيف: رواه احمد في مسنده: ٣/١٩٨/١٣٠٧٤، والبيهقي في سننه الكبرى: ٣/١٨/٤٥٢٠، وفي شعب الإيمان: ٣/٤٠١/ ٣٨٨٥، وقال: «ورواه أبو عقيل يحيى بن المتوكل، عن محمد بن سوقة، عن محمد بن المنكدر، عن جابر، ورواه أبو معاوية، عن محمد بن سوقة، عن محمد بن المنكدر، عن النبي ﷺ مرسلًا، وهو الصحيح ذلك» وابن حجر في الفتح: ١١/٢٩٧، وقال: «وقد أخرج البزار من طريق محمد بن سوقة عن بن المنكدر عن جابر ولكن صوب إرساله، وله شاهد في الزهد لابن المبارك من حديث عبدالله بن عمرو» والهيثمي في مجمع الزوائد: ١/٦٢، وقال: «رواه البزار وفيه يحيى بن المتوكل أبو عقيل وهو كذاب» وضعفه ابن الجوزي في العلل المتناهية: =

لعبدالله بن عمرو بن العاص وكان يصوم النهار، ويقوم الليل: «**لا تفعل، فإنك إذا فعلت نفهت**[١] **نفسك**»[٢]... وقد جعل مطرف بن عبدالله بن الشخير ـ رحمه الله ـ الغلو في أعمال البر سيئة، والتقصير سيئة، فقال: الحسنة بين السيئتين.

قال ابن عبدالبر: وأما لفظه في قوله ﷺ: «**إن الله لا يمل حتى تملوا**» فهو لفظ خرج على مثال لفظ[٣] ومعلوم أن الله ﷻ لا يمل سواء مل الناس أو لم يملوا، ولا يدخله

= ١٣٧٥/٨٢١/٢، وقال: «قال الدارقطني: رواه يحيى بن المتوكل عن ابن سوقة عن ابن المنكدر عن جابر ورواه شهاب بن خراش عن شيبان النحوي عن محمد بن سوقة بن الحارث عن علي، وروي عن ابن سوقة، عن الحسن البصري مرسلًا، وعن ابن المنكدر قال: قال عمر: وليس فيها حديث ثابت»، وضعفه العجلوني في كشف الخفاء: ٢/ ٢٣٣٩/٢٨٤، وقال: «واختلف في إرساله ووصله، ورجح البخاري في تاريخه الإرسال»، والمناوي في فيض القدير: ٥٤٤/٢، وقال: «البزار في مسنده عن جابر قال الهيثمي: وفيه يحيى بن المتوكل أبو عقيل، وهو كذاب انتهى، ورواه البيهقي في السنن من طرق، وفيه اضطراب روي موصولًا، ومرسلًا، ومرفوعا، وموقوفًا، واضطرب في الصحابي أهو جابر أو عائشة أو عمر ورجح البخاري في التاريخ إرساله».

(١) نَفِهَتْ نفسي: أَعْيَتْ وكَلَّتْ. لسان العرب: ١٣ / ٥٤٩.

(٢) صحيح البخاري: ١١٠٢/٣٨٧/١، ومسلم: ١١٥٩/٨١٦/٢، ولفظه: «عن عبدالله بن عمرو ـ رضي الله عنهما ـ قال: قال لي رسول الله ﷺ: ألم أخبر أنك تقوم الليل، وتصوم النهار؟ قلت: إني أفعل ذلك، قال: فإنك إذا فعلت ذلك هجمت عيناك ونفهت نفسك، لعينك حق، ولنفسك حق ولأهلك حق، قم ونم، وصم وأفطر».

(٣) قال ابن تيمية: «كما نسبه إلى نفسه في قوله ـ ﷻ ـ: ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴿١٦﴾﴾ [سورة الطارق: آية (١٥-١٦)] وكما دل عليه قوله سبحانه: ﴿أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ ﴿٤٢﴾﴾ [سورة الطور: آية (٤٢)] ومثل ذلك قوله سبحانه: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴿٣٠﴾﴾ [سورة الأنفال: آية (٣٠)] وقوله سبحانه في قصة صالح: ﴿وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ﴾ (٤٨) إلى قوله: ﴿وَمَكَرُوا مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٠﴾ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ سورة النمل: الآيات (٤٨-٥١) ثم إن بعض الناس يقول إنما سمى الله سبحانه فعله بالماكرين والكائدين والمستهزئين مكرا وكيدا واستهزاء مع أنه حسن وفعلهم قبيح لمشاكلته له في الصورة ووقوعه جزاء له كما في قوله﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا﴾ [سورة الشورى: آية (٤٠)] سمى الثاني سيئة وهو بحق لمقابلته للسيئة وقال: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ ﴿١٢٦﴾﴾ [النحل: ١٢٩] سمي الأول عقوبة وإن لم يكن عن الأولين عقوبة لمقابلته للفعل الثاني وجعلوا هذا نوعا من المجاز ـ وقال آخرون وهو أصوب بل تسميته مكرا وكيدا واستهزاء وسيئة وعقوبة على بابه فإن المكر إيصال الشيء إلى الغير بطريق خفي وكذلك الكيد فإن كان ذلك الغير يستحق ذلك الشر كان =

ملال في شيء من الأشياء جل عن ذلك وتعالى علوا كبيرًا، وإنما جاء لفظ هذا الحديث على المعروف من لغة العرب، فإنهم إذا وضعوا لفظًا بإزاء لفظ جوابًا له أو جزءًا ذكروه بمثل لفظه وإن كان مخالفًا له في معناه ألا ترى إلى قوله ﷻ: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ﴾ [الشورى: ٤٠] وقوله تعالى: ﴿فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَٱعۡتَدُواْ عَلَيۡهِ بِمِثۡلِ مَا ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡۚ﴾ [البقرة: ١٩٤] والجزاء لا يكون سيئة، والقصاص لا يكون اعتداء؛ لأنه حق وجب، ومثل ذلك قول الله ﷻ: ﴿وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلۡمَٰكِرِينَ ٥٤﴾ [آل عمران: ٥٤] وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا نَحۡنُ مُسۡتَهۡزِءُونَ ٱللَّهُ يَسۡتَهۡزِئُ بِهِمۡ﴾ [البقرة: ١٤-١٥] وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُمۡ يَكِيدُونَ كَيۡدٗا ١٥ وَأَكِيدُ كَيۡدٗا ١٦﴾ [الطارق: ١٥-١٦] وليس من الله مكر ولا هزو ولا كيد؛ إنما هو جزاء مكرهم واستهزائهم وكيدهم، فذكر الجزاء بمثل لفظ الابتداء لما وضع بحذائه وقبالته، فكذلك قول رسول الله ﷺ: «**إن الله لا يمل حتى تملوا**» أي: من مل فقطع عمله انقطع عنه الجزاء.

= مكرًا حسنًا والا كان مكرًا سيئًا بل إن كان ذلك الشر الواصل حقا لمظلوم كان ذلك المكر واجبًا في الشرع على الخلق وواجبًا من الله بحكم الوعد إن لم يعف المستحق والله سبحانه إنما يمكر ويستهزىء بمن يستوجب ذلك فيأخذه من حيث لا يحتسب كما فعل ذلك الظالم بالمؤمنين والسيئة ما تسوء صاحبها وإن كان مستحقا لها والعقوبة ما عوقب به المرء من شره» . الفتاوى الكبرى: ٦/١٢٥.

وقال ابن قيم الجوزية: «وقد دل على هذا نسبة الله سبحانه ذلك الكيد إلى نفسه... وهو سبحانه ينسب إلى نفسه أحسن هذه المعاني وما هو منها حكمة وحق وصواب وجزاء للمسيء وذلك غاية العدل والحق كقوله ﴿إِنَّهُمۡ يَكِيدُونَ كَيۡدٗا ١٥ وَأَكِيدُ كَيۡدٗا ١٦﴾ [سورة الطارق: ١٥-١٦] وقوله﴿وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلۡمَٰكِرِينَ ٥٤﴾ [سورة آل عمران: ٥٤] وقوله: ﴿ٱللَّهُ يَسۡتَهۡزِئُ بِهِمۡ﴾ [سورة البقرة: ١٥] وقوله﴿إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمۡ﴾[سورة النساء: ١٤٢] وقوله ﴿وَأُمۡلِي لَهُمۡۚ إِنَّ كَيۡدِي مَتِينٌ ٤٥﴾ [سورة القلم: ٤٥] فهذا منه سبحانه في أعلى مراتب الحسن وإن كان من العبد قبيحا سيئا لأنه ظالم فيه وموقعه بمن لا يستحقه والرب تعالى عادل فيه موقعه بأهله ومن يستحقه، سواء قيل إنه مجاز للمشاكلة الصورية أو للمقابلة أو سماه كذلك مشاكلة لاسم ما فعلوه أو قيل إنه حقيقة وإن مسمى هذه الأفعال ينقسم إلى مذموم ومحمود واللفظ حقيقة في هذا» . إغاثة اللهفان: ٢/١١٤.

أقوال ابن عبدالبر في محبة الله ﷻ

عن نافع، أن أبا هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا أحب الله العبد نادى جبريل** عليه السلام **إن الله قد أحب فلانًا، فأحبه، فيحبه جبريل، ثم ينادي جبريل في أهل السماء، إن الله قد أحب فلانًا، فأحبوه، فيحبه أهل السماء، ثم يوضع له القبول في الأرض**»(١).

قال ابن عبدالبر(٢): وفيه أن الود والمحبة بين الناس الله يبتدئها ويبسطها، والقرآن يشهد بذلك قال الله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا ﴿٩٦﴾﴾ [مريم: آية ٩٦] قال المفسرون: يحبهم ويحببهم إلى الناس(٣).

---

(١) صحيح البخاري: ٦/٢٧٢١/٧٠٤٧، صحيح مسلم: ٤/٢٠٣٠/٢٦٣٧.

(٢) التمهيد لابن عبدالبر: ٢١/ ٢٣٨ - ٢١/٢٤٠.

(٣) قال ابن تيمية: «وقد بسطنا في غير هذا الموضع الكلام في محبة الله وذكرنا أن للناس في هذا الأصل العظيم ثلاثة أقوال:
أحدها: أن الله تعالى يُحِبُّ ويُحَبُّ كما قال تعالى: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ فهو المستحق أن يكون له كمال المحبة دون ما سواه، وهو سبحانه يحب ما أمر به ويحب عباده المؤمنين، وهذا قول سلف الأمة وأئمتها وهذا قول أئمة شيوخ المعرفة.
والقول الثاني: أنه يستحق أن يحب لكنه لا يحب إلا بمعنى أن يريد، وهذا قول كثير من المتكلمين ومن وافقهم من الصوفية.
والثالث: أنه لا يُحِبُّ ولا يُحَبُّ وإنما محبة العباد له إرادتهم طاعته، وهذا قول الجهمية ومن وافقهم من متأخري أهل الكلام والرازي» العقيدة الأصفهانية: ص٢٧
وقال ابن تيمية: «وقد تأول الجهمية ومن اتبعهم من أهل الكلام محبة الله لعبده على أنها الإحسان إليه فتكون من الأفعال وطائفة أخري من الصفاتية قالوا: هي إرادة الإحسان، وربما قال كلًا من القولين بعض المنتسبين إلي السنة من أصحاب الإمام أحمد وغيرهم، وسلف الأمة وأئمة السنة على إقرار المحبة على ما هي عليه وكذلك محبة العبد لربه يفسرها كثير من هؤلاء بأنها إرادة العبادة له وإرادة التقرب إليه لا يثبتون أن العبد يحب الله، وسلف الأمة وأئمة السنة ومشايخ المعرفة وعامة أهل الإيمان متفقون علي خلاف قول هؤلاء المعطلة لأصل الدين بل هم متفقون على أنه لا يكون شيء من أنواع المحبة أعظم من محبة العبد ربه كما قال تعالي: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ وقال تعالي ﴿فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ وقال تعالي: ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ﴾ فلم يرض إلا بأن يكون الله ورسوله أحب إليهم من الأهلين والأموال حتى يكون الجهاد في سبيل الله الذي هو من كمال الإيمان، قال تعالي: ﴿إِنَّمَا =

ذكر سنيد عن حجاج عن ابن جريج عن مجاهد في قوله: ﴿سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا﴾ [مريم: ٩٦] قال: يحبهم ويحببهم إلى الناس، قال: وحدثنا علي بن هاشم عن ابن أبي ليلى عن الحكم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: يحبهم ويحببهم، وقال ﷻ فيما يعدد من نعمته على موسى نبيه ورسوله وكليمه ﷺ: ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي﴾[طه: ٣٩]، ذكر ابن أبي شيبة عن حسين بن علي عن موسى بن قيس عن سلمة بن كهيل: ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي﴾قال: حببتك إلى عبادي، وذكر سنيد، حدثنا حجاج عن أبي جعفر عن الربيع بن أنس قال: إذا أحب الله عبدا ألقى له مودة في قلوب أهل السماء، ثم ألقى له مودة في قلوب أهل الأرض، قال: وحدثنا حماد بن زيد عن هشام عن حفصة بنت سيرين عن ربيع بن زياد عن كعب قال: والله ما استقر لعبد ثناء في أهل الدنيا حتى يستقر له في السماء. قال: وحدثني شيخ عن حماد بن سلمة عن ثابت البناني عن عبدالله بن رباح عن كعب قال: قرأت في التوراة: أنه لم تكن محبة لأحد من أهل الأرض إلا كان بدؤها من الله، ينزلها على أهل السماء، ثم ينزلها على أهل الأرض، ثم قرأت القرآن فوجدت فيه:﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا ﴿٩٦﴾﴾ [مريم: ٩٦].

حدثنا أحمد بن محمد، حدثنا أحمد بن الفضل، حدثنا محمد بن جرير قال:

= ﴿ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾ ولهذا وصف الله المحبين له الذين يحبهم هو بالجهاد فقال تعالى: ﴿مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍۚ﴾ قاعدة في المحبة: ص٥١ - ٥٢.

قال: «أول من أنكر حقيقة محبة الله لعبده والعبد لربه في الإسلام، هو الجعد بن درهم، فضحى به خالد بن عبدالله القسري بواسط، وقال: يا أيها الناس ضحوا تقبل الله ضحاياكم؛ فإني مضح بالجعد بن درهم؛ فإنه زعم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلًا، ولم يكلم موسى تكليمًا تعالى الله عما يقول الجعد علوًا كبيرًا ثم نزل فذبحه، وكان الجعد هذا أول من ظهر عنه التعطيل بإنكار صفات الله تعالى وبإنكار محبته وتكليمه كما يقول هؤلاء المتفلسفة والجهمية والباطنية ونحوهم من المعطلة والجهمية والمعتزلة ومن اتبعهم فينكرون أن يكون الله يُحِبُّ أو يُحَبُّ حقيقة وينكرون التمتع برؤيته وينكرون أن يكون هو سبحانه موصوفًا بالفرح ونحوه لزعمهم أن هذا من نوع اللذة والبهجة والله لا يوصف بذلك عندهم» الصفدية: ٢٦٣/٢.

حدثنا ابن المغني، حدثنا غندر، حدثنا شعبة عن عمرو بن مرة عن ابن أبي ليلى قال: كتب أبو الدرداء إلى مسلمة بن مخلد ـ وهو أمير على مصر ـ: أما بعد: فإن العبد إذا عمل بطاعة اللَّه أحبه اللَّه، فإذا أحبه اللَّه حببه إلى خلقه، وإذا عمل بمعصية اللَّه أبغضه اللَّه، وإذا أبغضه اللَّه بغضه إلى خلقه.

قال أبو عمر: هذا كلام خرج على العموم ومعناه الخصوص، أي: حبب أهل الطاعة إلى أهل الإيمان، وبغض إليهم أهل النفاق والعصيان، ودليل ذلك قوله ﷺ: **«القلوب أجناد مجندة ما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف»**(١)، وقال سعيد بن أبي عروبة، وشيبان عن قتادة قال: قال هرم بن حبان: ما أقبل عبد بقلبه إلى اللَّه إلا أقبل اللَّه بقلوب أهل الإيمان عليه حتى يرزقه مودتهم ورحمتهم، وقال عبداللَّه بن مسعود: لا تسألن أحدًا عن وده إياك، ولكن انظر ما في نفسك له، فإن في نفسه مثل ذلك، إن الأرواح جنود مجندة، فما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف.

حدثنا سعيد بن نصر قال: حدثنا قاسم بن أصبغ قال: حدثنا ابن وضاح قال: حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة قال: حدثنا خالد بن مخلد، حدثنا موسى بن يعقوب قال: حدثنا سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة قال: قال رسول اللَّه ﷺ: **«الأرواح جنود مجندة تطوف بالليل فما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف»**(٢).

---

(١) لم أجده بهذا اللفظ.

(٢) صحيح البخاري: ٣١٥٨/١٢١٣/٣، صحيح مسلم: ٢٦٣٨/٢٠٣١/٤.

أقوال ابن عبدالبر فيمن جهل ببعض صفات الله ﷻ

عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**قال رجل لم يعمل حسنة قط لأهله: إذا مات، فحرقوه، ثم اذروا نصفه في البر، ونصفه في البحر، فوالله لئن قدر الله عليه ليعذبنه عذابًا لا يعذبه أحدًا من العالمين، فلما مات الرجل، فعلوا ما أمرهم به، فأمر الله البر فجمع ما فيه وأمر البحر فجمع ما فيه، ثم قال: لِمَ فعلت هذا؟ قال: من خشيتك يا رب وأنت أعلم؛ فغفر له**»(١).

وعن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ قال: «**كان فيمن كان قبلكم رجل من الأمم السالفة أفاده الله مالاً وولدًا، فلما ذهب ـ يعني ـ أكثر عمره. قال لولده: لا أدع لكم مالاً أو تفعلون ما أقول؟ قالوا: يا أبانا، لا تأمر بشيء إلا فعلناه. قال: إذا أنا مت، فأحرقوني، ثم اسحقوني، ثم اذروني في يوم ريح عاصف لعلي أُضل الله. ففعلوا ذلك به، فقال الله له: كن، فإذا هو رجل قائم، قال: ما حملك على ما صنعت؟ فقال: مخافتك، فما تلا فاه غيرها، فغفر له**»(٢).

قال أبو عمر(٣): رُوي من حديث أبي رافع عن أبي هريرة في هذا الحديث أنه قال: «**قال رجل لم يعمل خيرًا قط إلا التوحيد**»(٤) وهذه اللفظة إن صحت رفعت الإشكال في إيمان هذا الرجل، وإن لم تصح من جهة النقل فهي صحيحة من جهة المعنى، والأصول كلها تعضدها، والنظر يوجبها؛ لأنه محال غير جائز أن يُغفر للذين يموتون وهم كفار؛ لأن الله ﷻ قد أخبر أنه لا يغفر أن يشرك به لمن مات كافرًا، وهذا ما لا مدفع له، ولا خلاف فيه بين أهل القبلة، وفي هذا الأصل ما يدلك على أن قوله في هذا الحديث: «**لم يعمل حسنة قط**»، أو لم يعمل خيرًا قط لم يعذبه إلا ما عدا التوحيد من

---

(١) صحيح البخاري: ٣ / ١٢٨٣ /٣٢٩٤، وصحيح مسلم: ٢٧٥٦/٢١٠٩/٤، واللفظ له.
(٢) صحيح البخاري: ٣٢٩٤/١٢٨٣/٣.
(٣) التمهيد: ٣٧/١٨ ـ ٣٩، والاستذكار٣/٩٥ ـ٩٦.
(٤) حسن: رواه الإمام أحمد قي المسند: ٣٧٨٥/٣٩٨/١، والهيثمي في مجمع الزوائد: ١٩٤/١٠، وقال: «وعن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال بمثله. رواهما أحمد، ورجال حديث أبي هريرة رجال الصحيح، وإسناد ابن مسعود حسن» .

الحسنات والخير، وهذا سائغ في لسان العرب جائز في لغتها أن يؤتى بلفظ الكل والمراد البعض، والدليل على أن الرجل كان مؤمنًا قوله حين قيل له: «**لما فعلت هذا؟ فقال: من خشيتك يا رب**» والخشية لا تكون إلا لمؤمن مصدق، بل ما تكاد تكون إلا لمؤمن عالم كما قال الله ﷻ: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ [فاطر: ٢٨] قالوا: كل من خاف الله فقد آمن به وعرفه، ومستحيل أن يخافه من لا يؤمن به، وهذا واضح لمن فهم وأُلهم رشده، ومثل هذا الحديث في المعنى ما حدثناه عبدالوارث بن سفيان، حدثنا قاسم بن أصبغ، حدثنا محمد بن إسماعيل، حدثنا أبو صالح حدثني، الليث عن ابن العجلان عن زيد بن أسلم عن أبي صالح عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال: «**إن رجلًا لم يعمل خيرًا قط، وكان يداين الناس، فيقول لرسوله: خذ ما يَسُر، واترك ما عَسُر، وتجاوز لعل الله يتجاوز عنا، فلما هلك قال الله: هل عملت خيرًا قط؟ قال: لا إلا أنه كان لي غلام، فكنت أداين الناس، فإذا بعثته يتقاضى قلت له: خذ ما يسر، واترك ما عسر، وتجاوز لعل الله يتجاوز عنا. قال الله: قد تجاوزت عنك**»(١).

قال أبو عمر: فقول هذا الرجل الذي لم يعمل خيرًا قط غير تجاوزه عن غرمائه «**لعل الله يتجاوز عنا**» إيمان وإقرار بالرب ومجازاته، وكذلك قول الآخر: «**خشيتك يا رب**» إيمان بالله، واعتراف له بالربوبية، والله أعلم.

وأما قوله: «**لئن قدر الله علي**» فقد اختلف العلماء في معناه: فقال منهم قائلون: هذا رجل جهل بعض صفات الله ﷻ وهي القدرة، فلم يعلم أن الله على كل ما يشاء قدير، قالوا: ومن جهل صفة من صفات الله ﷻ وآمن بسائر صفاته، وعرفها لم يكن بجهله بعض صفات الله كافرًا، قالوا: وإنما الكافر من عاند الحق لا من جهله، وهذا قول المتقدمين من العلماء ومن سلك سبيلهم من المتأخرين.

---

(١) صحيح: رواه أحمد في المسند: ٨٧١٥/٣٦١/٢، وابن حبان في صحيحه: ٥٠٤٣/٤٢٢/١١، والحاكم في المستدرك: ٢٢٢٣/٣٣/٢، وقال: «هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه»، والنسائي في المجتبى: ٤٦٩٤/٣١٨/٧، وله شاهد من البخاري ومسلم، وصححه الألباني في سنن النسائي: ح (٤٦٤٩)، وقال الألباني: «حسن صحيح» .

وقال آخرون: أراد بقوله: «لئن قدر الله عليه» من القدر الذي هو القضاء، وليس من باب القدرة والاستطاعة في شيء، قالوا: وهو مثل قول الله ﷻ في ذي النون: ﴿إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ﴾ [الأنبياء: ٨٧] وللعلماء في تأويل هذه اللفظة قولان:

أحدهما: أنها من التقدير والقضاء. والآخر: أنها من التقتير والتضييق.

قال أبو عمر: وكل ما قاله العلماء في تأويل هذه الآية، فهو جائز في تأويل هذا الحديث في قوله: **«لئن قدر الله علي»** فأحد الوجهين تقديره: كأن الرجل قال: لئن كان قد سبق في قدر الله، وقضائه أن يعذب كل ذي جُرم على جُرمه ليعذبني الله على إجرامي وذنوبي عذابًا لا يعذبه أحدًا من العالمين غيري.

والوجه الآخر تقديره: والله لئن ضيق الله علي، وبالغ في محاسبتي، وجزائي على ذنوبي ليكونن ذلك، ثم أمر بأن يحرق بعد موته من إفراط خوفه، قال ابن قتيبة: بلغني عن الكسائي أنه قال: يقال: هذا قَدْرُ الله وقَدَرُهُ. قال: ولو قرئت: ﴿فَسَالَتۡ أَوۡدِيَةُۢ بِقَدَرِهَا﴾ [الرعد: ١٧] مخففًا أو قرئت: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦٓ﴾ [الأنعام: ٩١] مثقلًا جاز، وأنشد:

وما صب رجلي في حديد مجاشع ... مع القدر إلا حاجة لي أريدها.

أراد القدر، قال: ويقال: هذا على قدر هذا وقدره. قال الأصمعي أنشدني عيسى بن عمر البدوي:

كل شيء حتى أراك متاع ... وبقدر تفرق واجتماع

ومن هذا حديث ابن عمر عن النبي ﷺ في الهلال: **«فإن غم عليكم، فاقدروا له»**(١).

وقد روينا عن أبي العباس أحمد بن يحيى ثعلب أنه قال: في قول الله ﷻ: ﴿فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ﴾ [الأنبياء: ٨٧] قال: هو من التقتير ليس من القدرة. يقال منه: قدر الله لك الخير يقدره قدرًا، بمعنى: قدر الله لك الخير. وأنشد ثعلب:

(١) صحيح البخاري: ١٨٠٧/٦٧٤/٢، صحيح مسلم: ١٠٨٠/٧٦٠/٢.

ولا عائدٌ ذاك الزمان الذي مضى تباركت ما تُقدِّر يقع ولك الشكر

يعني: ما تُقدِّره، وتقضي به يقع يعني: ينزل وينفذ ويمضي.

قال أبو عمر: هذا البيت لأبي صخر الهذلي في قصيدة له أولها (من الطويل):

لليلى بذات الجيش دار عرفتها وأخرى بذات البين آياتها سطر

وفيها يقول:

وليس عشيات الحمى برواجع لنا أبدا ما أبرم السلم النضر

ولا عائد ذاك الزمان الذي مضى تباركت ما تقدر يقع ولك الشكر

وقال غيره:

فما الناس أردوه ولكن أقاده يد اللّه والمستصر اللّه غالب

فإنك ما يقدر لك اللّه تلقه كفاحا وتجلبه إليك الجوالب

وقال ابن قتيبة في قول اللَّه ﷻ: ﴿فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ﴾ [الأنبياء: ٨٧]أي: لن نضيق عليه. قال: فلان مقدر عليه، ومقتر عليه. ومنه قوله ﷻ: ﴿فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ﴾[الفجر: ٦] أي: ضيق عليه في رزقه، وقوله: ﴿وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ﴾[الطلاق: ٧] أي: ضيق عليه في رزقه، وقال ثعلب: في قول اللَّه ﷻ: ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ﴾ [الأنبياء: ٨٧] قال: مغاضبًا للملك.

قال أبو عمر: قد قيل ما قال ثعلب، وقيل: إنه خرج مغاضبًا لنبي كان في زمانه، وهذان القولان للمتأخرين. وأما المتقدمون، فإنهم قالوا: خرج مغاضبًا لربه، روي ذلك عن ابن مسعود، والشعبي، والحسن البصري، وغيرهم ولولا خروجنا عما له قصدنا لذكرنا خبره وقصته هاهنا.

قال ابن عبدالبر: وأما جهل هذا الرجل المذكور في هذا الحديث بصفة من صفات اللَّه في علمه، وقدره فليس ذلك بمخرجه من الإيمان، ألا ترى أن عمر بن الخطاب، وعمران بن حصين، وجماعة من الصحابة سألوا رسول اللَّه ﷺ عن القدر، ومعلوم أنهم إنما سألوه عن ذلك وهم جاهلون به، وغير جائز عند أحد من المسلمين أن يكونوا

بسؤالهم عن ذلك كافرين، أو يكونوا في حين سؤالهم عنه غير مؤمنين.

حدثنا عبدالوارث بن سفيان قال: حدثنا قاسم بن أصبغ قال: حدثنا مضر بن محمد قال: حدثنا شيبان بن فروخ قال: حدثنا عبدالوارث عن يزيد الرشك قال: حدثنا مطرف عن عمران بن حصين قال: قلت: **«يا رسول الله، أعُلم أهل الجنة من أهل النار؟»**[١].

وروى الليث عن أبي قبيل عن شفي الأصبحي عن عبدالله بن عمرو بن العاص فذكر حديثًا في القدر، وفيه فقال أصحاب رسول الله ﷺ: **«فلأي شيء نعمل، إن كان الأمر قد فرغ منه؟»**[٢]، فهؤلاء أصحاب رسول الله ﷺ وهم العلماء الفضلاء سألوا عن القدر سؤال متعلمٍ جاهلٍ لا سؤال متعنت معاند، فعلمهم رسول الله ﷺ ما جهلوا من ذلك، ولم يضرهم جهلهم به قبل أن يعلموه، ولو كان يسعهم جهله وقتًا من الأوقات لعلمهم ذلك مع الشهادة بالإيمان، وأخذ ذلك عليهم في حين إسلامهم، ولجعله عمودًا سادسًا للإسلام، فتدبر واستعن بالله فهذا الذي حضرني على ما فهمته من الأصول، ووعيته وقد أديت اجتهادي في تأويل حديث هذا الباب كله ولم آل، وما أبرئ نفسي، وفوق كل ذي علم عليم، وبالله التوفيق.

وقال ابن عبدالبر في الاستذكار[٣]: وأما قوله: «لئن قدر الله علي»؛ فقد اختلف العلماء في ذلك؛ فقال بعضهم: هذا رجل جهل بعض صفات الله تعالى وهي القدرة، قالوا: ومن جهل صفة من صفات الله ﷻ وآمن به، وعلم سائر صفاته أو أكثر صفاته لم يكن بجهله بعضها كافرًا، وإنما الكافر من عاند الحق لا من جهله، والشواهد على هذا من القرآن كثيرة...، ومنها قول الله ﷻ: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَأَنتُمۡ تَشۡهَدُونَ ۝٧٠﴾ [آل عمران: ٧٠] وقال:﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَلۡبِسُونَ ٱلۡحَقَّ

---

(١) صحيح مسلم: ٢٦٤٩/٢٠٤١/٤. صحيح مسلم: ٢٦٤٩/٢٠٤١/٤.

(٢) صحيح: رواه أحمد في المسند: ٦٥٦٣/١٦٧/٢، والترمذي في سننه: ٢١٤١/٤٤٩/٤، وقال أبو عيسى: «حسن صحيح غريب»، وصححه الألباني في سنن الترمذي: ح (٢١٤١) .

(٣) الاستذكار: ٣ /٩٥ -٩٦.

بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٧١﴾﴾ [آل عمران: ٧١] وقال: ﴿وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾[آل عمران: ٧٥]، وقال: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ﴾ [البقرة: ٢٢] وقال: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِى وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ﴾ [الصف: ٥] وقال:﴿وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ﴾ [النمل: ١٤] فهذا هو الكفر المجتمع عليه في الاسم الشرعي، والاسم اللغوي.

والدليل على أن من جهل صفة من صفات الله تعالى لا يكون بها كافرًا، إذا كان مصدقًا بالله ورسله وكتبه واليوم الآخر. أن أصحاب رسول الله ﷺ عمر وغيره سألوا رسول الله ﷺ عن القدر، ومعناه قدم العلم أنه مكتوب عنده ما سبق في علمه، وفي ذلك يجري خلقه لا فيما يستأنف بل ما قد جف به القلم، وكل صغير وكبير مسطر في اللوح المحفوظ، فأعلمهم أنه ما أخطأهم لم يكن ليصيبهم. ومعلوم أنهم في حين سؤالهم وقبله كانوا مؤمنين، ولا يسع مسلمًا أن يقول فيه غير ذلك، ولو كان لا يسعه جهل صفة من صفات الله تعالى، وهي قدم العلم لعلمهم بذلك مع الشهادة بالتوحيد، ويجعله عمودًا سادسا للإسلام.

وقال آخرون: أراد بقوله: «**لئن قدر الله علي**» أي: لئن كان قدر الله عليه (والتخفيف في هذه اللفظة والتشديد سواء في اللغة) فقدر هنا عند هؤلاء من القدر الذي هو الحكم، وليس من باب القدرة والاستطاعة في شيء، وهو مثل قوله ﷻ: ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ﴾ [الأنبياء: ٨٧]، وللعلماء في تأويل هذه اللفظة في هذه الآية قولان:

أحدهما: أنها من التقدير والقضاء.

والآخر: أنها من التقتير والتضييق.

وقد ذكرنا من شواهد الشعر العربي على الوجهين جميعًا في التمهيد ما فيه كفاية، والمعنى في قول هؤلاء والله أعلم: لئن ضيق الله علي، وبالغ في محاسبتي، ولم يغفر لي، وجزاني على ذنوبي، ليكونن ما ذكر.

والوجه الآخر: كأنه قال: لئن كان قد سبق في قدر الله وقضائه أن يعذب كل ذي جُرم على جُرمه ليعذبنني على ذنوبي عذابًا لا يعذبه أحدًا من العالمين غيري، وهذا منه خوف ويقين وإيمان وتوبيخ لنفسه وخشية لربه وتوبة على ما سلف من ذنوبه، هذا كله لا يكون إلا لمؤمن مصدق مؤمن بالبعث والجزاء(١).

---

(١) قال ابن تيمية: «وكثير من الناس قد ينشأ في الأمكنة والأزمنة التي يندرس فيها كثير من علوم النبوات، حتى لا يبقى من يبلغ ما بعث الله به رسوله من الكتاب والحكمة، فلا يعلم كثيرًا مما يبعث الله به رسوله، ولا يكون هناك من يبلغه ذلك، ومثل هذا لا يكفر، ولهذا اتفق الأئمة على أن من نشأ ببادية بعيدة عن أهل العلم والإيمان، وكان حديث العهد بالإسلام؛ فأنكر شيئًا من هذه الأحكام الظاهرة المتواترة؛ فانه لا يحكم بكفره حتى يعرف ما جاء به الرسول»؛... وقد دل على هذا الأصل ما أخرجاه في الصحيحين عن أبي هريرة: «أن رسول الله قال: قال رجل لم يعجل حسنة قط لأهله: إذا مات فحرقوه ثم اذروا نصفه في البر، ونصفه في البحر؛ فوالله لئن قدر الله عليه ليعذبنه عذابًا لا يعذبنه أحدًا من العالمين؛ فلما مات الرجل فعلوا ما أمرهم؛ فأمر الله البر فجمع ما فيه، وأمر البحر فجمع ما فيه، ثم قال: لم فعلت هذا؟ قال: من خشيتك يا رب، وأنت أعلم؛ فغفر الله له» وفي لفظ آخر: «أسرف رجل على نفسه، فلما حضره الموت أوصى بنيه؛ فقال: إذا أنا مت فأحرقوني ثم اسحقوني ثم أذروني في البحر، فوالله لئن قدر على ربي ليعذبني عذابًا ما عذبه أحدًا، قال: ففعلوا ذلك به؛ فقال للأرض: أد ما أخذت، فإذا هو قائم؛ فقال له: ما حملك على ما صنعت؟ قال: خشيتك يا رب، أو قال: مخافتك؛ فغفر له بذلك» ... وقد أخرج البخاري هذه القصة من حديث حذيفة وعقبة بن عمرو أيضًا عن حذيفة عن النبي ﷺ قال: كان رجل فيمن كان قبلكم كان يسيء الظن بعمله؛ فقال لأهله: إذا أنا مت فخذوني فذروني في البحر في يوم صائف ففعلوا، فجمعه الله ثم قال: ما حملك على الذي فعلت؟ فقال: «ما حملني إلا مخافتك، فغفر له» ... فهذا الرجل ظن أن الله لا يقدر عليه إذا تفرق هذا التفرق؛ فظن أنه لا يعيده إذا صار كذلك، وكل واحد، من إنكار قدرة الله تعالى، وإنكار معاد الأبدان، وان تفرقت كفر، لكنه كان مع إيمانه بالله وإيمانه بأمره وخشيته منه جاهلًا بذلك، ضالًا في هذا الظن مخطئًا؛ فغفر الله له ذلك، والحديث صريح في أن الرجل طمع أن لا يعيده إذا فعل ذلك، وأدنى هذا أن يكون شاكًا في المعاد، وذلك كفر إذا قامت حجة النبوة على منكره حكم بكفره، هو بين في عدم إيمانه بالله تعالى، ومن تأول قوله: «لئن قدر الله علي» بمعنى: قضى، أو بمعنى ضيق؛ فقد أبعد النجعة، وحرف الكلم عن مواضعه؛ فإنه إنما أمر بتحريقه وتفريقه لئلا يجمع ويعاد، وقال: «إذا أنا مت فأحرقوني ثم اسحقوني ثم ذروني في الريح في البحر، فوالله لئن قدر على ربي ليعذبني عذابًا ما عذبه أحدًا» فذكر هذه الجملة الثانية بحرف الفاء عقيب الأولى يدل على أنه سبب لها، وأنه فعل ذلك لئلا يقدر الله عليه، إذا فعل ذلك، فلو كان مقرًا بقدرة الله عليه إذا فعل ذلك كقدرته عليه إذا لم يفعل لم يكن في ذلك فائدة له؛ ولأن التقدير عليه والتضييق موافقان للتعذيب، وهو قد جعل تفريقه مغايرًا؛ لأن يقدر الرب، قال: «فوالله لئن قدر الله علي ليعذبني عذابًا ما عذبه احدًا من العالمين» فلا =

أقوال ابن عبدالبر في هل صفات الله ﷻ مخلوقة؟

عن عثمان بن أبي العاص، أنه أتى رسول الله ﷺ قال عثمان: «وبي وجع قد كاد يهلكني قال: فقال رسول الله ﷺ: امسحه بيمينك سبع مرات، وقل: أعوذ بعزة الله، وقدرته من شر ما أجد قال: فقلت ذلك فأذهب الله ما كان بي فلم أزل آمر بذلك أهلي ومن أطاعني»(١).

قال ابن عبدالبر(٢): في هذا الحديث دليل واضح على أن صفات الله غير مخلوقة(٣)؛ لأن الاستعاذة لا تكون بمخلوق.

= يكون الشرط هو الجزاء؛ ولأنه لو كان مراده ذلك لقال: فوالله لئن جازاني ربي أو لئن عاقبني ربي ليعذبني عذابًا كما هو الخطاب المعروف في مثل ذلك؛ ولأن لفظ قدر بمعنى ضيق لا أصل له في اللغة، ومن استشهد على ذلك بقوله: ﴿وَقَدِّرْ فِي ٱلسَّرْدِ﴾ [سورة سبأ: آية (١١)]وقوله: ﴿وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ﴾[سورة الطلاق: آية (٧)] فقد استشهد بمالا يشهد له؛ فإن اللفظ كان بقوله: وقدر في السرد أى: اجعل ذلك بقدر ولا تزد ولا تنقص، وقوله: ﴿وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ﴾ أى: جعل رزقه قدر ما يغنيه من غير فضل، إذ لو ينقص الرزق عن ذلك لم يعش، وأما قدر بمعنى: قدر أي: أراد تقدير الخير والشر، فهو لم يقل: إن قدر على ربى العذاب، بل قال: لئن قدر على ربى، والتقدير يتناول النوعين، فلا يصح أن يقال: لئن قضى الله على؛ لأنه قد مضى وتقرر عليه ما ينفعه وما يضره؛ ولأنه لو كان المراد التقدير أو التضييق لم يكن ما فعله مانعًا من ذلك في ظنه، ودلائل فساد هذا التحريف كثيرة ليس هذا موضع بسطها؛ فغاية ما في هذا انه كان رجلًا لم يكن عالمًا بجميع ما يستحقه الله من الصفات، وبتفصيل أنه القادر، وكثير من المؤمنين قد يجهل مثل ذلك فلا يكون كافرا، ومن تتبع الأحاديث الصحيحة وجد فيها من هذا الجنس ما يوافقه. مجموع الفتاوى: ٤٠٧/١١- ٤١١.

(١) صحيح: رواه مالك في الموطأ: ٢/ ٩٤٢ / ١٦٨٦، والترمذي في سننه: ٢٠٨٠/٤٠٨/٤، وقال أبو عيسى: «هذا حديث حسن صحيح»، وأبو داود: ٣٨٩١/١١/٤، وابن ماجة: ٢ / ١١٦٣ / ٣٥٢٢، وابن حبان في صحيحه: ٢٩٦٥/٢٣١/٧، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي: ح (٢٠٨٠)، وصحيح سنن أبي داود: ح (٣٨٩١)، وصحيح سنن ابن ماجة: ح (٣٥٢٢) .

(٢) التمهيد: ٢٩/٢٣.

(٣) قال ابن قيم الجوزية: «فإن صفات الله جل جلاله داخلة في مسمى اسمه فليس الله اسما لذات لا سمع لها، ولا بصر لها ولا حياة لها ولا كلام لها ولا علم، وليس هذا رب العالمين، وكلامه تعالى وعلمه وحياته وقدرته ومشيئته ورحمته داخلة في مسمى اسمه؛ فهو سبحانه بصفاته وكلامه الخالق، وكل ما سواه مخلوق» إعلام الموقعين: ٣٠٠/٢.

أقوال ابن عبدالبر في أحاديث الصفات

قال ابن عبدالبر(١): وقد أجمع أهل العلم بالسنن والفقه وهم أهل السنة عن الكف عن الجدال، والمناظرة فيما سبيلهم اعتقاده بالأفئدة مما ليس تحته عمل، وعلى الإيمان بمتشابه القرآن والتسليم له ولما جاء عن النبي ﷺ في أحاديث الصفات كلها وما كان في معناها، وإنما يبيحون المناظرة في الحلال والحرام وما كان في سائر الأحكام يجب العمل بها.

حدثنا عبدالوارث بن سفيان قال: حدثنا قاسم بن أصبغ قال: حدثنا أحمد بن زهير قال: حدثنا مصعب بن عبدالله قال: سمعت مالك يقول: إن أهل بلدنا يكرهون الجدال والكلام والبحث والنظر إلا فيما تحته عمل، وأما ما سبيله الإيمان به واعتقاده والتسليم له، فلا يرون فيه جدالاً ولا مناظرة هذا معنى قوله، أخبرنا محمد بن خليفة قال: حدثنا محمد بن الحسين البغدادي بمكة قال: حدثنا أحمد بن محمد بن زياد الأعرابي قال: حدثنا عمر بن مدرك القاضي قال: حدثنا هيثم بن خارجة قال: حدثنا الوليد بن مسلم قال: سألت الأوزاعي والثوري، ومالك بن أنس، والليث بن سعد عن الأحاديث التي فيها الصفات، فكلهم قال: أمروها كما جاءت بلا تفسير.

وقال أحمد بن حنبل: يسلم بها كما جاءت فقد تلقاها العلماء بالقبول.

وقال ابن عبدالبر: والكلام في صفة الباري كلام يستبشعه أهل السنة، وقد سكت عنه الأئمة فما أشكل علينا من مثل هذا الباب وشبهه أمررناه كما جاء، وآمنا به كما نصنع بمتشابه القرآن ولم نناظر عليه؛ لأن المناظرة إنما تسوغ وتجوز فيما تحته عمل، ويصحبه قياس، والقياس غير جائز في صفات الباري تعالى؛ لأنه ليس كمثله شيء.

قال مصعب الزبيري: سمعت مالك بن أنس يقول: أدركت أهل هذا البلد ـ يعني المدينة ـ وهم يكرهون المناظرة والجدال إلا فيما تحته عمل، يريد مالك ـ رحمه الله ـ الأحكام في الصلاة، والزكاة، والطهارة، والصيام، والبيوع، ونحو ذلك، ولا يجوز

---

(١) التمهيد: ١٩/٢٣١، والاستذكار: ٢ / ٥١٣ ـ ٥١٤.

عنده الجدال فيما تعتقده الأفئدة مما لا عمل تحته أكثر من الاعتقاد، وفي مثل هذا خاصة نهي السلف عن الجدال، وتناظروا في الفقه، وتقايسوا فيه، وقد أوضحنا هذا المعنى في كتاب بيان العلم، فمن أراده تأمله هناك، وبالله التوفيق(١).

وحدثنا محمد بن خليفة قال: حدثنا محمد بن الحسين قال: حدثنا الحسن بن علي الجصاص، وأبو سعيد قالا: حدثنا الربيع بن سليمان قال: قال الشافعي: ليس في سنة رسول الله ﷺ إلا إتباعها ولا نعترض عليه بكيف، ولا يسع عالم فيما ثبت من السنة إلا التسليم، لأن الله قد فرض إتباعها.

وقال في موضع آخر عند تعرضه لشرح حديث عبدالله بن عمرو أن رسول الله ﷺ قال: **«قلوب بني آدم بين إصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد يصرفه حيث شاء، ثم قال رسول الله ﷺ: يا مصرف القلوب اصرف قلوبنا إلى طاعتك»**(٢) ورواه النواس بن سمعان ذكره ابن المبارك، عن عبدالرحمن بن يزيد بن جابر، عن بسر بن عبيد الله قال: سمعت أبا إدريس الخولاني يقول: سمعت النواس بن سمعان الكلابي يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«ما من قلب إلا بين إصبعين من أصابع الرحمن إن شاء أقامه، وإن شاء أزاغه، وكان يقول: يا مقلب القلوب ثبت قلوبنا على دينك، قال: والميزان بيد الرحمن يرفع أقوامًا ويخفض آخرين إلى يوم القيامة»**(٣).

قال أبو عمر بن عبدالبر(٤): ومخرج هذه الأحاديث كلها مجاز(٥) في الصفات(٦)

---

(١) التمهيد: ٢٣٢/١٩.
(٢) صحيح مسلم: ٢٦٥٤/٢٠٤٥/٤.

(٣) صحيح: رواه أحمد في المسند: ١٧٦٦٧/١٨٢/٤، والنسائي في السنن الكبرى: ٤١٤/٤/ ٧٧٣٨، وابن ماجه: ١٩٩/٧٢/١، والبخاري في التاريخ الكبير: ٢٤٤٣/١٢٦/٨، وابن حبان في صحيحه: ٩٤٣/٢٢٢/٣، والحاكم في المستدرك: ١٩٢٦/٧٠٦/١، وقال: «هذا حديث صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه، وله شاهد بإسناد صحيح عن أنس بن مالك»، وصححه المناوي في فيض القدير: ٤٩٣/٥، وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجة: ح (١٩٩) .

(٤) التمهيد: ٤٠٥-٤٠٤/٢٤.

(٥) خالف ابن عبدالبر مذهبه حيث قال في الصفحة السابقة من كتابنا هذا «فما أشكل علينا من مثل هذا الباب وشبهه أمررناه كما جاء».

(٦) قال ابن تيمية: «وثبت عن الحميدي أبي بكر عبدالله بن الزبير أنه قال أصول السنة فذكر أشياء ثم =

مفهوم عند أهل العلم يفيدها قول الله ﷻ: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ ۝٨﴾ [آل عمران: ٨].

= قال وما نطق به القرآن والحديث مثل وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت أيديهم ومثل والسماوات مطويات بيمينه وما أشبه هذا من القرآن والحديث لا نزيد فيه ولا نفسره ونقف على ما وقف عليه القرآن والسنة ونقول الرحمن على العرش استوى ومن زعم غير هذا فهو جهمي فمذهب السلف رضوان الله عليهم إثبات الصفات وإجراؤها على ظاهرها ونفي الكيفية عنها لأن الكلام في الصفات فرع عن الكلام في الذات وإثبات الذات إثبات وجود لا إثبات كيفية فكذلك إثبات الصفات وعلى هذا مضى السلف كلهم ولو ذهبنا نذكر ما اطلعنا عليه من كلام السلف في ذلك لخرجنا عن المقصود في هذا الجواب فمن كان قصده الحق وإظهار الصواب اكتفى بما قدمناه ومن كان قصده الجدال والقيل والقال والمكابرة لم يزده التطويل إلا خروجا عن سواء السبيل والله الموفق وقد ثبت ما ادعيناه من مذهب السلف رضوان الله عليهم بما نقلناه جملة عنهم وتفصيلا واعتراف العلماء من أهل النقل كلهم بذلك ولم أعلم عن أحد منهم خلافا في هذه المسألة بل لقد بلغني عمن ذهب إلى التأويل لهذه الآيات والأخبار من أكابرهم الاعتراف بأن مذهب السلف فيها ما قلناه ورأيته لبعض شيوخهم في كتابه قال اختلف أصحابنا في أخبار الصفات فمنهم من أمرها كما جاءت من غير تفسير ولا تأويل مع نفي التشبيه عنها وهو مذهب السلف فحصل الإجماع على صحة ما ذكرناه بقول المنازع والحمد لله.

وما أحسن ما جاء عن عبدالعزيز بن عبدالله بن أبي سلمة أنه قال عليك بلزوم السنة فإنها لك بإذن الله عصمة فإن السنة إنما جعلت ليستن بها ويقتصر عليها وإنما سنها من قد علم ما في خلافها من الزلل والخطأ والحمق والتعمق فارض لنفسك بما رضوا به لأنفسهم فإنهم عن علم وقفوا وببصر نافذ كفوا ولهم كانوا على كشفها أقوى وبتفصيلها لو كان فيها أحرى» . مجموع الفتاوى: ٤/٦-٧.

الفصل الثالث

القول في القرآن الكريم

- ❑ أقوال ابن عبدالبر في القرآن الكريم
- ❑ أقوال ابن عبدالبر في ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾

أقوال ابن عبدالبر في القرآن الكريم

قال أبو عمر بن عبدالبر: القرآن عندنا صفة من صفات اللَّه، وهو كلام اللَّه(١).

وقال: والقرآن عندنا مع هذا كله كلام اللَّه، وصفة من صفاته ليس بمخلوق(٢).

حدثنا أحمد بن فتح بن عبداللَّه قال: حدثنا محمد بن عبداللَّه بن زكريا النيسابوري قال: حدثنا أبو عبداللَّه محمد بن علي بن سهل المروزي قال: حدثنا الحسين بن الحسن النرسي قال: حدثنا سليم بن منصور بن عمار قال: كتب بشر المريسي إلى أبي رَحِمَهُ اللَّهُ أخبرني عن القرآن أخالق أم مخلوق؟ فكتب إليه أبي: **«بسم اللَّه الرحمن الرحيم عافانا اللَّه وإياك من كل فتنة، وجعلنا وإياك من أهل السنة، وممن لا يرغب بدينه عن الجماعة؛ فإنه إن يفعل فأولى بها نعمة، وإلا يفعل فهي الهلكة، وليس لأحد على اللَّه بعد المرسلين حجة، ونحن نرى أن الكلام في القرآن بدعة يتشارك فيها السائل والمجيب تعاطى السائل ما ليس له، وتكلف المجيب ما ليس عليه، ولا أعلم خالقًا إلا اللَّه، والقرآن كلام اللَّه، فانته أنت والمختلفون فيه إلى ما سماه اللَّه به تكن من المهتدين، ولا تسم القرآن باسم من عندك فتكون من الهالكين. جعلنا اللَّه وإياك من الذين يخشونه بالغيب، وهم من الساعة مشفقون والسلام»**(٣).

عن أبي هريرة أن رجلًا من أسلم قال: ما نمت الليلة؛ فقال له رسول اللَّه ﷺ: **«ولم؟»** قال: لدغتني عقرب، فقال رسول اللَّه ﷺ: **«إنك لو قلت حين أمسيت أعوذ بكلمات اللَّه التامات من شر ما خلق، لم يضرك إن شاء اللَّه»**(٤).

قال ابن عبدالبر(٥): في هذا الحديث من الفقه أن كلام اللَّه عَزَّ وَجَلَّ غير مخلوق، وعلى ذلك أهل السنة أجمعون، وهم أهل الحديث والرأي في الأحكام، ولو كان كلام اللَّه

---

(١) التمهيد٧/٢٦١.

(٢) التمهيد: ١٩/٢٣١.

(٣) التمهيد: ١٩/٢٣٣، الاستذكار: ٢/٥١٣.

(٤) صحيح مسلم: ٤/٢٠٨١/٢٧٠٩.

(٥) التمهيد: ٢١/٢٤١.

أو كلمات اللَّه مخلوقة ما أمر رسول اللَّه ﷺ أحدًا أن يستعيذ بمخلوق. دليل ذلك قول اللَّه ﷻ: ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ [الجن: ٦].

عن خولة بنت حكيم، أن رسول اللَّه ﷺ قال: **«من نزل منزلًا، فليقل: أعوذ بكلمات اللَّه التامات من شر ما خلق؛ فإنه لن يضره شيء حتى يرتحل»**(١).

قال ابن عبدالبر(٢): وفي الاستعاذة بكلمات اللَّه أبين دليل على أن كلام اللَّه منه تبارك اسمه، وصفة من صفاته ليس بمخلوق؛ لأنه محال أن يستعاذ بمخلوق، وعلى هذا جماعة أهل السنة.

حدثنا أحمد بن فتح قال: حدثنا عبداللَّه بن أحمد بن حامد البغدادي الباهلي المعروف بابن ثرثال قال: حدثنا الحسن بن الطيب بن حمزة الشجاعي البلخي قال: حدثنا إسحاق بن إبراهيم بن راهويه الحنظلي قال: ذكر سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار قال: أدركت الناس منذ سبعين سنة ـ وكان قد أدرك أصحاب رسول اللَّه ﷺ فمن دونهم ـ يقولون: اللَّه ﷻ الخالق وما سواه مخلوق إلا القرآن، فإنه كلام اللَّه منه خرج وإليه يعود(٣).

---

(١) صحيح مسلم: ٢٠٨١/٤ / ٢٧٠٨.

(٢) التمهيد: ١٨٦/٢٤.

(٣) قال ابن تيمية: «وقد ذكر الشيخ أبو الحسن محمد بن عبدالملك الكرخي في كتابه الذي سماه الفصول في الأصول قال: سمعت الإمام أبا منصور محمد بن أحمد يقول: سمعت أبا حامد الأسفرائيني يقول: مذهبي ومذهب الشافعي وفقهاء الأمصار أن القرآن كلام الله غير مخلوق، ومن قال مخلوق فهو كافر، والقرآن حمله جبريل مسموعًا من الله، والنبي ﷺ سمعه من جبريل، والصحابة سمعوه من رسول الله ﷺ وهو الذي نتلوه نحن بألسنتنا، وفيما بين الدفتين وما في صدورنا مسموعًا ومكتوبًا ومحفوظًا، وكل حرف منه كالباء والتاء كله كلام الله غير مخلوق، ومن قال مخلوق فهو كافر، عليه لعائن الله والناس أجمعين، وقد كان طائفة من أهل الحديث والمنتسبين إلى السنة تنازعوا في اللفظ بالقرآن، هل يقال إنه مخلوق، ولما حدث الكلام في ذلك أنكرت أئمة السنة كأحمد بن حنبل وغيره أن يقال: لفظي بالقرآن مخلوق أو غير مخلوق، وقالوا: من قال: إنه مخلوق فهو جهمي ومن قال أنه غير مخلوق فهو مبتدع، وأما صوت العبد فلم يتنازعوا أنه مخلوق؛ فان المبلغ لكلام غيره بلفظ صاحب الكلام إنما بلغ غيره، كما يقال: روى الحديث بلفظه، وإنما يبلغه بصوت نفسه لا بصوت صاحب الكلام» . مجموع الفتاوى: ٣٠٦/١٢.

أقوال ابن عبدالبر في ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾

عن أبي سعيد الخدري: «أنه سمع رجلًا يقرأ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ①﴾ يرددها، فلما أصبح غدًا إلى رسول الله ﷺ فذكر ذلك له، وكأن الرجل يتقالها؛ فقال له رسول الله ﷺ: والذي نفسي بيده إنها لتعدل ثلث القرآن»[١].

قال ابن عبدالبر[٢]: وقد ذكرنا من الأخبار المتواترة عن النبي عليه السلام في أن ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ①﴾ تعدل ثلث القرآن في باب ابن شهاب.... وقد ثبت عن النبي ﷺ ذلك، ونحن نقول بما ثبت عنه ولا نعدوه، ونَكِلُ ما جهلنا من معناه إليه ﷺ فبه علمنا ما علمنا، وهو المبين عن الله مراده، والقرآن عندنا مع هذا كله كلام الله وصفة من صفاته ليس بمخلوق، ولا ندري لما تعدل ثلث القرآن، والله يتفضل بما يشاء على عباده[٣].

---

(١) صحيح البخاري: ٤/١٩١٥/٤٧٢٦.

(٢) التمهيد: ١٩/٢٣١-٢٣٣.

(٣) قال ابن تيمية: «وأما السؤال عن معنى هذه المعادلة مع الاشتراك في كون الجميع كلام الله؛ فهذا السؤال يتضمن شيئين **أحدهما**: أن كلام الله هل بعضه أفضل من بعض أم لا؟» .
الثاني: ما معنى كون ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ①﴾ تعدل ثلث القرآن؟ وما سبب ذلك؟
فنقول: أما الأول؛ فهو مسألة كبيرة والناس متنازعون فيها نزاعًا منتشرًا؛ فطوائف يقولون: بعض كلام الله أفضل من بعض، كما نطقت به النصوص النبوية، حيث أخبر عن الفاتحة «أنه لم ينزل في الكتب الثلاثة مثلها»، وأخبر عن سورة الإخلاص «أنها تعدل ثلث القرآن» وعدلها لثلثه يمنع مساواتها لمقدارها في الحروف، و جعل آية الكرسي أعظم آية في القرآن كما ثبت ذلك في الصحيح أيضًا، وكما ثبت ذلك في صحيح مسلم أن النبي ﷺ قال لأبي بن كعب: «يا أبا المنذر، أتدري أي آية في كتاب الله معك أعظم؟ قال: قلت: الله ورسوله أعلم، قال: يا أبا المنذر، أتدري أي آية من كتاب الله أعظم؟ قال: فقلت: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ [سورة البقرة: آية (٢٥٥)]قال: فضرب في صدري، وقال: ليهنك العلم أبا المنذر» ورواه ابن أبي شيبة في مسنده بإسناد مسلم، وزاد فيه «و الذي نفسي بيده إن لهذه الآية لسانًا و شفتين، تقدس الملك عند ساق العرش» وروى «أنها سيدة آي القرآن» وقال فى المعوذتين: «لم ير مثلهن قط» و قد قال تعالى: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ﴾ [سورة البقرة: آية (١٠٦)]فأخبر أنه يأتي بخير منها أو مثلها، وهذا بيان من الله لكون تلك الآية قد يأتي بمثلها تارة أو خير منها أخرى؛ فدل ذلك على أن الآيات تتماثل تارة و تتفاضل أخرى، وأيضا فالتوراة والإنجيل والقرآن جميعها كلام الله، مع علم المسلمين بأن القرآن أفضل الكتب الثلاثة... وتفضيل أحد الكلامين بأحكام توجب تشريفه، يدل على أنه أفضل في

وقد قيل: إن ذلك الرجل مخصوص وحده بأنها تعدل ذلك له، وهذه دعوى لا برهان عليها.

وقيل: إنها لما تضمنت التوحيد والإخلاص كانت كذلك، فلو كان هذا الاعتلال وهذا المعنى صحيحًا لكانت كل آية تضمنت هذا المعنى يحكم لها بحكمها، وهذا ما لا يقدم العلماء عليه من القياس، وكلهم يأباه ويقف عند ما رواه.

حدثنا محمد بن خليفة قال: حدثنا محمد بن الحسين قال: حدثنا ابن الأعرابي قال: حدثنا عمر بن مدرك القاضي قال: حدثنا الهيثم بن خارجة قال: حدثنا الوليد بن مسلم قال: سألت الأوزاعي وسفيان الثوري، ومالك بن أنس، والليث بن سعد عن الأحاديث التي فيها الصفات فكلهم قال: امرروها كما جاءت بلا تفسير، وقال أحمد ابن حنبل: يسلم لها كما جاءت، فقد تلقاها العلماء بالقبول.

وأما قول الله ﷻ: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ﴾ [البقرة: ١٠٦] فمعناه بخير منها لنا لا في نفسها.

قال ابن عبدالبر: الكلام في صفة الباري كلام يستبشعه أهل السنة وقد سكت عنه الأئمة، فما أشكل علينا من مثل هذا الباب وشبهه أمررناه كما جاء، وآمنا به كما نصنع بمتشابه القرآن، ولم نناظر عليه؛ لأن المناظرة إنما تسوغ وتجوز فيما تحته عمل، ويصحبه قياس والقياس غير جائز في صفات الباري تعالى؛ لأنه ليس كمثله شيء، قال مصعب الزبيري: سمعت مالك بن أنس يقول: أدركت أهل هذا البلد ـ يعني: المدينة ـ وهم يكرهون المناظرة والجدال إلا فيما تحته عمل، يريد مالك رحمه الله الأحكام في

= نفسه، وإن كان ذلك ترجيحًا لأحد المتماثلين بلا مرجح، و هذا خلاف ما علم من سنة الرب تعالى في شرعه بل وفي خلقه، وخلاف ما تدل عليه الدلائل العقلية مع الشرعية... والقول بأن كلام الله بعضه أفضل من بعض هو القول المأثور عن السلف، وهو الذي عليه أئمة الفقهاء من الطوائف الأربعة وغيرهم، وكلام القائلين بذلك كثير منتشر في كتب كثيرة مثل ما سيأتي ذكره عن أبي العباس بن سريج في تفسيره لهذا الحديث بأن الله أنزل القرآن على ثلاثة أقسام: «ثلث منه أحكام، وثلث منه وعد ووعيد، وثلث منه الأسماء والصفات، وهذه السورة جمعت الأسماء والصفات» مجموع الفتاوى: ١٧/٩ - ١٤.

الصلاة والزكاة والطهارة والصيام والبيوع ونحو ذلك. ولا يجوز عنده الجدال فيما تعتقده الأفئدة مما لا عمل تحته أكثر من الاعتقاد. وفي مثل هذا خاصة نهي السلف عن الجدال، وتناظروا في الفقه وتقايسوا فيه، وقد أوضحنا هذا المعنى في كتاب بيان العلم، فمن أراده تأمله هناك وبالله التوفيق.

أخبرنا أحمد بن محمد وعبيد بن محمد قالا: حدثنا الحسن بن سلمة بن المعلي قال: حدثنا عبدالله بن الجارود قال: حدثنا إسحاق بن منصور قال: قلت لأحمد بن حنبل: حديث النبي ﷺ: «من قرأ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ①﴾ فكأنما قرأ ثلث القرآن» فلم يقم لي على أمر بين، قال: وقال لي إسحاق ابن راهويه: إنما معنى ذلك أن الله جعل لكلامه فضلًا على سائر الكلام، ثم فضل بعض كلامه على بعض، فجعل لبعضه ثوابًا أضعاف ما جعل لغيره من كلامه تحريضًا من النبي ﷺ أمته على تعليمه وكثرة قراءته، وليس معناه أن لو قرأ القرآن كله كانت قراءة ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ①﴾ تعدل ذلك إذا قرأها ثلاث مرات، لا ولو قرأها أكثر من مائتي مرة.

قال أبو عمر: من لم يجب في هذا أخلص ممن أجاب فيه والله أعلم.

الباب الثاني

أقوال ابن عبدالبر في الأحكام والإيمان ومتعلقات ذلك

- **الفصل الأول: القول في الأحكام.**
- **الفصل الثاني: القول في القضاء والقدر.**
- **الفصل الثالث: القول في الإيمان والإسلام.**

الفصل الأول

القول في الأحكام

- قول ابن عبدالبر في حكم من سب الله ورسوله ﷺ.
- أقوال ابن عبدالبر في حكم تارك الصلاة.
- أقوال ابن عبدالبر في حكم تكفير المسلم.
- أقوال ابن عبدالبر في كفارات الذنوب.
- أقوال ابن عبدالبر فيمن يحكم له بالجنة.
- أقوال ابن عبدالبر فيمن يصلى عليه.
- أقوال ابن عبدالبر في أطفال المسلمين.
- أقوال ابن عبدالبر في أحكام الجن.
- أقوال ابن عبدالبر في السحر.
- أقوال ابن عبدالبر في العين.
- أقوال ابن عبدالبر في حكم النشرة.

قول ابن عبدالبر في حكم من سب الله ورسوله

قال ابن عبدالبر[١]: وقد أجمع العلماء أن من سب الله ﷻ أو سب رسول الله ﷺ أو دفع شيئًا أنزله الله، أو قتل نبيًا من أنبياء الله، وهو مع ذلك مقر بما أنزل الله أنه كافر.

وقال أبو عمر في موضع آخر[٢]: أما قتل عبدالله بن خطل[٣] فلأن رسول الله ﷺ قد كان عهد فيه أن يقتل، وإن وجد متعلقا بأستار الكعبة؛ لأنه ارتد بعد إسلامه، وكفر بعد إيمانه وبعد قراءته القرآن، وقتل النفس التي حرم الله، ثم لحق بدار الكفر بمكة، واتخذ قينتين[٤] يغنيانه بهجاء النبي ﷺ فعهد فيه رسول الله ﷺ بما عهد في ستة نفر معه قد ذكرهم ابن إسحاق. وامرأتين... روى زيد بن الحباب، وإبراهيم بن علي الغزي القرشي عن مالك عن ابن شهاب الزهري عن أنس: **«أن ابن خطل كان يهجو رسول الله ﷺ بالشعر»**[٥].

وروى شبابة بن سوار عن مالك عن الزهري عن أنس قال: **«دخل رسول الله ﷺ مكة، ثم قال: من رأى منكم ابن خطل، فليقتله»**[٦].

قال ابن عبدالبر: وزعم بعض أصحابنا المتأخرين أن رسول الله ﷺ إنما قتل ابن خطل؛ لأنه كان يسبه ﷺ والذي ذكر ابن إسحاق في المغازي غير هذا مما نذكره بعد

---

(١) التمهيد: ٢٢٦/٤.
(٢) التمهيد: ١٦٥/٦- ١٦٨.
(٣) عبدالله بن خطل رجل من بني تيم بن غالب، وإنما أمر بقتله رسول الله ﷺ؛ لأنه كان مسلمًا، فبعثه رسول الله ﷺ مصدقًا، وبعث معه رجلًا من الأنصار، وكان معه مولى له يخدمه، وكان مسلمًا، فنزل منزلًا، وأمر المولى أن يذبح له تيسًا ويصنع له طعامًا، ونام فاستيقظ ولم يصنع له شيئًا، فعدا عليه فقتله، ثم ارتد مشركًا، وكانت له قينتان - فرتنى، وأخرى معها. وكانتا تغنيان بهجاء رسول الله ﷺ فأمر بقتلهما معه. تاريخ الطبري: ١٦٠/٢.
(٤) قال أبو عمرو: كل عبد عند العرب قَيْنٌ، والأمة قَيْنة، قال: وبعض الناس يظن القَيْنة المغنّية خاصّة، قال: وليس هو كذلك. لسان العرب: ٣٥٢/١٣.
(٥) ضعيف: ذكره ابن حجر في فتح الباري: ١٦/٨، و ضعفه في لسان الميزان: ٨٤/١، وفي ميزان الاعتدال: ١٧٣/١.
(٦) ذكره ابن حجر في الفتح: ١٦/٨.

عنه في هذا الباب إن شاء اللَّه، ولو كانت العلة في قتله ما ذكره هذا القائل ما ترك منهم من كان يسبه، وما أظن أحدًا منهم امتنع في حين كفره ومحاربته له من سبه، وجعل القائل هذا حجة لقتل الذمي إذا سب رسول اللَّه ﷺ وهذا لا يجوز عند أحد علمته من العلماء، أن يقيس الذمي على الحربي؛ لأن ابن خطل في دار حرب كان ولا ذمة له، وقد حكم اللَّه ﷻ في الحربي إذا قدر عليه بتخير الإمام فيه، إن شاء قتله، وإن شاء منَّ عليه، وإن شاء فدى به؛ فلهذا قتل رسول اللَّه ﷺ ابن خطل وغيره ممن أراد منهم قتله، على أن ابن خطل كان قد قتل رجلًا من الأنصار مسلمًا، ثم ارتد كذلك ذكر أهل السير، وهذا يبيح دمه عند الجميع.

وقد اختلف الفقهاء في الذي يسب رسول اللَّه ﷺ فقال مالك: من شتم النبي ﷺ من أهل الذمة قتل إلا أن يسلم، وقال أبو حنيفة، وأصحابه، والثوري: يعزر، ولا يقتل، وقال الليث: يقتل مكانه، وقال الشافعي: يؤخذ على من صولح من الكفار؛ فذكر أشياء منها، ومتى ذكر أحد منهم كتاب اللَّه، أو محمدًا ﷺ بما لا ينبغي، فقد أحل دمه.

قال الطحاوي: فهذا يدل على أنه إن لم يشترط ذلك عليه، فلا يستحل ماله، واحتج الطحاوي لقول أصحابه بما لا حجة فيه.

قال أبو عمر: والقول عندي في ذلك قول مالك، والليث، وقد روى عن ابن عمر أنه قيل له في راهب سب النبي ﷺ قال: لو سمعته لقتلته، ولا مخالف له من الصحابة علمته(١).

---

(١) قال ابن تيمية: «من سب النبي من مسلم أو كافر، فانه يجب قتله. هذا مذهب عامة أهل العلم. قال ابن المنذر: أجمع عوام أهل العلم على أن حد من سب النبي ﷺ القتل، وممن قاله مالك، والليث، وأحمد، وإسحاق، وهو مذهب الشافعي. قال: وحكي عن النعمان لا يقتل (يعني الذمي) ما هم عليه من الشرك أعظم، وقد حكى أبو بكر الفارسي، من أصحاب الشافعي إجماع المسلمين على أن حد من يسب النبي ﷺ القتل، كما أن حد من سب غيره الجلد، وهذا الإجماع الذي حكاه هذا محمول على إجماع الصدر الأول من الصحابة، والتابعين، أو أنه أراد به إجماعهم على =

أقوال ابن عبدالبر في حكم تارك الصلاة

عن رجل من بني الديل يقال له: بسر بن محجن عن أبيه محجن أنه كان في مجلس مع رسول الله ﷺ فأذن بالصلاة؛ فقام رسول الله ﷺ فصلى ثم رجع، ومحجن في

= أن ساب النبي ﷺ يجب قتله إذا كان مسلمًا، وكذلك قيده القاضي عياض، فقال: أجمعت الأمة على قتل منتقصه من المسلمين، وسابه، وكذلك حكي عن غير واحد الإجماع على قتله وتكفيره. وقال الإمام إسحاق بن راهويه (احد الأئمة الأعلام): أجمع المسلمون على أن من سب الله، أو سب رسوله أو دفع شيئًا مما أنزل الله ﷻ أو قتل نبيًا من أنبياء الله ﷻ أنه كافر بذلك وان كان مقرًا بكل ما انزل الله. وقال الخطابي: لا أعلم أحدًا من المسلمين اختلف في وجوب قتله. وقال محمد بن سحنون: أجمع العلماء على أن شاتم النبي ﷺ المتنقص له كافر، والوعيد جار عليه بعذاب الله له، وحكمه عند الأمة القتل، ومن شك في كفره وعذابه كفر. وتحرير القول فيها: أن الساب إن كان مسلمًا، فإنه يكفر، ويقتل بغير خلاف، وهو مذهب الأئمة الأربعة، وغيرهم، وقد تقدم ممن حكى الإجماع على ذلك من الأئمة مثل إسحاق بن راهويه وغيره، وان كان ذميًا، فإنه يقتل أيضًا في مذهب مالك، وأهل المدينة، وسيأتي حكاية ألفاظهم، وهو مذهب احمد، وفقهاء الحديث، وقد نص أحمد على ذلك في مواضع متعددة، قال حنبل: سمعت أبا عبدالله يقول: كل من شتم النبي أو تنقصه مسلمًا كان أو كافرًا فعليه القتل، وأرى أن يقتل ولا يستتاب. قال: وسمعت أبا عبدالله يقول: كل من نقض العهد وأحدث في الإسلام حدثًا مثل هذا رأيت عليه القتل، ليس على هذا أعطوه العهد والذمة، وكذلك قال أبو الصقر: سألت أبا عبدالله عن رجل من أهل الذمة شتم النبي، ماذا عليه؟ قال: إذا قامت عليه البينة يقتل، من شتم النبي ﷺ مسلمًا كان أو كافرًا رواهما الخلال....» الصارم المسلول على شاتم الرسول: ٢/١٣-١٧.

وقال ابن قيم الجوزية: «وفيها تعيين قتل الساب لرسول الله، وأن قتله حد لا بد من استيفائه، فإن النبي ﷺ لم يؤمن مقيس بن صبابة، وابن خطل، والجاريتين اللتين كانتا تغنيان بهجائه، مع أن نساء أهل الحرب لا يقتلن كما لا تقتل الذرية، وقد أمر بقتل هاتين الجاريتين، وأهدر دم أم ولد الأعمى، لما قتلها سيدها؛ لأجل سبها النبي، وقتل كعب بن الأشرف اليهودي، وقال: من لكعب فإنه قد آذى الله ورسوله، وكان يسبه، وهذا إجماع من الخلفاء الراشدين، ولا يعلم لهم في الصحابة مخالف، فإن الصديق - ﷺ قال لأبي برزة الأسلمي (وقد هم بقتل من سبه): لم يكن هذا لأحد غير رسول الله ﷺ، ومر عمر ﷺ براهب، فقيل له: هذا يسب رسول الله؛ فقال: لو سمعته لقتلته، إنا لم نعطهم الذمة على أن يسبوا نبينا. ولا ريب أن المحاربة بسب نبينا أعظم أذية ونكاية لنا من المحاربة باليد ومنع دينار جزية في السنة، فكيف ينقض عهده، ويقتل بذلك دون السب، وأي نسبة لمفسدة منعه دينارًا في السنة إلى مفسدة منع مجاهرته بسب نبينا، أقبح من سب على رؤوس الأشهاد؟! بل لا نسبة لمفسدة محاربته باليد إلى مفسدة محاربته بالسب، فأولى ما انتقض به عهده، وأمانه سب رسول الله ﷺ، ولا ينتقض عهده بشيء أعظم منه إلا سبه الخالق سبحانه، فهذا محض القياس، ومقتضى النصوص، وإجماع الخلفاء الراشدين - رضي الله عنهم - وعلى هذه المسألة أكثر من أربعين دليلًا» زاد المعاد: ٣/٤٣٩-٤٤٠.

مجلسه؛ فقال له رسول الله ﷺ: **«ما منعك أن تصلي مع الناس؟ ألست برجل مسلم؟** قال: بلى، يا رسول الله، ولكني قد صليت في أهلي؛ فقال له رسول الله ﷺ: إذا جئت فصل مع الناس، وإن كنت قد صليت»[1].

قال أبو عمر[2]: في هذا الحديث وجوه من الفقه: أحدها قوله ﷺ لمحجن الديلي: **«ما منعك أن تصلي مع الناس؟ ألست برجل مسلم؟»** وفي هذا ـ والله أعلم ـ دليل على أن من لا يصلي ليس بمسلم، وإن كان موحدًا، وهذا موضع اختلاف بين أهل العلم، وتقرير هذا الخطاب في هذا الحديث أن أحدًا لا يكون مسلمًا إلا أن يصلي؛ فمن لم يصل فليس بمسلم، وفيه أن من أقر بالصلاة بعملها وإقامتها أنه يوكل إلى ذلك، إذا قال إني أصلي؛ لأن محجنًا قال لرسول الله ﷺ: **«قد صليت في أهلي»** فقبل منه، ولا حجة في هذا الحديث لمن قال: إن الإقرار بالصلاة دون إقامتها يحقن الدم؛ لأنه لم يقل إني مؤمن بالصلاة مقر بها غير أني لا أصلي، بل قال له: قد صليت والظاهر أنه لم ينجه إلا قوله لرسول الله ﷺ: **«قد صليت في أهلي»** واختلف العلماء في حكم تارك الصلاة عامدًا وهو على فعلها قادر، فروى عن علي بن أبي طالب، وابن عباس، وجابر، وأبي الدرداء تكفير تارك الصلاة، قالوا: من لم يصل فهو كفار، وعن عمر بن الخطاب أنه قال: **«لاحظ في الإسلام لمن ترك الصلاة»**[3] وعن ابن مسعود: **«من لم يصل فلا دين له»**[4] وقال إبراهيم النخعي، والحكم بن عتيبة، وأيوب السختياني، وابن المبارك،

---

(١) صحيح: صحيح ابن حبان: ٦/١٦٤/٢٤٠٥، سنن البيهقي الكبرى: ٢/٣٠٠/٣٤٥٤، سنن النسائي الكبرى: ١/٢٩٩/٩٣٠، موطأ مالك: ١/١٣٢/٢٩٦، مسند الربيع: ١/٩٤/٢١٩، مسند الشافعي: ١/٢١٤، المستدرك على الصحيحين: ١/٣٧١/٨٩٠.

(٢) التمهيد: ٤/٢٢٤ـ ٤/٢٤٣.

(٣) صحيح: سنن البيهقي الكبرى: ١/٣٥٧/١٥٥٩، وسنن الدراقطني: ٢/٥٢، مالك في الموطأ: ١/ ٨٢/٣٩، مصنف ابن أبي شيبة: ٦/١٦٤/ ٣٠٣٦١، مصنف عبدالرزاق: ١/١٥٠/٥٧٩، وأخرجه ابن حبان في الثقات: ٢/٢٣٨.

(٤) ضعيف: مصنف ابن أبي شيبة: ٢/٥٩/٧٦٣٧، سنن البيهقي الكبرى: ٣/٣٦٦/٦٢٩١، شعب الإيمان: ١/٧٢/٤٣، الطبراني في المعجم الكبير: ٩/١٩١/٨٩٤١، وضعفه الهيثمي في مجمع الزوائد: ١/٢٩٥، وقال: «رواه الطبراني في الكبير وفيه أبو نعيم ضرار ين صرد وهو ضعيف».

وأحمد بن حنبل، وإسحاق ابن راهويه: من ترك صلاة واحدة متعمدًا حتى يخرج وقتها لغير عذر، وأبى من قضائها وأدائها، وقال: لا أصلي، فهو كافر، ودمه وماله حلال، ولا يرثه ورثته من المسلمين، ويستتاب، فإن تاب وإلا قتل، وحكم ماله ما وصفنا كحكم مال المرتد، وبهذا قال أبو داود الطيالسي، وأبو خيثمة، وأبو بكر بن أبي شيبة، وقال إسحاق بن راهوية: وكذلك كان رأي أهل العلم من لدن النبي ﷺ إلى زماننا هذا أن تارك الصلاة عمدا من غير عذر حتى يذهب وقتها كافر، إذا أبى من قضائها، وقال: لا أصليها، قال إسحاق: وذهاب الوقت أن يؤخر الظهر إلى غروب الشمس، والمغرب إلى طلوع الفجر، قال: وقد أجمع العلماء أن من سب الله ﷻ أو سب رسول الله ﷺ أو دفع شيئًا أنزله الله، أو قتل نبيًا من أنبياء الله، وهو مع ذلك مقر بما أنزل الله، أنه كافر؛ فكذلك تارك الصلاة حتى يخرج وقتها عامدًا قال: ولقد أجمعوا في الصلاة على شيء لم يجمعوا عليه في سائر الشرائع؛ لأنهم بأجمعهم قالوا: من عرف بالكفر ثم رأوه يصلي الصلاة في وقتها حتى صلى صلوات كثيرة في وقتها، ولم يعلموا منه إقرارًا باللسان، أنه يحكم له بالإيمان، ولم يحكموا له في الصوم والزكاة والحج بمثل ذلك، قال إسحاق: فمن لم يجعل تارك الصلاة كافرًا فقد ناقض وخالف أصل قوله وقول غيره، قال: ولقد كفر إبليس إذ لم يسجد السجدة التي أمر بسجودها، قال: وكذلك تارك الصلاة عمدًا حتى يذهب وقتها كافر إذا أبى من قضائها، وقال أحمد بن حنبل: لا يكفر أحد بذنب إلا تارك الصلاة عمدًا ثم ذكر استتابته وقتله، وحجة من قال بهذا القول ما روى من الآثار عن النبي ﷺ في تكفير تارك الصلاة منها حديث جابر عن النبي ﷺ أنه قال: «**ليس بين العبد وبين الكفر**، أو قال: بين الشرك **إلا ترك الصلاة**»(١) وحديث بريدة عن النبي ﷺ أنه قال: «**العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة؛ فمن تركها فقد كفر**»(٢) وقوله ﷺ: «**من ترك صلاة العصر، يعني متعمدًا فقد حبط**

(١) صحيح مسلم: ١/٨٨/٨٢.
(٢) صحيح: سنن الترمذي: ٥/١٣/٢٦٢١، سنن ابن ماجه: ١/٣٤٢/١٠٧٩، سنن البيهقي الكبرى: ٣/٣٦٦/٦٢٩١، صحيح ابن حبان: ٤/٣٠٥/١٤٥٤، المستدرك: ١/٤٨/١١، وصححه =

عمله»[١] هذا كله مما احتج به إسحاق بن راهويه في هذه المسألة؛ لقوله المذكور، واحتج أيضًا بأن رسول الله ﷺ كان إذا غزا قومًا لم يغر عليهم حتى يصبح؛ فإذا أصبح كان إذا سمع أذانًا أمسك وإذا لم يسمع أذانا أغار ووضع السيف، واحتج أيضًا بقول الله ﷻ: ﴿أَضَاعُوا الصَّلَوٰةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَٰتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾ [مريم: ٥٩] وبقوله ﷻ: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَوٰةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الروم: ٣١] وبقوله ﷻ: ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَأَقَامُوا الصَّلَوٰةَ﴾ [فاطر: ١٨] وبقوله ﷻ: ﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَوٰةَ﴾ [المائدة: ٥٥] ﴿وَأَقَامُوا الصَّلَوٰةَ﴾[البقرة: ٢٧٧] وبآيات نحو هذا كثيرة وآثار واحتج غيره ممن ذهب مذهبه في هذه المسألة بحديث أبي هريرة قال: من ترك الصلاة حشر مع قارون وفرعون وهامان، وبحديث أنس عن النبي ﷺ: **«من صلى صلاتنا واستقبل قبلتنا فذلك المسلم»**[٢] قالوا: هذا دليل على أن من لم يصل صلاتنا، ولم يستقبل قبلتنا فليس بمسلم، وبما رواه شهر بن حوشب عن أم الدرداء عن أبي الدرداء قال: أوصاني خليلي أبو القاسم ﷺ بسبع: **«لا تشرك بالله شيئًا وإن قطعت، وإن حرقت، ولا تترك صلاة مكتوبةً متعمدًا؛ فمن تركها فقد برئت منه الذمة ولا تشرب الخمر، فإنها مفتاح كل شر، وأطع والديك وإن أمراك أن تخرج لهما من دنياك فافعل، ولا تنازع الأمر أهله، وإن رأيت أنك أنت، ولا تفر من الزحف فإن فيه الهلكة، وأنفق على أهلك من طولك، وأخفهم في الله، ولا ترفع عصاك عنهم»**[٣] وبما روي عن الصحابة الذين قدمنا

= الألباني في سنن الترمذي: ح (٢٦٢١)، وسنن ابن ماجه: ح (١٠٧٩) .

(١) صحيح البخاري: ٥٢٨/٢٠٣/١.

(٢) صحيح البخاري: ٣٨٤/١٥٣/١.

(٣) حسن: رواه ابن ماجه: ٤٠٣٤/١٣٣٩/٢، وأخرجه الحاكم في المستدرك من طريق ميمونة: ٤/ ٦٨٣٠/٤٤، وضعفه ابن حجر في تلخيص الحبير: ٨٠٩/١٤٨/٢، وقال: «وفي إسناده ضعف، ورواه الحاكم في المستدرك من طريق جبير بن نفير عن أميمة مولاة رسول الله ﷺ قالت: بينا رسول الله ﷺ جالسًا إذ دخل عليه رجل؛ فقال: إني أريد الرجوع إلى أهلي؛ فأوصني فذكر نحوه مطولًا، ورواه أحمد والبيهقي من حديث مكحول عن أم أيمن، وفيه انقطاع، وفي مسند عبد بن حميد أن الموصي بذلك ثوبان، ورواه الطبراني من حديث عبادة بن الصامت، ومن حديث معاذ ابن جبل، وإسناداهما ضعيفان»، مجمع الزوائد للهيثمي: ٢١٦/٤، قال: قلت: روى ابن ماجه منه =

الذكر عنهم بذلك.

وجدت في كتاب أبي رَحِمَهُ اللَّهُ بخطه أن أحمد بن سعيد بن حزم حدثهم قال: حدثنا محمد بن محمد بن بدر الباهلي قال: حدثنا أبو شريح محمد بن زكرياء كاتب العمري قال: حدثنا الفريابي قال: حدثنا سفيان عن أبي الزبير عن جابر عبدالله قال: قال رسول الله ﷺ: «**بين العبد وبين الكفر ترك الصلاة**» ورواه ابن جريج عن أبي الزبير عن جابر عن النبي ﷺ مثله، حدثنا عبدالله ابن محمد قال: حدثنا حمزة بن محمد قال: حدثنا أحمد بن شعيب قال: حدثنا أحمد بن حرب قال: حدثنا محمد بن ربيعة عن ابن جريج فذكره، وأخبرنا محمد بن إبراهيم قال: حدثنا محمد بن معاوية قال: حدثنا أحمد بن شعيب قال: أخبرنا الحسين بن حريث قال: حدثنا الفضل بن موسى عن الحسين بن واقد عن عبدالله بن بريدة عن أبيه قال: قال ﷺ: «**إن العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة؛ فمن تركها فقد كفر**» وذكر إسماعيل بن إسحاق قال: حدثنا محمد بن أبي بكر قال: حدثنا يزيد بن زريع قال: حدثنا المسعودي قال: أنبأني الحسن بن سعد عن عبدالرحمن بن عبدالله قال: قيل لعبدالله: إن الله يكثر ذكر الصلاة في القرآن ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [المعارج: ٢٣] ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾﴾ [المؤمنون: ٩] فقال عبدالله: على مواقيتها؛ فقال: ما كنا نرى إلا أن تترك؛ فقال عبدالله: تركها الكفر.

وفي هذه المسألة قول ثان، قال الشافعي: يقول الإمام لتارك الصلاة: صل؛ فإن قال: لا أصلي سئل؛ فإن ذكر علة تحبسه، أمر بالصلاة على قدر طاقته؛ فإن أبي من الصلاة حتى يخرج وقتها قتله الإمام، وإنما يستتاب ما دام وقت الصلاة قائمًا يستتاب في أدائها وإقامتها؛ فإن أبى قتل وورثه ورثته، وهذا قول أصحاب مالك ومذهبهم، وبعضهم يرويه عن مالك، وروى محمد بن علي البجلي قال: حدثنا يونس بن عبدالأعلى قال:

= «لا تشرب الخمر؛ فإنها مفتاح كل شر» فقط، وقد علم الشيخ جمال الدين المزي عليه علامة ابن ماجه، ولعله قلد فيه ابن عساكر - والله أعلم - رواه الطبراني، وفيه شهر بن حوشب، وحديثه حسن، وبقية رجاله ثقات، وحسنه الألباني في سنن ابن ماجه: ح (٤٠٣٤).

سمعت ابن وهب يقول: قال مالك: من آمن بالله، وصدق المرسلين، وأبى أن يصلي قتل، وبه قال أبو ثور، وجميع أصحاب الشافعي، وهو قول مكحول، وحماد بن زيد، ووكيع ومن حجة من ذهب هذا المذهب أن أبا بكر الصديق ﷺ استحل دماء مانعي الزكاة، وقال: والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة؛ فقاتلهم على ذلك في جمهور الصحابة، وأراق دماءهم لمنعهم الزكاة وإبايتهم من أدائها؛ فمن امتنع من الصلاة، وأبى من إقامتها كان أحرى بذلك ألا ترى أن أبا بكر شبه الزكاة بالصلاة؟ ومعلوم أنهم كانوا مقرين بالإسلام والشهادة، يوضح لك ذلك قول عمر لأبي بكر كيف تقاتلهم، وقد قال رسول الله ﷺ: «**أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها، وحسابهم على الله؛ فقال أبو بكر: هذا من حقها والله لو منعوني عناقا أو عقالا مما كانوا يعطون رسول الله ﷺ لقاتلتهم على ذلك**»[1] ولو كفر القوم لقال أبو بكر: قد تركوا لا إله إلا الله، وصاروا مشركين، وقد قالوا لأبي بكر بعد الإسار: ما كفرنا بعد إيماننا، ولكن شححنا على أموالنا وذلك بين في شعرهم، قال شاعرهم:

ألا فأصبحينا قبل نائرة الفجر   لعل منايانا قريب وما ندري
أطعنا رسول الله ما كان بيننا   فيا عجبا ما بال ملك أبي بكر
فإن الذي سألوكم فمنعتم   لكالتمر أو أشهى إليهم من التمر

فرأى أبو بكر في عامة الصحابة ومعه عمر قتالهم، وبعث خالد بن الوليد وغيره إلى قتال من ارتد، هذا كله احتج به الشافعي رَحِمَهُ اللهُ وقال: ففي هذا دلالة على أن من امتنع مما افترض الله عليه كان على الإمام أخذه به وقتاله عليه، وإن أتى ذلك على نفسه، وأما توريث ورثتهم أموالهم؛ فلأن عمر بن الخطاب لما ولي رد على ورثة مانعي الزكاة كل ما وجد من أموالهم بأيدي الناس، وقد كان أبو بكر سباهم كما سبى أهل

---

(١) صحيح البخاري: ٢٦٨٢/٦، (٨ باب قول الله تعالى: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ﴾.

الردة؛ فخالفه في ذلك عمر لصلاتهم وتوحيدهم، ورد إلى ورثتهم أموالهم في جماعة الصحابة، ولم ينكر ذلك عليه أحد، وقال أهل السير: إن عمر لما ولي أرسل إلى النسوة اللاتي كان المسلمون حازوهن؛ فخيرهن أن يمكثن عند من هن عنده بتزويج وصداق أو يرجعن إلى أهليهن بالفداء؛ فاخترن أن يمكثن عند من كن عنده؛ فمكثن عندهم بتزويج وصداق، قال: وكان الصداق الذي جعل لمن اختار أهله عشر أواق لكل امرأة؛ والأوقية أربعون درهمًا؛ فاحتج الشافعي بفعل عمر هذا في جماعة الصحابة أيضًا من غير نكير، وروى سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن محمد بن طلحة بن يزيد قال: قال عمر بن الخطاب: لأن أكون سألت رسول اللّٰه ﷺ عن ثلاث أحب إلي من حمر النعم، الخليفة بعده، وعن قوم أقروا بالزكاة ولم يؤدوها أيحل لنا قتالهم، وعن الكلالة.

وروى حماد بن زيد عن عمرو بن مالك النكري عن أبي الجوزاء عن ابن عباس قال: قواعد الدين ثلاثة شهادة أن لا إله إلا اللّٰه، والصلاة، وصوم رمضان ثم قال ابن عباس: تجده كثير المال ولا يزكي فلا يقال لذلك كافر، ولا يحل دمه وقد ذكرنا هذا الحديث؛ فإسناده في كتاب الزكاة من كتاب الاستذكار، ومن حجته أيضًا ما حدثناه عبداللّٰه بن محمد بن عبدالمؤمن قال: حدثنا أحمد بن جعفر بن حمدان قال: حدثنا عبداللّٰه بن أحمد بن حنبل قال: حدثني أبي قال: حدثنا يزيد بن هارون قال: أخبرنا هشام بن حسان عن الحسن عن ضبة بن محصن عن أم سلمة قالت: قال رسول اللّٰه ﷺ: **«إنه سيكون أمراء تعرفون وتنكرون؛ فمن أنكر فقد برئ ومن كره فقد سلم، ولكن من رضي وتابع، قالوا: يا رسول اللّٰه، ألا نقاتلهم؟ قال: لا، ما صلوا الخمس»**(١) وفيه دليل على أنهم إن لم يصلوا الخمس قوتلوا، ومن حجتهم أيضًا قوله ﷺ: **«نهيت عن قتل المصلين»**(٢).

---

(١) صحيح مسلم: ٣/١٤٨٠/١٨٥٤.

(٢) صحيح: سنن أبي داود: ٤/٢٨٢/٤٩٢٨، سنن البيهقي الكبرى: ٨/٢٢٤/١٦٧٦٤، السنن الصغرى للبيهقي (نسخة الأعظمي): ٧/٢٤١/٣٢٨٧، سنن الدارقطني: ٢/٥٤، مسند البزار: =

وفي ذلك دليل على أن من لم يصل لم ينه عن قتله ـ والله أعلم ـ ألا ترى إلى قوله ﷺ لأصحابه الذين شاوروه في قتل مالك بن الدخشم: «أليس يصلي؟ قالوا: بلى، ولا صلاة له»[(١)] فنهاهم عن قتله لصلاته إذ قالوا له: «بلى، إنه يصلي»، ولو قالوا: إنه لا يصلي ما نهاهم عن قتله ـ والله أعلم ـ ولم يحتج عليهم في المنع من قتله إلا بالشهادة والصلاة؛ لأنه قال لهم: «أليس يشهد أن لا إله إلا الله؟ قالوا: بلى، ولا شهادة له؛ فقال: أليس يصلي؟ قالوا: بلى، ولا صلاة له؛ قال: أولئك الذين نهاني الله عن قتلهم» وقد قال في غير ذلك الحديث: «نهيت عن قتل المصلين» واعتلوا في دفع الآثار المروية في تكفير تارك الصلاة بأن قالوا: معناها من ترك الصلاة جاحدًا لها معاندًا مستكبرًا غير مقر بفرضها، قالوا: ويلزم من كفرهم بتلك الآثار وقبلها على ظاهرها فيهم أن يكفر القاتل، والشاتم للمسلم، وأن يكفر الزاني وشارب الخمر والسارق والمنتهب، ومن رغب عن نسب أبيه؛ فقد صح عنه ﷺ أنه قال: «سباب المسلم فسوق، وقتاله كفر»[(٢)] وقال: «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن، ولا ينتهب نهبة ذات شرف يرفع الناس إليه فيها أبصارهم حين ينتهبها وهو مؤمن»[(٣)] وقال: «لا ترغبوا عن آبائكم؛ فإنه كفر بكم أن ترغبوا عن آبائكم»[(٤)] وقال: «لا ترجعوا بعدي كفارًا يضرب بعضكم رقاب بعض»[(٥)] إلى آثار مثل هذه لا يخرج بها العلماء المؤمن من الإسلام، وإن كان من بفعل ذلك فاسقًا عندهم، فغير نكير أن تكون الآثار في تارك الصلاة كذلك، قالوا: ومعنى قوله «سباب المسلم فسوق،

= ١/١٠٠/٣٩، وصححه الألباني في سنن أبي داود: ح (٤٩٢٨) .

(١) سنن البيهقي الكبرى: ٦٢٩٤/٣٦٧/٣، مسند الشافعي: ٣٢٠/١، مصنف عبدالرزاق: ١٠/ ١٨٦٨٨/١٦٣، موطأ مالك: ١/ ٤١٣/١٧١، مسند أحمد بن حنبل: ٢٣٧٢٠/٤٣٢/٥، مسند عبد بن حميد: ٤٩/١٧٧/١.

(٢) صحيح البخاري: ٤٨/٢٧/١، صحيح مسلم: ٦٤/٨١/١.

(٣) صحيح البخاري: ٥٢٥٦/٢١٢٠/٥، صحيح مسلم: ٥٧/٧٦/١.

(٤) صحيح البخاري: ٦٣٨٦/٢٤٨٥/٦، صحيح مسلم: ٦٢/٨٠/١.

(٥) صحيح البخاري: ١٢١/٥٦/١، صحيح مسلم: ١/٨١/ ٦٥.

وقتاله كفر»: أنه ليس بكفر يخرج عن الملة، وكذلك كل ما ورد من تكفير من ذكرنا ممن يضرب بعضهم رقاب بعض ونحو ذلك، وقد جاء عن ابن عباس وهو أحد الذين روى عنهم تكفير تارك الصلاة أنه قال في حكم الحاكم الجائر: كفر دون كفر. حدثني محمد بن إبراهيم قال: حدثنا أحمد بن مطرف قال: حدثنا سعيد بن عثمان قال: حدثنا إسحاق بن إسماعيل قال: حدثنا سفيان بن عيينة عن هشام بن حجير عن طاوس قال: قال ابن عباس: ليس بالكفر الذي تذهبون إليه، إنه ليس بكفر ينقل عن الملة ثم قرأ ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤].

واحتجوا أيضًا بقول عبدالله بن عمر: لا يبلغ المرء حقيقة الكفر حتى يدعو مثنى مثنى.

وقالوا: يحتمل قوله ﷺ: «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن» يريد مستكمل الإيمان؛ لأن الإيمان يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية، وكذلك السارق وشارب الخمر ومن ذكر معهم، وعلى نحو ذلك تأولوا قول عمر بن الخطاب: «لا حظ في الإسلام لمن ترك الصلاة» قالوا: أراد أنه لا كبير حظ له، ولا حظًا كاملًا له في الإسلام، ومثله قول ابن مسعود وما أشبهه، وجعلوه كقوله: «لا صلاة لجار المسجد إلا في المسجد» أي: إنه ليس له صلاة كاملة، ومثله الحديث: «ليس المسكين بالطواف عليكم»[1] يريد ليس هو المسكين حقًا؛ لأن هناك من هو أشد مسكنة منه، وهو الذي لا يسأل، ونحو هذا مما اعتلوا به، وقد رأى مالك استتابة الإباضية[2] والقدرية؛ فإن تابوا وإلا قتلوا، ذكر ذلك

(١) صحيح البخاري: ١٤٠٩/٥٣٨/٢، صحيح مسلم: ١٠٣٩/٧١٩/٢.

(٢) الإباضية: «أصحاب عبدالله بن إباض، الذي خرج في أيام مروان بن محمد؛ فوجه إليه عبدالله بن محمد بن عطية، فقاتله بتبالة، وقيل: إن عبدالله بن يحيى الإباضي كان رفيقًا في جميع أحواله وأقواله، قال: إن مخالفينا من أهل القبلة كفار غير مشركين، ومناكحتهم جائزة، وموارثتهم حلال، وغنيمة أموالهم من السلاح والكراع عند الحرب حلال، وما سواه حرام، وحرام قتلهم وسبيهم في السر غيلة إلا بعد نصب القتال وإقامة الحجة، وقالوا: إن دار مخالفيهم من أهل الإسلام دار توحيد إلا معسكر السلطان؛ فإنه دار بغي وأجازوا شهادة مخالفيهم على أوليائهم؛ وقالوا في مرتكبي الكبائر: إنهم موحدون لا مؤمنون. وحكى الكعبي عنهم: إن الاستطاعة عرض من الأعراض، وهي قبل الفعل بها يحصل الفعل، وأفعال العباد مخلوقة لله تعالى إحداثًا وإبداعًا، ومكتسبة للعبد حقيقة =

إسماعيل القاضي عن أبي ثابت عن ابن القاسم، وقال: قلت لأبي ثابت: هذا رأى مالك في هؤلاء حسب؟ قال: بل في كل أهل البدع، قال القاضي: وإنما رأى مالك ذلك فيهم لإفسادهم في الأرض، وهم أعظم إفسادًا من المحاربين؛ لأن إفساد الدين أعظم من إفساد المال، لا أنهم كفار.

قال أبو عمر: فهذا مالك يريق دماء هؤلاء، وليسوا عنده كفارًا؛ فكذلك تارك الصلاة عنده من هذا الباب قتله لا من جهة الكفر، ومما يدل على أن تارك الصلاة ليس بكافر كفرًا ينقل عن الإسلام إذا كان مؤمنًا بها معتقدًا لها حديث ابن مسعود عن النبي ﷺ قال: **«أمر بعبد من عباد الله أن يضرب في قبره مائة جلده؛ فلم يزل يسأل الله ويدعوه حتى صارت جلدة واحدة؛ فامتلأ قبره نارًا؛ فلما أفاق قال: علام جلدتموني؟ قالوا: إنك صليت صلاة بغير طهور، ومررت على مظلوم فلم تنصره»**(١) قال الطحاوي: في هذا الحديث ما يدل على أن تارك الصلاة ليس بكافر؛ لأن من صلى صلاة بغير طهور فلم يصل، وقد أجيبت دعوته، ولو كان كافرًا ما أجيبت له دعوة؛ لأن الله تبارك وتعالى يقول: ﴿وَمَا دُعَآءُ ٱلْكَـٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَـٰلٍ﴾ [الرعد: ١٤] وقد ذكرنا إسناد حديث ابن مسعود هذا في باب يحيى بن سعيد عند قوله ﷺ: **«خمس صلوات كتبهن الله على العباد، ثم قال: ومن لم يأت بهن؛ فليس له عند الله عهد إن شاء عذبه، وإن شاء غفر**

= لا مجازًا، ولا يسمون إمامهم أمير المؤمنين، ولا أنفسهم مهاجرين، وقالوا: العالم يفنى كله إذا فني أهل التكليف، قال: وأجمعوا على أن من ارتكب كبيرة من الكبائر كفر كفر النعمة لا كفر الملة، وتوقفوا في أطفال المشركين، وجوزوا تعذيبهم على سبيل الانتقام، وأجازوا أن يدخلوا الجنة تفضلًا، وحكى الكعبي عنهم أنهم قالوا بطاعة لا يراد بها الله تعالى كما قال أبو الهذيل، ثم اختلفوا في النفاق، أيسمى شركًا أم لا؟ قالوا: إن المنافقين في عهد رسول الله ﷺ كانوا موحدين، إلا أنهم ارتكبوا الكبائر، فكفروا بالكبيرة لا بالشرك، وقالوا: كل شيء أمر الله تعالى به فهو عام ليس بخاص، وقد أمر به المؤمن والكافر، وليس في القرآن خصوص، وقالوا: لا يخلق الله تعالى شيئًا إلا دليلًا على وحدانيته، ولا بد أن يدل به واحدًا، و قال قوم منهم: يجوز أن يخلق الله تعالى رسولًا بلا دليل، ويكلف العباد بما أوحى إليه، ولا يجب عليه إظهار المعجزة، ولا يجب على الله تعالى ذلك إلى أن يخلق دليلًا ويظهر معجزة، وهم جماعة متفرقون في مذاهبهم تفرق الثعالبة والعجاردة» . الملل والنحل: للشهرستاني: ١/ ١٣٤-١٣٥.

(١) مصنف عبدالرزاق: ٣/٥٨٨/٦٧٥٢.

له»[(١)] ومما يدل على أن الكفر منه مالا ينقل عن الإسلام قوله ﷺ: **«يكفرن العشير، ويكفرن الإحسان»**[(٢)].

وكافر النعمة يسمى كافرًا، وأصل الكفر في اللغة: الستر، ومنه قيل لليل: كافر؛ لأنه يستر.

قال لبيد في ليلة: كفر النجوم غمامها. أي: سترها.

وفي هذه المسألة قول ثالث قاله ابن شهاب، رواه شعيب بن أبي حمزة عنه قال: إذا ترك الرجل الصلاة فإن كان إنما تركها لأنه ابتدع دينًا غير الإسلام قتل، وإن كان إنما هو فاسق فإنه يضرب ضربًا مبرحًا ويسجن حتى يرجع، قال: والذي يفطر في رمضان كذلك، قال أبو جعفر الطحاوي: وهو قولنا، واليه يذهب جماعة من سلف الأمة من أهل الحجاز والعراق.

قال أبو عمر: بهذا يقول داود بن علي، وهو قول أبي حنيفة في تارك الصلاة أنه يسجن ويضرب ولا يقتل، وابن شهاب القائل ما ذكرنا هو القائل أيضًا في قول النبي ﷺ: **«أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، كان ذلك في أول الإسلام ثم نزلت الفرائض بعد»**، وقوله هذا يدل على أن الإيمان عنده قول وعمل - والله أعلم - وهو قول الطائفتين اللتين ذكرنا قولهم قبل قول ابن شهاب، كلهم يقولون الإيمان قول وعمل، وقد اختلفوا في تارك الصلاة كما علمت، واحتج من ذهب هذا المذهب - أعني مذهب ابن شهاب - في أنه يضرب ويسجن ولا يقتل بقول رسول الله ﷺ: **«أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله؛ فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها»**[(٣)] قالوا: وحقها الثلاث التي قال النبي ﷺ: **«لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث: كفر بعد إيمان، أو زنى بعد إحصان، أو قتل نفس بغير نفس»**[(٤)] قالوا: والكافر

(١) سبق تخريجه.
(٢) صحيح البخاري: ١/١٩/٢٩.
(٣) صحيح: البخاري: ٢/٥٠٧/١٣٣٥، صحيح مسلم: ١/٥١/٢٠.
(٤) صحيح مسلم: ٣/١٣٠٢/١٦٧٦.

جاحد، وتارك الصلاة المقر بالإسلام ليس بجاحد ولا كافر، وليس بمستكبر ولا معاند، وإنما يكفر بالصلاة من جحدها واستكبر عن أدائها، قالوا: وقد كان مؤمنًا عند الجميع بيقين قبل تركه للصلاة ثم اختلفوا فيه إذا ترك الصلاة؛ فلا يجب قتله إلا بيقين ولا يقين مع الاختلاف فالواجب القول بأقل ما قيل في ذلك، وهو الضرب والسجن، وأما القتل ففيه اختلاف، والحدود تدرأ بالشبهات، واحتجوا أيضا بقوله ﷺ: «**سيكون عليكم بعدي أمراء يؤخرون الصلاة عن ميقاتها، فصلوا الصلاة لوقتها، واجعلوا صلاتكم معهم سبحة**»(١) قالوا: وهذا يدل على أنهم غير كفار بتأخيرها حتى يخرج وقتها، ولو كفروا بذلك ما أمرهم بالصلاة خلفهم بسبحة ولا غيرها.

قال أبو عمر: هذا قول قد قال به جماعة من الأئمة ممن يقول الإيمان قول وعمل، وقالت به المرجئة أيضًا إلا أن المرجئة تقول: المؤمن المقر مستكمل الإيمان، وقد ذكرنا اختلاف أئمة أهل السنة والجماعة في تارك الصلاة؛ فأما أهل البدع فإن المرجئة قالت: تارك الصلاة مؤمن مستكمل الإيمان إذا كان مقرًا غير جاحد ومصدقًا غير مستكبر، وحكيت هذه المقالة عن أبي حنيفة وسائر المرجئة، وهو قول جهم، وقالت المعتزلة: تارك الصلاة فاسق لا مؤمن ولا كافر، وهو مخلد في النار إلا أن يتوب، وقالت الصفرية والأزارقة من الخوارج: هو كافر حلال الدم والمال، وقالت الإباضية: هو كافر غير أن دمه وماله محرمان، ويسمونه كافر نعمة؛ فهذا جميع ما اختلف فيه أهل القبلة في تارك الصلاة(٢).

---

(١) صحيح مسلم: ٥٣٤/٣٧٨/١.

(٢) قال ابن تيمية: «وتكفير تارك الصلاة هو المشهور المأثور عن جمهور السلف من الصحابة والتابعين، ومورد النزاع هو فيمن اقر بوجوبها والتزم فعلها ولم يفعلها، وأما من لم يقر بوجوبها فهو كافر باتفاقهم وليس الأمر كما يفهم من اطلاق بعض الفقهاء من اصحاب أحمد وغيرهم أنه إن جحد وجوبها كفر وان لم يجحد وجوبها فهو مورد النزاع بل هنا ثلاثة اقسام:

أحدها: إن جحد وجوبها فهو كافر بالاتفاق.

والثاني: ان لا يجحد وجوبها لكنه ممتنع من التزام فعلها كبرا أو حسدا أو بغضا لله ورسوله، فيقول: اعلم أن الله أوجبها على المسلمين والرسول صادق فى تبليغ القرآن ولكنه ممتنع عن التزام الفعل =

= استكبارًا أو حسدًا للرسول أو عصبية لدينه او بغضا لما جاء به الرسول؛ فهذا أيضًا كافر بالاتفاق فان إبليس لما ترك السجود المأمور به لم يكن جاحدا للايجاب فإن الله تعالى باشره بالخطاب وانما أبى واستكبر وكان من الكافرين، وكذلك أبو طالب كان مصدقًا للرسول فيما بلغه لكنه ترك اتباعه حمية لدينه وخوفا من عار الانقياد واستكبارًا، ومن أطلق من الفقهاء أنه لا يكفر إلا من يجحد وجوبها فيكون الجحد عنده متناولًا للتكذيب بالايجاب ومتناولا للامتناع عن الاقرار والالتزام كما قال تعالى: ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ [الأنعام: (٣٣)] وقال تعالى: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾ [النمل: ١٤] والا فمتى لم يقر ويلتزم فعلها قتل وكفر بالاتفاق.

والثالث: أن يكون مقرا ملتزما لكن تركها كسلًا وتهاونًا أو اشتغالًا بأغراض له عنها فهذا مورد النزاع كمن عليه دين وهو مقر بوجوبه ملتزم لأدائه لكنه يمطل بخلًا أو تهاونًا.

وهنا قسم رابع وهو ان يتركها ولا يقر بوجوبها ولا يجحد وجوبها لكنه مقر بالاسلام من حيث الجملة فهل هذا من موارد النزاع أو من موراد الاجماع ولعل كلام كثير من السلف متناول لهذا وهو المعرض عنها لا مقرا ولا منكرا وإنما هو متكلم بالإسلام فهذا فيه نظر فان قلنا يكفر بالاتفاق فيكون اعتقاد وجوب هذه الواجبات على التعيين من الايمان لا يكفي فيها الاعتقاد العام كما في الخبريات من احوال الجنة والنار والفرق بينهما أن الأفعال المأمور بها المطلوب فيها الفعل لا يكفي فيها الاعتقاد العام بل لا بد من اعتقاد خاص بخلاف الأمور الخبرية فإن الإيمان المجمل بما جاء به الرسول من صفات الرب وأمر المعاد يكفي فيه ما لم ينقص الجملة بالتفصيل ولهذا اكتفوا في هذه العقائد بالجمل وكرهوا فيها التفصيل المفضي إلى القتال والفتنة بخلاف الشرائع المأمور بها فانه لا يكتفى فيها بالجمل بل لا بد من تفصيلها علما وعملًا» . مجموع الفتاوى: ٢٠/٩٧-٩٩.

وقال ابن قيم الجوزية: «لا يختلف المسلمون أن ترك الصلاة المفروضة عمدا من اعظم الذنوب وأكبر الكبائر وأن إثمه عند الله أعظم من إثم قتل النفس وأخذ الأموال ومن إثم الزنا والسرقة وشرب الخمر، وأنه متعرض لعقوبة الله وسخطه وخزيه في الدنيا والآخرة، ثم اختلفوا في قتله وفي كيفية قتله وفي كفره»، فأفتى سفيان بن سعيد الثوري وأبو عمرو الأوزاعي وعبدالله بن المبارك وحماد بن زيد ووكيع بن الجراح ومالك بن أنس ومحمد بن إدريس الشافعي وأحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه وأصحابهم بأنه يقتل ثم اختلفوا في كيفية قتله... وقال ابن شهاب الزهري وسعيد بن المسيب وعمر ابن عبدالعزيز وأبو حنيفة وداود بن علي والمزني يحبس حتى يموت او يتوب ولا يقتل واحتج لهذا المذهب بما رواه أبو هريرة عن النبي قال: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها»، وعن ابن مسعود قال: قال النبي: «لا يحل دم امرىء مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله إلا بإحدى ثلاث الثيب الزاني والنفس بالنفس والتارك لدينه المفارق للجماعة» قالوا: ولأنها من الشرائع العملية فلا يقتل بتركها كالصيام والزكاة والحج.

قال الموجبون لقتله قال الله تعالى: ﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[سورة التوبة: آية (٥)] فأمر بقتلهم حتى يتوبوا من شركهم ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة، =

. . . .

= ومن قال لا يقتل تارك الصلاة يقول متى تاب من شركه سقط عنه القتل وإن لم يقم الصلاة ولا آتى الزكاة وهذا خلاف ظاهر القرآن، وفي الصحيحين من حديث أبي سعيد الخدري قال: بعث علي بن أبي طالب ﷺ وهو باليمن إلى النبي بذهيبة فقسمها بين أربعة؛ فقال رجل: يا رسول الله، اتق الله فقال: ويلك ألست أحق أهل الأرض أن يتقي الله؟ ثم ولى الرجل فقال خالد بن الوليد: يا رسول الله، ألا أضرب عنقه؟ فقال: لا، لعله أن يكون يصلي، فقال خالد: فكم من مصل يقول بلسانه ما ليس في قلبه؛ فقال رسول الله: «إني لم أؤمر أن أنقب عن قلوب الناس، ولا أشق بطونهم» فجعل النبي المانع من قتله كونه يصلي فدل على أن من لم يصل يقتل، ولهذا قال في الحديث الآخر: «نهيت عن قتل المصلين» وهو يدل على ان غير المصلين لم ينهه الله عن قتلهم وروى الإمام أحمد والشافعي في مسنديهما من حديث عبيدالله بن عدي بن الخيار أن رجلًا من الأنصار حدثه أنه أتى النبي وهو في مجلس فساره يستأذنه في قتل رجل من المنافقين فجهر رسول الله؛ فقال: «أليس يشهد أن لا إله إلا الله؟ فقال الأنصاري: بلى يا رسول الله، ولا شهادة له قال: أليس يشهد أن محمدا رسول الله؟ قال: بلى، ولا شهادة له قال: أليس يصلي الصلاة؟ قال: بلى، ولا صلاة له. قال: أولئك الذين نهاني الله عن قتلهم» فدل على أنه لم ينهه عن قتل من لم يصل، وفي صحيح مسلم عن أم سلمة عن النبي قال: «إنه يستعمل عليكم أمراء، فتعرفون وتنكرون فمن أنكر فقد بريء ومن كره فقد سلم ولكن من رضي وتابع فقالوا: يا رسول الله ألا نقاتلهم؟ فقال: لا ما صلوا» وفي الصحيحين من حديث عبدالله بن عمر أن النبي قال: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام وحسابهم على الله» فوجه الاستدلال به من وجهين:

أحدهما: أنه أمر بقتالهم إلى أن يقيموا الصلاة.

الثاني: قوله إلا بحقها والصلاة من أعظم حقها.

وعن أبي هريرة قال: «قال رسول الله: أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله، ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة ثم قد حرمت علي دماؤهم وأموالهم وحسابهم على الله» فأخبر أنه أمر بقتالهم إلىأن يقيموا الصلاة وأن دماءهم وأموالهم إنما تحرم بعد الشهادتين وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة فدماؤهم وأموالهم قبل ذلك غير محرمة بل هي مباحة، وعن أنس بن مالك قال: «لما توفي رسول الله ارتد العرب؛ فقال عمر: يا أبا بكر، كيف تقاتل العرب؟ فقال أبو بكر: إنما قال رسول الله: أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأني رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة» وتقييد هذه الأحاديث يبين مقتضى الحديث المطلق الذي احتجوا به على ترك القتل مع أنه حجة عليهم فإنه لم يثبت العصمة للدم والمال إلا بحق الإسلام والصلاة آكد حقوقه على الاطلاق، وأما حديث ابن مسعود وهو «لا يحل دم امريء مسلم إلا بإحدى ثلاث» فهو حجة لنا في المسألة؛ فإنه جعل منهم التارك لدينه والصلاة ركن الدين الأعظم ولا سيما إن قلنا بأنه كافر فقد ترك الدين بالكلية وإن لم يكفر فقد ترك عمود الدين، قال الإمام أحمد وقد جاء في الحديث لا حظ في الاسلام لمن ترك الصلاة، وقد كان عمر بن الخطاب يكتب إلى الآفاق إن أهم أموركم عندي الصلاة فمن حفظها حفظ دينه، ومن ضيعها فهو لما سواها أضيع ولاحظ في الاسلام لمن ترك =

أقوال ابن عبدالبر في حكم تكفير المسلم

عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال: **«إذا سمى الرجل الآخر كافرًا فقد كفر أحدهما إن كان الذي قيل له كافر فقد صدق صاحبه كما قال له، وإن لم يكن كما قال فقد باء الذي قال بالكفر»**[(١)].

قال أبو عمر[(٢)]: والمعنى فيه عند أهل الفقه والأثر أهل السنة والجماعة، النهي عن أن يكفر المسلم أخاه المسلم بذنب أو بتأويل لا يخرجه من الإسلام عند الجميع؛ فورد النهي عن تكفير المسلم في هذا الحديث وغيره بلفظ الخبر دون لفظ النهي، وهذا موجود في القرآن والسنة ومعروف في لسان العرب، وفي سماع أشهب سئل مالك عن قول رسول الله ﷺ: **«من قال لرجل يا كافر، فقد باء بها أحدهما»** قال: أرى ذلك في الحرورية[(٣)]؛ فقلت له أفتراهم بذلك كفارا؟ فقال: ما أدري ما هذا. ومثل قوله ﷺ: **«من قال لأخيه يا كافر، فقد باء بها أحدهما»** قوله ﷺ: **«سباب المسلم فسوق وقتاله**

= الصلاة، قال: فكل مستخف بالصلاة مستهين بها فهو مستخف بالإسلام مستهين به، وإنما حظهم من الإسلام على قدر حظهم من الصلاة ورغبتهم في الإسلام على قدر رغبتهم في الصلاة... وقد جاء الحديث عن النبي أنه قال: «الصلاة عمود الدين المقاصد الحسنة» ألست تعلم أن الفسطاط إذا سقط عموده سقط الفسطاط ولم ينتفع بالطنب ولا بالأوتاد وإذا قام عمود الفسطاط انتفعت بالطنب والأوتاد وكذلك الصلاة من الإسلام وجاء في الحديث «إن اول ما يسأل عنه العبد يوم القيامة من عمله صلاته فإن تقبلت منه صلاته تقبل منه سائر عمله وإن ردت عليه صلاته رد عليه سائر عمله» فصلاتنا آخر ديننا وهي أول ما نسأل عنه غدا من أعمالنا يوم القيامة؛ فليس بعد ذهاب الصلاة إسلام ولا دين إذا صارت الصلاة آخر ما يذهب من الإسلام هذا كله كلام احمد، والصلاة أول فروض الأسلام وهي آخر ما يفقد من الدين فهي أول الإسلام وآخره، فإذا ذهب أوله وآخره فقد ذهب جميعه وكل شيء ذهب أوله وآخره فقد ذهب جميعه، قال الإمام أحمد: كل شيء يذهب آخره فقد ذهب جميعه فإذا ذهبت صلاة المرء ذهب دينه والمقصود أن حديث عبدالله بن مسعود: «لا يحل دم امريء مسلم إلا بإحدى ثلاث الثيب الزاني والنفس بالنفس والتارك لدينه» من أقوى الحجج في قتل تارك الصلاة. الصلاة وحكم تاركها: ص ٢٩-٣٦.

(١) صحيح البخاري: ٥/٢٢٦٤/٥٧٥٣، صحيح مسلم: ١/٧٩/٦٠.

(٢) التمهيد: ١٧/١٤-١٧/ ٢٧.

(٣) الحرورية: فرقة من الخوارج نسبت إلى حروراء بالمد قرية بقرب الكوفة، كان أول اجتماعهم بها، وتعمقوا في الدين حتى مرقوا منه. التعاريف: ١/٢٧٧.

كفر»[١] وقوله ﷺ: «لا ترجعوا بعدي كفارًا يضرب بعضكم رقاب بعض»[٢] وقوله: «لا ترغبوا عن آبائكم؛ فإنه كفر بكم أن ترغبوا عن آبائكم»[٣] ومثل هذا كثير من الآثار التي وردت بلفظ التغليظ وليست على ظاهرها عند أهل الحق والعلم؛ لأصول تدفعها أقوى منها من الكتاب والسنة المجتمع عليها، والآثار الثابتة أيضًا من جهة الإسناد، وهذا باب يتسع القول فيه ويكثر؛ فنذكر منه هاهنا ما فيه كفاية إن شاء اللَّه، وقد ضلت جماعة من أهل البدع من الخوارج والمعتزلة في هذا الباب؛ فاحتجوا بهذه الآثار ومثلها في تكفير المذنبين، واحتجوا من كتاب اللَّه بآيات ليست على ظاهرها مثل قوله ﷻ: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾[المائدة: ٤٤] وقوله: ﴿أَن تَحْبَطَ أَعْمَـٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾[الحجرات: ٢] وقوله: ﴿إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ﴾[الجاثية: ٣٢] وقوله: ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾[الزخرف: ٢٠] وقوله: ﴿وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾[الكهف: ١٠٤] ونحو هذا، وروي عن ابن عباس في قول اللَّه ﷻ: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾[المائدة: (٤٤] قال: «ليس بكفر ينقل عن الملة، ولكنه كفر دون كفر».

وقد أوضحنا معنى الكفر في اللغة في مواضع من هذا الكتاب، والحجة عليهم قول اللَّه ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨] ومعلوم أن هذا بعد الموت لمن لم يتب؛ لأن الشرك ممن تاب منه قبل الموت وانتهى عنه غفر له، كما تغفر الذنوب كلها بالتوبة جميعًا قال اللَّه ﷻ: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِن يَنتَهُوا۟ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ﴾[الأنفال:آية (٣٨] وقد وردت آيات في القرآن محكمات تدل أنه لا يكفر أحد إلا بعد العلم والعناد منها قول اللَّه ﷻ: ﴿يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ لِمَ تَلْبِسُونَ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَـٰطِلِ وَتَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٧١﴾﴾ [آل عمران: ٧١] ﴿يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٧٠﴾﴾ [آل عمران: ٧٠]

(١) صحيح البخاري: ٤٨/٢٧/١، صحيح مسلم: ٦٤/٨١/١.
(٢) صحيح البخاري: ١٢١/٥٦/١، صحيح مسلم: ٦٥/٨١/١.
(٣) صحيح البخاري: ٦٣٨٦/٢٤٨٥/٦، صحيح مسلم: ٦٢/٨٠/١.

وقوله: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَأَنتُمۡ تَشۡهَدُونَ ۝٧٠﴾ [آل عمران: ٧٥] وقوله: ﴿ثُمَّ ٱتَّخَذُواْ ٱلۡعِجۡلَ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُ﴾ [النساء: ١٥٣] وقوله: ﴿وَقَالُواْ مَهۡمَا تَأۡتِنَا بِهِۦ مِنۡ ءَايَةٖ لِّتَسۡحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحۡنُ لَكَ بِمُؤۡمِنِينَ ۝١٣٢﴾ [الأعراف: ١٣٢] إلى قوله: ﴿فَٱسۡتَكۡبَرُواْ وَكَانُواْ قَوۡمٗا مُّجۡرِمِينَ﴾ [الأعراف: ١٣٣] ثم قال على إثر ذلك: ﴿وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيۡهِمُ ٱلرِّجۡزُ قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَۖ لَئِن كَشَفۡتَ عَنَّا ٱلرِّجۡزَ لَنُؤۡمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرۡسِلَنَّ مَعَكَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ۝١٣٤ فَلَمَّا كَشَفۡنَا عَنۡهُمُ ٱلرِّجۡزَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ هُم بَٰلِغُوهُ إِذَا هُمۡ يَنكُثُونَ ۝١٣٥﴾ [الأعراف: ١٣٤ - ١٣٥] ثم قال: ﴿وَلَقَدۡ أَخَذۡنَٰهُم بِٱلۡعَذَابِ فَمَا ٱسۡتَكَانُواْ لِرَبِّهِمۡ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ۝٧٦﴾ [المؤمنون: ٧٦] ثم ذكر الأمم فقال: ﴿وَهَمَّتۡ كُلُّ أُمَّةِۭ بِرَسُولِهِمۡ لِيَأۡخُذُوهُۖ وَجَٰدَلُواْ بِٱلۡبَٰطِلِ لِيُدۡحِضُواْ بِهِ ٱلۡحَقَّ فَأَخَذۡتُهُمۡۖ فَكَيۡفَ كَانَ عِقَابِ﴾ [غافر: ٥] ثم ذكر الأمم فقال: ﴿كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُواْ سَاحِرٌ أَوۡ مَجۡنُونٌ ۝٥٢ أَتَوَاصَوۡاْ بِهِۦۚ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٞ طَاغُونَ ۝٥٣﴾ [الذاريات: ٥٢ - ٥٣]؛ ولذلك قال: ﴿تَشَٰبَهَتۡ قُلُوبُهُمۡۗ﴾ [البقرة: ١١٨] ﴿وَخُضۡتُمۡ كَٱلَّذِي خَاضُوٓاْۚ﴾ [التوبة: ٦٩] وقال: ﴿وَإِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِۦ يَٰقَوۡمِ لِمَ تُؤۡذُونَنِي وَقَد تَّعۡلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡۖ﴾ [الصف: ٥] وقال: ﴿وَمَا تَفَرَّقُوٓاْ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُ بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡۚ﴾ [الشورى: ١٤] وقال: ﴿فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾ [البقرة: آية (٢٢)] وقال: ﴿بَلۡ جَآءَهُم بِٱلۡحَقِّ وَأَكۡثَرُهُمۡ لِلۡحَقِّ كَٰرِهُونَ﴾ [المؤمنون: ٧٠] وقال: ﴿أَفَرَءَيۡتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلۡمٖ﴾ [الجاثية: ٢٣] وقال: ﴿شَٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلۡكُفۡرِۚ﴾ [التوبة: ١٧] وقال: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُمۡ نَذِيرٞ مَّا زَادَهُمۡ إِلَّا نُفُورًا ٱسۡتِكۡبَارٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [فاطر: ٤٢ - ٤٣] وقال: ﴿وَشَآقُّواْ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلۡهُدَىٰ﴾ [محمد: ٣٣] وقال: ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسۡتَيۡقَنَتۡهَآ أَنفُسُهُمۡ﴾ [النمل: ١٤] إلى آيات كثيرة في معنى ما ذكرنا كلها تدل على معاندة الكفار، وأنهم إنما كفروا بالمعاندة والاستكبار وقال ﷻ: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبۡعَثَ رَسُولٗا﴾ [الإسراء: ١٥] وقوله: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوۡمَۢا بَعۡدَ إِذۡ هَدَىٰهُمۡ

﴿حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ﴾ [التوبة: ١١٥] وقوله ﷺ: «**من مات لا يشرك بالله شيئًا دخل الجنة، ومن مات وهو يشرك بالله شيئا فهو في النار**»(١).

وجعل الله ﷻ في بعض الكبائر حدودًا جعلها طهرة، وفرض كفارات في كتابه للذنوب من التقرب إليه بما يرضيه، فجعل على القاذف جلد ثمانين إن لم يأت بأربعة شهداء، ولم يجعله بقذفه كافرًا، وجعل على الزاني مائة وذلك طهرة له كما قال ﷺ في التي رجمها: لقد خرجت من ذنوبها كيوم ولدتها أمها، وقال ﷺ: «**من أقيم عليه الحد فهو له كفارة ومن لم يقم عليه حده فأمره إلى الله إن شاء غفر له وإن شاء عذبه**»(٢).

وما لم يجعل فيه حدًا فرض فيه التوبة منه، والخروج عنه إن كان ظلمًا لعباده وليس في شيء من السنن المجتمع عليها ما يدل على تكفير أحد بذنب، وقد أحاط العلم بأن العقوبات على الذنوب كفارات، وجاءت بذلك السنن الثابتة عن رسول الله ﷺ كما جاءت بكفارة الأيمان والظهار والفطر في رمضان، وأجمع علماء المسلمين أن الكافر لا يرث المسلم، وأجمعوا أن المذنب وإن مات مصرا يرثه ورثته، ويصلى عليه، ويدفن في مقابر المسلمين. وقال ﷺ: «**من صلى صلاتنا واستقبل قبلتنا ونسك نسكنا، فهو المسلم له ما للمسلم وعليه ما على المسلم**»(٣) وقال ﷺ: «**الندم توبة**»(٤) رواه عبدالله بن مسعود عن النبي ﷺ، وقال ﷺ: «**ليس أحد من خلق الله إلا وقد أخطأ أو هم بخطيئة إلا يحيى ابن زكرياء**»(٥) وقال ﷺ: «**لولا أنكم تذنبون وتستغفرون، لذهب الله بكم وجاء بقوم**

---

(١) صحيح مسلم: ١/٩٤/٩٣.

(٢) صحيح البخاري: ٦/٢٤٩٠/٦٤٠٢.

(٣) صحيح البخاري: ١/١٥٣/ ٣٨٥.

(٤) صحيح: رواه أحمد في المسند: ١/٣٧٦/٣٥٦٨، وابن ماجه: ٢/١٤٢٠/٤٢٥٢، سنن البيهقي الكبرى: ١٠/١٥٤/٢٠٣٤٦، وابن حبان في صحيحه: ٢/٣٧٧/٦١٢، والطبراني في الأوسط: ٧/٤٤/٦٧٩٩، والحاكم في المستدرك: ٤/٢٧١/٧٦١٢، والحميدي في مسنده: ١/٥٨/١٠٥، وحسنه ابن حجر في الفتح: ١٣/٤٧١، وصححه الألباني في سنن ابن ماجه: ح (٤٢٥٢) .

(٥) مصنف ابن أبي شيبة: ٦/٣٤٦/٣١٩٠٩، مسند أحمد: ١/٢٩١/٢٦٥٤، مسند أبي يعلى: ٤/ ٤١٨/٢٥٤٤، المعجم الكبير: ١٢/٢١٦/١٢٩٣٣، البيهقي في الكبرى: ١٠/١٨٦/٢٠٥٣٧، الحاكم في المستدرك: ٢/٦٤٧/٤١٤٩.

يذنبون ويستغفرون فيغفر لهم، إن الله يحب أن يغفر لعباده»[١] ومن هذا قول الأول[٢] (الرجز):

إن تغفر اللهم تغفر جمًا   وأي عبد لك لا ألما

فهذه الأصول كلها تشهد على أن الذنوب لا يكفر بها أحد، وهذا يبين لك أن قوله ﷺ: «من قال لأخيه: يا كافر، فقد باء بها أحدهما»[٣] أنه ليس على ظاهره، وأن المعنى فيه النهي عن أن يقول أحد لأخيه: كافر، أو يا كافر.

قيل لجابر بن عبدالله: يا أبا محمد، هل كنتم تسمون شيئًا من الذنوب كفرًا أو شركًا أو نفاقًا؟ قال: معاذ الله، ولكنا نقول: مؤمنين مذنبين، روي ذلك عن جابر من وجوه. ومن حديث الأعمش عن أبي سفيان قال: قلت لجابر: أكنتم تقولون لأحد من أهل القبلة كافر؟ قال: لا، قلت: فمشرك؟ قال: معاذ الله وفزع.

وقد قال جماعة من أهل العلم في قول الله ﷻ: ﴿وَلَا تَنَابَزُوا۟ بِٱلْأَلْقَٰبِ ۖ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِ﴾[الحجرات: ١١] هو قول الرجل لأخيه يا كافر، يا فاسق، وهذا موافق لهذا الحديث؛ فالقرآن والسنة ينهيان عن تفسيق المسلم وتكفيره ببيان لا إشكال فيه.

ومن جهة النظر الصحيح الذي لا مدفع له، أن كل من ثبت له عقد الإسلام في وقت بإجماع من المسلمين ثم أذنب ذنبًا، أو تأول تأويلًا، فاختلفوا بعد في خروجه من الإسلام لم يكن لاختلافهم بعد إجماعهم معنى يوجب حجة، ولا يخرج من الإسلام

(١) صحيح: مسلم: ٢٧٤٩/٢١٠٦/٤.

(٢) هذا البيت لأمية بن أبي الصلت، وهو شاعر جاهلي، حكيم، من أهل الطائف. قدم دمشق قبل الإسلام وكان مطلعًا على الكتب القديمة، يلبس المسوح تعبدًا وهو ممن حرموا على أنفسهم الخمر ونبذوا عبادة الأوثان في الجاهلية، ورحل إلى البحرين فأقام ثماني سنين ظهر في أثنائها الإسلام، وعاد إلى الطائف فسأل عن خبر محمد ﷺ، وقدم مكة وسمع منه آيات من القرآن وسألته قريش رأيه فقال: أشهد أنه على الحق، قالوا: فهل تتبعه؟ فقال: حتى أنظر في أمره، ثم خرج إلى الشام وهاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة وحدثت وقعة بدر وعاد أمية يريد الإسلام؛ فعلم بمقتل أهل بدر وفيهم ابنا خالٍ له فامتنع وأقام في الطائف إلى أن مات.

(٣) سبق تخريجه.

المتفق عليه إلا باتفاق آخر أو سنة ثابتة لا معارض لها.

وقد اتفق أهل السنة والجماعة - وهم أهل الفقه والأثر - على أن أحدًا لا يخرجه ذنبه وإن عظم من الإسلام، وخالفهم أهل البدع، فالواجب في النظر أن لا يكفر إلا من اتفق الجميع على تكفيره، أو قام على تكفيره دليل لا مدفع له من كتاب أو سنة. وأما قوله ﷺ: «فقد باء بها» أي: قد احتمل الذنب في ذلك القول أحدهما قال الخليل بن أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ: باء بذنبه أي احتمله. ومثله قوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٢] وقوله: ﴿فَقَدِ ٱحْتَمَلَ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ [النساء: ١١٢] المعنى في قوله: «فقد باء بها أحدهما» يريد أن المقول له يا كافر، إن كان كذلك، فقد احتمل ذنبه، ولا شيء على القائل له ذلك؛ لصدقه في قوله؛ فإن لم يكن كذلك؛ فقد باء القائل بذنب كبير وإثم عظيم واحتمله بقوله ذلك، وهذا غاية في التحذير من هذا القول، والنهي عن أن يقال لأحد من أهل القبلة يا كافر. حدثنا أحمد بن قاسم بن عيسى قال: حدثنا عبيد الله بن محمد بن حبابة قال: حدثنا عبدالله بن محمد البغوي قال: حدثنا علي بن الجعد قال: أخبرنا شعبة عن عبدالله بن دينار قال: سمعت ابن عمر عن النبي ﷺ قال: **«إذا قال الرجل لأخيه: يا كافر، أو أنت كافر، فقد باء بها أحدهما؛ فإن كان كما قال، وإلا رجعت إلى الأول»**(١) وأخبرنا عبدالوارث بن سفيان قال: أخبرنا قاسم بن أصبغ قال: حدثنا أحمد بن محمد القاضي البرتي ببغداد قال: أخبرنا عبدالوارث بن سعيد عن الحسين المعلم عن ابن بريدة قال: حدثني يحيى بن يعمر أن أبا الأسود الدؤلي حدثه عن أبي ذر أنه سمع النبي عَلَيْهِ السَّلَامُ يقول: **«لا يرمي رجل رجلا بالفسق أو بالكفر إلا ردت عليه إن لم يكن صاحبه كذلك»**(٢) أخبرنا عبدالوارث بن سفيان قال: حدثنا قاسم بن أصبغ قال: حدثنا ابن وضاح قال: حدثنا محمد بن سليمان الأنباري وموسى بن معاوية قالا: حدثنا وكيع قال، حدثنا علي بن المبارك عن يحيى بن أبي

(١) صحيح البخاري: ٥/٢٢٦٤/٥٧٥٣، صحيح مسلم: ١/٧٩/٦٠.
(٢) صحيح البخاري: ٥/٢٢٤٧/٥٦٩٨.

كثير عن أبي قلابة عن ثابت بن الضحاك قال: قال رسول الله ﷺ: **«من رمى مؤمنًا، بكفر فهو كقتله»**(١).

حدثنا أحمد بن قاسم وعبدالوارث بن سفيان قالا: حدثنا قاسم بن أصبغ قال حدثنا الحرث بن أبي أسامة قال: حدثنا أبو عمرو عبيد بن عقيل قال: سمعت جرير بن حازم يحدث عن عبدالملك بن عمير عن جابر بن سمرة عن عمر بن الخطاب قال: قال رسول الله ﷺ: **«من سرته حسنته وساءته سيئته فهو مؤمن؛ فليت شعري، من قال لأخيه: يا كافر، وهو ممن تسره حسنته وتسؤه سيئته لأي شيء تكون الشهادة عليه بالكفر أولى من الشهادة له بالإيمان»**، وروى الأعمش عن المعرور بن سويد عن أبي ذر قال: قال رسول الله ﷺ: **«من عمل مثل قراب الأرض خطيئة ثم لقيني لا يشرك بي شيئًا جعلت له مثلها مغفرة»**(٢) ورواه شعبة عن واصل عن المعرور بن سويد قال: سمعت أبا ذر يقوله.

وعن ابن عمر قال: كنا نشهد على أهل الموجبتين(٣) بالكفر حتى نزلت: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾[النساء: آية ٤٨].

وأخبرنا أحمد بن قاسم وعبدالوارث بن سفيان قالا: حدثنا قاسم بن أصبغ قال: حدثنا الحرث بن أبي أسامة قال: حدثنا أبو عبدالرحمن المقريء قال: حدثنا عبدالرحمن ابن زياد عن عبدالله بن راشد مولى عثمان بن عفان قال: سمعت أبا سعيد الخدري يقول: قال رسول الله ﷺ: **«إن بين يدي الرحمن للوحا فيه ثلاثمائة وخمس عشرة شريعة، يقول الرحمن: وعزتي لا يأتني عبد من عبادي بواحدة منهن وهو لا يشرك بي شيئًا إلا أدخلته الجنة»**(٤).

---

(١) صحيح البخاري: ٥/٢٢٦٤/٥٧٥٤.

(٢) مسند: أحمد: ٥/ ١٥٣/٢١٣٩٨، المعجم الأوسط: ٣/٢٥٢/٣٠٦٠.

(٣) الموجبة: الكبيرة من الذنوب التي يستوجب بها العذاب. لسان العرب: ١/٧٩٣.

(٤) ضعيف: البيهقي في شعب الإيمان: ٦/٣٦٧/٨٥٥١،مسند أبي يعلى: ٢/٤٨٤/١٣١٤، مسند عبد بن حميد: ١/٣٠٠/٩٦٨، مسند الحارث: ١/١٥٣/٨، الذهبي في ميزان الاعتدال: ٤/٢٨٠، وضعفه ابن الجوزي في العلل المتناهية: ١/١٤٣/٢٠٨، والهيثمي في مجمع الزوائد: ١/٣٦.

وأخبرنا أحمد بن محمد بن أحمد قال: حدثنا وهب بن مسرة قال: حدثنا ابن وضاح قال: حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة قال: حدثنا زيد بن الحباب قال: حدثني عبدالرحمن بن شريح قال: حدثني أبو هانئ عن أبي علي الجنبي قال: سمعت أبا سعيد الخدري يقول: قال رسول الله ﷺ: **«من قال: رضيت بالله ربًا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد رسولًا وجبت له الجنة»**(١) وقال رسول الله ﷺ: **«الجنة لا يدخلها إلا نفس مؤمنة»**(٢).

وحدثنا عبدالوارث بن سفيان قال: حدثنا قاسم بن أصبغ قال: حدثنا بكر بن حماد قال: حدثنا مسدد قال: حدثنا يحيى عن سفيان قال: حدثني أبو إسحاق عن فروة بن مالك الأشجعي: أن رسول الله ﷺ قال لظئر له أو لرجل من أهله: **«اقرأ بقل يأيها الكافرون عند منامك؛ فإنها براءة من الشرك»**(٣) وأخبرنا محمد بن إبراهيم قال: حدثنا محمد بن معاوية قال: حدثنا أحمد بن شعيب قال: أخبرنا قتيبة بن سعيد قال: حدثنا سفيان عن الزهري عن أبي إدريس الخولاني عن عبادة بن الصامت قال: كنا عند النبي ﷺ في مجلس فقال: **«تبايعوني على أن لا تشركوا بالله شيئًا ولا تسرقوا ولا تزنوا - قرأ عليهم الآية - فمن وفى منكم فأجره على الله، ومن أصاب من ذلك شيئًا؛ فستره الله ﷻ عليه فهو إلى الله إن شاء عذبه، وإن شاء غفر له»**(٤).

---

(١) صحيح: سنن أبي داود: ١٥٢٩/٨٧/٢،سنن النسائي الكبرى: ابن أبي شيبة: ٢٩٢٨٢/٣٦/٦، صحيح ابن حبان: ١٤٤/٣ /٨٦٣، مسند عبد بن حميد: ٩٩٩/٣٠٨/١، المستدرك للحاكم: ١٩٠٤/٦٩٩/١، وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه»، وصححه الألباني في سنن أبي داود: ح (١٥٢٩) .

(٢) صحيح: سنن الترمذي: ٣٠٩٢/٢٧٦/٥ وقال أبو عيسى: «حسن صحيح»، المستدرك على الصحيحين: ٤٣٧٦/٥٤/٣، وقال الحاكم: «صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه»، سنن البيهقي الكبرى: ١٨٥٢٣/٢٠٦/٩، مسند الحميدي: ٤٨/٢٦/١، مسند أبي يعلى: ٣٥١/١/ ٤٥٢، مسند البزار: ٧٨٥/٣٤/٣، وصححه ابن حجر في فتح الباري: ٨٣/٨، وصححه ابن كثير في البداية والنهاية: ٣٨/٥، وصححه الألباني في سنن الترمذي: ح (٣٠٩٢) .

(٣) صحيح: سنن أبي داود: ٥٠٥٥/٣١٣/٤، سنن الترمذي: ٣٤٠٣/٤٧٤/٥، سنن الدارمي: ٢/ ٣٤٢٧/٥٥١، المستدرك على الصحيحين: ٢٠٧٧/٧٥٤/١، وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه»، وصححه الألباني في سنن أبي داود: ح (٥٠٥٥)، وفي سنن الترمذي: (٣٤٠٣) .

(٤) صحيح البخاري: ٤٦١٢/١٨٥٧/٤، صحيح مسلم: ١٧٠٩/١٣٣٣/٣.

قال أبو عمر: هذا من أصح حديث يروى عن النبي ﷺ وعليه أهل السنة والجماعة، وهو يضاهي قول الله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨] والآثار في هذا الباب كثيرة جدًا، لا يمكن أن يحيط بها كتاب، فالأحاديث اللينة ترجي، والشديدة تخشى، والمؤمن موقوف بين الخوف والرجاء، والمذنب إن لم يتب في مشيئة الله. روينا عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال: ما في القرآن آية أحب إلي من هذه الآية:: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨] ومن شرح الله صدره فالقليل يكفيه.

وقال أبو عمر عند شرحه لحديث زيد بن خالد الجهني الذي قال فيه: «**توفي رجل يوم خيبر وأنهم ذكروا ذلك لرسول الله ﷺ فزعم أنه قال: صلوا على صاحبكم؛ فتغيرت وجوه الناس لذلك فزعم زيد أن رسول الله ﷺ قال: إن صاحبكم قد غل في سبيل الله قال: ففتحنا متاعه فوجدنا خرزات من خرز يهود ما تساوين درهمين**»(١).

قال أبو عمر(٢): وفي قوله ﷺ: «**صلوا على صاحبكم**» دليل على أن الذنوب لا تخرج المذنب عن الإيمان؛ لأنه لو كفر بغلوله كما زعمت الخوارج، لم يكن ليأمر بالصلاة عليه؛ فإن الكافر والمشرك لا يصلي عليه المسلمون لا أهل الفضل ولا غيرهم.

وقال أبو عمر عند شرحه لحديث كعب بن عجرة الذي قال فيه: «**بينما نحن جلوس في مسجد رسول الله ﷺ مسندي ظهورنا إلى قبلة مسجده - سبعة رهط أربعة من موالينا وثلاثة من عربنا - إذ خرج علينا رسول الله ﷺ لصلاة الظهر حتى انتهى إلينا؛ فقال: ما يجلسكم ههنا؟ قلنا يا رسول الله ننتظر الصلاة، قال: فأرم قليلًا ثم رفع رأسه؛ فقال: أتدرون ما يقول ربكم تبارك وتعالى؟ يقول: من صلى الصلاة لوقتها، وحافظ عليها، ولم**

(١) ضعيف: سنن النسائي الكبرى: ١/٦٣٦/٢٠٨٦، السنن المأثورة: ١/٤٣٦/٦٥١، سنن أبي داود: ٣/٦٨/٢٧١٠، سنن ابن ماجه: ٢/٩٥٠/٢٨٤٨، سنن البيهقي الكبرى: ٩/١٠١/١٧٩٨٤، موطأ مالك: ٢/٤٥٨/٩٧٨، المعجم الكبير: ٥/٢٣٠/٥١٧٦، المستدرك على الصحيحين: ١/ ٥١٨/١٣٤٦، المنتقى لابن الجارود: ١/٢٧١/١٠٨١، وضعفه الألباني في سنن أبي داود: ح (٢٧١٠)، وابن ماجة: ح (٢٨٤٨) .

(٢) التمهيد: ٢٣/٢٨٧.

يضيعها استخفافا بحقها، فله علي عهد أن أدخله الجنة، ومن لم يصلها لوقتها، ولم يحافظ عليها، وضيعها استخفافًا بحقها فلا عهد له، إن شئت عذبته، وإن شئت غفرت له»[١].

قال أبو عمر[٢]: ذهبت طائفة من أهل العلم إلى أن معنى حديث عبادة المذكور في هذا الباب، ومعنى حديث كعب بن عجرة هذا أن التضييع للصلاة الذي لا يكون معه لفاعله المسلم عند الله عهد هو أن لا يقيم حدودها من مراعاة وقت وطهارة وتمام ركوع وسجود، ونحو ذلك وهو مع ذلك يصليها، ولا يمتنع من القيام بها في وقتها، وغير وقتها إلا أنه لا يحافظ على أوقاتها قالوا: فأما من تركها أصلا، ولم يصلها فهو كافر قالوا: وترك الصلاة كفر واحتجوا بآثار منها حديث أبي الزبير وأبي سفيان عن جابر عن النبي ﷺ أنه قال: **«بين العبد وبين الكفر ترك الصلاة»**[٣]....

قال أبو عمر: وأصح شيء في هذا الباب من جهة النظر، ومن جهة الأثر أن تارك الصلاة إذا كان مقرًا بها غير جاحد ولا مستكبر فاسق مرتكب لكبيرة موبقة من الكبائر الموبقات، وهو مع ذلك في مشيئة الله ﷻ إن شاء غفر له، وإن شاء عذبه؛ فإنه لا يغفر أن يشرك به، ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء، وقد يكون الكفر يطلق على من لم يخرج من الإسلام ألا ترى إلى قوله ﷺ في النساء: **«رأيتهن أكثر أهل النار بكفرهن قيل يا رسول الله أيكفرن بالله قال يكفرن بالعشير ويكفرن الإحسان»**[٤] فأطلق عليهن اسم الكفر لكفرهن العشير والإحسان، وقد يسمى كافر النعمة كافرًا، وأصل الكفر التغطية للشيء، ألم تسمع قول لبيد: في ليلة كفر النجوم غمامها، فيحتمل والله أعلم إطلاق الكفر على تارك الصلاة أن يكون معناه أن تركه الصلاة غطى إيمانه وغيبه حتى صار غالبا عليه وهو مع ذلك مؤمن باعتقاده، ومعلوم أن من صلى صلاته، وإن لم يحافظ

---

(١) مسند أحمد بن حنبل: ١٨١٥٧/٢٤٤/٤، المعجم الأوسط: ٤٧٦٤/٩٢/٥، المعجم الكبير: ١٩/ ٣١١/١٤٢.

(٢) التمهيد: ٢٩٣/٢٣. ٣٠١.

(٣) صحيح مسلم: ٨٢/٨٨/١.

(٤) صحيح البخاري: ٢٩/١٩/١، صحيح مسلم: ٩٠٧/٦٢٦/٢.

على أوقاتها أحسن حالًا ممن لم يصلها أصلًا، وإن كان مقرًا بها.

حدثنا عبدالوارث بن سفيان قال: حدثنا قاسم بن أصبغ قال: حدثنا محمد بن إسماعيل الترمذي قال: حدثنا أبو صالح قال: حدثني الليث قال: حدثني يزيد بن أبي حبيب عن أبي الخير عن الصنابحي عن عبادة بن الصامت أنه قال: إني من النقباء الذين بايعوا رسول اللَّه ﷺ وقال: **«بايعناه على أن لا نشرك باللَّه شيئًا، ولا نسرق، ولا نزني، ولا نقتل النفس التي حرم اللَّه إلا بالحق، ولا نتتهب، ولا نعصي؛ فالجنة إن فعلنا ذلك، فإن غشينا من ذلك شيئًا كان أمر ذلك إلى اللَّه»**[1].

وحدثنا عبدالوارث قال: حدثنا قاسم قال: حدثنا محمد بن إسماعيل الترمذي قال: حدثنا أبو توبة الربيع بن نافع قال: حدثنا محمد بن مهاجر عن عروة بن رويم عن أبي حاجب عن عبادة بن الصامت قال: سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: **«من مات يشهد أن لا إله إلا اللَّه وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبده ورسوله، وجبت له الجنة»**[2].

وحدثنا عبدالوارث قال: حدثنا قاسم قال: حدثنا أحمد بن محمد البرتي، ومحمد ابن غالب التمتام قالا: حدثنا أبو حذيفة قال: حدثنا أبو مسلم عن عثمان بن عبداللَّه ابن أوس قال: سمعت أوس بن عبداللَّه يقول: سمعت عبادة بن الصامت يقول: سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: **«من لقي اللَّه لا يشرك به شيئا دخل الجنة»**، وحدثنا عبدالوارث قال: حدثنا قاسم قال: حدثنا الترمذي قال: حدثنا سعيد بن الحكم بن أبي مريم حدثنا يحيى بن أيوب قال: حدثني محمد بن عجلان عن محمد بن يحيى بن حبان عن عبداللَّه بن محيريز الجمحي عن الصنابحي أنه قال: دخلت على عبادة بن الصامت، وهو في الموت؛ فلما رأيت ما به من العلز[3] بكيت؛ فقال: ما يبكيك فواللَّه لئن شُفِّعت لأشفعن لك، ولئن سئلت لأشهدن لك، ولئن استطعت لأنفعنك، واللَّه ما كتمتك حديثًا سمعته من رسول اللَّه ﷺ إلا حديثًا واحدًا سمعت رسول اللَّه ﷺ

---

(١) صحيح البخاري: ٣/١٤١٤/٣٦٨٠، صحيح مسلم: ٣/١٣٣٣/١٧٠٩.
(٢) صحيح البخاري: ٣/١٢٦٧/٣٢٥٢، صحيح مسلم: ١/٥٧/٢٨.
(٣) العلز: القلق والكرب عند الموت. لسان العرب: ٥/٣٨٠.

يقول: «**من لقي الله يشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله ﷺ** دخل الجنة»[١].

قال أبو عمر: محمل هذه الأحاديث بعد القصاص والعفو أن يكون إخراج من الموحدين إلى الجنة، والحمد لله.

وحدثنا عبدالوارث قال: حدثنا قاسم قال: حدثنا بكر بن حماد قال: حدثنا مسدد قال: حدثنا حماد بن زيد، وعبدالواحد، وهشيم ويزيد بن زريع قالوا: حدثنا خالد الحذاء عن أبي قلابة عن أبي أسماء عن عبادة قال: «**أخذ علينا رسول الله ﷺ في البيعة حيث أخذ على النساء أن لا نشرك بالله شيئا، ولا نزني، ولا نسرق، ولا نقتل أولادنا، ولا يعضنا بعضًا، ولا نعصي في معروف، فمن أتى منكم حدًا في الدنيا فعجلت له عقوبته فهو كفارته، ومن أخر ذلك عنه فأمره إلى الله، إن شاء عذبه، وإن شاء غفر له**»[٢].

وحدثنا سعيد بن نصر قال: حدثنا قاسم بن أصبغ قال: حدثنا محمد بن إسماعيل الترمذي قال: حدثنا الحميدي قال: حدثنا سفيان قال: سمعت الزهري يقول: حدثني أبو إدريس الخولاني أنه سمع عبادة بن الصامت يقول: «**كنا عند النبي ﷺ في مجلس**» فقال: «**تبايعوني على أن لا تشركوا بالله شيئًا، ولا تسرقوا، ولا تزنوا الآية، فمن وفى منكم فأجره على الله، ومن أصاب من ذلك شيئًا؛ فستره الله عليه، فذلك إلى الله إن شاء غفر له، وإن شاء عذبه**» ...

قال أبو عمر: قوله في حديث ابن شهاب هذا «**ومن أصاب من ذلك شيئًا**» يريد مما في الحدود ما عدا الشرك، وقد بان ذلك في الحديث الذي قبل هذا، وذلك مقيد بقول الله ﷻ: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨] ومقيد بالإجماع على أن من مات مشركًا؛ فليس في المشيئة، ولكنه في النار وعذاب الله، أجارنا الله وعصمنا برحمته من كل ما يقود إلى عذابه، أخبرنا أحمد بن قاسم قال: حدثنا قاسم بن أصبغ قال: حدثنا الحارث بن أبي أسامة قال: حدثنا معلى بن

---

(١) صحيح مسلم: ٢٩/٥٧/١.

(٢) صحيح مسلم: ١٧٠٩/١٣٣٣/٣.

الوليد بن عبدالله العبسي، وحدثنا عبدالوارث بن سفيان قال: حدثنا قاسم بن أصبغ قال: حدثنا مضر بن محمد قال: حدثنا الحكم بن موسى قالا: حدثنا مبشر بن إسماعيل الحلبي عن الأوزاعي عن عمير بن هانيء عن جنادة بن أبي أمية عن عبادة بن الصامت قال: قال رسول الله ﷺ: **«من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبده ورسوله»**، زاد الحكم: **«وأن الجنة حق، وأن النار حق، وأن الساعة آتية لا ريب فيها، وأن الله يبعث من في القبور»** ـ ثم اتفقا ـ **«وأن عيسى بن مريم عبدالله ورسوله وكلمته، ألقاها إلى مريم، وروح منه أدخله الله الجنة على ما كان من عمل»**، وقال الحكم: **«من عمله»**(١).

وذكر الطحاوي قال: حدثنا فهد بن سليمان قال: حدثنا عمرو بن عون الواسطي قال: حدثنا جعفر بن سليمان عن عاصم عن شفيق عن ابن مسعود عن النبي ﷺ أنه قال: أمر بعبد من عباد الله ﷻ أن يضرب في قبره بمائة جلدة؛ فلم يزل يسأل الله، ويدعوه حتى صارت جلدة واحدة، فجلد جلدة واحدة، فامتلأ قبره عليه نارا، فلما ارتفع عنه أفاق فقال: علام جلدتموني؟ قالوا: **«إنك صليت صلاة بغير طهور، ومررت على مظلوم فلم تنصره»**. قال الطحاوي: وفي هذا ما يدل على أن تارك الصلاة ليس بكافر؛ لأن من صلى صلاة بغير طهور؛ فلم يصل، وقد أجيبت دعوته، ولو كان كافرًا ما سُمعت دعوته؛ لأن الله يقول: ﴿وَمَا دُعَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ﴾ [الرعد: ١٤] واحتج أيضًا بقوله ﷺ: **«الذي يترك صلاة العصر؛ فكأنما وتر أهله وماله»**(٢) قال: فلو كان كافرًا لكان القصد إلى ذكر ما ذهب من أيمانه لا إلى ذهاب أهله وماله، ومعلوم أن ما زاد على صلاة واحدة من الصلوات في حكم الصلاة الواحدة ألا ترى أن تاركها عامدًا حتى يخرج وقتها يستتاب على الوجوه التي ذكرنا عن العلماء على مذاهبهم في ذلك في باب زيد بن أسلم.

---

(١) صحيح مسلم: ٢٨/٥٧/١.

(٢) صحيح البخاري: ٥٢٧/٢٠٣/١، صحيح مسلم: ٦٢٦/٤٣٥/١.

وجملة القول في هذا الباب أن من لم يحافظ على أوقات الصلوات لم يحافظ على الصلوات، كما أن من لم يحافظ على كمال وضوئها، وتمام ركوعها وسجودها؛ فليس بمحافظ عليها، ومن لم يحافظ عليها فقد ضيعها، ومن ضيعها فهو لما سواها أضيع كما أن من حفظها، وحافظ عليها حفظ دينه، ولا دين لمن لا صلاة له، ورحم اللّٰه أبا العتاهية حيث يقول (الكامل):

أَقِمِ الصَّلاةَ لِوَقْتِها بِطُهورِها ... وَمِنَ الضَّلالِ تَفاوُتُ الميقاتِ

قال أبو عمر: إنما ذكرت أحاديث هذا الباب، وإن كان فيها للمرجئة تعلق؛ لأن المعتزلة أنكرت الحديث المروي في قوله: «ومن لم يأت بهن؛ فليس له عند اللّٰه عهد، إن شاء عذبه، وإن شاء غفر له»(١) وقالت: من لم يأت بهن فهو في النار مخلد، فردت الحديث المأثور في ذلك عن النبي ﷺ من نقل العدول الثقات، وأنكرت ما أشبهه من تلك الأحاديث، ودفعت قول اللّٰه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨] فضلت وأضلت فذكرنا في هذا الباب من الآثار ما يضارع هذه الآية حجة عليهم والحمد للّٰه(٢).

---

(١) صحيح: صحيح ابن حبان: ١٧٣١/٢١/٥، سنن النسائي الكبرى: ٣٢٢/١٤٢/١، سنن أبي داود: ١٤٢٠/٦٢/٢، سنن البيهقي الكبرى: ١٥٧٣/٣٦١/١، موطأ مالك: ٢٦٨/١٢٣/١، المعجم الأوسط: ٤٠١٢/٢١٥/٤، مسند أحمد بن حنبل: ٢٢٧٤٥/٣١٥/٥، وصححه ابن حجر في فتح الباري: ٢٠٣/١٢، وصححه الألباني في سنن أبي داود: ح (١٤٢٠).

(٢) قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «ولا يجوز تكفير المسلم بذنب فعله ولا بخطأ فيه، كالمسائل التي تنازع فيها أهل القبلة؛ فإن اللّٰه تعالى قال: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ﴾[البقرة: ٢٨٥] وقد ثبت في الصحيح أن اللّٰه تعالى أجاب هذا الدعاء، وغفر للمؤمنين خطأهم، والخوارج المارقون الذين أمر النبي بقتالهم، قاتلهم أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب أحد الخلفاء الراشدين، واتفق على قتالهم أئمة الدين من الصحابة والتابعين ومن بعدهم، ولم يكفرهم علي بن أبي طالب، وسعد بن أبي وقاص وغيرهما من الصحابة، بل جعلوهم مسلمين مع قتالهم، ولم يقاتلهم علي حتى سفكوا الدم الحرام، وأغاروا على أموال المسلمين، فقاتلهم لدفع ظلمهم وبغيهم لا لأنهم كفار، ولهذا لم يسب حريمهم، ولم يغنم أموالهم، وإذا كان =

أقوال ابن عبدالبر في كفارات الذنوب

عن عبدالله الصنابحي: إن رسول الله ﷺ قال: «إذا توضأ العبدالمؤمن فمضمض خرجت الخطايا من فيه، فإذا استنثر خرجت الخطايا من أنفه، فإذا غسل وجهه خرجت

= هؤلاء الذين ثبت ضلالهم بالنص والإجماع لم يكفروا مع أمر الله ورسوله بقتالهم؛ فكيف بالطوائف المختلفين، الذين أشتبه عليهم الحق في مسائل غلط فيها من هو أعلم منهم؟! فلا يحل لأحد من هذه الطوائف أن تكفر الأخرى ولا تستحل دمها ومالها، وإن كانت فيها بدعة محققة؛ فكيف إذا كانت المكفرة لها مبتدعة أيضًا، وقد تكون بدعة هؤلاء أغلظ،والغالب أنهم جميعًا جهال بحقائق ما يختلفون فيه؟! والأصل أن دماء المسلمين وأموالهم وأعراضهم محرمة من بعضهم على بعض، لا تحل إلا بإذن الله ورسوله»، قال النبي ﷺ لما خطبهم في حجة الوداع: «إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا في شهركم هذا»، وقال ﷺ: «كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه»، وقال: «من صلى صلاتنا، واستقبل قبلتنا، وأكل ذبيحتنا؛ فهو المسلم له ذمة الله ورسوله»، وقال: «إذا التقى المسلمان بسيفهما، فالقاتل والمقتول في النار، قيل: يا رسول الله، هذا القاتل فما بال المقتول؟! قال: إنه أراد قتل صاحبه»، وقال: «لا ترجعوا بعدي كفارًا يضرب بعضكم رقاب بعض»، وقال: «إذا قال المسلم لأخيه يا كافر، فقد باء بها أحدهما»، وهذه الأحاديث كلها في الصحاح، وإذا كان المسلم متأولاً في القتال أو التكفير، لم يكفر بذلك كما قال عمر بن الخطاب لحاطب بن أبي بلتعة: «يا رسول الله، دعني أضرب عنق هذا المنافق؛ فقال النبي ﷺ: إنه قد شهد بدرًا، وما يدريك أن الله قد اطلع على أهل بدر؛ فقال: اعملوا ما شئتم، فقد غفرت لكم» وهذا في الصحيحين، وفيها أيضًا من حديث الإفك أن أسيد بن الحضير قال لسعد بن عبادة: إنك منافق تجادل عن المنافقين، واختصم الفريقان فأصلح النبي ﷺ بينهما؛ فهؤلاء البدريون فيهم من قال لآخر منهم: إنك منافق، ولم يكفر النبي لا هذا ولا هذا، بل شهد للجميع بالجنة، وكذلك ثبت في الصحيحين عن أسامة بن زيد أنه قتل رجلًا بعد ما قال لا إله إلا الله، وعظم النبي ذلك لما أخبروه، وقال: يا أسامة، أقتلته بعد ما قال لا إله إلا الله؟ وكرر ذلك عليه حتى قال أسامة: تمنيت أني لم أكن أسلمت إلا يومئذ، ومع هذا لم يوجب عليه قودًا ولا ديةً ولا كفارةً؛ لأنه كان متأولاً ظن جواز قتل ذلك القائل؛ لظنه أنه قالها تعوذًا فهكذا السلف، قاتل بعضهم بعضا من أهل الجمل وصفين ونحوهم، وكلهم مسلمون مؤمنون كما قال تعالى: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓاْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ۝٩﴾ [سورة الحجرات: آية (٩)] فقد بين الله تعالى أنهم مع اقتتالهم وبغي بعضهم على بعض إخوة مؤمنون، وأمر بالإصلاح بينهم بالعدل، ولهذا كان السلف مع الاقتتال يوالي بعضهم بعضًا موالاة الدين لا يعادون كمعاداة الكفار، فيقبل بعضهم شهادة بعض، ويأخذ بعضهم العلم عن بعض، ويتوارثون ويتناكحون ويتعاملون بمعاملة المسلمين بعضهم مع بعض مع ما كان بينهم من القتال والتلاعن وغير ذلك». مجموع الفتاوى: ٣/٢٨٢-٢٨٥.

الخطايا من وجهه، حتى تخرج من تحت أشفار عينيه، فإذا غسل يديه خرجت الخطايا من يديه حتى تخرج من تحت أظفار يديه، فإذا مسح رأسه خرجت الخطايا من رأسه حتى تخرج من أذنيه، فإذا غسل رجليه خرجت الخطايا من رجليه حتى تخرج من تحت أظفار رجليه، ثم كان مشيه إلى المسجد وصلاته نافلة له»(١).

قال ابن عبدالبر(٢): وقال بعض المنتمين إلى العلم من أهل عصرنا: إن الكبائر والصغائر يكفرها الصلاة والطهارة، واحتج بظاهر حديث الصنابحي هذا وبمثله من الآثار وبقوله ﷺ: **«فما ترون ذلك يبقى من ذنوبه»**(٣) وما أشبه ذلك، وهذا جهل بين وموافقة للمرجئة فيما ذهبوا إليه من ذلك، وكيف يجوز لذي لب أن يحمل هذه الآثار على عمومها وهو يسمع قول الله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ تُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾[التحريم: ٨] وقوله تبارك وتعالى: ﴿وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٣١] في آي كثيرة من كتابه، ولو كانت الطهارة والصلاة وأعمال البر مكفرة للكبائر، والمتطهر المصلي غير ذاكر لذنبه الموبق ولا قاصد إليه ولا حضره في حينه ذلك أنه نادم عليه ولا خطرت خطيئته المحيطة به بباله لما كان لأمر الله ﷻ بالتوبة معنى، ولكان كل من توضأ وصلى يشهد له بالجنة بأثر سلامه من الصلاة، وإن ارتكب قبلها ما شاء من الموبقات الكبائر، وهذا لا يقوله أحد ممن له فهم صحيح، وقد أجمع المسلمون: أن التوبة على المذنب فرض، والفروض لا يصح أداء شيء منها

(١) صحيح: رواه النسائي في سننه الكبرى: ١/ ١٠٦/٨٦، وفي المجتبى: ١/ ٧٤/ ١٠٣، وابن ماجة في سننه: ١/١٠٣/ ٢٨٢، والبيهقي في السنن الكبرى: ٣٨٨/٨١/١، وفي شعب الإيمان: ٣/ ٢٧٣٤/١٣، وأحمد في مسنده: ١٩٠٩١/٣٤٩/٤، والحاكم في المستدرك: ٤٤٦/٢٢٠/١، وقال: «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه، وليس له علة، وإنما خرجا بعض هذا المتن من حديث حمران عن عثمان وأبي صالح عن أبي تمام. وعبدالله الصنابحي صحابي ويقال: أبو عبدالله الصنابحي صاحب أبي بكر الصديق ﷺ عبدالرحمن بن عسيلة، والصنابحي قيس بن أبي حازم يقال له: الصنابح بن الأعسر»، وصححه الألباني في سنن النسائي: ح (١٠٣)، وسنن ابن ماجة: ح (٢٨٢) .

(٢) التمهيد: ٤/٤٤- ٤/٤٥.

(٣) صحيح البخاري: ١/ ١٩٧/٥٠٥.

إلا بقصد ونية واعتقاد أن لا عودة، فأما أن يصلي وهو غير ذاكر لما ارتكب من الكبائر، ولا نادم على ذلك فمحال، وقد قال رسول الله ﷺ: «الندم توبة»[(١)] وقال ﷺ: «الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة كفارة لما بينهن ما اجتنبت الكبائر»[(٢)]...

وقال أبو عمر[(٣)]: وهذا يبين لك ما ذكرنا ويوضح لك أن الصغائر تكفر بالصلوات الخمس لمن اجتنب الكبائر، فيكون على هذا معنى قول الله ﷻ: ﴿إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾﴾ [النساء: ٣١] الصغائر بالصلاة والصوم والحج وأداء الفرائض وأعمال البر، وان لم تجتنبوا الكبائر، ولم تتوبوا منها لم تنتفعوا بتكفير الصغائر إذا واقعتم الموبقات المهلكات والله أعلم، وهذا كله قبل الموت، فإن مات صاحب الكبيرة فمصيره إلى الله إن شاء غفر له وإن شاء عذبه، فإن عذبه فبجرمه، وإن عفا عنه فهو أهل العفو وأهل المغفرة، وإن تاب قبل الموت وقبل حضوره ومعاينته وندم واعتقد أن لا يعود واستغفر ووجل كان كمن لم يذنب، وبهذه الآثار الصحاح عن السلف التي قد جاءت وعليه جماعة علماء المسلمين.

ولو تدبر هذا القائل الحديث الذي فيه ذكر خروج الخطايا من فمه وأنفه ويديه ورجليه ورأسه لعلم أنها الصغائر في الأغلب، ولعلم أنها معفو عنها بترك الكبائر، دليل ذلك قوله ﷺ: «العينان تزنيان، واليدان تزنيان، والفم يزني، ويصدق ذلك كله الفرج، أو يكذبه»[(٤)] يريد ـ والله أعلم ـ إن الفرج بعمله يوجب المهلكة، وما لم يكن ذلك فأعمال

(١) صحيح: رواه ابن ماجة في سننه: ٢/١٤٢٠/٤٢٥٢، والبيهقي في السنن الكبرى: ١٠/١٥٤/٢٠٣٤٥، وشعب الإيمان: ٥/٣٨٦/٧٠٢٩، وابن حبان في صحيحه: ٢/٣٧٩/٦١٤،والبزار في مسنده: ٥/٣١٠/ ١٩٢٦،والطبراني في المعجم الأوسط: ٦/٨٣/٥٨٦٤، وأحمد في مسنده: ١/٣٧٦/٣٥٦٨، والهيثمي في مجمع الزوائد: ١٠/١٩٩، والحاكم في المستدرك: ٤/٢٧١/٧٦١٢، وحسنه ابن حجر في الفتح: ١٣/٤٧١، وصححه الألباني في سنن ابن ماجة: ح (٤٢٥٢).

(٢) صحيح مسلم: ١/٢٠٩/ ٢٣٣.

(٣) التمهيد: ٤/٤٨ـ ٤/٤٩.

(٤) صحيح مسلم: ٤/٢٠٤٧/٢٦٥٧.

البر يغسلن ذلك كله. وقد كنت أرغب بنفسي عن الكلام في هذا الباب لولا قول ذلك القائل وخشيت أن يغتر به جاهل فينهمك في الموبقات اتكالا على أنها تكفرها الصلوات الخمس دون الندم عليها والاستغفار والتوبة منها والله أعلم ونسأله العصمة والتوفيق.

وقال في موضع آخر[١]: من اجتنب كبائر ما نهي عنه كفرت سيئاته الصغائر بالوضوء والصلاة والصيام، ومن مات على هذا زحزح عن النار، وأدخل الجنة، وفاز مضمون له ذلك، ومن أتى كبيرة من الكبائر ثم تاب عنها بالندم عليها والاستغفار منها وترك العودة إليها كان كمن لم يأتها قط، والتائب من الذنب كمن لا ذنب له، على هذا الترتيب في الصغائر والكبائر وكفارة الذنوب جاء معنى كتاب الله وسنة رسوله عند جماعة العلماء بالكتاب والسنة، ومن أتى كبيرة ومات على غير توبة منها فأمره إلى الله، إن شاء غفر له، وإن شاء عذبه[٢].

---

(١) التمهيد: ٥/ ٧٨.

(٢) قال ابن القيم: «فتكفير الصغائر يقع بشيئين:
أحدهما: الحسنات الماحية.
والثاني: اجتناب الكبائر.
وقد نص عليهما ﷺ في كتابه فقال تعالى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ الَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّـَٔاتِ﴾ [هود: ١١٤] وقال تعالى: ﴿إِن تَجْتَنِبُوا كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا﴾ [النساء: ٣١]. الطبقة العاشرة طبقة قوم أسرفوا على أنفسهم وغشوا كبائر ما نهى الله عنه، ولكن رزقهم الله التوبة النصوح قبل الموت، فماتوا على توبة صحيحة، فهؤلاء ناجون من عذاب الله إما قطعًا عند قوم وإما رجاء وظنًا عند آخرين، وهم موكولون إلى المشيئة، ولكن نصوص القرآن والسنة تدل على نجاتهم، وقبول توبتهم، وهو وعد وعدهم الله إياه والله لا يخلف الميعاد» . طريق الهجرتين وباب السعادتين: ص٥٦١.

أقوال ابن عبدالبر فيمن يحكم له بالجنة

عن أبي هريرة، أن رسول الله ﷺ قال: «**يضحك الله ﷻ إلى رجلين يقتل أحدهما الآخر كلاهما يدخل الجنة، يقاتل هذا في سبيل الله؛ فيقتل ثم يتوب الله على القاتل، فيقاتل فيستشهد**»(١)

قال أبو عمر(٢): معنى هذا الحديث عند جماعة أهل العلم: أن القاتل الأول كان كافرًا، وتوبته المذكورة في هذا الحديث إسلامه، قال الله ﷻ: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ﴾[الأنفال: ٣٨] وفي هذا الحديث دليل على أن كل **من قتل في سبيل الله فهو في الجنة لا محالة إن شاء الله.**

حدثنا سعيد بن نصر، وعبدالوارث بن سفيان، قالا: حدثنا قاسم بن أصبغ قال: حدثنا إسماعيل ابن إسحاق قال: حدثنا سليمان بن حرب قال: حدثنا حماد بن زيد عن أيوب عن محمد بن سيرين عن أبي العجفاء عن عمر بن الخطاب، فذكر حديثا سمعه، يقول: قال: وأخرى تقولونها، يعني في مغازيكم هذه لمن يقتل: قتل فلان شهيدًا، أو مات فلان شهيدًا، ولعله أن يكون قد أوقر دفتي راحلته ذهبًا أو ورقًا يبتغي الدنيا، أو قال: التجارة، فلا تقولوا ذاكم؛ ولكن قولوا كما قال النبي: «**ومن قتل في سبيل الله أو مات فهو في الجنة**»(٣)وكذلك الآثار المتقدمة كلها تدل على ذلك والله أعلم، وذلك على قدر النيات، وكل من قاتل لتكون كلمة الله العليا وكلمة الذين كفروا السفلى فهو في الجنة إن شاء الله(٤).

---

(١) صحيح البخاري: ٣/١٠٤٠/٢٦١٧، صحيح مسلم: ٣ / ١٥٠٤ / ١٨٩٠.

(٢) التمهيد: ١٨/٣٤٥.

(٣) صحيح مسلم: ٣/١٥٢١/١٩١٥.

(٤) قال ابن تيمية: «الشهادة لمعين بالجنة وفيها ثلاثة أقوال:
قيل: لا يشهد بذلك لغير النبي وهو قول أبي حنيفة والأوزاعي وعلى بن المديني وغيرهم.
وقيل يشهد به لمن جاء به نص إن كان خبرًا صحيحًا كمن شهد له النبي بالجنة فقط، وهذا قول كثير من أصحابنا وغيرهم.
وقيل: يشهد به لمن استفاض عند الأمة أنه رجل صالح كعمر بن عبدالعزيز والحسن البصري وغيرهما =

أقوال ابن عبدالبر فيمن يصلي عليه الإمام

عن يعقوب بن زيد بن طلحة، عن أبيه زيد بن طلحة، عن عبدالله بن أبي مليكة، أنه أخبره أن امرأة جاءت إلى رسول الله ﷺ فأخبرته أنها زنت، وهي حامل، فقال لها رسول الله ﷺ: **«اذهبي حتى تضعي، فلما وضعته جاءته، فقال رسول الله ﷺ: اذهبي حتى ترضعيه، فلما أرضعته جاءته، فقال: اذهبي فاستودعيه، قال: فاستودعته، ثم جاءت، فأمر بها، فرجمت»**(١).

قال أبو عمر(٢): وقد اختلف العلماء في صلاة الإمام على من قتله أو أمر بقتله في قصاص أو حد أو رجم، فذهب مالك وأصحابه إلى أن من قتل في قصاص أو حد أو رجم لم يصل عليه الإمام، وصلى عليه غيره، وكذلك قطاع الطريق.

وقال الكوفيون وغيرهم: لا فرق بين صلاة الإمام، وصلاة غيره، إلا أنهم قالوا فيمن قتل نفسه: لا يصلي عليه الإمام، وحده عقوبة له؛ لأنه مطالب بنفسه كما صنع رسول

= وكان أبو ثور يشهد لأحمد بن حنبل بالجنة وقد جاء في الحديث الذي في المسند« يوشك أن تعلموا أهل الجنة من أهل النار، قالوا: بماذا يا رسول الله؟ قال بالثناء الحسن والثناء السيء وفي الصحيحين «أن النبي ﷺ مر عليه بجنازة؛ فأثنوا عليها خيرا؛ فقال: وجبت وجبت، ومر عليه بجنازة؛ فأثنوا عليها شرًا؛ فقال: وجبت وجبت؛ فقيل: يا رسول الله، ما قولك وجبت وجبت؟ قال هذه الجنازة أثنيتم عليها الخير؛ فقلت وجبت لها الجنة، وهذه الجنازة أثنيتم عليها شرًا؛ فقلت وجبت لها النار، أنتم شهداء الله في الأرض» وفي حديث آخر «إذا سمعت جيرانك يقولون قد أحسنت فقد أحسنت، وإذا سمعتهم يقولون قد أسأت؛ فقد أسأت» وسئل عن الرجل يعمل العمل لنفسه؛ فيحمده الناس عليه فقال: تلك عاجل بشرى المؤمن.

والتحقيق أن هذا قد يعلم بأسباب وقد يغلب على الظن ولا يجوز للرجل أن يقول بما لا يعلم، ولهذا لما قالت أم العلاء الأنصارية لما قدم المهاجرون المدينة اقترعت الأنصار على سكناهم فصار لنا عثمان ابن مظعون في السكنى فمرض فمرضناه، ثم توفي فجاء رسول الله ﷺ فدخل فقلت رحمة الله عليك أبا السائب، فشهادتي أن قد أكرمك الله قال النبي ﷺ وما يدريك أن الله قد أكرمه؟ قالت: لا، والله لا أدري؛ فقال النبي ﷺ: أما هو فقد أتاه اليقين من ربه وإني لأرجو له الخير، والله ما أدري وأنا رسول الله ما يفعل بي ولا بكم؛ قالت: فوالله لا أزكي بعده أحدًا أبدًا، قالت: ثم رأيت لعثمان بعد في النوم عينا تجري فقصصتها على رسول الله ﷺ فقال ذاك عمله. النبوات: ص١٠-١١.

(١) المستدرك على الصحيحين: ٤/٤٠٥/ ٨٠٨٥، موطأ مالك: ٢/ ٨٢١/ ١٥٠١.

(٢) التمهيد: لابن عبدالبر: ٢٤ /١٣١-٢٤ / ١٣٢

رسول الله ﷺ بالذي مات بخيبر فقال فيه رسول الله ﷺ لأصحابه صلوا على صاحبكم، فنظروا في متاعه، فوجدوا خرزًا من خرز يهود لا يساوي درهمين، قالوا: فترك الصلاة عليه لما كان به مطالب من الغلول، وأمر غيره بالصلاة عليه، قالوا: فكذلك الذي يقتل نفسه؛ لأنه مطالب بها لا يقدر أحد من أهل الدنيا على تخليصه منها، وعلى هذا حمل أهل العلم حديث سماك بن حرب عن جابر بن سمرة أن رجلًا قتل نفسه بمشقص، فلم يصل عليه النبي ﷺ(١) حملوه على أنه صلى عليه غيره والله أعلم.

وذهبوا إلى أن كل من كان من أهل القبلة لا تترك الصلاة عليه، وعلى هذا جماعة العلماء إلا أبا حنيفة وأصحابه، فإنهم خالفوا في البغاة وحدهم، فقالوا: لا نصلي عليهم؛ لأن علينا منابذتهم واجتنابهم في حياتهم، قالوا: وبعد الموت أحرى لوقوع اليأس من توبتهم.

قال أبو عمر: ليس هذا بشيء، والذي عليه جماعة العلماء، وجمهور الفقهاء من الحجازيين والعراقيين، أنه يصلي على من قال لا إله إلا الله مذنبين وغير مذنبين مصرين وقاتلي أنفسهم، وكل من قال لا إله إلا الله. إلا أن مالكًا خالف في الصلاة على أهل البدع، فكرهها للأئمة، ولم يمنع منها العامة، وخالف أبو حنيفة في الصلاة على البغاة، وسائر العلماء غير مالك يصلون على أهل الأهواء والبدع والكبائر والخوارج وغيرهم.

وقال أبو عمر في الاستذكار(٢): وفي صلاة النبي ﷺ على النجاشي إذ لم يصل عليه أحد من قومه، وأمره ﷺ أصحابه بالصلاة عليه معه دليل واضح على تأكيد الصلاة على الجنائز، وعلى أنه لا يجوز أن تترك الصلاة على مسلم مات، ولا يجوز دفنه دون أن يصلى عليه لمن قدر على ذلك. وعلى هذا جمهور علماء المسلمين من الصحابة والتابعين ومن بعدهم من فقهاء الأمصار، إلا أنهم اختلفوا في الصلاة على الشهداء، وعلى البغاة، وعلى أهل الأهواء، لمعان مختلفة متباينة على ما نذكره في موضعه إن شاء

(١) صحيح مسلم: ٢/ ٦٧٢/ ٩٧٨، ولفظه حدثنا عون بن سلام الكوفي أخبرنا زهير عن سماك عن جابر بن سمرة قال: «أتي النبي ﷺ برجل قتل نفسه بمشاقص فلم يصل عليه» .

(٢) الاستذكار: ٣ /٢٩.

الله.

وأجمع المسلمون على أنه لا يجوز ترك الصلاة على المسلمين المذنبين من أجل ذنوبهم، وإن كانوا أصحاب كبائر، وقد روي عن النبي ﷺ أنه قال: «صلوا على كل من قال لا إله إلا الله محمد رسول الله»(١) وإن كان في إسناده ضعف، فما ذكرنا من الإجماع يشهد له ويصححه.

حدثنا إسماعيل بن عبدالرحمن قال: حدثنا محمد بن القاسم بن شعبان قال: حدثنا عيسى بن أحمد بن يحيى قال: حدثنا نصر بن مروان بن مرزوق قال: حدثنا جعفر بن هارون الكوفي أبو محمد قال: حدثنا محمد بن الفضل بن عطية، عن سالم الأفطس، عن عطاء بن أبي رباح، عن عبدالله بن عمر أن رسول الله ﷺ قال: «صلوا خلف من قال لا إله إلا الله، وصلوا على من قال لا إله إلا الله»(٢) وقال طلحة بن عمرو قلت لعطاء: وامرأة حبلى من زنا ماتت من النفاس ورجل غرق سكرانًا فماتا أأصلي عليهما؟ قال: نعم، قلت: لم، ولم يستحدثا توبة؟ قال: إن لهما حقوقهما بشهادة أن لا إله إلا الله، وحسابهما على الله ألم تسمع إلى ما حكاه الله عن العبدالصالح: ﴿قَالَ وَمَا عِلْمِى بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١١٢﴾ إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّى لَوْ تَشْعُرُونَ ﴿١١٣﴾﴾[الشعراء: ١١٢-١١٣]

قال أبو عمر: قوله «إن لهما حقوقهما» يوضح أن الصلاة على موتى المسلمين حق لهم على الأحياء.

وقال أبو عمر في موضع آخر(٣): وقال مالك في آخر هذا الباب: لم أر أحدًا من أهل

---

(١) ضعيف: سنن الدارقطني: ٢/ ٥٦، المعجم الكبير: للطبراني: ١٢/ ٤٤٧/١٣٦٢٢، التحقيق في أحاديث الخلاف: ١/ ٤٧٧/ ٧٣٠، وضعفه الزيلعي في نصب الراية: ٢/٢٧، فقال: «أعله ابن الجوزي بمحمد بن الفضل قال: قال النسائي: متروك، وقال أحمد: حديثه يشبه حديث أهل الكذب، وقال ابن معين: كان كذابًا. انتهى. ورواه أبو نعيم في الحلية، عن سويد بن عمرو، عن سالم الأفطس به، وأخرجه ابن الجوزي في العلل المتناهية من طرق أخرى واهية» .

(٢) ضعيف: سنن الدارقطني: ٢/ ٥٦، التحقيق في أحاديث الخلاف: ١/ ٤٧٧/٧٣٠، وضعفه ابن حجر في تلخيص الحبير: ٢/ ٣٥/ ٥٧٨.

(٣) الاستذكار: ٣ /٥٢ ـ ٣/ ٥٣.

العلم يكره أن يصلى على ولد الزنى وأمه، وهذا ما لا أعلم فيه خلافا بين العلماء، وقد روي عن النبي ﷺ: «أنه صلى على ولد زنا، وأمه ماتت من نفاسها»(١) وقال أبو وائل: يصلى على كل من صلى إلي القبلة، وسئل أبو أمامة عن الصلاة على جنازة شارب الخمر، قال: نعم، إذا شهد بشهادة الحق. وذكر أبو بكر بن أبي شيبة قال: حدثنا حفص بن غياث، عن أشعث، عن أبي الزبير، عن جابر قال: سألته عن المرأة تموت في نفاسها من الفجور أن يصلى عليها ؟ فقال: صل على من قال لا إله إلا اللَّه. قال: وحدثنا جرير، عن مغيرة، عن حماد، عن إبراهيم قال: يصلى على الذي قتل نفسه، وعلى النفساء من الزنى، وعلى الذي يموت غريقًا من الخمر. قال: وحدثنا أبو خالد الأحمر، عن عثمان بن الأسود، عن عطاء، قال: تصلي على من صلى إلى قبلتك. قال: وحدثنا عبداللَّه بن إدريس، عن هشام، عن ابن سيرين قال: ما أعلم أحدًا من الصحابة والتابعين ترك الصلاة على أحد من أهل القبلة آثمًا. وقال ابن عبدالحكم، عن مالك: لا تترك الصلاة على أحد مات ممن يصلي إلى القبلة، وهو قول الشافعي، وجماعة الفقهاء: يصلى على كل من شهد أن لا إله إلا اللَّه وأن محمدًا رسول اللَّه ﷺ، وكره مالك من بين سائر العلماء أن يصلي أهل العلم والفضل على أهل البدع(٢).

---

(١) مصنف ابن أبي شيبة: ٣/ ٣٤/ ١١٨٦٠، مصنف عبدالرزاق: ٣/ ٥٣٤/ ٦٦١٢، المعجم الكبير: ١٢/ ٣٨٦/ ١٣٤٢٨.

(٢) قال ابن تيمية: «وندين بالصلاة على من مات من أهل القبلة مؤمنهم وفاجرهم» بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية: ١/ ٤٢٥.

أقوال ابن عبدالبر في أطفال المسلمين

عن أنس ﷺ قال: قال النبي ﷺ: **«ما من الناس من مسلم يتوفى له ثلاث لم يبلغوا الحنث إلا أدخله الله الجنة بفضل رحمته إياهم»**(١).

قال ابن عبدالبر(٢): ففي قوله ﷺ في هذه الأحاديث **«لم يبلغوا الحنث»** ومعناه عند أهل العلم: لم يبلغوا الحلم، ولم يبلغوا أن يلزمهم حنث، دليل على أن أطفال المسلمين في الجنة لا محالة ـ والله أعلم ـ لأن الرحمة إذا نزلت بآبائهم من أجلهم استحال أن يرحموا من أجل من ليس بمرحوم، ألا ترى إلى قوله ﷺ: **«بفضل رحمته إياهم»**، فقد صار الأب مرحومًا بفضل رحمتهم، وهذا على عمومه؛ لأن لفظه ﷺ في هذه الأحاديث لفظ عموم، وقد أجمع العلماء على ما قلنا من أن أطفال المسلمين في الجنة، فأغنى ذلك عن كثير من الاستدلال ولا أعلم عن جماعتهم في ذلك خلافًا، إلا فرقة شذت من المجبرة، فجعلتهم في المشيئة، وهو قول شاذ مهجور مردود بإجماع الجماعة وهم الحجة الذين لا تجوز مخالفتهم ولا يجوز على مثلهم الغلط في مثل هذا إلى ما روي عن النبي ﷺ من أخبار الآحاد الثقات العدول، فمنها ما ذكرنا ومنها قوله ﷺ: **«إني مكاثر بكم الأمم، حتى بالسقط يظل محنبطئًا، يقال له: ادخل الجنة، فيقول: لا حتى يدخلها أبواي، فيقال له: ادخل أنت وأبواك»**(٣).

وعن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: **«صغاركم دعاميص الجنة»**(٤)وقد روي شعبة عن معاوية بن قرة بن إياس المزني عن أبيه عن النبي ﷺأن رجلا من الأنصار مات له ابن صغير، فوجد عليه، فقال له رسول الله ﷺ: **«أما يسرك أن لا تأتي بابًا من أبواب**

---

(١) صحيح البخاري: ١١٩١/٤٢١/١.

(٢) التمهيد: لابن عبدالبر: ٣٤٨/٦ـ ٥١/٦ ٣، الاستذكار: ٣ /٧٣ ـ٧٤/٣.

(٣) ضعيف: المعجم الأوسط: ٢٥٢/٤٤/٦، المعجم الكبير: ١٠٠٤/٤١٦/١٩، مصنف عبدالرزاق: ١٠٣٤٣/١٦٠/٦، وضعفه ابن حبان في المجروحين: ٦٨٧/١١١/٢، وضعفه الذهبي في ميزان الاعتدال: ٥٨٤٦/٥٥/٥، وضعفه العقيلي في الضعفاء الكبير: ١٢٥٦/٢٥٣/٣، وضعفه ابن حجر في لسان الميزان: ٦٠٧/٢٢٩/٤، والمناوي في فيض القدير: ١٥٥/٤.

(٤) صحيح مسلم: ٢٦٣٥/٢٠٢٩/٤.

الجنة إلا وجدته يستفتح لك، فقالوا: يا رسول الله، أله خاصة، أم للمسلمين عامة؟ قال: بل للمسلمين عامة»(١) وهذا حديث ثابت صحيح بمعنى ما ذكرناه. وقد ذكرنا آثار هذا الباب وما قالته الفرق في ذلك واعتقدته في باب أبي الزناد والحمد لله.

وفي هذه الآثار مع إجماع الجمهور دليل على أن قوله ﷺ: **«الشقي من شقي في بطن أمه»**(٢) وإن الملك ينزل، فيكتب أجله ورزقه، ويكتب شقيًا أو سعيدًا في بطن أمه؛ مخصوص مجمل، وإن من مات من أطفال المسلمين قبل الاكتساب، فهو ممن سعد في بطن أمه، ولم يشق بدليل ما ذكرنا من الأحاديث والإجماع.

وفي ذلك أيضًا دليل واضح على سقوط حديث طلحة بن يحيى عن عمته عائشة بنت طلحة عن عائشة أم المؤمنين قالت: **«أتي رسول الله ﷺ بصبي من صبيان الأنصار؛ ليصلى عليه، فقلت: طوبى له عصفور من عصافير الجنة، لم يعمل سوءًا قط، ولم يدركه ذنب فقال النبي ﷺ: أو غير ذلك يا عائشة؟ إن الله ﷻ خلق الجنة وخلق لها أهلًا وهم في أصلاب آبائهم، وخلق النار وخلق لها خلقًا وهم في أصلاب آبائهم الله أعلم بما كانوا عاملين»**(٣) وهذا حديث ساقط ضعيف(٤) مردود بما ذكرنا من الآثار والإجماع، وطلحة بن يحيى ضعيف لا يحتج به(٥)، وهذا الحديث مما انفرد به فلا يعرج عليه،

---

(١) صحيح: النسائي في الكبرى: ١/٦١٣/١٩٩٧، والبيهقي في شعب الإيمان: ٧/١٣٥/ ٩٧٥٣، والطبراني في المعجم الكبير: ١٩/٢٦/٥٤، وأحمد في المسند: ٣/٤٣٦/ ١٥٦٣٣، والبزار في مسنده: ٨/٢٤٢/٣٣٠٢، وابن حبان في صحيحه: ٧/٢٠٩/ ٢٩٤٧، وصححه الهيثمي في مجمع الزوائد: ٣/١٠، والحاكم في المستدرك: ١/٥٤١/١٤١٧.

(٢) صحيح مسلم: ٤/٢٠٣٧/ ٢٦٤٥.

(٣) صحيح مسلم: ٤/٢٠٥٠/ ٢٦٦٢.

(٤) لعله سبق قلم من ابن عبدالبر، فالحديث في صحيح مسلم، وسوف يصححه هو بعد ذلك في نفس المبحث.

(٥) قال ابن أبي حاتم: «طلحة بن يحيى بن طلحة بن عبيد الله القرشي مدني الأصل صار إلى الكوفة... نا صالح بن احمد بن حنبل نا على يعنى بن المديني قال: سمعت يحيى بن سعيد القطان يقول: لم يكن طلحة بن يحيى بالقوي، وعمرو بن عثمان أحب إلي منه نا عبدالرحمن انا عبدالله بن احمد بن حنبل فيما كتب إلى قال: سمعت أبي يقول: طلحة بن يحيى صالح الحديث وهو أحب إلى من بريد بن أبي بردة وبريد يروى أحاديث مناكير نا عبدالرحمن، قال: ذكره أبي =

ومعنى قوله: «الله أعلم بما كانوا عاملين» إخبار بأن الله يعلم ما يكون قبل أن يكون، وما لا يكون لو كان كيف يكون، والمجازاة إنما تكون على الأعمال. وحديث شعبة عن معاوية بن قرة عن أبيه حديث ثابت صحيح، وعليه الناس، وهو يعارض حديث طلحة ابن يحيى ويدفعه.

حدثنا أحمد بن قاسم بن عيسى قال: حدثنا عبيد الله بن محمد بن حبابة ببغداد قال: حدثنا عبدالله بن محمد البغوي قال: حدثنا علي بن الجعد قال: أنبأنا شعبة عن معاوية ابن قرة عن أبيه: أن رجلا جاء بابنه إلى النبي ﷺ فقال له رسول الله ﷺ: «أتحبه؟ فقال: أحبك الله كما أحبه يا رسول الله، فتوفي الصبي، ففقده النبي ﷺ فقال: أين فلان؟ فقالوا: يا رسول الله، توفي ابنه، فقال له رسول الله ﷺ: أما ترضى أن لا تأتي بابًا من أبواب الجنة إلا جاء حتى يفتحه لك؟ فقالوا: يا رسول الله، أله وحده أم لكلنا؟ فقال: لا، بل لكلكم»[1] وقد روينا عن علي بن أبي طالب ولا مخالف له في ذلك من الصحابة أنه قال في قول الله ﷻ: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ ﴿٣٩﴾﴾ [المدثر: ٣٨-٣٩] قال: هم أطفال المسلمين.

حدثناه خلف بن أحمد قال: حدثنا أحمد بن سعيد وأحمد بن مطرف قالا: حدثنا سعيد بن عثمان الأعناقي قال: حدثنا إسحاق بن إسماعيل الأيلي قال: حدثنا المؤمل ابن إسماعيل عن سفيان عن الأعمش عن عثمان بن موهب عن زاذان عن علي في

= عن إسحاق بن منصور عن يحيى بن معين أنه قال: طلحة بن يحيى القرشي ثقة، وقدم طلحة على أخيه إسحاق بن يحيى نا عبدالرحمن قال: سألت أبي عن طلحة بن يحيى؟ فقال: صالح الحديث حسن الحديث صحيح الحديث ثنا عبدالرحمن سألت أبا زرعة عن طلحة بن يحيى بن طلحة؟ فقال: صالح» . الجرح والتعديل: ٤٧٧/٤١ .

(١) صحيح: رواه أحمد في المسند: ٤٣٦/٣/، والنسائي في السنن الكبرى: ١/ ١٩٩٧/٦١٣، وفي المجتبى: ٢٢/٤/ ١٨٧٠ وابن أبي شيبة في المصنف: ٣٦/٣/ ١١٨٨٦، والطبراني في المعجم الكبير: ٥٤/٢٦/١٩، والبيهقي في شعب الإيمان: ٩٧٥٣/١٣٥/٧، والبزار في مسنده: ٢٤٢/٨/ ٣٣٠٢، وصححه الهيثمي في مجمع الزوائد: ١٠/٣، والحاكم في المستدرك: ١٤١٧/٥٤١/١، وصححه الألباني في سنن النسائي: ح (١٨٧٠) .

قوله: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ۝٣٨ إِلَّآ أَصْحَٰبَ ٱلْيَمِينِ ۝٣٩﴾ قال: أصحاب اليمين: أطفال المسلمين، ورواه وكيع عن سفيان بإسناده مثله بمعناه.

وقد اختلف العلماء في أطفال المشركين وفي أطفال المسلمين أيضا على ما ذكرناه ومهدناه في باب أبي الزناد من هذا الكتاب.

وقال أبو عمر في موضع آخر(١): وأما اختلاف العلماء في الأطفال، فقالت طائفة: أولاد الناس كلهم المؤمنين منهم والكافرين إذا ماتوا أطفالًا صغارًا لم يبلغوا في مشيئة الله ﷻ يصيرهم إلى ما شاء من رحمة أو عذاب، وذلك كله عدل منه، وهو أعلم بما كانوا عاملين.

وقال آخرون، وهم الأكثر: أطفال المسلمين في الجنة وأطفال الكفار في المشيئة.

وقال آخرون: حكم الأطفال كلهم كحكم آبائهم في الدنيا والآخرة، هم مؤمنون بإيمان آبائهم وكافرون بكفر آبائهم، فأطفال المسلمين في الجنة، وأطفال الكفار في النار.

وقال آخرون: أولاد المسلمين وأولاد الكفار إذا ماتوا صغارًا جميعًا في الجنة.

وقال آخرون: أولاد المشركين خدم أهل الجنة.

وقال آخرون: يمتحنون في الآخرة، وروت كل طائفة فيما ذهبت إليه من ذلك آثارًا وقفت عندها ودانت بها لصحتها لديها، ونحن نذكر منها ما حضرنا ذكره بعون ربنا لا شريك له، وبالله التوفيق.

---

(١) التمهيد: لابن عبدالبر: ١٨/٩٦ - ١٨/ ١٣٣.

باب ذكر الأخبار التي احتج بها من أوجب الوقوف عن الشهادة لأطفال المسلمين وغيرهم بجنة أو نار، وجعل جميعهم في مشيئة الجبار

حدثنا عبدالوارث بن سفيان قال: حدثنا قاسم بن أصبغ قال: حدثنا مطلب بن شعيب قال: أخبرنا عبدالله بن صالح قال: حدثني الليث قال: حدثني جعفر بن ربيعة عن عبدالرحمن بن هرمز الأعرج أنه قال: قال أبو هريرة: قال رسول الله ﷺ: **«كل بني آدم يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه، أو ينصرانه كما تنتج الإبل من بهيمة جمعاء هل تحس من جدعاء؟ قيل: أفرأيت من يموت وهو صغير يا رسول الله؟ قال: الله أعلم بما كانوا عاملين»**(١) هكذا قال: كل بني آدم، وهو يقتضي كل مولود لمسلم وغير مسلم على ظاهره وعمومه.

وأخبرنا عبدالوارث بن سفيان قال: حدثنا قاسم بن أصبغ قال: حدثنا بكر بن حماد قال: حدثنا مسدد قال: حدثنا يحيى (يعني القطان) عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال: **«سئل رسول الله ﷺ عن الأطفال؟ فقال: الله أعلم بما كانوا عاملين»** هكذا قال: الأطفال لم يخص شيئا.

حدثنا عبدالله بن محمد بن أسد قال: حدثنا سعيد بن عثمان بن السكن قال: حدثنا محمد بن يوسف قال: حدثنا البخاري قال: حدثنا مسدد قال: حدثنا حماد عن عبيد الله بن أبي بكر عن أنس بن مالك عن النبي ﷺ قال: **«إن الله ﷻ وكل بالرحم ملكًا، يقول: يا رب، نطفة؟ يا رب، علقة؟ يا رب، مضغة؟ فإذا أراد أن يقضي خلقه قال: أذكر أم أنثى؟ أشقي أم سعيد؟ فما الرزق؟ وما الأجل؟ فيكتب وهو في بطن أمه»**(٢).

حدثنا سعيد بن نصر وعبدالوارث بن سفيان قالا: حدثنا قاسم بن أصبغ قال: حدثنا محمد بن سليمان المنقري قال: حدثنا محمد بن كثير العبدي قال: حدثنا سفيان الثوري وشعبة وأبو عوانة قال المنقري: وحدثنا عمرو بن مرزوق قال: حدثنا شعبة

---

(١) صحيح البخاري: ٦/ ٦٢٢٦/٢٤٣٤، صحيح مسلم: ٢٦٥٨/٢٠٤٨/٤.
(٢) صحيح البخاري: ٣١٢/١٢١/١.

وحدثنا أبو الربيع سليمان بن داود الزهراني، وأبو بكر بن أبي شيبة قالا: حدثنا جرير وأبو معاوية كلهم يقول: حدثنا الأعمش عن زيد بن وهب عن عبدالله بن مسعود قال: حدثنا رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق: **«أن خلق ابن آدم يمكث في بطن أمه أربعين يومًا، ثم يصير علقة أربعين يومًا، ثم يصير مضغة أربعين يومًا، ثم يبعث الله إليه ملكًا، فيقول: يا رب، أذكر أم أنثى؟ أشقي أم سعيد؟ ما الأجل، وما الأثر؟ فيوحي الله، ويكتب الملك حتى إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى لا يكون بينه وبينها إلا ذراع أو قيد ذراع، فيغلب عليه الكتاب الذي سبق، فيعمل بعمل أهل النار؛ فيدخل النار، وإن الرجل ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع أو قيد ذراع، فيغلب عليه الكتاب الذي سبق، فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخل الجنة»**(١).

وأخبرنا عبدالله بن محمد حدثنا أحمد بن جعفر بن حمدان حدثنا عبدالله بن أحمد بن حنبل حدثني أبي قال: حدثنا أبو معاوية قال: حدثنا الأعمش عن زيد بن وهب عن عبدالله قال: حدثنا رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق: **«إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يومًا، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يرسل إليه الملك، فينفخ فيه الروح، ويؤمر بأربع كلمات رزقه وأجله وعمله وشقي أم سعيد؟ فوالذي لا إله غيره إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع، فيسبق عليه الكتاب، فيختم له بعمل أهل النار فيدخلها، وإن الرجل ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع، فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة، فيدخلها»**(٢).

وحدثنا عبدالوارث بن سفيان قال: حدثنا قاسم بن أصبغ قال: حدثنا محمد بن إسماعيل الصائغ قال: حدثنا يحيى بن أبي بكير قال: حدثنا زهير بن معاوية قال: حدثنا عبدالله بن عطاء أن عكرمة بن خالد حدثه: أن أبا الطفيل حدثه: أنه سمع

---

(١) صحيح البخاري: ٣/١١٧٤/٣٠٣٦، صحيح مسلم: ٤/٢٠٣٦/٢٦٤٣.
(٢) صحيح البخاري: ٣/١٢١٢/٣١٥٤، صحيح مسلم: ٤/٢٠٣٦/٢٦٤٣.

عبدالله بن مسعود يقول: إن الشقي من شقي في بطن أمه، وإن السعيد من وعظ بغيره، قال: فخرجت من عنده أتعجب مما سمعته حتى دخلت على أبي سريحة حذيفة بن أسيد الغفاري، فتعجبت عنده فقال: مم تتعجب؟ فقلت: سمعت أخاك عبدالله بن مسعود يقول: إن الشقي من شقي في بطن أمه، وإن السعيد من وعظ بغيره، فقال: ومن أي ذلك تعجب؟ فقلت: أيشقى أحد بغير عمل؟ فأهوى إلى أذنيه، وقال سمعت رسول الله ﷺ يقول بأذني هاتين: **«إن النطفة تمكث في الرحم أربعين ليلة، ثم يتسور عليها الملك (قال زهير: حسبته قال: الذي وكل بخلقها) فيقول: يا رب، أذكر أم أنثى؟ ثم يقول: يا رب، سوي أو غير سوي، فيجعله الله سويًا أو غير سوي ذكر أم أنثى؟ ثم يقول: ما رزقه؟ ما أجله؟ ما خلقه؟ ثم يجعله الله شقيًا أو سعيدًا»**(١).

وحدثنا خلف بن القاسم حدثنا أبو أحمد عبدالله بن المفسر حدثنا علي بن غالب الشكشري حدثنا علي بن المديني حدثنا سفيان بن عمر سمع أبا الطفيل يحدث عن حذيفة بن أسيد الغفاري قال: قال رسول الله ﷺ: **«يدخل الملك على النطفة بعد ما تستقر في الرحم بأربعين أو بخمس وأربعين ليلة، فيقول: أي رب ذكر أو أنثى؟ فيقول الله تبارك وتعالى، فيكتب. قال: ثم يكتب عمله ورزقه وأجله وأثره، ثم تطوى الصحيفة، فلا يزاد على ما فيها ولا ينقص»**(٢).

قال علي بن المديني: وحدثنا يزيد بن هارون قال: حدثنا منصور بن حيان الأسدي قال: حدثنا أبو الطفيل قال: سمعت عبدالله بن مسعود يقول: الشقي من شقي في بطن أمه، قال: ففزعت إلى حذيفة بن أسيد الغفاري، فقلت: إني سمعت عبدالله بن مسعود يقول: الشقي من شقي في بطن أمه! فقال: وما أنكرت من ذلك؟! سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن المرأة إذا حملت، فأتت على أربعين يومًا نزل إليها ملك، فإذا قضى الله ﷻ في خلق ما في بطنها ما قضى قال الملك: **«يا رب، أذكر أم أنثى، فيقضي**

---

(١) صحيح مسلم: ٤/٢٠٣٧/٢٦٤٤.

(٢) صحيح مسلم: ٤/٢٠٣٧/ ٢٦٤٤

الله ﷻ إلى الملك، ويكتب، ثم يقول: يا رب، ما رزقه؟ فيقض الله ﷻ إلى الملك، ويكتب الملك، ثم يقول: يا رب، أشقي أم سعيد؟ فيقضي الله ﷻ إلى الملك، فيكتب الملك، ثم تطوى الصحيفة، فتكون مع الملك إلى يوم القيامة» وقد روى هذا المعنى جماعة من الصحابة عن النبي ﷺ.

وحدثنا سعيد بن نصر وعبدالوارث بن سفيان قالا: حدثنا قاسم بن أصبغ قال: حدثنا محمد بن إسماعيل الترمذي قال: حدثنا الحميدي قال: حدثنا سفيان قال: حدثنا طلحة بن يحيى عن عمته عائشة بنت طلحة عن خالتها أم المؤمنين قالت: **«أتي رسول الله ﷺ بصبي من صبيان الأنصار ليصلي عليه؛ فقلت: طوبى له عصفور من عصافير الجنة، لم يعمل بسوء ولم يدركه ذنب فقال: النبي ﷺ أو غير ذلك يا عائشة؟ إن الله خلق الجنة وخلق لها أهلها، وخلقهم في أصلاب آبائهم، وخلق النار وخلق لها أهلها، وخلقهم في أصلاب آبائهم»**(١).

وحدثنا عبدالوارث بن سفيان قال: حدثنا قاسم بن أصبغ قال: حدثنا أحمد بن زهير قال: حدثنا أبو نعيم قال: حدثنا طلحة بن يحيى عن عمته يعني: عائشة بنت طلحة عن عائشة زوج النبي ﷺ قالت: فذكر مثل حديث ابن عيينة سواء، ورواه عن طلحة بن يحيى جماعة بإسناده ومعناه، وزعم قوم أن طلحة بن يحيى انفرد بهذا الحديث، وليس كما زعموا، وقد رواه فضيل بن عمرو عن عائشة بنت طلحة، كما رواه طلحة بن يحيى سواء، ذكره المروزي قال: حدثنا أحمد بن عمرو قال: حدثنا جرير عن العلاء بن المسيب عن فضيل بن عمرو عن عائشة بنت طلحة عن عائشة أم المؤمنين قالت: توفي صبي، فقلت: طوبى له عصفور من عصافير الجنة، فقال رسول الله ﷺ: **«أو لا تدرين أن الله خلق الجنة وخلق لها أهلًا، وخلق النار وخلق لها أهلًا؟»**، وحدثنا عبدالله بن محمد بن أسد قال: حدثنا أحمد بن محمد المكي قال: حدثنا علي ابن عبدالعزيز قال: حدثنا القعنبي قال: حدثنا معتمر بن سليمان عن أبيه عن رقبة بن

---

(١) صحيح مسلم: ٤/٢٠٥٠/ ٢٦٦٢.

مصقلة عن أبي إسحاق عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن أبي بن كعب أن رسول الله ﷺ قال: **«إن الغلام الذي قتله الخضر طبع كافرًا، ولو عاش لأرهق أبويه طغيانًا وكفرًا»**[(١)].

قال أبو عمر: هذا الحديث يقولون إنه انفرد برفعه رقبة بن مصقلة، وإن أصحاب أبي إسحاق الثقات يوقفونه على أبي بن كعب، ورقبة بن مصقلة[(٢)] ثقة فصيح عاقل، كان أحمد بن حنبل ويحيى بن معين يثنيان عليه،....

ذكر المروزي قال: أخبرنا إسحاق بن إبراهيم - يعني ابن راهويه - قال: أخبرنا مسلم ابن قتيبة قال: حدثنا عبدالجبار بن عباس الهمداني عن أبي إسحاق عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن أُبي بن كعب، عن النبي ﷺ قال: **«الغلام الذي قتله الخضر طبع كافرًا»**. وقد حدثنا سعيد بن نصر قال: حدثنا قاسم بن أصبغ قال: حدثنا محمد بن إسماعيل الترمذي قال: حدثنا الحميدي قال: حدثنا سفيان قال: حدثنا عمرو بن دينار قال: أخبرني سعيد بن جبير قال: كان ابن عباس يقرأ: **«وأما الغلام فكان كافرًا، وكان أبواه مؤمنين»**[(٣)].

حدثنا إبراهيم بن شاكر قال: حدثنا محمد بن أحمد بن يحيى قال: حدثنا محمد بن أيوب قال: حدثنا أحمد بن عمرو البزار قال: حدثنا زياد بن أيوب قال: حدثنا أبو معاوية قال: حدثنا حجاج عن عطاء، عن ابن عباس قال: كتب نجدة الحروري[(٤)] إلى

---

(١) صحيح مسلم: ٤/٢٠٥٠/٢٦٦١.

(٢) الإمام الثبت العالم، أبو عبدالله العبدي الكوفي، حدث عن أنس بن مالك وعن عطاء بن أبي رباح ونافع وطلحة بن مصرف وعون بن أبي جحيفة وغيرهم. وحدث عنه صاحبه سليمان التيمي وأبو عوانة وجرير بن عبدالحميد ومحمد بن فضيل وجماعة، قال أحمد بن حنبل: ثقة مأمون، وقال أحمد بن عبدالله العجلي: كان ثقة مفوهًا يعد من رجالات العرب رحمه الله تعالى. سير أعلام النبلاء: ٦/١٥٦.

(٣) صحيح البخاري: ٣/١٢٤٦/٣٢٢٠.

(٤) نجدة بن عامر الحروري من رؤوس الخوارج، زائغ عن الحق، وهو بن عمير اليمامي، خرج باليمامة عقب موت يزيد بن معاوية، وقدم مكة، وله مقالات معروفة وأتباع انقرضوا، ووقع ذكره في صحيح مسلم، وأنه كاتب ابن عباس يسأله عن سهم ذي القربى وعن قتل الأطفال الذين =

ابن عباس يسأله عن قتل الصبيان، فكتب إليه ابن عباس: «**أما الصبيان فإن كنت أنت الخضر تعلم المؤمن من الكافر فاقتلهم**»(١).

وروى قتادة عن عكرمة عن ابن عباس مثله، وأخبرنا أحمد بن محمد قال: حدثنا أحمد بن الفضل قال: حدثنا محمد بن جرير قال: حدثنا محمد بن سلمة عن محمد ابن إسحاق عن الزهري ومحمد بن علي عن يزيد بن هرمز قال: كتب نجدة إلى ابن عباس يسأله عن قتل الولدان، ويذكر في كتابه: إن العالم صاحب موسى قد قتل المولود قال يزيد: فأنا كتبت كتاب ابن عباس بيدي جوابه إلى نجدة أما بعد فإنك كتبت إلي تسألني عن قتل الولدان، وتذكر في كتابك أن العالم صاحب موسى قد قتل المولود؛ فلو كنت تعلم من الولدان ما علم ذلك العالم لقتلت، ولكنك لا تعلم وقد نهى رسول الله ﷺ عن قتلهم، وروى الثوري عن إسماعيل بن أمية عن سعيد المقبري عن يزيد بن هرمز عن ابن عباس مثله، وفي هذا الخبر مع صحته عن ابن عباس رد قول من قال: الغلام الذي قتله الخضر كان رجلًا وكان قاطع طريق، وهذا قول يروى عن عكرمة حكاه قتادة وغيره عنه، وقال قتادة: لعمري ما قتله إلا على كفر، قال قتادة: وقال بعضهم: كان يقطع الطريق قال قتادة: كان يقرأ في الحرف الأول [وأما الغلام فكان كافرًا وكان أبواه مؤمنين](٢) وقال غيره: لم يقتله الخضر إلا وهو كافر، كان قد كفر بعد إدراكه وبلوغه، أو عمل عملًا استوجب عليه القتل فقتله، واحتج بعض من ذهب هذا المذهب بحديث الزهري عن محمد بن عبدالله بن نوفل عن عبدالمطلب بن ربيعة قال: اجتمعت أنا والفضل بن عباس (**ونحن غلامان شابان قد بلغنا**) في حديث ذكره في كراهية الصدقة لبني هاشم.

قال أبو عمر: أما قوله في حديث الزهري: «**ونحن غلامان شابان قد بلغنا**» فهو كلام

= يخالفونه، وغير ذلك، وأجابه بن عباس واعتذر عن مكاتبته له. لسان الميزان: ٦/١٤٨/٥٢٠.

(١) صحيح: رواه أحمد في المسند: ١/٢٢٤/١٩٦٧، والمروزي في السنة: ص ٤٨ ح (١٥٣)، وله شاهد من صحيح مسلم: ٣/١٤٤٥/١٨١٢.

(٢) صحيح البخاري: ٣/١٢٤٦/٣٢٢٠، صحيح مسلم: ٤/١٨٤٩/ ٢٣٨٠.

خرج على القرب والمجاز، وقد بان ذلك في قوله «قد بلغنا» وأما قول من قال: إن الغلام كان رجلًا قد كفر أو عمل ما استوجب عليه القتل، فتخرص وظن لم يصح في أثر ولا جاء به خبر ولا يعرفه أهل العلم ولا أهل اللغة، وقد سمى الله ﷻ الإنسان الذي قتله الخضر غلامًا، والغلام عند أهل اللغة هو الصبي الصغير، يقع عليه عند بعضهم اسم غلام من حين يفطم إلى سبع سنين، وعند بعضهم يسمى غلامًا وهو رضيع إلى سبع سنين، ثم يصير يافعًا ويفاعًا إلى عشر سنين، ثم يصير حزورًا إلى خمس عشرة سنة، واختلف في تسمية منازل سنه بعد ذلك إلى أن يصير همًا[1] فانيًا كبيرًا بما لا حاجة بنا هاهنا إلى ذكره.

قال أبو عمر: وعلى هذا جمهور أهل اللغة في الغلام، أنه ما دام رضيعًا فهو طفل وغلام إلى سبع سنين. وأما اختلافهم في الكهل والشيخ، فقال بعضهم: الكهل ابن ثلاث وثلاثين سنة، وقال بعضهم: الكهل من أربعين إلى خمسين، والشيخ من خمسين إلى ثمانين، ثم يصير هرمًا فانيًا، وقال جماعة من العلماء في قوله ﷻ: ﴿نَفۡسٗا زَكِيَّةَۢ﴾ [الكهف: آية ٧٤] قالوا: لم يذنب قط.

حدثنا أحمد بن عبدالله بن محمد بن علي قال: حدثنا أبي قال: حدثنا أحمد بن خالد قال: حدثنا الحسن بن أحمد قال: حدثنا محمد بن عبيد قال: حدثنا حماد بن زيد قال: حدثنا شعيب عن أبي العالية في قصة موسى والخضر عليهما السلام قال: ﴿فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا لَقِيَا غُلَٰمٗا فَقَتَلَهُۥ﴾ [الكهف: آية ٧٤] قال: غلام يلعب مع الغلمان فقتل عنقه فقتله، ولم يره إلا موسى، ولو رآه القوم لحالوا بينه وبينه قال: «أقتلت نفسا زاكية أو زكية» قال: لم تبلغ الخطايا. وقال ابن جريج: أخبرني يعلى بن مسلم أنه سمع سعيد بن جبير يقول: وجد الخضر غلمانًا يلعبون، فأخذ غلامًا فأضجعه وذبحه بالسكين. حدثنا عبدالوارث بن سفيان قال: حدثنا قاسم بن أصبغ قال: حدثنا ابن وضاح قال: حدثنا سحنون وأبو الظاهر وحرملة بن يحيى قالوا: حدثنا ابن وهب قال: حدثني يونس بن

---

(١) الصواب ـ والله أعلم ـ: هرمًا.

يزيد عن ابن شهاب أن عبدالرحمن بن هنيدة حدثه أن عبدالله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا أراد الله أن يخلق النسمة، قال ملك الأرحام معرضًا: يا رب، ذكر أم أنثى؟ فيقضي الله أمره، ثم يقول: يا رب، شقي أو سعيد؟ فيقضي الله أمره، ثم يكتب بين عينيه ما هو حتى النكبة[(١)] ينكبها**»[(٢)].

قال أبو عمر: بهذه الآثار وما كان مثلها احتج من ذهب إلى الوقوف عن الشهادة لأطفال المسلمين أو المشركين بجنة أو نار، وإليها ذهب جماعة كثيرة من أهل الفقه والحديث منهم حماد بن زيد وحماد بن سلمة وابن المبارك وإسحاق بن راهويه وغيرهم، وهو يشبه ما رسمه مالك في أبواب القدر في موطئه، وما أورد في ذلك من الأحاديث وعلى ذلك أكثر أصحابه، وليس عن مالك فيه شيء منصوص إلا أن المتأخرين من أصحابه ذهبوا إلى أن أطفال المسلمين في الجنة وأطفال الكفار خاصة في المشيئة؛ لآثار وردت في ذلك نحن نذكرها في الباب بعد هذا إن شاء الله.

---

(١) النَّكْبَةُ: المُصيبةُ من مَصائب الدهر. لسان العرب: ١/٧٧٢.

(٢) صحيح: رواه ابن حبان في صحيحه: ١٤/٥٤/٦١٧٨، وأبو يعلى في مسنده: ١٠/١٥٤/٥٧٧٥، واللالكائي في اعتقاد أهل السنة: ٤/٥٩٤/١٠٥١، وصححه الهيثمي في مجمع الزوائد: ٧/ ١٩٣، وقال: «رواه أبو يعلى والبزار، ورجال أبي يعلى رجال الصحيح»، وصححه الذهبي في ميزان الاعتدال: ٤/ ٣٢٧، وصححه المزي في تهذيب الكمال: ١٧/٤٧٢، وصححه الألباني في السنة لابن أبي عاصم: ١/٨٢.

ذكر الأخبار التي احتج بها من شهد لأطفال المسلمين بالجنة

أخبرنا عبدالوارث بن سفيان قال: حدثنا قاسم بن أصبغ قال: حدثنا محمد بن الجهم قال: حدثنا روح بن عبادة قال: أخبرنا عوف عن محمد عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: **«ما من المسلمين من يموت له ثلاثة من الولد لم يبلغوا الحنث إلا أدخلهم الله وإياه الجنة بفضل رحمته، يجاء بهم يوم القيامة؛ فيقال لهم: ادخلوا الجنة، فيقولون: لا حتى يدخل آباؤنا، فيقال لهم: ادخلوا أنتم وآباؤكم بفضل رحمتي»**[١].

حدثنا أحمد بن فتح قال: حدثنا حمزة بن محمد، وحدثنا أحمد بن قاسم بن عيسى المقرئ قال: حدثنا عبيد الله بن محمد بن حبابة قالا: حدثنا البغوي قال: حدثنا علي بن الجعد قال: حدثنا شعبة عن معاوية بن قرة عن أبيه: **«أن رجلًا جاء بابنه إلى النبي ﷺ فقال: أتحبه؟ فقال:أحبك الله يا رسول الله، كما أحبه، فتوفي الصبي، ففقده النبي ﷺ فقال: ابن[٢] فلان ابن فلان؟ قالوا: يا رسول الله، توفي ابنه؛ فقال له رسول الله ﷺ: أما ترضى أن لا تأتي بابًا من أبواب الجنة إلا جاء يسعى يفتحه لك؟ فقالوا: يا رسول الله، أله وحده أم لنا كلنا؟ قال: بل لكم كلكم»**[٣]... حدثنا عبدالوارث بن سفيان قال: حدثنا شعبة عن عدي بن ثابت قال: سمعت البراء بن عازب يحدث عن النبي ﷺ قال في ابنه إبراهيم: **«إنه له موضعًا[٤] في الجنة»**[٥] وروى سعيد بن إياس الحريري عن

---

(١) لم أجده بهذا اللفظ، ولكن روى البخاري عن أنس ﷺ قال: قال النبي ﷺ: «ما من الناس من مسلم يتوفى له ثلاث لم يبلغوا الحنث إلا أدخله الله الجنة بفضل رحمته إياهم» صحيح البخاري: ١١٩١/٤٢١/١.

(٢) لعل الصواب: «أين»، وفي رواية «ما فعل»

(٣) صحيح: رواه أحمد بن حنبل في مسنده: ١٥٦٣٣/٤٣٦/٣، والنسائي في السنن الكبرى: ١/ ١٩٩٧/٦١٣، وفي المجتبى: ٢٢/٤/ ١٨٧٠، وابن أبي شيبة في المصنف: ٣٦/٣/ ١١٨٨٦، والطبراني في المعجم الكبير: ٥٤/٢٦/١٩، والبيهقي في شعب الإيمان: ٩٧٥٣/١٣٥/٧، والبزار في مسنده: ٣٣٠٢/٢٤٢/٨، وصححه الهيثمي في مجمع الزوائد: ١٠/٣، والحاكم في المستدرك: ١٤١٧/٥٤١/١، وصححه الألباني في سنن النسائي: ح (١٨٧٠).

(٤) لعل الصواب: مرضعًا.

(٥) صحيح البخاري: ١٣١٦/٤٦٥/١.

خالد بن علان قال: مات ابن لي؛ فوجدت عليه وجدًا شديدًا؛ فقلت: «يا أبا هريرة أسمعت من رسول اللَّه ﷺ شيئًا يُسخي أنفسنا عن موتانا؟ فقال سمعته يقول: صغاركم دعاميص الجنة»(١).

حدثنا عبدالوارث بن سفيان قال: حدثنا ابن أصبغ قال: حدثنا محمد بن إسماعيل قال: حدثنا أبو نعيم قال: حدثنا سفيان عن عبدالرحمن عن أبي حازم عن أبي هريرة قال: «أولاد المسلمين في جبل تكفلهم سارة وإبراهيم؛ فإذا كان يوم القيامة دفعوهم إلى آبائهم»(٢).

حدثنا أحمد بن قاسم، وأحمد بن محمد قالا: حدثنا وهب بن مسرة قال: حدثنا ابن وضاح قال: حدثنا محمد بن قدامة قال: حدثنا جرير عن الأعمش عن عثمان عن زاذان عن علي في قول اللَّه ﷻ: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ ﴿٣٩﴾﴾ [المدثر: آية ٣٨ ـ ٣٩] قال:هم أطفال المسلمين. وحدثنا خلف بن أحمد قال: حدثنا أحمد بن سعيد وأحمد بن مطرف قالا: حدثنا سعيد بن عثمان قال: حدثنا إسحاق بن إسماعيل الأيلي قال: حدثنا المؤمل بن إسماعيل عن سفيان عن الأعمش عن عثمان بن موهب عن زاذان عن علي في: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ ﴿٣٩﴾﴾ [المدثر: آية ٣٨ ـ ٣٩] قال: أصحاب اليمين أطفال المسلمين.

قال أبو عمر: اختصرت هذا الباب لأني قد تقصيته في كتاب الأجوبة عن المسائل المستغربة، وتكلمت عليه في باب سعيد بن المسيب من هذا الكتاب.

---

(١) صحيح مسلم: ٤/٢٠٢٩/٢٦٣٥.

(٢) المستدرك على الصحيحين: ١/٥٤١/١٤١٨، صحيح ابن حبان: ١٦/٤٨١/٧٤٤٦، مسند أحمد ابن حنبل: ٢/٣٢٦/٨٣٠٧، ورواه الهيثمي في مجمع الزوائد: ٧/ ٢١٩، وقال: «رواه أحمد وفيه عبدالرحمن بن ثابت وثقه المديني وجماعة، وضعفه ابن معين وغيره وبقية رجاله ثقات».

ذكر الأخبار التي احتج بها من شهد لأطفال المشركين بدخول الجنة، ومن قال: إنهم خدم أهل الجنة

حدثنا عبدالوارث بن سفيان قال: حدثنا قاسم بن أصبغ قال: حدثنا محمد بن عبدالسلام قال: حدثنا محمد بن بشار قال: حدثنا محمد بن جعفر قال: حدثنا عوف عن خنساء[(١)] امرأة من بني صريم عن عمها قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«النبي في الجنة، والشهيد في الجنة، والمولود في الجنة والوئيد في الجنة»**[(٢)]، وحدثنا قاسم بن محمد حدثنا خالد بن سعد حدثنا أحمد بن عمرو حدثنا محمد بن سنجر حدثنا هوذة حدثنا عوف عن خنساء بنت معاوية قالت: حدثني عمي قال: قلت: يا رسول الله، من في الجنة؟ قال: **«النبي في الجنة، والشهيد في الجنة، والمولود في الجنة، والوئيد في الجنة»**.

وحدثنا عبدالوارث بن سفيان قال: حدثنا قاسم بن أصبغ قال: حدثنا محمد بن أبي العوام قال: حدثنا عبدالعزيز القرشي قال: حدثنا أبو معاذ قال: حدثنا الزهري عن عروة عن عائشة قالت: سألت خديجة النبي ﷺ عن أولاد المشركين؛ فقال: **«هم مع آبائهم، ثم سألته بعد ذلك؛ فقال: الله أعلم بما كانوا عاملين، ثم سألته بعدما استحكم الإسلام؛ فنزلت: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾** [الأنعام: ١٦٤]، **وقال: هم على الفطرة، أو قال: في الجنة»**[(٣)]

وحدثنا عبدالوارث بن سفيان قال: حدثنا قاسم بن أصبغ قال: حدثنا مطلب بن شعيب قال: حدثنا أبو صالح قال: حدثنا ابن أبي سلمة عن محمد بن المنكدر عن يزيد

---

(١) حسناء بنت معاوية الصريمية، ويقال: خنساء روت عن عمها أسلم بن سليم وعنها عوف الأعرابي. لسان الميزان: ٥٢٤/٧، تهذيب الكمال: ١٥١/٣٥.

(٢) صحيح: سنن أبي داود: ٢٥٢١/١٥/٣، وأحمد في المسند: ٢٠٦٠٢/٥٨/٥، وحسنه ابن حجر في فتح الباري: ٢٤٦/٣، وحسنه صاحب تحفة الأحوذي: ٢٨٨/٦، فقال: «قال الحافظ إسناده حسن»، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود: ح (٢٥٢١) .

(٣) ضعيف: ضعفه ابن حجر في فتح الباري: ٢٤٧/٣، وقال: «وأبو معاذ هو سليمان بن أرقم وهو ضعيف»، وضعفه السيوطي في شرحه لسنن النسائي: ١٩٥٠/٥٨/٤.

الرقاشي عن أنس بن مالك قال: قال رسول اللَّه: «**سألت ربي عن اللاهين**[١] **من ذرية البشر ألا يعذبهم فأعطانيهم**»[٢]. **قال أبو عمر**: إنما قيل للأطفال اللاهين؛ لأن أعمالهم كاللَّهو واللعب من غير عقد ولا عزم، من قولهم: لهيت عن الشيء، أي: لم أعتمده، كقوله: ﴿لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ﴾[الأنبياء: آية (٣)]، وروى الحجاج بن نصير عن مبارك بن فضالة عن علي بن زيد عن أنس عن النبي قال: «**أولاد المشركين خدم أهل الجنة**»[٣].

وأخبرنا محمد بن عبدالملك قال حدثنا أبو سعيد بن الأعرابي، حدثنا سعيد بن نصر قال: حدثنا قاسم بن أصبغ قال: حدثنا وكيع عن الأعمش عن يزيد الرقاشي عن أنس قال: قال رسول اللَّه: «**الولدان أو قال: الأطفال خدم أهل الجنة**» وذكر البخاري في حديث أبي رجاء العطاردي عن سمرة بن جندب عن النبي ﷺ الحديث الطويل حديث الرؤيا، وفيه قوله ﷺ: «**وأما الرجل الطويل الذي في الروضة؛ فإنه إبراهيم عليه السلام وأما الولدان حوله فكل مولود يولد على الفطرة. قال: فقيل: يا رسول اللَّه، وأولاد المشركين؟ فقال رسول اللَّه ﷺ: وأولاد المشركين**»[٤]، وخرج البخاري أيضًا في رواية أخرى عن أبي رجاء في هذا الحديث: «**والشيخ في أصل الشجرة إبراهيم والصبيان حوله أولاد الناس**»[٥] وهذا يقتضي ظاهره وعمومه جميع الناس، واللَّه الموفق.

(١) قيل في تفسير اللاهين: إنهم الأطفال الذين لم يقترفوا ذنبًا. وقيل: هم البله الغافلون، وقيل: اللاهون الذين لم يتعمدوا الذنب، إنما أتوه غفلة ونسيانًا وخطأً. لسان العرب: ١٥/ ٢٦٠.

(٢) حسن: مسند أبي يعلى: ٧/١٣٨/٤١٠١، معجم أبي يعلى: ١/١٧٩/٢٠٥، مسند ابن الجعد: ١/ ٤٢٥/٢٩٠٦، وحسنه ابن حجر في الفتح: ٣/٢٤٦، وصححه الهيثمي في مجمع الزوائد: ٧/ ٢١٩، وقال: «رواه أبو يعلى من طرق، ورجال أحدها رجال عبدالرحمن بن المتوكل، وهو ثقة» .

(٣) ضعيف: رواه الطيالسي في مسنده: ١/٢٨٢/٢١١١، وضعفه ابن حجر في الفتح: ٣/ ٢٤٦،والهيثمي في مجمع الزوائد: ٧/ ٢١٩، وقال: رواه أبو يعلى والبزار والطبراني في الأوسط إلا أنهما قالا أطفال المشركين وفي إسناد أبي يعلى يزيد الرقاشي وهو ضعيف، وقال فيه ابن معين: رجل صدق ووثقه ابن عدي وبقية رجالهما رجال الصحيح.

(٤) صحيح البخاري: ٦/٢٥٨٣/٦٦٤٠.

(٥) صحيح البخاري: ١/٤٦٥/١٣٢٠.

ذكر الأخبار التي احتج بها من شهد لأطفال المشركين بالنار

حدثنا يعيش بن سعد قال: حدثنا قاسم بن أصبغ قال: حدثنا إسحاق بن الحسن الحربي قال: حدثنا أبو عمر الحوضي قال مرجي بن رجاء، وحدثنا عبدالوارث بن سفيان قال: حدثنا قاسم بن أصبغ قال: حدثنا بكر بن حماد قال: حدثنا مسدد قال: حدثنا المعتمر قالا: حدثنا داود عن عامر الشعبي عن علقمة بن قيس قال: حدثنا سلمة ابن يزيد الجعفي قال: أتيت النبي ﷺ أنا وأخي فقلنا: **«يا رسول الله، إن أمنا ماتت في الجاهلية، وكانت تقري الضيف، وتصل الرحم، وتفعل وتفعل فهل ينفعها من عملها ذلك شيء؟ قال: لا. قال: فقلنا: إن أمنا ولدت[1] أختًا لنا في الجاهلية لم تبلغ الحنث، فهل ذلك نافع أختنا؟ فقال رسول الله ﷺ أرأيتم الوائدة والموؤدة، فإنهما في النار إلا إن تدرك الوائدة الإسلام فيغفر الله لها»[2]** **قال أبو عمر:** ليس لهذا الحديث إسناد أقوى وأحسن من هذا الإسناد، ورواه جماعة عن الشعبي كما رواه داود، وقد رواه أبو إسحاق عن علقمة كما رواه الشعبي، وهو حديث صحيح من جهة الإسناد إلا أنه محتمل أن يكون خرج على جواب السائل في عين مقصودة، فكانت الإشارة إليها ـ والله أعلم ـ وهذا أولى ما حمل عليه هذا الحديث لمعارضة الآثار له، وعلى هذا يصح معناه والله المستعان.

حدثنا عبدالله بن محمد بن عبدالمؤمن قال: حدثنا محمد بن بكر قال: حدثنا أبو داود قال: حدثنا أحمد بن عمرو بن السرح قال: حدثنا سفيان عن الزهري عن عبيد الله عن ابن عباس عن الصعب بن جثامة: **«أنه سأل النبي ﷺ عن أهل الدار من المشركين يبيتون فيصاب من ذراريهم ونسائهم؛ فقال رسول الله ﷺ: هم منهم»**[3] وكان عمرو بن دينار

---

(١) في الروايات الصحيحة بلفظ «وأدت» .

(٢) صحيح: رواه أحمد: ١٥٩٦٥/٤٧٨/٣، والنسائي في السنن الكبرى: ١١٦٤٩/٥٠٧/٦، والطبراني في المعجم الكبير: ٦٣١٩/٣٩/٧، تفسير ابن كثير: ٣٣/٣، وقال: «وهذا إسناد حسن»، وصححه الهيثمي في مجمع الزوائد: ١١٩/١، وقال: «رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح والطبراني في الكبير بنحوه»، وصححه المزي في تهذيب الكمال: ٣٣٠/١١.

(٣) صحيح البخاري: ٢٨٥٠/١٠٩٧/٣، وصحيح مسلم: ١٧٤٥/١٣٦٤/٣.

يقول: هم من آبائهم. قال الزهري: ثم نهى رسول الله ﷺ بعد ذلك عن قتل النساء والولدان.

قال أبو عمر: معنى هذا الحديث عند أهل العلم في أحكام الدنيا في ذلك هم من آبائهم، وعلى ذلك مخرج الحديث،فليس على من قتلهم قود ولا دية؛ لأنهم أولاد من لا دية في قتله ولا قود لمحاربته وكفره، وليس هذا الحديث في أحكام الآخرة، وإنما هو في أحكام الدنيا فلا حجة فيه ولا في الذي قبله في هذا الباب، وقد روى بقية بن الوليد عن محمد بن زياد الألهاني قال: سمعت عبدالله بن أبي قيس يقول: سمعت عائشة تقول: «**سألت النبي ﷺ عن ذراري المؤمنين فقال:هم مع آبائهم. قلت: بلا عمل؟! قال: الله أعلم بما كانوا عاملين**»[١].

قال أبو عمر: عبدالله بن أبي قيس شامي تابعي ثقة روى عنه محمد بن زياد الألهاني ومعاوية بن صالح وراشد بن سعد، وأما بقية بن الوليد فضعيف، وأكثر حديثه مناكير، ولكن هذا الحديث قد روي عن عائشة مرفوعًا أيضًا من غير هذا الوجه، ويحتمل من التأويل أن يكون كحديث الصعب بن جثامة سواء في أحكام الدنيا.

حدثنا خلف بن قاسم قال: حدثنا أبو محمد الحسن بن جعفر الزيات قال: حدثنا يوسف بن يزيد قال: حدثنا حجاج بن إبراهيم قال: حدثنا أبو عقيل يحيى بن المتوكل عن بهية عن عائشة قالت: «**سألت رسول الله ﷺ عن ولدان المسلمين أين هم؟ قال: في الجنة يا عائشة. قال**[٢]: **وسألته عن ولدان المشركين أين هم يوم القيامة؟ قال: في النار. قالت: فقلت مجيبة له: يا رسول الله، لم يدركوا الأعمال، ولم تجر عليهم الأقلام؟ قال: ربك أعلم بما كانوا عاملين، والذي نفسي بيده لئن شئت أسمعتك تضاغيهم**[٣] **في النار**»[٤]

(١) صحيح الإسناد: مسند إسحاق بن راهويه: ١٦٧١/٩٥٨/٣، ومسند الشاميين: ٨٤٣/٢٠/٢، سنن أبي داود: ٤٧١٢/٢٢٩/٤، اعتقاد أهل السنة: اللالكائي: ١٠٩١/٦١١/٤، وصححه المزي في تهذيب الكمال: ٣٠٨/١٩، والألباني في سنن أبي داود: ح (٤٧١٢)

(٢) لعله سهو من الناسخ فسياق الكلام يقتضي «قالت» .

(٣) تضاغيهم في النار: أي صياحهم وبكاءهم. لسان العرب: ٤٨٥/١٤.

(٤) ضعيف: رواه أحمد في مسنده: ٢٥٧٨٤/٢٠٨/٦، وابن الجعد في مسنده: ٢٩٦٩/٤٣٦/١، =

قال أبو عمر: أبو عقيل هذا صاحب بهية، لا يحتج بمثله عند أهل العلم بالنقل، وهذا الحديث لو صح أيضًا احتمل من الخصوص ما احتمل غيره في هذا الباب، ومما يدل على أنه خصوص لقوم من المشركين قوله «لو شئت أسمعتك تضاغيهم في النار» و،هذا لا يكون إلا فيمن قد مات وصار في النار، وقد عارض هذا الحديث ما هو أقوى منه من الآثار والحمد لله.

ومما احتج به من ذهب إلى القول بظاهر آثار هذا الباب قول الله ﷻ: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتۡهُمۡ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلۡحَقۡنَا بِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ وَمَآ أَلَتۡنَٰهُم مِّنۡ عَمَلِهِم مِّن شَيۡءٖ﴾[الطور: آية ٢١] وقوله ﷻ لنوح نبيه عليه السلام: ﴿أَنَّهُۥ لَن يُؤۡمِنَ مِن قَوۡمِكَ إِلَّا مَن قَدۡ ءَامَنَ﴾[هود: ٣٦] فلما قيل لنوح ذلك، وعلم أنهم لا يؤمنون، وأنهم على كفرهم يموتون دعا عليهم بهلاك جميعهم؛ فقال: ﴿رَّبِّ لَا تَذَرۡ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ دَيَّارًا إِنَّكَ إِن تَذَرۡهُمۡ يُضِلُّواْ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓاْ إِلَّا فَاجِرٗا كَفَّارٗا ٢٧﴾ [نوح: ٢٦ - ٢٧] فأخبر أنهم لكفرهم لا يلدون إلا كفارًا وقال ﷺ: «هم من آبائهم».

= وقال قبله: «حدثني عباس بن محمد قال: سمعت يحيى بن معين يقول: أبو عقيل صاحب بهية اسمه يحيى بن المتوكل، ولم يرضه يحيى»، ومسند الحارث (زوائدالهيثمي): ٧٥٣/٧٥٧/٢، وضعفه ابن حجر في فتح الباري: ٢٤٦/٣، وقال: «وهو حديث ضعيف جدًا؛ لأن في إسناده أبا عقيل مولى بهية، وهو متروك» .

ذكر الأخبار التي احتج بها من أوجب الوقوف عن الشهادة لأطفال المشركين بجنة أو نار

حدثنا عبدالوارث بن سفيان قال: حدثنا قاسم بن أصبغ قال: حدثنا محمد بن عبدالسلام قال: حدثنا محمد بن بشار قال: حدثنا محمد بن جعفر قالا: حدثنا شعبة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن النبي ﷺ: **«أنه سئل عن أولاد المشركين؛ فقال: الله أعلم إذ خلقهم بما كانوا عاملين»**(١)، وحدثنا عبدالوارث بن سفيان قال: حدثنا قاسم بن أصبغ قال: حدثنا بكر بن حماد قال: حدثنا مسدد قال: حدثنا أبو عوانة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس: **«أن النبي ﷺ سئل عن أولاد المشركين، فقال: الله أعلم بما كانوا عاملين»**(٢) وعند أبي عوانة عن هلال بن حباب عن عكرمة عن ابن عباس عن النبي ﷺ مثله، ورواه أبو هريرة عن النبي ﷺ كما رواه ابن عباس عن النبي ﷺ.

حدثنا عبدالوارث بن سفيان قال: حدثنا قاسم بن أصبغ قال: حدثنا أبو الزنباع روح بن الفرج قال: حدثنا سعيد بن عفير قال: حدثنا الليث قال: حدثني عبدالرحمن بن خالد بن مسافر عن ابن شهاب عن عطاء بن يزيد الليثي أنه سمع أبا هريرة يقول: **«سئل رسول الله ﷺ** عن ذراري المشركين؛ فقال: الله أعلم بما كانوا عاملين»(٣) ورواه سفيان بن عيينة وابن أبي ذئب ومعمر عن الزهري بإسناده هذا بمثله، وروى سفيان بن عيينة أيضا عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة عن النبي ﷺ: **«أنه سئل عن أولاد المشركين؛ فقال: الله أعلم بما كانوا عاملين»**(٤).

حدثنا عبدالوارث بن سفيان قال: حدثنا قاسم بن أصبغ قال: حدثنا بكر بن أبي

(١) صحيح البخاري: ١/٤٦٥/١٣١٧.
(٢) صحيح مسلم: ٤/٢٠٤٩/٢٦٦٠.
(٣) صحيح البخاري: ١/٤٦٥/١٣١٨، صحيح مسلم: ٤/٢٠٤٩/٢٦٥٩.
(٤) صحيح مسلم: ٤/٢٠٤٩/٢٦٥٩.

حماد قال: حدثنا مسدد قال: وحدثنا عبدالوارث قال: حدثنا قاسم قال: حدثنا محمد بن عبدالسلام حدثنا محمد بن بشار قالا: جميعا حدثنا يحيى بن سعيد عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة عن النبي ﷺ: **«أنه سئل عن أولاد المشركين؛ فقال: الله أعلم بما كانوا عاملين»**(١) وقال مسدد في حديثه بإسناده هذا عن أبي هريرة قال: **«سئل رسول الله ﷺ عن الأطفال؛ فقال: الله أعلم بما كانوا عاملين»**، وروى إسماعيل بن علية عن خالد الحذاء عن عمار مولى بني هاشم قال: قال ابن عباس: **«كنت أقول في أطفال المشركين هم مع آبائهم، حتى حدثني رجل عن رجل من أصحاب النبي ﷺ أنه قال: ربهم أعلم بهم هو خلقهم وهو أعلم بهم وبما كانوا عاملين»**(٢)

قال أبو عمر: أحاديث هذا الباب من جهة الإسناد صحاح ثابتة عند جميع أهل العلم بالنقل والله الموفق للصواب.

---

(١) مسند أحمد: ٢/٤٧١/١٠٠٨٦، مسند أبي يعلى: ١٠/٥٠٣/٦١٢٠.

(٢) مسند أحمد: ٥/٤١٠/٢٣٥٣١، السنة: عبدالله بن أحمد: ٢/٤٠٠/٨٦٩، شرح السيوطي على سنن النسائي: ٤/٦٠/١٩٥٢

ذكر الأخبار التي احتج بها من أوجب امتحانهم واختبارهم في الآخرة

أخبرنا محمد بن عبدالملك وعبيد بن محمد قالا: حدثنا عبدالله بن مسرور قال: حدثنا عيسى ابن مسكين قال: حدثنا محمد بن سنجر قال: حدثنا سعيد بن سليمان عن فضيل بن مرزوق عن عطية عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ في الهالك في الفترة والمعتوه والمولود قال: «**يقول الهالك في الفترة: لم يأتني كتاب ولا رسول ثم تلا:** ﴿وَلَوْ أَنَّآ أَهْلَكْنَٰهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِۦ لَقَالُواْ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ﴾ [طه: ١٣٤]، **ويقول المعتوه: رب لم تجعل لي عقلًا أعقل به خيرًا ولا شرًا. قال: ويقول المولود: رب لم أدرك العمل. قال: فترفع لهم نار؛ فيقال ردوها ادخلوها قال: فيردها أو يدخلها من كان في علم الله سعيدًا وأدرك العمل، ويمسك عنها من كان في علم الله شقيًا لو أدرك العمل، قال: فيقول الله ﷻ: إياي عصيتم، فكيف رسلي لو أتتكم؟!**»[1].

قال أبو عمر: من الناس من يوقف هذا الحديث على أبي سعيد ولا يرفعه منهم أبو نعيم الملاي وحدثنا عبدالوارث بن سفيان وسعيد بن نصر قالا: حدثنا قاسم بن أصبغ قال: حدثنا موسى بن معاوية وحدثنا عبدالوارث بن سفيان عن سعيد بن نصر قال: حدثنا قاسم بن أصبغ قال: حدثنا أحمد بن زهير قال: حدثنا أبي قالا: حدثنا جرير عن ليث عن عبدالوارث عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «**يؤتى يوم القيامة بأربعة بالمولود، والمعتوه، ومن مات في الفترة، وبالشيخ الهرم الفاني، كلهم يتكلم بحجته؛ فيقول الرب تبارك وتعالى لعنق من جهنم: ابرزي؛ ويقول لهم: إني كنت أبعث إلى عبادي رسلًا من أنفسهم، وإني رسول نفسي إليكم، قال: فيقول لهم: ادخلوا هذه فيقول من كتب عليه الشقاء: يا رب، أتدخلناها ومنها كنا نفر؟ قال: وأما من كتب له السعادة فيمضي فيقتحم فيها، فيقول: الرب تبارك وتعالى قد عاينتموني فعصيتموني، فأنتم برسلي أشد تكذيبًا ومعصيةً، فيدخل هؤلاء الجنة وهؤلاء النار**»[2] واللفظ لحديث موسى بن معاوية الصفار

---

(١) ضعيف: مسند ابن الجعد: ١/٣٠٠/٢٠٣٨، وضعفه الهيثمي في مجمع الزوائد: ٧/٢١٦، فقال: «رواه البزار وفيه عطية وهو ضعيف»، ورواه اللالكائي في اعتقاد أهل السنة: ٤/٦٠٣/١٠٧٦.

(٢) مجمع الزوائد: ٧/٢١٦،وقال: «رواه أبو يعلى والبزار بنحوه، وفيه ليث بن أبي سليم، وهو مدلس =

وذكر أبو عبدالله محمد بن نصر المروزي قال: حدثنا أبو بكر بن زنجويه قال: حدثنا محمد بن المبارك الصوري قال: حدثنا عمرو بن واقد عن يونس بن حليس عن أبي إدريس عن معاذ بن جبل عن نبي الله ﷺ قال: **«يؤتى يوم القيامة بالممسوح أو الممسوح عقلًا، وبالهالك في الفترة، وبالهالك صغيرًا؛ فيقول الممسوح عقلًا: يا رب، لو آتيتني عقلًا ما كان من آتيته عقلًا أسعد بعقله مني، ويقول الهالك في الفترة: يا رب، لو أتاني منك عهد ما كان من آتيته عهدًا بأسعد بعهدك مني، ويقول الهالك صغيرًا: يا رب، لو آتيتني عمرًا ما كان من آتيته عمرًا بأسعد بعمره مني؛ فيقول الرب سبحانه: إني آمركم بأمر أفتطيعوني؟ فيقولون: نعم، وعزتك يا رب؛ فيقول: اذهبوا فادخلوا النار. قال: ولو دخلوها ما ضرتهم، فتخرج عليهم قوانص يظنون أنها قد أهلكت ما خلق الله من شيء؛ فيرجعون سراعًا فيقولون: يا رب، خرجنا وعزتك نريد دخولها فخرجت علينا قوانص ظننا أنها قد أهلكت ما خلق الله، ثم يأمرهم الثانية؛ فيرجعون كذلك، ويقولون مثل قولهم فيقول الرب سبحانه: قبل أن أخلقكم علمت ما أنتم عاملون فعلى علمي خلقتكم وإلى علمي تصيرون؛ فتأخذهم النار»**[(١)]. قال أبو عمر: روي هذا المعنى عن النبي ﷺ من حديث الأسود بن سريع وأبي هريرة وثوبان بأسانيد صحيحة من أسانيد الشيوخ إلا ما ذكره عبدالرزاق عن معمر عن ابن طاوس عن أبيه عن أبي هريرة موقوفًا لم يرفعه بمثل معنى ما ذكرنا سواء، وليس في شيء منها ذكر المولود؛ وإنما فيها ذكر أربعة كلهم يوم القيامة يدلي بحجته: رجل أصم أبكم، ورجل أحمق، ورجل مات في الفترة، ورجل هرم، فلما لم يكن فيها

= وبقية رجال أبي يعلى رجال الصحيح»، مسند أبي يعلى: ٧/٢٢٥/٤٢٢٤، تفسير ابن كثير: ٣/ ٣٠/٤٢٢٤.

(١) ضعيف: المعجم الأوسط: ٨/٥٧/٧٩٥٥، المعجم الكبير: ٢٠/٨٣/١٥٨، مسند الشاميين: ٣/ ٢٥٧/٢٢٠٥، وأخرجه أبو نعيم في الحلية وضعفه: ٥/١٢٧، وقال: «لا يعرف هذا الحديث مسندًا متصلًا عن النبي ﷺ من حديث أبي إدريس عن معاذ إلا من حديث يونس بن ميسرة تفرد به عنه عمرو بن واقد»، وضعفه ابن الجوزي في العلل المتناهية: ٢/٩٢٣/١٥٤٠، فقال: «هذا حديث لا يصح عن رسول الله ﷺ، وفي إسناده عمرو بن واقد قال ابن مسهر: ليس بشيء، وقال الدارقطني: متروك، وقال ابن حبان: يروي المناكير عن المشاهير؛ فاستحق الترك»

ذكر المولود لم نذكرها في هذا الباب، وجملة القول في أحاديث هذا الباب كلها ما ذكرت منها وما لم أذكر أنها من أحاديث الشيوخ؛ وفيها علل وليست من أحاديث الأئمة الفقهاء، وهو أصل عظيم، والقطع فيه بمثل هذه الأحاديث ضعف في العلم والنظر مع أنه عارضها ما هو أقوى منها والله أعلم والله الموفق للصواب[١] حدثنا عبدالوارث بن سفيان قال: حدثنا قاسم بن أصبغ قال: حدثنا محمد بن وضاح قال: حدثنا إبراهيم بن طيفور وحدثنا أحمد بن محمد قال: حدثنا الحسن بن سلمة قال: حدثنا عبدالله بن علي بن الجارود قال: حدثنا إسحاق بن منصور قالا جميعًا: حدثنا

(١) قال ابن كثير: «وقد ذكر الشيخ أبو عمر ابن عبدالبر النمري بعد ما تقدم من أحاديث الامتحان ثم قال: وأحاديث هذا الباب ليست قوية، ولا تقوم بها حجة وأهل العلم ينكرونها؛ لأن الآخرة دار جزاء وليست بدار عمل ولا ابتلاء؛ فكيف يكلفون دخول النار، وليس ذلك في وسع المخلوقين والله لا يكلف نفسا إلا وسعها؟!. والجواب عما قال: إن أحاديث هذا الباب منها ما هو صحيح كما قد نص على ذلك كثير من أئمة العلماء؛ ومنها ما هو حسن ومنها ما هو ضعيف يتقوى بالصحيح والحسن، وإذا كانت أحاديث الباب الواحد متصلة متعاضدة على هذا النمط أفادت الحجة عند الناظر فيها، وأما قوله: إن الدار الآخرة دار جزاء، فلا شك أنها دار جزاء ولا ينافي التكليف في عرصاتها قبل دخول الجنة أو النار كما حكاه الشيخ أبو الحسن الأشعري عن مذهب أهل السنة والجماعة من امتحان الأطفال، وقد قال تعالى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ۝٤٢﴾ [سورة القلم: آية ٤٢]وقد ثبت في الصحاح وغيرها أن المؤمنين يسجدون لله يوم القيامة، وأن المنافق لا يستطيع ذلك ويعود ظهره كالصفيحة الواحدة طبقًا واحدًا كلما أراد السجود خر لقفاه، وفي الصحيحين في الرجل الذي يكون آخر أهل النار خروجًا منها أن الله يأخذ عهوده ومواثيقه أن لا يسأل غير ما هو فيه، ويتكرر ذلك مرارًا ويقول الله تعالى: يا ابن آدم ما أغدرك ثم يأذن له في دخول الجنة، وأما قوله: فكيف يكلفهم الله دخول النار، وليس ذلك في وسعهم؟! فليس هذا بمانع من صحة الحديث؛ فإن الله يأمر العباد يوم القيامة بالجواز على الصراط وهو جسر على جهنم، أحد من السيف وأدق من الشعرة، ويمر المؤمنون عليه بحسب أعمالهم كالبرق وكالريح وكأجاويد الخيل والركاب، ومنهم الساعي ومنهم الماشي ومنهم من يحبو حبوًا ومنهم المكدوش على وجهه في النار، وليس ما ورد في أولئك بأعظم من هذا بل هذا أطم وأعظم، وأيضا فقد ثبتت السنة بأن الدجال يكون معه جنة ونار، وقد أمر الشارع المؤمنين الذين يدركونه أن يشرب أحدهم من الذي يرى أنه نار، فإنه يكون عليه بردًا وسلامًا؛ فهذا نظير ذاك وأيضًا فإن الله تعالى أمر بني إسرائيل أن يقتلوا أنفسهم؛ فقتل بعضهم بعضًا حتى قتلوا فيما قيل في غداة واحدة سبعين ألفًا يقتل الرجل أباه وأخاه وهم في عماية غمامة أرسلها الله عليهم؛ وذلك عقوبة لهم على عبادتهم العجل وهذا أيضا شاق على النفوس جدًا لا يتقاصر عما ورد في الحديث المذكور والله أعلم» . تفسير ابن كثير: ٣١/٣.

إسحاق بن راهويه قال: حدثني يحيى بن آدم قال: حدثنا جرير بن حازم عن أبي رجاء العطاردي قال: سمعت ابن عباس يقول: **«لا يزال أمر هذه الأمة مواتيًا أو مقاربًا أو كلمة تشبه هاتين حتى يتكلموا أو ينظروا في الأطفال والقدر»** قال يحيى بن آدم: قد ذكرته لابن المبارك؛ فقال: أفيسكت الإنسان على الجهل؟! قلت: فتأمر بالكلام؛ فسكت. وذكر أبو عبدالله المروزي قال: حدثنا شيبان بن شيبة الأيلي قال: حدثنا جرير بن حازم قال: حدثنا أبو رجاء العطاردي قال: سمعت ابن عباس وهو يخطب الناس وهو يقول: **«إن هذه الأمة لا يزال أمرها مقاربا أو مواتيا أو كلمة تشبهها ما لم يتكلموا في الولدان والقدر»**(١).

قال أبو عمر: أما الشك في هذه اللفظة **«مواتيًا أو مقاربًا»**؛ فغير جائز أن يكون من ابن عباس وإنما الشك من المحدث عنه أو الناقل عن المحدث عنه، هكذا حكم كل ما تجده من مثل هذا الشك في الأحاديث المرفوعة وغيرها إنما هو من الناقلين؛ فاعرف ذلك وقف عليه، وهذا قلما يكون إلا من ورع المحدث وتثبته إن شاء الله.

وذكر المروزي قال: حدثنا عمرو بن زرارة قال: أخبرنا إسماعيل عن ابن عون قال: كنت عند القاسم بن محمد إذ جاءه رجل فقال: ماذا كان بين قتادة وبين حفص بن عمير في أولاد المشركين؟ قال: أو تكلم ربيعة الرأي في ذلك؟ فقال القاسم: إذا الله انتهى عند شيء فانتهوا وقفوا عنده. قال: فكأنما كانت نارًا فأطفئت.

قال أبو عمر: وقد ذكرنا والحمد لله ما بلغنا عن العلماء في معنى الفطرة التي يولد المولود عليها، واخترنا من ذلك أصحه من جهة الأثر والنظر بمبلغ اجتهادنا، ولعل غيرنا أن يدرك من ذلك ما لم يبلغه علمنا؛ فإن الله يفتح لمن يشاء من العلماء فيما يشاء،

---

(١) صحيح: صحيح ابن حبان: ١٥/١١٨/٦٧٢٤، المعجم الأوسط: ٤/٢٤١/٤٠٨٦، المعجم الكبير: ١٢/١٦٢/١٢٧٦٤، المستدرك على الصحيحين: ١/٨٨/٩٣، وقال الحاكم: «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولا نعلم له علة ولم يخرجاه»، مجمع الزوائد: ٧/٢٠٢، وقال: «رواه البزار والطبراني في الكبير والأوسط ورجال البزار رجال الصحيح»، واللالكائي في اعتقاد أهل السنة: ٤/٦٣٠/١١٢٧، وصححه الذهبي في سير أعلام النبلاء: ١٦/١٠٤، وقال: «هذا حديث صحيح ولم يخرج في الكتب الستة» .

ويحجبه عمن يشاء ليبين العجز في البرية ويصح الكمال للخالق ذي الجلال والإكرام(١)، وذكرنا في الأطفال والحمد لله كثيرًا مما قاله العلماء ونقلوه ودانوا به واعتقدوه من حكمهم فيما يصيرون إليه في آخرتهم.

(١) قال ابن قيم الجوزية في حاشيته على سنن أبي داود: وقد اختلف العلماء في الأطفال على ثمانية أقوال:

أحدها: الوقف فيهم وترك الكلام في مستقرهم ويوكل علمهم إلى الله تعالى، قال هؤلاء: وظواهر السنن وأجوبة النبي ﷺ في حديث ابن عباس وأبي هريرة رضي الله عنهما يدل على ذلك إذ وكل علمهم إلى الله، وقال: «الله أعلم بما كانوا عاملين»، قالوا: وقد روى ابن حبان في صحيحه من حديث جرير بن حازم قال: سمعت أبا رجاء العطاردي قال: سمعت ابن عباس يقول وهو على المنبر: قال رسول الله ﷺ: «لا يزال أمر هذه الأمة قوامًا أو مقاربًا ما لم يتكلموا في الولدان والقدر»، قال أبو حاتم: الولدان أراد بهم أطفال المشركين. وفيما استدلت به هذه الطائفة نظر، والنبي ﷺ لم يجب فيهم بالوقف، وإنما وكل علم ما كانوا يعملونه لو عاشوا إلى الله، وهذا جواب عن سؤالهم كيف يكونون مع آبائهم بغير عمل؟ وهو طرف من الحديث ويدل عليه حديث عائشة الذي ذكره أبو داود في أول الباب والنبي ﷺ وكل العلم بعملهم إلى الله، ولم يقل الله أعلم حيث يستقرون أو أين يكونون، فالدليل غير مطابق لمذهب هذه الطائفة. وأما حديث أبي رجاء عن ابن عباس في المنع من الكلام فيهم؛ ففي القلب من رفعه شيء. وبالجملة فإنما يدل على ذم من تكلم فيهم بغير علم أو ضرب الأحاديث فيهم بعضها ببعض كما فعل مع الذين أنكر عليهم كلامهم في القدر، وأما من تكلم فيهم بعلم وحق فلا يذم.

القول الثاني: أن أطفال المشركين في النار، وهذا مذهب طائفة وحكاه القاضي أبو يعلى رواية عن أحمد قال شيخنا: وهو غلط منه على أحمد، وسبب غلطه أن أحمد سئل عنهم فقال: هم على الحديث، قال القاضي: أراد حديث خديجة إذ سألت النبي ﷺ عن أولادها الذين ماتوا قبل الإسلام؛ فقال: إن شئت أسمعتك تضاغيهم في النار. قال شيخنا: وهذا حديث موضوع، وأحمد أجل من أن يحتج بمثله وإنما أراد حديث عائشة «الله أعلم بما كانوا عاملين»

والقول الثالث: أنهم في الجنة، واحتج هؤلاء بحديث سمرة الذي رواه البخاري، واحتجوا بقوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [سورة الإسراء: آية (١٥)]؛ وبقوله: ﴿كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ قَالُوا بَلَىٰ قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ ۝٩﴾ [سورة الملك: آية (٨-٩)] فهذا دليل على أن كل فوج يلقى في النار لابد وأن يكونوا قد جاءهم النذير وكذبوه، وهذا ممتنع في حق الأطفال واحتجوا بقوله تعالى لإبليس: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ۝٨٥﴾ [سورة ص: آية (٨٥)] قالوا: فإذا امتلأت منه ومن أتباعه لم يبق فيها موضع لغيرهم، واحتجوا بقوله: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾[سورة النساء: آية (١٦٥)] قالوا: فالله تعالى لا يعذب أحدًا إلا بذنبه؛ فالنار دار عدله لا يدخلها أحد إلا بعمل، وأما الجنة فدار فضله يدخلها بغير عمل؛ ولهذا ينشيء للفضل الذي يبقى فيها أقوامًا يسكنهموه، وأما الحديث الذي ورد في بعض طرق البخاري: =

أقوال ابن عبدالبر في أحكام الجن

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله: «**إذا أكل أحدكم فليأكل بيمينه وليشرب بيمينه وليأخذ بيمينه وليعط بيمينه؛ فإن الشيطان يأكل بشماله ويشرب بشماله ويعطي بشماله ويأخذ بشماله**»(١)

= «وأما النار فينشيء الله لها خلقًا يسكنهم إياها» فغلط من الراوي انقلب عليه لفظه، وإنما هو «وأما الجنة فإن الله ينشيء لها خلقًا» وقد ذكره البخاري، وسياق الحديث يدل على ذلك.

قالوا: وأما حديث عائشة والأسود بن سريع؛ فليس فيه أنهم في النار، وإنما فيه أنهم من آبائهم تبع لهم في الحكم، وأنهم إذا أصيبوا في البيات لم يضمنوا بدية ولا كفارة، وهذا ظاهر في حديث الأسود، وأما حديث عائشة فقد ضعفه غير واحد،قالوا: وحديث خديجة باطل لا يصح.

والقول الرابع: أنهم بين الجنة والنار إذ لا معصية لهم توجب دخول النار ولا إسلام يوجب لهم دخول الجنة، وهذا أيضًا ليس بشيء؛ فإنه لا دار للقرار إلا الجنة والنار، وأما الأعراف فإن مآل أصحابها إلى الجنة كما قاله الصحابة.

والقول الخامس: أنهم تحت المشيئة، يجوز أن يعذبهم وأن ينعمهم وأن يعذب بعضًا، وهذا قول كثير من المثبتين للقدر، وقول الجبرية ونفاة التعليل والحكم.

والقول السادس: أنهم ولدان أهل الجنة وخدمهم، وقد روى في ذلك حديث لا يثبت.

والقول السابع: أن حكمهم حكم الآباء في الدنيا والآخرة فلا حكم لهم غير حكم آبائهم، فكما هم تبع لآبائهم في الدنيا كذلك هم لهم تبع في الآخرة.

والقول الثامن: أنهم يمتحنون في الآخرة؛ فمن أطاع منهم أدخله الله الجنة ومن عصى عذبه، وقد روي في هذا من حديث الأسود بن سريع وأبي هريرة وغيرهما وهي أحاديث يشد بعضها بعضًا، وهذا أعدل الأقوال، وبه يجتمع شمل الأدلة وتتفق الأحاديث في هذا الباب، وعلى هذا فيكون بعضهم في الجنة كما في حديث سمرة وبعضهم في النار كما دل عليه حديث عائشة، وجواب النبي ﷺ يدل على هذا؛ فإنه قال الله أعلم بما كانوا عاملين إذ خلقهم، ومعلوم أن الله لا يعذبهم بعلمه فيهم ما لم يقع معلومه، فهو إنما يعذب من يستحق العذاب على معلومه، وهو متعلق علمه السابق فيه لا على علمه المجدد، وهذا العلم يظهر معلومه في الدار الآخرة، وفي قوله: «الله أعلم بما كانوا عاملين» إشارة إلى أنه سبحانه كان يعلم مما كانوا عاملين لو عاشوا، وأن من يطيعه وقت الامتحان كان ممن يطيعه لو عاش في الدنيا، ومن يعصيه حينئذ كان ممن يعصيه لو عاش في الدنيا؛ فهو دليل على تعلق علمه بما لم يكن لو كان كيف كان يكون، وقيل إنما قاله النبي ﷺ قبل أن يعلمه الله بمصيرهم ومستقرهم وليس بشيء؛ فإنه لا تعرض في هذا المستقر كما تقدم، وقيل معناه الله أعلم على أي دين يميتهم لو عاشوا وبلغوا العمل فأما إذا عدم فيهم العمل فهم في رحمة الله، وهذا بعيد من دلالة اللفظ عليه والله أعلم. حاشية ابن قيم: ٣٢٣.٣٢٠/١٢

(١) صحيح: مسند أحمد بن حنبل: ٨٢٨٩/٣٢٥/٢، سنن النسائي الكبرى: ٦٧٤٥/١٧٢/٤، سنن ابن ماجه: ٣٢٦٦/١٠٨٧/٢،المعجم الأوسط: ٨٤٩٠/٢٣١/٨، مسند أبي يعلى: ٣٠٥/١٠/ =

قال أبو عمر[١]: في هذا الحديث دليل على أن الشياطين يأكلون ويشربون، والشيطان المقصود إلى ذكره في هذا الحديث من الجن جنس من أجناسهم نحو قول الله ﷻ: ﴿وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢١٠﴾ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٢١١﴾﴾ [الشعراء: ٢١٠ - ٢١١] ومثله كثير، وقد يكون الشيطان من الإنس على طريق اتساع اللغة كما قال الله ﷻ: ﴿شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ﴾[الأنعام: ١١٢] وإنما قيل لهؤلاء شياطين لبعدهم من الخير من قول العرب نوى شطون: أي بعيدة، قال جرير (البسيط):

أيامَ يَدعونَني الشيطانَ مِن غَزَلي وَكُنَّ يَهوَينَني إذ كُنتُ شَيطانا

وقال منظور بن رواحة (الطويل):

فلما أتاني ما تقولُ تَرَقَّصَتْ شياطينُ رأسِي وانتَشَيْنَ من الخَمْرِ

وقال ابن ميادة[٢] (الطويل):

فَلَمّا أَتاني ما تَقولُ مُحارِبٌ تَغَنَّت شَياطيني وَجُنَّ جُنونُها

وقال أبو النجم[٣] (الرجز):

إنّي وكلُّ شاعِرٍ مِن البَشَرْ شَيطانه أُنثَى وشَيطانِي ذَكَرْ

ولا خلاف أنها لشياطين الجن أو من الجن اسم لازم لهم من أسمائهم للصالح منهم والطالح فأغنى ذلك عن الإكثار، والأسماء لا تؤخذ قياسًا فإنما هي على حساب ما

= ٥٨٩٩، مسند إسحاق بن راهويه: ٤٧٦/٤١٩/١، وصححه الألباني في سنن ابن ماجه: ح (٣٢٦٦).

(١) التمهيد: ١١٤/١١-١١٨/١١.

(٢) ابن ميادة: الرمّاح بن أبرد بن ثوبان الذبياني الغطفاني المرّي، أبو شرحبيل، ويقال أبو حرملة، وميادة أمه وبنسبته إليها اشتهر. شاعر رقيق هجّاء، من مخضرمي الدولة الأموية والعباسية، قالوا: كان متعرضًا للشرّ طالبًا لمهاجاة الناس. وفي العلماء من يرى أنه أشعر غطفان في الجاهلية والإسلام وأنه كان خيرًا لقومه من النابغة، وقد أفرد الزبير بن بكار أخباره في كتاب. قال صاحب سمط اللآلي: شعراء غطفان المنسوبون إلى أمهاتهم في الإسلام ثلاثة: ابن ميادة وأبوه أبرد، وابن البرصاء وأبوه يزيد، وأرطاة بن سهية وأبوه زفر.

(٣) أبو النجم العجلي: الفضل بن قدامة العجلي، أبو النجم، من بني بكر بن وائل. من أكابر الرجّاز ومن أحسن الناس إنشادًا للشعر، نبغ في العصر الأموي، وكان يحضر مجالس عبدالملك بن مروان وولده هشام. قال أبو عمرو بن العلاء: كان ينزل سواد الكوفة، وهو أبلغ من العجاج في النعت.

علمها اللَّه آدم ﷺ أسماء علامات للمسميات، وقد حمل قوم هذا الحديث وما كان مثله على المجاز؛ فقالوا في قوله: «إن الشيطان يأكل بشماله» إن الأكل بالشمال أكل يحبه الشيطان كما قال في الخمرة زينة الشيطان، وفي الاقتعاط[1] بالعمامة عمامة الشيطان، أي إن الخمرة ومثل تلك العمة يزينها الشيطان ويدعو إليها، وكذلك يدعو إلى الأكل بالشمال ويزينه.

قال أبو عمر: وهذا عندي ليس بشيء ولا معنى لحمل شيء من الكلام على المجاز إذا أمكنت فيه الحقيقة بوجه ما.

وقال آخرون: أكل الشيطان صحيح، ولكنه تشمم واسترواح لا مضغ ولا بلع، وإنما المضغ والبلع لذوي الجثث، ويكون استرواحه وشمه من جهة شماله، ويكون بذلك مشاركًا في المال. **قال أبو عمر:** أكثر أهل العلم بالتأويل يقولون في قول اللَّه ﷻ: ﴿وَشَارِكْهُمْ فِي ٱلْأَمْوَٰلِ﴾[الإسراء: ٦٤] قالوا: الإنفاق في الحرام ﴿وَٱلْأَوْلَٰدِ﴾ قالوا: الزنى.

ومن الدليل على أن الشياطين من الجن يأكلون ويشربون قوله ﷺ في العظم والروثة في حديث الاستنجاء: «هي زاد إخوانكم من الجن»[2]، وفي غير هذا الحديث أن طعامهم ما لم يذكر اسم اللَّه عليه، وما لم يغسل من الأيدي والصحاف، وشرابهم الجدف: وهي الرغوة والزبد.

وهذه أشياء لا تدرك بعقل، ولا تقاس على أصل، وإنما فيها التسليم لمن أتاه اللَّه من العلم ما لم يؤتنا، وهو نبينا ﷺ، وفي هذا الحديث حديث ابن عمر المذكور في هذا الباب ما يرفع الإشكال قوله: «إن الشيطان يأكل بشماله، ويشرب بشماله» ويحتمل أن يكون الجن كلهم يأكلون ويشربون، ويحتمل أن يكون كذلك بعضهم أو جنس منهم.

---

(١) الاقتعاط: هو أن يعتم بالعمامة ولا يجعل منها شيئًا تحت ذقنه. لسان العرب: ٧/٣٨٤.

(٢) صحيح: سنن النسائي الكبرى: ١/٧٢/ ٣٩، سنن الترمذي: ١/٢٩/١٨، مسند أبي عوانة: ١/ ١٨٦/٥٨٤، المعجم الكبير: ١٠/٧٧/١٠٠١٠، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي: ح (١٨).

وحدثنا عبدالوارث بن سفيان قال: حدثنا قاسم بن أصبغ قال: حدثنا محمد بن عبدالسلام الخشني قال: حدثنا المسيب بن واضح السلمي قال: حدثنا الحكم بن محمد الطفوي عن عبدالصمد بن معقل قال: سمعت وهب بن منبه يقول وسئل عن الجن ما هم؟ وهل يأكلون ويشربون ويموتون ويتناكحون؟ قال: هم أجناس؛ فأما الذين هم خالص الجن فهم ريح لا يأكلون ولا يشربون ولا يتوالدون، ومنهم أجناس يأكلون ويشربون ويتناكحون ويتوالدون ويموتون، ومنهم السعالى[1] والغول[2] والقطوب وأشباه ذلك؛ فهذا وهب بن منبه قد قال ما ترى والله أعلم[3].

---

(١) السعالى: هي جمع سعلاة، قيل هم سحرة الجن. لسان العرب: ١١/٣٣٦.

(٢) الغول: أحد الغيلان، وهي جنس من الشياطين والجن، كانت العرب تزعم أن الغول في الفلاة تتراءى للناس فتتغول تغولًا: أي تتلون تلونًا في صور شتى، وتغولهم: أي تضلهم عن الطريق وتهلكهم. لسان العرب: ١١/٥٠٨.

(٣) قال ابن تيمية: «وجماهير الأمم يقر بالجن، ولهم معهم وقائع يطول وصفها، ولم ينكر الجن إلا شرذمة قليلة من جهال المتفلسفة والأطباء ونحوهم، وأما أكابر القوم فالمأثور عنهم إما الإقرار بها وإما أن لا يحكى عنهم في ذلك قول» مجموع الفتاوى: ١٩/٣٢.
وقال: «وإذا كان الجن أحياء عقلاء مأمورين منهيين لهم ثواب وعقاب، وقد أرسل إليهم النبي فالواجب على المسلم أن يستعمل فيهم ما يستعمله في الإنس من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والدعوة إلى الله كما شرع الله ورسوله وكما دعاهم النبي، ويعاملهم إذا اعتدوا بما يعامل به المعتدون؛ فيدفع صولهم بما يدفع صول الإنس، وصرعهم للإنس قد يكون عن شهوة وهوى وعشق كما يتفق للإنس مع الإنس، وقد يتناكح الإنس والجن، ويولد بينهما ولد، وهذا كثير معروف، وقد ذكر العلماء ذلك وتكلموا عليه، وكره أكثر العلماء مناكحة الجن وقد يكون وهو كثير أو الأكثر عن بغض ومجازاة مثل أن يؤذيهم بعض الإنس أو يظنوا أنهم يتعمدو أذاهم إما بيول على بعضهم، وإما بصب ماء حار، وإما بقتل بعضهم، وإن كان الإنسي لا يعرف ذلك، وفي الجن جهل وظلم فيعاقبونه بأكثر مما يستحقه، وقد يكون عن عبث منهم وشر بمثل سفهاء الإنس، وحينئذ فما كان من الباب الأول فهو من الفواحش التي حرمها الله تعالى كما حرم ذلك على الإنس، وإن كان برضا الآخر فكيف إذا كان مع كراهته؟! فإنه فاحشة وظلم؛ فيخاطب الجن بذلك ويعرفون أن هذا فاحشة محرمة أو فاحشة وعدوان لتقوم الحجة عليهم بذلك، ويعلموا أنه يحكم فيهم بحكم الله ورسوله الذي أرسله إلى جميع الثقلين الإنس والجن.
وما كان من القسم الثاني فان كان الإنسي لم يعلم؛ فيخاطبون بأن هذا لم يعلم، ومن لم يتعمد الأذى لا يستحق العقوبة، وإن كان قد فعل ذلك في داره وملكه عرفوا بأن الدار ملكه فله أن يتصرف فيها بما يجوز، وأنتم ليس لكم أن تمكثوا في ملك الإنس بغير إذنهم بل لكم ما ليس من =

ولأهل الكلام وغيرهم أقاويل في إدراك الجن بالأبصار وفي دخولهم في الإنسان هل هم مكلفون أو غير مكلفين، ليس بنا حاجة إلى ذكر شيء من ذلك في كتابنا هذا؛ لأنه ليس بموضع ذلك، وهم عند الجماعة مكلفون مخاطبون لقوله تعالى: ﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ﴾[الأنعام: ١٣٠] وقوله تعالى: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٣﴾﴾[الرحمن: ١٣]، وقوله: ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ ﴿٣١﴾﴾[الرحمن: ٣١] وقوله: ﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ﴾[الرحمن: ٥٦]، ولا يختلفون أن محمدًا ﷺ رسول إلى الإنس والجن نذير وبشير، هذا مما فضل به على الأنبياء، أنه بعث إلى الخلق كافة الجن والإنس، وغيره لم يرسل إلا بلسان قومه ﷺ ودليل ذلك ما نطق به القرآن من دعائهم إلى الإيمان بقوله في مواضع من كتابه ﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ﴾[الأنعام: ١٣٠] والجن عند أهل الكلام وأهل العلم باللسان ينزلون على مراتب؛ فإذا ذكروا الواحد من الجن خالصًا قالوا: جني؛ فإن أرادوا أنه ممن يسكن مع الناس قالوا: عامر، والجمع عمار، وإن كان ممن يعرض للصبيان قالوا: أرواح، فإن خبث وتعرم فهو شيطان، فإن زاد على ذلك فهو مارد، فإن زاد على ذلك وقوي أمره قالوا: عفريت والجمع عفاريت.

= مساكن الإنس كالخراب والفلوات، ولهذا يوجدون كثيرا في الخراب... والجن يتصورون في صور الإنس والبهائم، فيتصورون في صور الحيات والعقارب وغيرها وفي صور الإبل والبقر والغنم والخيل والبغال والحمير وفي صور الطير وفي صور بني آدم كما أتى الشيطان قريشًا في صورة سراقة بن مالك بن جعشم لما أرادوا الخروج إلى بدر قال تعالى: ﴿وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّى جَارٌ لَّكُمْ فَلَمَّا تَرَآءَتِ ٱلْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكُمْ إِنِّىٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٤٨﴾﴾ [سورة الأنفال: آية (٤٨)] وكما روى أنه تصور في صورة شيخ نجدي لما اجتمعوا بدار الندوة هل يقتلوا الرسول أو يحبسوه أو يخرجوه، كما قال تبارك وتعالى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾[سورة الأنفال: آية (٣٠)] فإذا كان حيات البيوت قد تكون جنًا فتؤذن ثلاثًا؛ فان ذهبت وإلا قتلت فإنها إن كانت حية قتلت، وإن كانت جنية فقد أصرت على العدوان بظهورها للإنس في صورة حية تفزعهم بذلك، والعادي هو الصائل الذي يجوز دفعه بما يدفع ضرره ولو كان قتلًا وأما قتلهم بدون سبب يبيح ذلك فلا يجوز» .
مجموع الفتاوى: ١٩/ ٣٩-٤٥.

حدثنا أحمد بن عبدالله بن محمد بن علي قال: حدثنا أبي قال: حدثنا عبدالله بن يونس قال: حدثني بقي بن مخلد قال: حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة قال: حدثنا عبدالله ابن بكر السهمي عن حاتم بن أبي صغيرة عن ابن أبي مليكة عن عائشة بنت طلحة عن عائشة أم المؤمنين: أنها قتلت جانًا؛ فأوتيت فيما يرى النائم؛ فقيل لها: أما والله لقد قتلت مسلمًا قال: فقالت: إن كان مسلمًا فَلِمَ يدخل على أزواج النبي ﷺ؟! فقيل لها: «ما يدخل عليك إلا وعليك ثيابك؛ فأصبحت فزعة فأمرت باثني عشر ألفًا فجعلت في سبيل الله»(١).

وروى مالك عن صيفي عن أبي السائب عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ أنه قال: «إن بالمدينة جنًا قد أسلموا؛ فإن رأيتم منهم شيئًا فآذنوه ثلاثة أيام؛ فإن بدا لكم بعد ذلك فاقتلوه؛ فإنما هو شيطان»(٢) وقال الله ﷻ: ﴿قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓا۟ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۝١ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا ۝٢﴾[الجن: ١ - ٢].

(١) مصنف ابن أبي شيبة: ٣٠٥١٤/١٨٢/٦، مسند الحارث (زوائد الهيثمي): ٤١٩/٤٨٥/١.

(٢) صحيح مسلم: ٢٢٣٦/١٧٥٦/٤.

أقوال ابن عبدالبر في السحر

عن عائشة ﵂: «أنها أعتقت جارية لها على دبر[١] منها، ثم إن عائشة مرضت بعد ذلك ما شاء الله، فدخل عليها سندي[٢]، فقال: إنك مطبوبة[٣]، فقالت: من طبني؟! فقال:امرأة من نعتها كذا وكذا، وفي حجرها صبي قد بال، فقالت عائشة: ادع لي فلانة لجارية لها تخدمها، فوجدوها في بيت جيران لها في حجرها صبي قد بال، فقالت: حتى أغسل بول الصبي، فغسلته ثم جاءت، فقالت لها عائشة: سحرتني؟! قالت: نعم. فقالت: لم؟ قالت: أحببت العتق. فقالت عائشة: أحببت العتق، فوالله لا تعتقن أبدًا، فأمرت عائشة ابن أخيها أن يبيعها من الأعراب ممن يسيء ملكتها، ثم قالت: ابتع لي بثمنها رقبة حتى أعتقها، ففعلت، قالت عمرة: فلبثت عائشة ما شاء الله ﷿ من الزمان ثم إنها رأت في النوم أن اغتسلي من ثلاث آبار يمر بعضها في بعض، فإنك تشفين. قالت عمرة: فدخل على عائشة إسماعيل بن عبدالرحمن بن أبي بكر وعبدالرحمن بن سعد بن زرارة فذكرت لهما الذي رأت، فانطلقا إلى قباء فوجدوا آبارًا ثلاثًا يمد بعضها بعضًا فاستقوا من كل بئر منها ثلاث شخب حتى ملئ الشخب من جميعهن، ثم أتوا به عائشة، فاغتسلت به فشفيت»[٤].

قال أبو عمر[٥]: في حديث عائشة هذا بيع المدبر وكان بعض أصحابنا يفتي به في بيع المدبر إذا تخلف عن مولاه وأحدث أحداثا قبيحة لا ترضى، وفيه أن السحر حق وأنه يؤثر في الأجسام وإذا كان هذا لم يؤمن منه ذهاب النفس، وفيه أن الغيب تدرك

(١) يقال: «دبرت العبد إذا علقت عتقه بموتك» . لسان العرب: ٢٧٣/٤.
(٢) في الروايات المختلفة من الحديث أنه كان رجلًا من الزط، والمعنى في الكلمتين واحد، وهم قوم من الهنود. لسان العرب: ٢٢٢/٣، النهاية في غريب الأثر: ٣٠٢/٢.
(٣) مطبوبة: مسحورة. لسان العرب: ٥٥٤/١.
(٤) صحيح: رواه البخاري في الأدب المفرد: ١٦٢/٦٨/١، وأحمد في المسند: ٢٤١٧٢/٤٠١/٦، والبيهقي في السنن الكبرى: ١٦٢٨٣/١٣٧/٨، والسنن الصغرى: ٣١٩٧/١٦٤/٧، وعبدالرزاق: ١٨٧٥٠/١٨٣/١٠، والدارقطني في سننه: ٥٣/١٤٠/٤، والحاكم في المستدرك: ٢٤٤/٤/ ٧٥١٦، وقال: «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه»، وصححه ابن حجر في تلخيص الحبير: ٤١/٤، وقال: «إسناده صحيح»، وصححه الألباني في الأدب المفرد: ح (١٦٢) .
(٥) الاستذكار: ٨ / ١٥٩- ١٦٢/٨.

منه أشياء بدروب من التعليم، فسبحان من علمه بلا تعلم ومن يعلم الغيب حقيقة لا كما يعلمه من يخطئ مرة ويصيب أخرى تخرصًا وتظننًا، وفيه إثبات النشرة وأنها قد ينتفع بها وحسبك ما جاء منها في اغتسال العائن للمعين...، حدثني سعيد قال: حدثني قاسم قال: حدثني محمد قال: حدثني أبو بكر قال: حدثني أبو معاوية عن الأعمش عن يزيد بن حبان عن زيد بن أرقم قال: **«سحر النبي رجل من اليهود فاشتكى النبي لذلك أيامًا؛ فأتاه جبريل فقال: إن رجلًا من اليهود عقد لك عقدًا فأرسل إليها رسول الله عليًا ﷺ فاستخرجها وجاء بها وجعل كلما حل عقدة وجد لذلك خفة؛ قال: فقام النبي وكأنما نشط من عقال فما ذكر ذلك النبي لليهودي ولا أراه في وجهه قط»**[1].

قال أبو عمر: اليهودي لبيد بن الأعصم، وحديثه فيه طول من رواية هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها وأما حديث حفصة في قتل الساحر فهو مذهب عمر بن الخطاب وابنه عبدالله بن عمر وقيس بن سعد وجندب رجل من الصحابة.

روى ابن عيينة عن سالم بن الجعد عن ابن دينار أن قيس بن سعد بن عبادة كان أميرًا على مصر؛ فكان سره يفشو؛ فشق ذلك عليه وقال: ما هذا؟ فقيل له إن ها هنا رجلًا ساحرًا فبعث إليه فسأله، فقال: إنا لا نعلم ما في الكتاب حتى يفتح فإذا فتح علمنا ما فيه؛ فأمر به قيس فقتل.

وسفيان عن أبي سعيد الأعور عن عكرمة عن ابن عباس قال: علم السحر في قرية من قرى مصر يقال لها الغرماء.

وسفيان عن عمار الدهني أن ساحرًا كان عند الوليد بن عقبة يمشي على الحبل ويدخل في إست الحمار ويخرج من فيه؛ فاشتمل له جندب على السيف فقتله.

وقد قيل: إن السحر لا شيء في حقيقته منه وإنما هو تخيل يتخيل الإنسان (الشيء)

---

(١) صحيح: مسند أحمد: ١٩٢٨٦/٣٦٧/٤، سنن النسائي الكبرى: ٣٥٤٣/٣٠٧/٢، والمجتبى من السنن: ٤٠٨٠/١١٢/٧، مصنف ابن أبي شيبة: ٢٣٥١٨/٤٠/٥، المعجم الكبير: ١٨٠/٥/ ٥٠١٦، مسند عبد بن حميد: ٢٧١/١١٥/١، والهيثمي في مجمع الزوائد: ٢٨١/٦، وقال: «رواه النسائي باختصار، ورواه الطبراني بأسانيد ورجال أحدهما رجال الصحيح»، وابن حجر في الفتح: ٢٢٨/١٠، وصححه الألباني في سنن النسائي: ح (٤٠٨٠) .

على غير ما هو به[1] واحتج قائل هذه المقالة بقول الله ﷻ: ﴿يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ﴾ [طه: ٦٦]، وبحديث هشام بن عروة عن أبيه عن النبي كان يخيل إليه أنه كان يأتي النساء حين سحره لبيد بن الأعصم.

ومن زعم أن الساحر يقلب الحيوان من صورة إلى صورة فيجعل الإنسان حمارًا أو نحوه ويقدر على نقل الأجسامَ وهلاكها وتبديلها فإنه يرى قتل الساحر؛ لأنه كافر بالأنبياء عليهم السلام يدعي مثل آياتهم ومعجزاتهم ولا يتهيأ مع هذا علم صحة النبوة إذ قد يحصل مثلها بالحيلة.

وأما من زعم أن السحر خدع ومخارق وتمويهات وتخيلات فلا يجب على أصله قتل الساحر إلا أن يقتل بفعله أحدًا فيقتل به.

وقد ذكرنا حديث ابن عباس عن النبي أنه قال: «من اقتبس بابًا من علم النجوم فقد اقتبس شعبة من السحر زاد ما زاد»[2] في غير موضع من كتابنا والحمد لله كثيرًا.

---

(١) قال ابن تيمية: «ونصدق بأن في الدنيا سحرة وسحرًا، وأن السحر كائن موجود في الدنيا» بيان تلبيس الجهمية: ١/٤٢٥.
وقال ابن تيمية: «فإن أكثر العلماء على أنه يقتل وقد روى جندب ﷺ موقوفًا ومرفوعًا أن حد الساحر ضربه بالسيف، رواه الترمذي، وعن عمر وعثمان وحفصة وعبدالله بن عمر وغيرهم من الصحابة ﷺ قتله؛ فقال بعض العلماء: لأجل الكفر، وقال بعضهم: لأجل الفساد في الأرض، لكن جمهور هؤلاء يرون قتله حدًا» . السياسة الشرعية: ص ٩٧.
وقال ابن قيم الجوزية: «فصل في حكمه ﷺ في الساحر: في الترمذي عنه حد الساحر ضربة بالسيف، والصحيح أنه موقوف على جندب بن عبدالله، وصح عن عمر - ﷺ أنه أمر بقتله وصح عن حفصة ﵂ أنها قتلت سحرتها فأنكر عليها عثمان إذ فعلته دون أمره، وروي عن عائشة ﵂ أيضًا أنها قتلت مدبرة سحرتها، وروي أنها باعتها ذكره المنذري وغيره، وقد صح أن رسول الله لم يقتل من سحره من اليهود؛ فأخذ بهذا الشافعي وأبو حنيفة، وأما مالك وأحمد - رحمهما الله - فإنهما يقتلانه، ولكن منصوص أحمد ﵀ أن ساحر أهل الذمة لا يقتل واحتج بأن النبي لم يقتل لبيد بن الأعصم اليهودي حين سحره، ومن قال بقتل يجيب عن هذا بأنه لم يقر ولم يقم عليه بينة، وبأنه خشي أن يثير عليه شرًا بترك إخراج السحر من البئر فكيف لو قتله» زاد المعاد: ٥/٦٢-٦٣.
وقال ابن قيم الجوزية: «ونصدق بأن في الدنيا سحرة وسحرًا، وأن السحر كائن موجود في الدنيا» . إجتماع الجيوش الإسلامية: ص ١٨٧.

(٢) صحيح: سنن أبي داود: ٤/١٥/٣٩٠٥، سنن ابن ماجه: ٢/١٢٢٨/٣٧٢٦، سنن البيهقي الكبرى: ٨/١٣٨/١٦٢٩٠، مصنف ابن أبي شيبة: ٥/٢٣٩/٢٥٦٤٦، المعجم الكبير: =

أقوال ابن عبدالبر في العين

عن أبي أمامة بن سهل بن حنيف أنه قال: رأى عامر بن ربيعة سهل بن حنيف يغتسل، فقال: ما رأيت كاليوم، ولا جلد مخبأة، فلبط[١] بسهل فأتى رسول الله ﷺ فقيل: يا رسول الله، هل لك في سهل بن حنيف؟ والله ما يرفع رأسه! فقال: **«هل تتهمون له أحدًا؟ قالوا: نتهم عامر بن ربيعة، قال: فدعا رسول الله ﷺ عامر بن ربيعة فتغيظ عليه، وقال: علام يقتل أحدكم أخاه؟! ألا بركت، اغتسل له، فغسل عامر وجهه ويديه ومرفقيه وركبتيه وأطراف رجليه وداخلة إزاره في قدح، ثم صب عليه فراح سهل مع الناس ليس به بأس»**[٢].

قال ابن عبدالبر[٣]: وفيه أن العين حق وأنها تصرع وتؤذي وتقتل. وقد روى في حديث سهل هذا أن العين حق من حديث مالك عن محمد بن أبي أمامة عن أبيه...

حدثنا قاسم بن محمد قال: حدثنا خالد بن سعد قال: حدثنا أحمد بن عمرو قال: حدثنا محمد بن سنجر قال: حدثنا يحيى بن عبدالحميد قال: حدثنا عبدالرحمن بن سليمان بن الغسيل قال: حدثنا مسلمة بن خالد الأنماري قال: سمعت أبا أمامة بن سهل بن حنيف يقول: حدثني أبي سهل بن حنيف أنه سمع النبي ﷺ يقول: **«علام يقتل أحدكم أخاه وهو عن قتله غني إن العين حق، فإذا رأى أحدكم من أخيه ما يعجبه أو من ماله فليبرك عليه فإن العين حق»**

= ١١٢٧٨/١٣٥/١١، مسند أحمد بن حنبل: ٢٠٠٠/٢٢٧/١، وصححه الألباني في سنن أبي داود ح (٣٩٠٥) وفي سنن ابن ماجة (٣٧٢٦).

(١) يقال: لبط بفلان إذا صرع من عين أو حمى. لسان العرب: ٧/ ٣٨٨.

(٢) صحيح: سنن ابن ماجة: ٣٥٠٩/١١٦٠/٢، سنن النسائي الكبرى: ٧٦١٩/٣٨١/٤، موطأ مالك: ١٦٧٩/٩٣٩/٢، المعجم الكبير: ٧٩/٦ /٥٥٧٥، سنن البيهقي الكبرى: ٣٥١/٩/ ١٩٤٠٠، مصنف عبدالرزاق: ١٩٧٦٦/١٤/١١، مصنف ابن أبي شيبة: ٢٣٥٩٥/٥٠/٥، مسند أحمد بن حنبل: ١٦٠٢٣/٤٨٦/٣، صحيح ابن حبان: ٦١٠٦/٤٧٠/١٣، الحاكم في المستدرك: ٥٧٤١/٤٦٤/٣، وصححه الهيثمي في مجمع الزوائد: ١٠٧/٥-١٠٨، وابن حجر في الفتح: ٢٠٤/١٠، وصححه الألباني في سنن ابن ماجة: ٣٥٠٩.

(٣) التمهيد: ٦/ ٢٣٧-٢٤١/٦

وفي قوله ﷺ: «علام يقتل أحدكم أخاه»، دليل على أن العين ربما قتلت وكانت سببًا من أسباب المنية.

أخبرنا عبدالوارث حدثنا قاسم حدثنا محمد بن عبدالسلام الخشني حدثنا محمد ابن بشار حدثنا مؤزر حدثنا سفيان حدثنا حصين عن هلال بن يساف عن سحيم بن نوفل قال: كنا عند عبدالله نعرض المصاحف فجاءت جارية أعرابية إلى رجل منا فقالت: إن فلانًا قد لقع[1] مهرك بعينه، وهو يدور في فلك لا يأكل ولا يشرب ولا يبول ولا يروث فالتمس له راقيًا، فقال عبدالله: لا نلتمس له راقيًا، ولكن ائته فانفخ في منخره الأيمن أربعًا، وفي الأيسر ثلاثًا، وقل: لا بأس، أذهب الباس رب الناس، اشف أنت الشافي لا يكشف الضر إلا أنت. فقام الرجل، فانطلق، فما برحنا حتى رجع، فقال لعبدالله: فعلت الذي أمرتني به، فما برحت حتى أكل وشرب وبال وراث.

وحكى المدائني عن الأصمعي قال: حج هشام بن عبدالملك فأتى المدينة فدخل عليه سالم بن عبدالله بن عمر، فلما خرج من عنده قال هشام: ما رأيت ابن سبعين أحسن كدنة[2] منه فلما صار سالم في منزله حُم، فقال: أترون الأحول لقعني بعينيه؟ فما خرج هشام من المدينة حتى صلى عليه....، وفي تغيظ رسول الله ﷺ على عامر بن ربيعة دليل على أن تأنيب كل من كان منه أو بسببه سوء وتوبيخه مباح، وإن كان الناس كلهم يجرون تحت القدر ألا ترى أن القاتل يقتل وإن كان المقتول يموت بأجله.

وذكر الحسن بن علي الحلواني قال: حدثنا عبدالصمد قال: حدثنا أبو هاشم صاحب الزعفراني قال: قلت للحسن: رجل قتل رجلًا أبأجله قتله؟ قال: قتله بأجله، وعصى ربه.

وقال أبو عمر في موضع آخر[3]: في هذا الحديث إن العين حق، وفيه أن العين إنما

(١) لقع بعينه: أصابه بعينه. لسان العرب: ٨/ ٣٢١.
(٢) يقال: رجل ذو كدنة إذا كان سمينا. لسان العرب: ١٣/٣٥٥.
(٣) التمهيد: ١٣/٦٩- ١٣/٧١.

تكون مع الإعجاب، وربما مع الحسد، وفيه أن الرجل الصالح قد يكون عائنًا، وأن هذا ليس من باب الصلاح ولا من باب الفسق في شيء، وفيه أن العائن لا ينفي كما زعم بعض الناس، وفيه أن التبريك لا تضر معه عين العائن، والتبريك قول القائل: اللَّهم بارك فيه، ونحو هذا، وقد قيل: إن التبريك أن يقول: تبارك اللَّه أحسن الخالقين، اللَّهم بارك فيه.... ومما يدلك على أن صاحب العين إذا أعجبه شيء كان منه بقدر اللَّه ما قضاه، وأن العين ربما قتلت كما قال ﷺ: «علام يقتل أحدكم أخاه؟» ما رويناه عن الأصمعي أنه قال: رأيت رجلا عيونًا سمع بقرة تحلب، فأعجبه صوت شخبها؛ فقال: أيتهن هذه؟ قالوا: الفلانية لبقرة أخرى يورون عنها، فهلكتا جميعًا: الموري بها والمورى عنها، قال الأصمعي: وسمعته يقول: إذا رأيت الشيء يعجبني وجدت حرارة تخرج من عيني، قال الأصمعي: وكان عندنا رجلان يعينان الناس، فمر أحدهما بحوض من حجارة، فقال: تاللَّه ما رأيت كاليوم قط؛ فتطاير الحوض فرقتين، فأخذه أهله فضببوه بالحديد، فمر عليه ثانية فقال: وأبيك لعل ما أضررت أهلك فيك، فتطاير أربع فرق، قال: وأما الآخر فسمع صوت بول من وراء حائط، فقال: إنه لبن الشخب، فقالوا: إنه فلان ابنك، فقال: وانقطاع ظهراه قالوا: إنه لا بأس عليه، قال: لا يبول بعدها أبدًا، قال: فما بال حتى مات[1].

---

(١) قال ابن القيم: «فأبطلت طائفة ممن قل نصيبهم من السمع والعقل أمر العين، وقالوا: إنما ذلك أوهام لا حقيقة لها، وهؤلاء من أجهل الناس بالسمع والعقل، ومن أغلظهم حجابًا وأكثفهم طباعًا وأبعدهم معرفة عن الأرواح والنفوس وصفاتها وأفعالها وتأثيراتها، وعقلاء الأمم على اختلاف مللهم ونحلهم لا تدفع أمر العين ولا تنكره، وإن اختلفوا في سببه وجهة تأثير العين فقالت: طائفة إن العائن إذا تكيف نفسه بالكيفية الرديئة انبعث من عينه قوة سمية تتصل بالمعين فيتضرر. قالوا: ولا يستنكر هذا كما لا يستنكر انبعاث قوة سمية من الأفعى تتصل بالإنسان فيهلك، وهذا أمر قد اشتهر عن نوع من الأفاعي أنها إذا وقع بصرها على الإنسان هلك، فكذلك العائن. وقالت فرقة أخرى: لا يستبعد أن ينبعث من عين بعض الناس جواهر لطيفة غير مرئية، فتتصل بالمعين، وتتخلل مسام جسمه فيحصل له الضرر. وقالت فرقة أخرى: قد أجرى الله العادة بخلق ما يشاء من الضرر عند مقابلة عين العائن من غير أن يكون منه قوة ولا سبب ولا تأثير أصلًا، وهذا مذهب منكري الأسباب والقوى والتأثيرات في العالم، وهؤلاء قد سدوا على أنفسهم باب العلل والتأثيرات =

= والأسباب، وخالفوا العقلاء أجمعين. ولا ريب أن الله سبحانه خلق في الأجسام والأرواح قوى وطبائع مختلفة وجعل في كثير منها خواص وكيفيات مؤثرة، ولا يمكن لعاقل إنكار الأرواح في الأجسام فإنه أمر مشاهد محسوس، وأنت ترى الوجه وكيف يحمر حمرة شديدة إذا نظر إليه من يحتشمه ويستحي منه ويصفر صفرة شديدة عند نظر من يخافه إليه، وقد شاهد الناس من يسقم من النظر وتضعف قواه، وهذا كله بواسطة تأثير الأرواح ولشدة ارتباطها بالعين ينسب الفعل إليها، وليست هي الفاعلة، وإنما التأثير للروح، والأرواح مختلفة في طبائعها وقواها وكيفياتها وخواصها، فروح الحاسد مؤذية للمحسود أذى بيِّنًا، ولهذا أمر الله سبحانه ورسوله أن يستعيذ به من شره وتأثير الحاسد في أذى المحسود أمر لا ينكره إلا من هو خارج عن حقيقة الإنسانية، وهو أصل الإصابة بالعين، فإن النفس الخبيثة الحاسدة تتكيف بكيفية خبيثة، وتقابل المحسود فتؤثر فيه بتلك الخاصية، وأشبه الأشياء بهذا الأفعى، فإن السم كامن فيها بالقوة، فإذا قابلت عدوها انبعث منها قوة غضبية وتكيفت بكيفية خبيثة مؤذية، فمنها ما تشتد كيفيتها، وتقوى حتى تؤثر في إسقاط الجنين، ومنها ما تؤثر في طمس البصر، كما قال النبي في الأبتر وذي الطفيتين من الحيات: «إنهما يلتمسان البصر، ويسقطان الحبل» ومنها ما تؤثر في الإنسان كيفيتها بمجرد الرؤية من غير اتصال به لشدة خبث تلك النفس وكيفيتها الخبيثة المؤثرة والتأثير غير موقوف على الاتصالات الجسمية كما يظنه من قل علمه ومعرفته بالطبيعة والشريعة، بل التأثير يكون تارة بالاتصال، وتارة بالمقابلة وتارة بالرؤية وتارة بتوجه الروح نحو من يؤثر فيه وتارة بالأدعية والرقى والتعوذات وتارة بالوهم والتخيل ونفس العائن لا يتوقف تأثيرها على الرؤية، بل قد يكون أعمى فيوصف له الشيء فتؤثر نفسه فيه وإن لم يره، وكثير من العائنين يؤثر في المعين بالوصف من غير رؤية، وقد قال تعالى لنبيه: ﴿وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَٰرِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا۟ ٱلذِّكْرَ﴾ وقال: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ۝٤ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝٥﴾ فكل عائن حاسد، وليس كل حاسد عائنًا، فلما كان الحاسد أعم من العائن كانت الاستعاذة منه استعاذة من العائن، وهي سهام تخرج من نفس الحاسد والعائن نحو المحسودة، والمعين تصيبه تارة وتخطئه تارة، فإن صادفته مكشوفًا لا وقاية عليه أثرت فيه ولا بد، وإن صادفته حذرًا شاكي السلاح لا منفذ فيه للسهام لم تؤثر فيه، وربما ردت السهام على صاحبها وهذا بمثابة الرمي الحسي سواء، فهذا من النفوس والأرواح وذاك من الأجسام والأشباح، وأصله من إعجاب العائن بالشيء ثم تتبعه كيفية نفسه الخبيثة، ثم تستعين على تنفيذ سمها بنظرة إلى المعين، وقد يعين الرجل نفسه وقد يعين بغير إرادته بل بطبعه. زاد لمعاد: ١٦٥/٤-١٦٨.

أقوال ابن عبدالبر في حكم النشرة

عن أبي أمامة بن سهل بن حنيف أنه قال: رأى عامر بن ربيعة سهل بن حنيف يغتسل، فقال: ما رأيت كاليوم، ولا جلد مخبأة، فلبط بسهل فأتى رسول الله ﷺ فقيل: يا رسول الله، هل لك في سهل بن حنيف؟ والله ما يرفع رأسه! فقال: هل تتهمون له أحدًا؟ قالوا: نتهم عامر بن ربيعة، قال: فدعا رسول الله ﷺ عامر بن ربيعة فتغيظ عليه، وقال: **«علام يقتل أحدكم أخاه؟! ألا بركت، اغتسل له، فغسل عامر وجهه ويديه ومرفقيه وركبتيه وأطراف رجليه وداخلة إزاره في قدح، ثم صب عليه فراح سهل مع الناس ليس به بأس»**(١).

قال ابن عبدالبر(٢): وفيه إباحة النشرة(٣) وإباحة عملها(٤). وقد قال الزهري في ذلك: إن هذا من العلم. وإذا كانت مباحة فجائز أخذ البدل عليها، وهذا إنما يكون إذا صح الانتفاع بها، فكل ما لا ينتفع به بيقين، فأكل المال عليه باطل محرم، وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه أمر بالنشرة للمعين، وجاء ذلك عن جماعة من أصحابه منهم سعد بن أبي وقاص، خرج يومًا وهو أمير الكوفة، فنظرت إليه امرأة فقالت: إن أميركم هذا لأهضم الكشحين، فعانته فرجع إلى منزله، فوعك. ثم أنه بلغه ما قالت، فأرسل إليها

---

(١) صحيح: سنن ابن ماجه: ٢/١١٦٠/٣٥٠٩، سنن النسائي الكبرى: ٤/٣٨١/٧٦١٩، موطأ مالك: ٢/٩٣٩/١٦٧٩، المعجم الكبير: ٦/٧٩ /٥٥٧٥، سنن البيهقي الكبرى: ٩/٣٥١/ ١٩٤٠٠، مصنف عبدالرزاق: ١١/١٤/١٩٧٦٦، مصنف ابن أبي شيبة: ٥/٥٠/٢٣٥٩٥، مسند أحمد بن حنبل: ٣/٤٨٦/١٦٠٢٣، صحيح ابن حبان: ١٣/٤٧٠/٦١٠٦، الحاكم في المستدرك: ٣/٤٦٤/٥٧٤١، وصححه الهيثمي في مجمع الزوائد: ٥/١٠٧-١٠٨، وابن حجر في الفتح: ١٠/٢٠٤، وصححه الألباني في سنن ابن ماجة: ٣٥٠٩.

(٢) التمهيد: ٦/٢٤١- ٦/٢٤٦.

(٣) النشرة: رقية يعالج بها المجنون والمريض. لسان العرب: ٥/٢٠٩

(٤) قال ابن القيم: «وسئل ﷺ عن النشرة، فقال: «هي من عمل الشيطان» ذكره أحمد وأبو داود، والنشرة حل السحر عن المسحور وهي نوعان: حل سحر بسحر مثله، وهو الذي من عمل الشيطان، فإن السحر من عمله فيتقرب إليه الناشر والمنتشر بما يحب، فيبطل عمله عن المسحور. والثاني: النشرة بالرقية والتعوذات والدعوات والأدوية المباحة، فهذا جائز بل مستحب، وعلى النوع المذموم يحمل قول الحسن لا يحل السحر إلا ساحر» إعلام الموقعين: ٤/٣٩٦.

فغسلت له أطرافها، ثم اغتسل به فذهب ذلك عنه.....

حدثنا أبو بكر الأثرم قال: سمعت أبا عبدالله أحمد بن حنبل يسأل عن رجل يزعم أنه يحل السحر، يؤتى بالمسحور فيحل عنه؟ فقال: قد رخص فيه بعض الناس، وما أدري ما هذا.

قال الأثرم: حدثنا حفص بن عمر النمري قال: حدثنا هشام عن قتادة عن سعيد بن المسيب في الرجل يؤخذ عن امرأته فيلتمس من يداويه، قال: إنما نهى الله عما يضر ولم ينه عما ينفع. قوله: يؤخذ عن امرأته، أي: النساء. قال: والأخذة رقية تأخذ العين.

أخبرنا محمد بن إبراهيم حدثنا أحمد بن مطرف حدثنا سعيد بن عثمان حدثنا نصر ابن مرزوق حدثنا يحيى بن حسان قال: حدثنا عبدالله بن لهيعة عن أبي الزبير المكي قال: سألت جابر بن عبدالله عن الرجل يأبق له العبد أيؤخذ؟ قال: نعم، أو قال لا بأس به. قال: وحدثنا يحيى بن حسان حدثنا محمد بن دينار عن محمد بن سيف أبي رجاء قال: سمعت محمد بن سيرين يحدث عن ابن عمر قال: الأخذة هي السحر. قال: حدثنا يحيى بن حسان قال: حدثنا محمد بن دينار عن أبي رجاء محمد بن سيف قال: سألت الحسن عن الأخذة ففزع، وقال: لعلك صنعت من ذلك شيئًا؟ قلت: لا، قال حدثنا يحيى بن حسان قال حدثنا محمد بن دينار عن عمرو بن عوف عن إبراهيم عن الأسود قال: سألت عائشة زوج النبي ﷺ عن النشرة، فقالت: ما تصنعون بالنشرة والفرات إلى جانبكم ينغمس فيه أحدكم سبع انغماسات إلى جانب الجرية؟ قال: حدثنا يحيى بن حسان قال: حدثنا سليمان بن بلال عن يحيى بن سعيد عن ابن المسيب أنه سئل عن الرجل يأبق له العبد أيؤخِّذه؟ فقال سعيد بن المسيب: قد وخذنا فما رد علينا شيء، أو رد علينا شيئًا، وأخبرنا عبدالرحمن، حدثنا علي، حدثنا أحمد، حدثنا سحنون، حدثنا ابن وهب قال: أخبرني محمد بن عمرو عن ابن جريج قال: سألت عطاء بن أبي رباح عن النشرة، فكره نشرة الأطباء، وقال: لا أدري ما يصنعون فيها؟ وأما شيء تصنعه أنت فلا بأس به.

قال ابن وهب: وأخبرني يحيى بن أيوب أنه سمع يحيى بن سعيد يقول: ليس بالنشرة التي يجمع فيها من الشجر والطيب ويغتسل به الإنسان باس.

وذكر سنيد قال: حدثنا أبو سفيان عن معمر وذكره عبدالرزاق عن معمر قال: سمعت عبدالله بن طاوس يحدث عن أبيه قال: العين حق، ولو كان شيء سابق القدر سبقته العين، وإذا استغسل أحدكم فليغتسل.

أخبرنا عبدالله بن محمد بن يحيى قال: حدثنا أحمد بن إبراهيم بن جامع قال: حدثنا علي بن عبدالعزيز قال: حدثنا مسلم بن إبراهيم قال: حدثنا وهيب قال: حدثنا طاوس عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال: **«العين حق، ولو كان شيء سابق القدر لسبقته العين، وإذا استغسلتم فاغتسلوا»**.

الفصل الثاني

القول في القضاء والقدر

❑ أقوال ابن عبدالبر في القضاء والقدر

أقوال ابن عبدالبر في القضاء والقدر

عن ابن محيريز أنه قال: «دخلت المسجد، فرأيت أبا سعيد الخدري، فجلست إليه، فسألته عن العزل، فقال أبو سعيد الخدري: خرجنا مع رسول الله ﷺ في غزوة بني المصطلق، فأصبنا سبيًا من سبي العرب، فاشتهينا النساء، واشتدت علينا العزبة، وأحببنا الفداء، فأردنا أن نعزل، فقلنا: نعزل ورسول الله ﷺ بين أظهرنا قبل أن نسأله، فسألناه عن ذلك. فقال: ما عليكم ألا تفعلوا ما من نسمة كائنة إلى يوم القيامة إلا وهي كائنة»(١).

قال أبو عمر(٢): وفي هذا الحديث برهان واضح على إثبات قدم العلم، وأن الخلق يجرون في علم الله وقدره، فلا يخرج شيء من خلقه عن ذلك عز الله وجل تعالى عما يقول الظالمون علوًا كبيرًا. وروى حماد بن زيد، عن داود بن أبي هند، عن الشعبي في قوله ﷻ: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي ٱلزُّبُرِ ۝٥٢﴾ [القمر: ٥٢] قال: كتب عليهم قبل أن يعلموه. وروى شعبة عن أبي هشام عن مجاهد في قوله تعالى: ﴿لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ﴾ [الأنفال: ٦٨] قال: كان في علمه أنهم كانوا يأخذون الغنائم. وروى سالم الأفطس، عن سعيد بن جبير في قوله ﷻ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [الأعراف: ٣٧] قال: ما كتب لهم من الشقاء والسعادة، وعن ابن عباس في قوله: ﴿وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمْ نَصِيبَهُمْ غَيْرَ مَنقُوصٍ﴾ [هود: ١٠٩] قال: ما قدر لهم من خير وشر.

وجملة القول في القدر أنه سر الله لا يدرك بجدال ولا نظر، ولا تشفى منه خصومة ولا احتجاج وحسب المؤمن من القدر أن يعلم أن الله لا يقوم شيء دون إرادته، ولا يكون شيء إلا بمشيئته له الخلق والأمر كله لا شريك له، نظام ذلك قوله: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الإنسان: ٣٠] وقوله: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ۝٤٩﴾ [القمر: ٤٩] وحسب المؤمن من القدر أن يعلم أن الله لا يظلم مثقال ذرة، ولا يكلف نفسًا إلا وسعها، وهو الرحمن الرحيم، فمن رد على الله تعالى خبره في الوجهين أو في

---

(١) صحيح البخاري: ٢/ ٨٩٨/ ٢٤٠٤.

(٢) التمهيد: ٣/١٣٨- ٣/١٤٠.

أحدهما، كان عنادًا وكفرًا، وقد تظاهرت الآثار في التسليم للقدر، والنهي عن الجدل فيه، والاستسلام له، والإقرار بخيره وشره والعلم بعدل قدره وحكمته، وفي نقض عزائم الإنسان برهان فيما قلنا وتبيان.

وقال أبو عمر في موضع آخر من التمهيد[(١)]: عن نعيم بن ربيعة قال: **«كنت عند عمر ابن الخطاب إذ جاءه رجل، فسأله عن هذه الآية:** ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ [الأعراف: ١٧٢] **قال: فقال عمر: كنت عند النبي ﷺ إذ جاءه رجل، فسأله عنها، فقال النبي ﷺ خلق الله آدم، ثم استخرج منه ذرية من هو كائن منهم إلى يوم القيامة، فقال لطائفة منهم: هؤلاء للجنة خلقتهم، وقال لطائفة: هؤلاء للنار خلقتهم، فمن خلقه الله للجنة استعمله بعمل أهل الجنة حتى يميته على عمل من أعمال أهل الجنة، فيدخله به الجنة، ومن خلقه للنار استعمله بعمل أهل النار حتى يميته على عمل من أعمال أهل النار، فيدخله به النار وسأله رجل من مزينة أو جهينة، فقال: يا رسول الله، ففيم نعمل في شيء قد خلا ومضى أو في شيء مستأنف الآن؟ فقال: في شيء قد خلا ومضى، فقال الرجل أو بعض القوم: ففيم العمل؟! فقال: إن أهل الجنة ييسرون لعمل أهل الجنة، وإن أهل النار ييسرون لعمل أهل النار»**[(٢)] وروى هذا المعنى عن عمر عن النبي ﷺ من طرق، وممن روى هذا المعنى في القدر عن النبي ﷺ علي بن أبي طالب، وأبي بن كعب، وابن عباس، وابن عمر، وأبو هريرة، وأبو سعيد الخدري، وأبو سريحة الغفاري، وعبدالله بن مسعود، وعبدالله بن عمر، وذو اللحية الكلابي، وعمران بن حصين، وعائشة، وأنس بن مالك، وسراقة بن جعشم، وأبو موسى الأشعري، وعبادة بن الصامت، وأكثر أحاديث هؤلاء لها طرق شتى.

حدثنا محمد بن خليفة قال: حدثنا محمد بن الحسين قال: حدثنا جعفر بن محمد

---

(١) التمهيد: ٦/ ٥ ـ ١٤/٦.

(٢) صحيح: رواه البخاري في التاريخ الكبير: ٨/ ٩٦/ ٢٣١٤، والحاكم في المستدرك على الصحيحين: ١/٨٠/ ٧٤، وسنن أبي داود: ٤/ ٢٢٦/ ٤٧٠٣، سنن الترمذي: ٥/ ٢٦٦/ ٣٠٧٥، وصححه الألباني في سنن أبي داود: ح (٤٧٠٣).

الفريابي قال: حدثنا عثمان بن أبي شيبة قال: حدثنا جرير بن عبدالحميد، عن منصور، عن سعد بن عبيدة، عن أبي عبدالرحمن السلمي، عن علي بن أبي طالب قال: **«كنا في جنازة في بقيع الغرقد قال: صلى رسول الله ﷺ فقعد وقعدنا حوله، ومعه مخصرة، فنكس رأسه، وجعل ينكت بمخصرته، ثم قال: ما منكم من أحد من نفس منفوسة إلا وقد كتب مكانها من الجنة والنار، وإلا قد كتبت شقية أو سعيدة، فقال رجل: يا رسول الله، أفلا نتكل على كتابنا، وندع العمل، فمن كان منا من أهل السعادة، فسيصير إلى عمل أهل السعادة، ومن كان من أهل الشقاء، فسيصير إلى عمل أهل الشقاء؟ فقال: اعملوا، فكل ميسر لما خلق له، أما أهل السعادة فييسرون لعمل أهل السعادة، وأما أهل الشقاوة فييسرون لعمل أهل الشقاوة، ثم قرأ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ ۝١٠﴾»**[(١)].

حدثنا عبدالرحمن بن يحيى، وأحمد بن فتح قالا: حدثنا حمزة بن محمد قال: حدثنا سليمان بن الحسن البصري بالبصرة قال: حدثنا عبيد الله بن معاذ قال: حدثنا أبي قال: حدثنا سليمان بن حيان، عن يزيد الرشك، عن مطرف بن عبدالله، عن عمران ابن حصين قال: **«قال رجل: يا رسول الله، أعلم أهل الجنة من أهل النار؟ قال: نعم، قال: فلم يعمل العاملون؟ قال: كل ميسر لما خلق له»**[(٢)] قال حمزة: وهذا حديث صحيح، رواه جماعة، عن يزيد الرشك، منهم شعبة بن الحجاج، وعبدالوارث بن سعيد قال أبو عمر: وقد رواه حماد بن زيد أيضًا، عن يزيد الرشك، حدثناه عبدالوارث بن سفيان قال: حدثنا قاسم بن أصبغ قال: حدثنا بكر بن حماد قال: حدثنا مسدد قال: حدثنا حماد بن زيد، عن يزيد الرشك، عن مطرف عن عمران بن حصين قال قاسم: وحدثنا مضر بن محمد الأسدي قال: حدثنا شيبان بن فروخ الأيلي، قال حدثنا عبدالوارث، عن يزيد قال حدثنا مطرف عن عمران بن حصين قال: **«قلت: يا رسول الله، أعلم أهل**

(١) صحيح البخاري: ١/ ٤٥٨/ ١٢٩٦.
(٢) صحيح مسلم: ٤/ ٢٠٤١/ ٢٦٤٩.

الجنة من أهل النار ؟ قال: نعم، قال: ففيم يعمل العاملون؟ قال: كل ميسر لما خلق له» ورواه حجاج بن منهال، عن حماد بن يزيد، عن يزيد الضبعي، وهو يزيد الرشك، حدثناه خلف بن سعيد قال: حدثنا عبدالله بن محمد قال: حدثنا حماد بن خالد قال: حدثنا علي بن عبدالعزيز قال: حدثنا حجاج قال: حدثنا حماد بن زيد قال: حدثنا يزيد الضبعي، عن مطرف يعني: ابن عبدالله بن الشخير، عن عمران بن حصين قال: **«قيل: يا رسول الله، أعلم أهل الجنة من أهل النار؟ قال: نعم، قال: ففيم العمل إذًا؟ قال: كل ميسر لما خلق له»** وقد روى من حديث يحيى بن يعمر أيضًا، عن عمران بن حصين، عن النبي ﷺ مثله. حدثنا سعيد بن نصر وعبدالوارث بن سفيان قالا: حدثنا قاسم قال: حدثنا عبدالله بن روح قال: حدثنا شبابة بن سوار قال: حدثنا المغيرة ابن مسلم، عن أبي عمر، عن يحيى بن يعمر، أنه كان مع عمران بن حصين، وأبي الأسود الدئلي في مسجد البصرة، فقال عمران: **«يا أبا الأسود، أرأيت ما يعمل العباد يعملون فيما سبق في علم الله السابق، أو يستأنفون العمل؟ قال: لا، بل يعملون فيما سبق في علم الله، قال: أخشى أن يكون ذلك جورًا؟ قال:** ﴿لَا يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْئَلُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأنبياء: ٢٣] **فقال عمران: ثبتك الله، إنما أردت أن أحزرك، إن رجلًا سأل النبي ﷺ عما سألتك، فقال رسول الله ﷺ كما قلت»**(١).

حدثنا إبراهيم بن شاكر قال: حدثنا عبدالله بن محمد بن عثمان قال: حدثنا سعيد

---

(١) صحيح مسلم: ٤/ ٢٠٤١/ ٢٦٥٠، ولفظه: عن أبي الأسود الدئلي قال: قال لي عمران بن الحصين: «أرأيت ما يعمل الناس اليوم، ويكدحون فيه أشيء قضى عليهم، ومضى عليهم من قدر ما سبق أو فيما يستقبلون به، مما أتاهم به نبيهم، وثبتت الحجة عليهم ؟ فقلت بل شيء قضى عليهم ومضى عليهم. قال: فقال: أفلا يكون ظلمًا؟ قال: ففزعت من ذلك فزعًا شديدًا، وقلت: كل شيء خلق الله، وملك يده، ﴿لَا يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْئَلُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [سورة الأنبياء: آية (٢٣)]. فقال لي: يرحمك الله، إني لم أرد بما سألتك إلا لأحزر عقلك، إن رجلين من مزينة، أتيا رسول الله ﷺ فقالا: يا رسول الله، أرأيت ما يعمل الناس اليوم، ويكدحون فيه أشيء قضى عليهم ومضى فيهم من قدر قد سبق أو فيما يستقبلون به مما أتاهم به نبيهم وثبتت الحجة عليهم؟ فقال: لا بل شيء قضى عليهم ومضى فيهم وتصديق ذلك في كتاب الله ﷻ: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾﴾ [سورة الشمس: الآيتان (٧-٨)]» .

ابن عثمان، وسعيد بن خمير، قالا: حدثنا أحمد بن عبدالله بن صالح قال: حدثنا عثمان بن عمر قال: أخبرنا عزرة بن ثابت، عن يحيى بن عقيل، عن يحيى بن يعمر، عن أبي الأسود الدئلي قال: قال لي عمران بن حصين: أرأيت ما يعمل الناس، ويكدحون فيه أشيء قضي عليهم ومضى عليهم أو فيما يستقبلون مما أتاهم به نبيهم ﷺ واتخذت به عليهم الحجة؟ قلت: لا، بل شيء قضي عليهم ومضى عليهم، قال: فهل يكون شيء من ذلك ظلمًا، قال: ففزعت من ذلك فزعًا شديدًا، وقلت: إنه ليس شيء إلا خلق الله وملك يده فـ ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾﴾ فقال: سددك الله، إني والله ما سألتك إلا لأحزر عقلك، إن رجلًا من مزينة أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، أرأيت ما يعمل الناس ويكدحون أشي قضى عليهم، ومضى عليهم، أو فيما يستقبلون مما أتاهم به نبيهم، واتخذت عليهم به الحجة؟ قال: لا، بل شيء قضى عليهم ومضى عليهم، قال: فلم نعمل إذا؟ قال: من خلقه الله لواحدة من المنزلتين فهو يستعمل لها، وتصديق ذلك في كتاب الله: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾﴾ [الشمس: ٧-٨].

قال أبو عمر: قد أكثر الناس من تخريج الآثار في هذا الباب، وأكثر المتكلمون من الكلام فيه، وأهل السنة مجتمعون على الإيمان بهذه الآثار واعتقادها، وترك المجادلة فيها وبالله العصمة والتوفيق.

حدثنا محمد بن زكرياء قال: حدثنا أحمد بن سعيد قال: حدثنا أحمد بن خالد قال: حدثنا مروان بن عبدالملك قال: حدثنا محمد بن بشار، حدثنا وكيع بن الجراح، حدثنا سفيان، عن محمد بن جحادة، عن قتادة، عن أبي السوار العدوي، عن الحسن ابن علي قال: رفع الكتاب وجف القلم، وأمور تقضي في كتاب قد خلا.

قال: وحدثنا مروان بن عبدالملك قال: حدثنا أبو حاتم قال: حدثنا الأصمعي قال: حدثنا المعتمر بن سليمان، عن أبيه قال: أما والله لو كشف الغطاء لعلمت القدرية أن الله ليس بظلام للعبيد.

قال: وحدثنا محمد بن بشار قال: حدثنا روح بن عبادة قال: حدثنا حبيب بن الشهيد، عن محمد بن سيرين قال: ما ينكر هؤلاء أن يكون الله ﷻ قد علم علمًا، فجعله كتابًا.

قال أبو عمر: قال الله ﷻ: قال الله ﷻ: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾﴾ [القمر: ٤٩] وقال: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الإنسان: ٣٠] فليس لأحد مشيئة تنفذ إلا أن تنفذ منها مشيئة الله تعالى، وإنما يجري الخلق فيما سبق من علم الله.

والقدر سر الله لا يدرك بجدال، ولا يشفى منه مقال، والحجاج فيه مرتجة، لا يفتح شيء منها إلا بكسر شيء وغلقه، وقد تظاهرت الآثار، وتواترت الأخبار فيه عن السلف الأخيار الطيبين الأبرار وبالاستسلام والانقياد والإقرار، بأن علم الله سابق، ولا يكون في ملكه إلا ما يريد ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [فصلت: ٤٦] حدثنا إبراهيم بن شاكر، قال: حدثنا عبدالله بن محمد بن عثمان قال: حدثنا سعيد بن عثمان، وسعيد ابن خمير، قالا: حدثنا أحمد بن عبدالله بن صالح قال: حدثنا محمد بن زرعة الرعيني قال: حدثنا الوليد بن مسلم، عن الأوزاعي قال: من الله تعالى التنزيل، وعلى رسوله التبليغ، وعلينا التسليم، وبالله التوفيق.

وعند تعرضه لشرح قول النبي ﷺ: **«تحاج آدم وموسى، قال له موسى أنت آدم الذي أغويت الناس، وأخرجتهم من الجنة؟ قال آدم: أنت موسى الذي أعطاه الله علم كل شيء، واصطفاه على الناس برسالته وبكلامه؟ قال: نعم، قال: أفتلومني على أمر قد قدر علي قبل أن أخلق»**[(١)].

قال أبو عمر[(٢)]: وفيه الأصل الجسيم الذي أجمع عليه أهل الحق، وهو أن الله ﷻ قد فرغ من أعمال العباد، فكل يجري فيما قدر له وسبق في علم الله تبارك اسمه.

وأما قوله: **«أفتلومني على أمر قد قدر علي؟»** فهذا عندي مخصوص به آدم؛ لأن ذلك

(١) صحيح البخاري: ٢٤٣٩/٦/ ٦٢٤٠، صحيح مسلم: ٢٠٤٣/٤/ ٢٦٥٢، واللفظ له.
(٢) التمهيد: ١٨/ ١٥- ١٨/ ١٨.

إنما كان منه ومن موسى عليهما السلام بعد أن تيب على آدم، وبعد أن تلقى من ربه كلمات تاب بها عليه فحسن منه أن يقول ذلك لموسى؛ لأنه قد كان تيب عليه من ذلك الذنب؛ وهذا غير جائز أن يقوله اليوم أحد إذا أتى ما نهاه اللّه عنه، ويحتج بمثل هذا؛ فيقول: أتلومني على أن قتلت أو زنيت أو سرقت وذلك قد سبق في علم اللّه وقدَّره علي قبل أن أُخلق؟ هذا ما لا يسوغ لأحد أن يقوله، وقد اجتمعت الأمة أن من أتى ما يستحق الذم عليه فلا بأس بذمه ولا حرج في لومه؛ ومن أتى ما يحمد له، فلا بأس بمدحه عليه وحمده.

وقد حكى مالك عن يحيى بن سعيد معنى ما ذكرنا أن ذلك إنما كان من آدم عليه السلام بعد أن تيب عليه، ذكره ابن وهب عن مالك، وهذا صحيح لأن روحه لم تجتمع بروح موسى ولم يلتقيا - واللّه أعلم - إلا بعد الوفاة، وبعد رفع أرواحهما في عليين؛ فكان التقاؤهما كنحو التقاء نبينا ﷺ بمن لقيه في المعراج من الأنبياء على ما جاء في الأثر الصحيح، وإن كان ذلك عندي لا يحتمل تكييفًا، وإنما فيه التسليم؛ لأنا لم نؤت من جنس هذا العلم إلا قليلًا.

حدثنا عبدالوارث بن سفيان، حدثنا قاسم بن أصبغ، حدثنا أحمد بن زهير، حدثنا موسى بن إسماعيل، حدثنا حماد بن سلمة عن عمار بن أبي عمار قال: سمعت أبا هريرة يحدث عن النبي قال حماد: وأخبرنا حميد عن الحسن عن جندب عن النبي ﷺ قال: **«لقي آدم موسى، فحج آدم موسى»**.

قال أبو عمر: معنى **«حجه»** غلبه وظهر عليه في الحُجة، وفي ذلك دليل على فضل من أدلى عند التنازع بحجته.

حدثنا عبدالوارث بن سفيان، حدثنا قاسم بن أصبغ، حدثنا الحارث بن أبي أسامة، حدثنا يونس بن محمد، حدثنا حماد عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: **«لقي آدم موسى، فقال له موسى: يا آدم، أنت الذي خلقك اللّه بيده، وأسكنك جنته، وأسجد لك ملائكته، ونفخ فيك من روحه، فعلت ما فعلت،**

فأخرجت ذريتك من الجنة؟! قال آدم: يا موسى، أنت الذي اصطفاك الله برسالته وبكلامه، وقربك نجيا، وآتاك التوراة؛ فبكم تجد الذنب الذي عملته مكتوبًا علي قبل أن أخلق؟ قال: بأربعين سنة؛ قال: فلم تلومني؟ قال النبي ﷺ: فحج آدم موسى يقولها ثلاثًا»(١).

قال أبو عمر: هذا الحديث من أوضح ما روي عن النبي ﷺ في إثبات القدر ودفع قول القدرية، وبالله التوفيق والعصمة.

وروي أن عمر بن عبدالعزيز كتب إلى الحسن البصري: إن الله لا يطالب خلقه بما قضى عليهم وقدر، ولكن يطالبهم بما نهاهم عنه وأمر، فطالب نفسك من حيث يطالبك ربك والسلام.

وروينا أن الناس لما خاضوا في القدر بالبصرة، اجتمع مسلم بن يسار ورفيع أبو العالية فقال أحدهما لصاحبه: تعال حتى ننظر فيما خاض الناس فيه هذا الأمر؟ قال: فقعدا ففكرا، فاتفق رأيهما أنه يكفي المؤمن من هذا الأمر أن يعلم أنه لن يصيبه إلا ما كتب الله له، وأنه مجزي بعمله.

وقال أبو عمر في الاستذكار(٢): وجملة القول في القدر أنه علم الله وسره لا يدرك بجدل ولا تشفى منه خصومة ولا احتجاج، وحسب المؤمن بالقدر أنه لا يقوم بشيء دون إرادة الله ﷻ، وأن الخلق كلهم خلقه وملكه، ولا يكون في ملكه إلا ما شاء، وما نشاء إلا أن يشاء الله، ﴿وَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [النحل: آية ٩] ﴿لَهُ ٱلْمُلْكُ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾[التغابن: ١] ﴿لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾[الأعراف: ٥٤] ﴿لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ ۝٦﴾[طه: ٦]، ولا يكون في شيء من ذلك إلا ما يشاء، يغفر لمن يشاء، ويعذب من يشاء، ومن عذبه فبذنبه، ويعفو

---

(١) صحيح: سنن النسائي الكبرى: ٦/ ٣٩٤/١١٣١٨، المعجم الكبير: ٢/ ١٦٠/١٦٦٣، مسند أبي يعلى: ٣/٩٨/١٥٢٨، مسند ابن الجعد: ١/ ١٦٤/١٠٦٢، مسند أحمد بن حنبل: ٢/٤٦٤/ ٩٩٩١، وصححه الألباني في السنة لابن أبي عاصم: ١/ ٦٣ / ١٣٩، وقال: «إسناده صحيح على شرط الشيخين إلا أن البخاري منهما إنما أخرج لداود بن أبي هند تعليقًا، وقد أخرجناه من طرق أخرى عن أبي هريرة» .

(٢) الاستذكار: ٦ /٢٢٧- ٦/ ٢٢٨.

عمن يشاء من عباده، ومن لم يوفقه فليس بظالم له، ﴿لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٠]، ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾[فصلت: آية (٤٦] روينا أن بلال بن أبي بردة قال لمحمد بن واسع: ما تقول في القضاء والقدر؟ فقال: إن الله ﷻ لا يسأل عباده يوم القيامة عن قضائه وقدره، وإنما يسألهم عن أعمالهم.

وقال في موضع آخر من الاستذكار[1]: وقد روينا أن سلمان الفارسي سئل عن الإيمان بالقدر، فقال: إذا علم الرجل من قبل نفسه أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه فذلك الإيمان بالقدر؛ فروى حماد بن سلمة عن عطاء بن السائب عن يعلى بن مرة، أن أصحاب علي رضي الله عنه قالوا: إن هذا الرجل في حرب وإلى جنب عدو، وإنا لا نأمن أن يغتال، فليحرسه منا كل ليلة عشرة، وكان علي إذا صلى العشاء لصق بقبلة المسجد فيصلي ما شاء الله أن يصلي ثم ينصرف إلى أهله، فصلى ذات ليلة ثم انصرف، فرآهم فقال: ما أجلسكم هنا هذه الساعة؟ فقالوا: جلسنا نتحدث؛ فقال: لتخبروني؛ فأخبروه، فقال: أمن أهل الأرض تحرسوني أم من أهل السماء؟ فقالوا: نحن أهون على الله ﷻ من أن نحرسك من أهل السماء، ولكن نحرسك من أهل الأرض، قال: فلا تفعلوا، فإنه إذا قضي الأمر من السماء علمه أهل الأرض، وإن العبد لا يجد طعم الإيمان حتى يوقن أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه.

وروينا أن الناس لما خاضوا في القدر بالبصرة اجتمع مسلم بن يسار ورفيع أبو العالية، فقال أحدهما لصاحبه: تعال ننظر في ما خاض الناس فيه من هذا الأمر، فقعدا ونظرا، فاتفق رأيهما أنه يكفي المؤمن من هذا الأمر أن يعلم أنه لن يصيبه إلا ما كتب الله له، وأنه مجزي بعمله.

وروينا عن روح بن عبادة عن حبيب بن الشهيد عن محمد بن سيرين قال: ما ينكر هؤلاء أن يكون الله ﷻ علم علمًا فجعله كتابًا.

---

(١) الاستذكار: ٨ /٢٥٨-٨/ ٢٦٧.

أخبرنا خلف بن قاسم قال: أخبرنا الحسن بن رشيق قال: حدثني محمد بن يحيى الفارسي قال: سمعت الربيع بن سليمان يقول: انحدر علينا الشافعي يومًا من درجته[١] وقوم يتجادلون في القدر، فقال لهم: إما أن تقوموا عنا، وإما أن تجاورونا بخير، ثم قال: لأن يلقى الله ﷿ العبد بكل ذنب ما خلا الشرك خير له من أن يلقاه بشيء من هذه الأهواء.

قال: وسمعت الربيع يقول: قال الشافعي: قال الله ﷿ في كتابه العزيز: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الإنسان: ٣٠] فأعلم الله ﷿ خلقه أن المشيئة له دون خلقه، وأن لا مشيئة لهم إلا أن يشاء الله ﷿.

قال الربيع: قال لي الشافعي: لا تصل خلف القدري، وإني أكره الصلاة خلفه، وحدثني عبدالوارث قال: حدثني قاسم بن أصبغ قال: حدثني أحمد بن زهير قال: حدثني سليمان بن أبي شيخ قال: حدثني عيينة بن المنهال قال: قال بلال بن أبي بردة لمحمد بن واسع: ما تقول في القضاء والقدر؟ قال: أيها الأمير، إن الله تبارك وتعالى لا يسأل عباده يوم القيامة عن قضائه وقدره، وإنما يسألهم عن أعمالهم.

وروينا أن عمر بن عبدالعزيز كتب إلى الحسن البصري: إن الله لا يطالب خلقه بما قضى عليهم، ولكن يطالبهم بما نهاهم عنه وأمرهم به؛ فطالب نفسك من حيث يطالبك ربك.

وأما قوله في الحديث عن آدم ؏: **«أفتلومني على أمر قد قدر علي؟»** فهو خصوص لآدم ؏؛ لأن ذلك إنما كان منه ومن موسى عليهما السلام بعد أن ثبت على آدم، وبعد أن تلقى من ربه كلمات فتاب عليه من ذنبه في أكل الشجرة.

وقد أجمع العلماء على أنه غير جائز لأحد أن يجعله حجة إذا أتى ما نهاه الله عنه وحرمه عليه أن يحتج بمثل هذا، فيقول: أتلومني على أن قتلت وقد سبق في علم الله أن أقتل، وتلومني في أن أسرق أو أزني أو أظلم أو أجور وقد سبق ذلك علي في علم

(١) درجته: طريقه.

الله تعالى وقدره، وهذا ما لا يسوغ لأحد أن يجعله حجة لنفسه.......

قال أبو عمر: قال الله تعالى: ﴿فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَىٰ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ﴾ [القمر: آية ١٢]، وقال: ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾ [الأحزاب: آية (٣٨]، وقال العلماء والحكماء قديمًا: القدر سر الله، فلا تنظروا فيه، فلو شاء الله ألا يعصى ما عصاه أحد، فالعباد أدق شأنًا وأحقر من أن يعصوا الله إلا بما يريد، وقد روي عن الحسن أنه قال: لو شاء الله أن لا يعصى ما خلق إبليس.

وقال مطرف بن الشخير: لو كان الخير في يد أحد ما استطاع أن يجعله في قلبه حتى يكون الله ﷻ هو الذي يجعله فيه. قال: وجدت ابن آدم ملقى بين يدي الله والشيطان، فإن اختاره الله إليه نجا، وإن خلا بينه وبين الشيطان ذهب به. ولقد أحسن القائل حيث قال:

ليس لله العظيم ند وهذه الأقدار لا ترد
لهن وقت ولهن حد مؤخر بعض وبعض نفد
وليس من هذا وهذا بد وليس محتومًا لحي خلد

وفي الحديث المرفوع: «**إذا أراد الله ﷻ بعبد خيرًا سلك في قلبه اليقين والتصديق، وإذا أراد الله ﷻ بعبده شرًا سلك في قلبه الريبة والتكذيب**»،وقال الله ﷻ: ﴿كَذَٰلِكَ نَسْلُكُهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ ﴿١٢﴾ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ ۖ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾﴾[الحجر: ١٢-١٣]، وقال الله ﷻ: ﴿فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ﴾ [الأنعام: ١٢٥]، ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَٰكِن يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾ [النحل: ٩٣] وقال الله ﷻ: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَاءُ وَتَهْدِي مَن تَشَاءُ﴾ [الأعراف: آية ١٥٥]، وقال الفضل الرقاشي لإياس ابن معاوية: يا أبا وائلة، ما تقول في هذا الكلام الذي أكثر الناس فيه، - يعني: القدر- قال: إن أقررت بالعلم خصمت، وإن أنكرت كفرت، وقال الأوزاعي رَحِمَهُ اللَّهُ: هلك عبادنا وخيارنا في هذا الرأي يعني

القدر، وسمع ابن عباس رجلين يختصمان في القدر، فقال: ما منكما إلا زائغ، وروى سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن الحسن بن محمد بن الحنفية قال: أول ما تكلم به القدرية أن جاء رجل فقال: كان من قدر الله ﷻ أن شررة طارت فأحرقت الكعبة، فقال: آخر ليس من قدر الله أن يحرق الكعبة.

قال أبو عمر: قد أكثر أهل الحديث من تخريج الآثار في هذا الباب، وأكثر المتكلمون فيه من الكلام والجدال، وأما أهل السنة فمجتمعون على الإيمان بالقدر على ما جاء في هذه الآثار ومثله من ذلك وعلى اعتقاد معانيها وترك المجادلة فيها(١).

---

(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وتؤمن الفرقة الناجية أهل السنة والجماعة بالقدر خيره وشره، والإيمان بالقدر على درجتين كل درجة تتضمن شيئين: فالدرجة الأولى: الإيمان بأن الله تعالى علم ما الخلق عاملون بعلمه القديم الذي هو موصوف به أزلًا، وعلم جميع أحوالهم من الطاعات والمعاصي والأرزاق والآجال، ثم كتب الله في اللوح المحفوظ مقادير الخلق، فأول ما خلق الله القلم قال له: أكتب. قال: ما أكتب؟ قال: أكتب ما هو كائن الى يوم القيامة. فما أصاب الإنسان لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه، جفت الأقلام، وطويت الصحف. كما قال سبحانه وتعالى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحج: آية ٧٠]، وقال: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾﴾ [الحديد: آية ٢٢] وهذا التقدير التابع لعلمه سبحانه، يكون في مواضع جملة وتفصيلًا، فقد كتب في اللوح المحفوظ ما شاء وإذا خلق جسد الجنين قبل نفخ الروح فيه بعث إليه ملكًا، فيؤمر بأربع كلمات، فيقال له: أكتب رزقه، وأجله، وعمله، وشقي أو سعيد، ونحو ذلك، فهذا القدر قد كان ينكره غلاة القدرية قديمًا، ومنكره اليوم قليل. وأما الدرجة الثانية: فهو مشيئة الله النافذة، وقدرته الشاملة، وهو الإيمان بأن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، وأنه ما في السماوات والأرض من حركة ولا سكون إلا بمشيئة الله سبحانه، لا يكون في ملكه إلا ما يريد، وأنه سبحانه وتعالى على كل شيء قدير من الموجودات والمعدومات فما من مخلوق في الأرض ولا في السماء إلا الله خالقه سبحانه، لا خالق غيره ولا رب سواه، ومع ذلك فقد أمر العباد بطاعته وطاعة رسله ونهاهم عن معصيته، وهو سبحانه يحب المتقين والمحسنين والمقسطين، ويرضى عن الذين آمنوا وعملوا الصالحات، ولا يحب الكافرين، ولا يرضى عن القوم الفاسقين، ولا يأمر بالفحشاء، ولا يرضى لعباده الكفر، ولا يحب الفساد، والعباد فاعلون حقيقة والله خالق أفعالهم» مجموع الفتاوى: ١٤٨/٣.

وقال في بيان تلبيس الجهمية: «وزعمت القدرية أن الله يخلق الخير، وأن الشيطان يخلق الشر، وزعموا أن الله تعالى يشاء مالا يكون ويكون مالا يشاء خلافًا لما أجمع عليه المسلمون من أن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، وردا لقول الله تعالى: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الإنسان: ٣٠]، =

حدثني محمد بن زكريا قال: حدثني أحمد بن سعيد قال: حدثني أحمد بن خالد قال: حدثني مروان بن عبدالملك قال: حدثني محمد بن بشار قال: حدثني وكيع قال: حدثني سفيان عن محمد ابن جحادة عن قتادة عن أبي السوار العدوي عن حسن بن علي قال: رفع الكتاب، وجف القلم وأمور تقضى في كتاب قد خلا.

قال: وحدثني مروان بن عبدالملك قال: حدثني أبو حاتم قال: حدثني الأصمعي قال: حدثني المعتمر بن سليمان عن أبيه قال: أما والله لو كشف الغطاء لعلمت القدرية أن الله ليس بظلام للعبيد، وروى حماد بن سلمة عن يونس بن عبيد قال: كان الحسن إذا قرأ هذه الآية ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ﴾ [النجم: ٣٢] قال: علم الله كل نفس ما هي عاملة، وإلى ما هي صائرة.

وروى أبو حاتم السجستاني عن الأصمعي قال: سألت أعرابيًا عن القدر، فقال: ذلك علم اختصمت فيه الظنون، وتغالب فيه المختلفون، والواجب علينا أن نرد ما أشكل علينا من حكمه إلى ما سبق فيه من علمه.

قال أبو عمر: أحسن ما رأيت رجزًا في معنى القدر قول ذي النون إبراهيم الإخميني:

قدر ما شاء كيف شاء ... ولم يطلع على علم غيبه بشرا
ويرى من العباد منفردا ... محتجبا في السماء ليس يرى
ثم جرى بالذي قضى قلم ... أجراه في اللوح ربنا فجرى

= فأخبر الله أنا لا نشاء شيئًا إلا قد شاء الله أن نشاءه، ولقوله: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ [البقرة: ٢٥٣]، وقوله: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا﴾ [السجدة: ١٣]، ولقوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ [هود: ١٠٧]، ولقوله سبحانه وتعالى خبرًا عن شعيب أنه قال: ﴿وَمَا يَكُونُ لَنَا أَن نَّعُودَ فِيهَا إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [الأعراف: ٨٩]، ولهذا سماهم رسول الله ﷺ مجوس هذه الأمة؛ لأنهم دانوا بديانة المجوس، وضاهوا قولهم، وزعموا أن للخير والشر خالقين كما زعمت المجوس ذلك، وأنه يكون من الشر ما لا يشاء الله كما قالت المجوس، وزعموا أنهم يملكون الضر والنفع لأنفسهم ردًا لقوله الله تعالى: ﴿قُل لَّا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ [الأعراف: ١٨٨]، وإعراضًا عن القرآن وعما أجمع المسلمون عليه، وزعموا أنهم ينفردون بالقدرة علي ما لم يصفوا الله بالقدرة عليه، كما أثبت المجوس للشيطان من القدرة على الشر ما لم يثبتوه لله ﷻ فكانوا مجوس هذه الأمة» بيان تلبيس الجهمية: ١/ ٤٢٠.

لا خير في كثرة الجدال ولا في من تعدى فأنكر القدر
من يهده الله لن يضل ومن يضلل فلن يهتدي وقد خسرا
دعوته للعباد شاملة وخص بالخير منهم نفرا

قال أبو عمر: قد اختلف العلماء في معنى قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات: ٥٦] وروي عن ابن عباس ﴿إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ إلا ليعبدوني قال: ليقروا بالعبودية طوعًا وكرهًا. وقال مجاهد وابن جريج: إلا ليعرفوني.

وقال الضحاك بن مزاحم: هي آية عظيمة عامة في المنطق خاصة في المؤمنين. وقال الشافعي: هي خاصة يعني: أنه خلق الأنبياء والمؤمنين لعبادته، قال: والدليل على خصوصها قوله ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الإنسان: ٣٠] فلن يكون بخلقه مشيئة إلا أن يشاء الله.

ومن أحسن ما قيل من النظم في قدم العلم، وأن ما يكون من خلق الله فقد سبق العلم به وجف القلم به، وأنه لا يكون في ملكه إلا ما يشاء لا شاء غيره قول الشافعي ﷺ رويناه من طرق عن المزني وعن الربيع عنه أنه قال في أبيات له:

فما شئت كان وإن لم أشأ وما شئت وإن لم تشأ لم يكن
خلقت العباد على ما علمت وفي العلم يجري الفتى والمسن
على ذا مننت وهذا خذلت وهذا أعنت وذا لم تعن
فمنهم شقي ومنهم سعيد ومنهم قبيح ومنهم حسن
ومنهم فقير ومنهم غني وكل بأعماله مرتهن

قال أبو عمر: كل ما في هذه الأبيات معتقد أهل السنة ومذهبهم في القدر لا يختلفون فيه، وهو أصل ما ينون في ذلك عليه...

قال أبو عمر: الهدي كل الهدي في إتباع كتاب الله وسنة رسول الله، فهي المبينة لمراد كتاب الله إذا أشكل ظاهره أبانت السنة عن باطنه وعن مراد الله منه، والجدال في ما تعتقده الأفئدة من الضلال.

مالك عن زياد بن سعد عن عمرو بن مسلم عن طاوس اليماني أنه قال: أدركت ناسًا من أصحاب رسول الله يقولون: كل شيء بقدر، قال طاوس: وسمعت عبدالله ابن عمر يقول: قال رسول الله ﷺ: **«كل شيء بقدر حتى العجز والكيس، أو الكيس والعجز»**[١] هكذا روى يحيى هذا الحديث على الشك في تقديم إحدى اللفظتين، وتابعه ابن بكير وأبو مصعب، ورواه ابن وهب والقعنبي، فلم يزيدا على قول طاوس: **«أدركت أصحاب رسول الله يقولون كل شيء بقدر»**، ولم يذكرا حديث ابن عمر المرفوع... قال الله ﷻ: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ۝٤٩﴾ [القمر: ٤٩] وقال تعالى: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الإنسان: ٣٠] فليس لأحد مشيئة تنفذ إلا أن يتقدمها مشيئة الله تعالى، وإنما تجري العباد فيما سبق من علم الله ﷻ، والقدر سر الله لا يدرك بجدال، ولا يشفي منه مقال، والحجاج مرتجة مغلقة لا يفتح شيء منها إلا بكسر شيء، وقد تواترت الآثار عن السلف الصالح بالنهي عن الجدال فيه، والاستسلام له، والإيمان به.

أخبرنا عبدالرحمن بن يحيى قال: أخبرنا أحمد بن سعيد قال: حدثني ابن الأعرابي قال: حدثني محمد بن إسماعيل الصائغ قال: حدثني الحسن بن علي الحلواني قال: أملى علي علي بن المديني قال: سألت عبدالرحمن بن مهدي عن القدر، فقال لي: كل شيء بقدر، والطاعة والمعصية بقدر، وقد أعظم الفرية من قال: إن المعاصي ليست بقدر، قال علي: قال لي عبدالرحمن بن مهدي: العلم والقدر والكتاب سواء، ثم عرضت كلام عبدالرحمن بن مهدي على يحيى بن سعيد القطان فقال: لم يبق بعد هذا قليل ولا كثير.

وقد روي من غير ما وجه عن ابن مسعود أنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«إذا ذكر القدر فأمسكوا، وإذا ذكرت النجوم فأمسكوا، وإذا ذكر أصحابي فأمسكوا»**[٢].

(١) سبق تخريجه.

(٢) حسن: المعجم الكبير: ١٠/ ١٩٨/ ١٠٤٤٨، ورواه الهيثمي في مجمع الزوائد: ٧/٢٠٧، وقال: «رواه الطبراني، وفيه مسهر بن عبدالملك وثقه ابن حبان وغيره وفيه خلاف وبقية رجاله رجال =

مالك عن زياد بن سعيد عن عمرو بن دينار أنه قال: سمعت عبدالله بن الزبير يقول في خطبته: إن الله هو الهادي والفاتن.

قال أبو عمر: هذا مأخوذ من قول الله تعالى: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِي مَن يَشَآءُ﴾ [فاطر: ٨] وقوله عز وجل حاكيًا عن نبيه نوح عليه السلام: ﴿وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِىٓ إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ﴾[هود: آية (٣٤)]، وقال تبارك اسمه: ﴿فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ﴾[الأنعام: ١٤٩] ولا يكون في ملك الله إلا ما يريد: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾[فصلت: آية (٤٦)] روينا عن عبدالعزيز بن أبي رواد قال: سمعت عطاء ابن أبي رباح يقول: كنت عند ابن عباس فأتاه رجل، فقال: أرأيت من حرمني الهدى، وأورثني الضلالة والردى، أتراه أحسن إلي أو ظلمني؟ فقال ابن عباس: إن كان الهدى شيئًا لك عنده فمنعكه فقد ظلمك، وإن كان الهدى هدى الله يؤتيه من يشاء فما ظلمك شيئًا ولا تجالسني بعدها.

وقد روينا أن غيلان القدري وقف بربيعة فقال له: يا أبا عثمان، أرأيت الذي منعني الهدى، ومنحني الردى أأحسن إلي أم أساء؟ فقال له ربيعة: إن كان منعك شيئًا هو لك فقد ظلمك، وإن كان فضله يؤتيه من يشاء فما ظلمك شيئًا. فهذا أخذه ربيعة من كلام ابن عباس. وقال غيلان لربيعة: أنت الذي تزعم أن الله يحب أن يعصى؟ قال: وأنت تزعم أن الله يعصى قسرًا؟.

= الصحيح»، مسند الحارث: ٢/ ٧٤٢/٧٤٨، وحسنه ابن حجر في فتح الباري: ١١/ ٤٧٧، وحسنه المباركفوري في تحفة الأحوذي: ٦/ ٢٨١.

الفصل الثالث

القول في الإيمان والإسلام

- أقوال ابن عبدالبر في معنى الإيمان.
- أقول ابن عبدالبر في أن الإيمان يزيد وينقص.
- أقوال ابن عبدالبر في فروع الإيمان وأصوله.
- أقوال ابن عبدالبر في الإيمان والإسلام.
- أقوال ابن عبدالبر في الشفاعة.

أقوال ابن عبدالبر في الإيمان(١)

قال أبو عمر: القول في الإيمان عند أهل السنة، وهم أهل الأثر من المتفقهة والنقلة، وعند من خالفهم من أهل القبلة في العبارة عنه اختلاف، وسنذكر منه في هذا الباب ما فيه مقنع وهداية لأولي الألباب.

أجمع أهل الفقه والحديث على أن الإيمان قول وعمل، ولا عمل إلا بنية، والإيمان عندهم يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية، والطاعات كلها عندهم إيمان. إلا ما ذكر عن أبي حنيفة وأصحابه، فإنهم ذهبوا إلى أن الطاعات لا تسمى إيمانًا، قالوا: إنما الإيمان: التصديق والإقرار، ومنهم من زاد والمعرفة، قالوا: وهو المعروف من لسان العرب، ومن ألسنة المجتمع عليه، ألا ترى إلى قول الله ﷻ حاكيًا عن بني يعقوب عليه السلام: ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَٰدِقِينَ﴾ [يوسف: ١٧] أي: بمصدق لنا؟، قالوا: وإنما أمر الله نبيه ﷺ حين بعثه إلى الخلق أن يدعوهم إلى الإيمان به ولهم الجنة على ذلك، فدعاهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، يقولون ذلك ويقرون به ويصدقونه فيما جاء به، فكان كل من قال ذلك وصدق به مؤمنًا مستكمل الإيمان، ثم نزلت الفرائض بعد ذلك وكل من مات من الصحابة قبل نزول الفرائض وقبل عملها كان مؤمنًا لا محالة كامل الإيمان. قالوا: فالطاعات لا تسمى إيمانًا كما أن المعاصي لا تسمى كفرًا، وذكر بعضهم حديث النبي ﷺ إذ سئل عن الإيمان؟ فقال: «**أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت**»(٢) واحتجوا من الآثار المرفوعة إلى النبي ﷺ في ذلك بما حدثنا عبدالوارث بن سفيان قال: حدثنا قاسم بن أصبغ قال: حدثنا جعفر ابن محمد بن شاكر وأحمد بن زهير بن حرب قالا: حدثنا سليمان بن داود الهاشمي قال: أخبرنا إبراهيم بن سعد عن ابن شهاب قال: أخبرني محمود بن الربيع أنه سمع عتبان بن مالك يقول: سمعت رسول الله ﷺ فذكر الحديث في قصة مالك بن

---

(١) التمهيد: لابن عبدالبر: ٩/٢٣٨-٢٥٦.

(٢) صحيح البخاري: ١/٢٧/٥٠، صحيح مسلم: ١/٣٩/٩.

الدخشم بطوله وفيه: أن رسول الله ﷺ قال: «ألا تراه قال لا إله إلا الله يبتغي بها وجه الله؟ فقالوا: الله ورسوله أعلم، أما نحن فوالله ما نرى وجهه وحديثه إلا إلى المنافقين، فقال رسول الله ﷺ: فإن الله قد حرم على النار أن تأكل من قال لا إله إلا الله يبتغي بها وجه الله»[١].

قال ابن شهاب: ولكنا أدركنا الفقهاء، وهم يرون أن ذلك كان قبل أن تنزل موجبات الفرائض، فإن الله قد أوجب على أهل هذه الكلمة التي ذكرها رسول الله ﷺ وذكر النجاة بها فرائض في كتابه، فنحن نخشى أن يكون الأمر قد صار إليها، فمن استطاع أن لا يغير فلا يغير.

وذكر عبدالرزاق عن معمر عن الزهري قال: حدثني محمود بن الربيع عن عتبان بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «لن يوافى عبد يوم القيامة وهو يقول لا إله إلا الله يبتغي بها وجه الله إلا حرمه الله على النار»[٢] قال الزهري: ثم نزلت بعد ذلك فرائض، وأمور نرى الآخر انتهى إليها، فمن استطاع أن لا يغير فلا يغيره. وهذا الحديث قد رواه أنس ابن مالك، عن محمود بن الربيع، عن عتبان بن مالك بمعناه، وهو في رواية الصحابة عن التابعين والكبار عن الصغار، وهذا المعنى أيضًا رواه أنس بن مالك عن معاذ بن جبل حدثنا عبدالوارث بن سفيان، حدثنا قاسم بن أصبغ حدثنا بكر بن حماد حدثنا مسدد حدثنا حماد بن زيد عن عبدالعزيز بن صهي عن أنس بن مالك، أن النبي ﷺ قال: «يا معاذ، قال: لبيك يا رسول الله وسعديك، قالها ثلاثًا، قال: بشر الناس أنه من قال لا إله إلا الله دخل الجنة»[٣].

وحدثنا سعيد بن نصر، حدثنا قاسم بن أصبغ، حدثنا عبدالله بن روح، حدثنا عثمان بن عمر، أخبرنا شعبة، عن قتادة، قال: سمعت أنس بن مالك يحدث عن معاذ

(١) صحيح البخاري: ١/١٦٤/ ٤١٥.
(٢) صحيح البخاري: ٥/ ٢٣٦٠ / ٦٠٥٩.
(٣) صحيح: رواه أبو يعلى في مسنده: ٧/ ٩ /٣٨٩٩، والطبراني في المعجم الكبير: ٢٠/٤٩/٨٢، وأبو بكر الخطيب في تالي تلخيص المتشابه: ٢/٤٦٣.

ابن جبل أن رسول الله ﷺ قال: «من شهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله دخل الجنة»، ورواه عن معاذ أيضًا جابر بن عبدالله، وعبدالرحمن بن سمرة، وعمرو بن ميمون، وغيرهم، ورواه أبو ذر، وأبو الدرداء فقالا جميعًا فيه عن النبي ﷺ: «وإن زنى وإن سرق».

حدثنا عبدالوارث بن سفيان، حدثنا قاسم بن أصبغ، حدثنا أحمد بن محمد القاضي البرتي، وإسحاق بن الحسن الحدبي قالا: أخبرنا أبو معمر عبدالله بن عمرو قال: حدثنا عبدالوارث بن سعيد عن الحسن المعلم عن ابن بريدة أن يحيى بن يعمر حدثه أن أبا الأسود الدؤلي حدثه أن أبا ذر حدثه قال: قال لي رسول الله ﷺ: «ما من عبد قال لا إله إلا الله، ثم مات على ذلك إلا دخل الجنة، قلت: وإن زنى، وإن سرق؟! قال: وإن زنى، وإن سرق على رغم أنف أبي ذر»[١] ولم يقل الحدبي: «وإن زنى وإن سرق إلا مرة واحدة»، وحدثنا إبراهيم بن شاكر، حدثنا محمد بن أحمد بن يحيى، حدثنا محمد بن أيوب، حدثنا أحمد بن عمر البزار، أخبرنا محمد بن نعيم، حدثنا أبو هاشم المغيرة بن سلمة، حدثنا عبدالواحد بن زياد، حدثنا الحسن بن عبيد الله، حدثنا زيد بن وهب قال: سمعت أبا الدرداء يقول: قال رسول الله ﷺ: «من مات لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة، قلت: وإن زنى، وإن سرق؟ قال: وإن زنى وإن سرق. قال: وإن رغم أنف أبي الدرداء»[٢].

وقرأت على عبدالوارث بن سفيان أن قاسم بن أصبغ، حدثهم قال: حدثنا بكر بن حماد، حدثنا مسدد، حدثنا يحيى بن سعيد، حدثنا نعيم بن حكيم، حدثنا أبو مريم قال: سمعت أبا الدرداء يحدث عن النبي ﷺ قال: «ما من رجل يشهد أن لا إله إلا الله، ومات لا يشرك بالله إلا دخل الجنة أو لم يدخل النار، قلت: وإن زنى، وإن سرق؟ قال: وإن

---

(١) صحيح البخاري: ٥/٢١٩٣/ ٥٤٨٩، صحيح مسلم: ١/٩٥/٩٤.

(٢) صحيح: رواه أبو حنيفة في مسنده: ١/١٧٥، وأحمد في المسند: ٦/٤٤٧/٢٧٥٦٧، والنسائي في الكبرى: ٦/٢٧٦/١٠٩٦٣، والطبراني في الأوسط: ٣/٢٠٥/٢٩٣٢، والهيثمي في مجمع الزوائد: ٧/١١٨، وقال الهيثمي: «رواه أحمد والطبراني... ورجال أحمد رجال الصحيح» .

زنى، وإن سرق، وإن رغم أنف أبي الدرداء»، واحتجوا أيضًا بقول الله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِهِنَّ﴾ [الممتحنة: ١٠] قال: ومعلوم أن امتحانهم إياهن إنما هو مطالبة لهن بالإقرار بالشهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله، كما قال رسول الله ﷺ للذي جاءه بالأمة السوداء؛ فقال له: «يا رسول الله، إن علي رقبة مؤمنة، فإن كنت ترى هذه يا رسول الله مؤمنة أعتقها؟ فقال لها رسول الله: أتشهدين أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله؟ قالت: نعم. قال: أعتقها فإنها مؤمنة»(١).

قالوا: فهذا هو الإيمان المعروف في اللغة وصريح السنة:الإقرار والتصديق، وأما فرائض العمل فلا تسمى إيمانًا كما لا تسمى الذنوب كفرًا.

قالوا: ولما لم تكن المعصية كفرًا، لم تكن الطاعة إيمانًا هذا يحمله ما عولوا عليه فيما ذهبوا من ذلك إليه.

قال أبو عمر: وأما سائر الفقهاء من أهل الرأي والآثار بالحجاز والعراق والشام ومصر منهم مالك ابن أنس، والليث بن سعد، وسفيان الثوري، والأوزاعي، والشافعي، وأحمد بن حنبل، وإسحاق بن راهويه، وأبو عبيد القاسم بن سلام، وداود بن علي، وأبو جعفر الطبري، ومن سلك سبيلهم؛ فقالوا: الإيمان قول وعمل، قول باللسان وهو الإقرار، واعتقاد بالقلب، وعمل بالجوارح مع الإخلاص بالنية الصادقة، قالوا: وكل ما يطاع الله ﷻ به من فريضة ونافلة فهو من الإيمان، والإيمان يزيد بالطاعات، وينقص بالمعاصي، وأهل الذنوب عندهم مؤمنون غير مستكملي الإيمان من أجل ذنوبهم، وإنما صاروا ناقصي الإيمان بارتكابهم الكبائر ألا ترى إلى قول رسول الله ﷺ: «لا يزني

---

(١) صحيح: رواه عبدالرزاق في المصنف: ١٦٨١٤/١٧٥/٩، و ابن أبي شيبة في المصنف: ١٦٢/٦ / ٣٠٣٤٣، وأحمد في المسند: ١٥٧٨١/٤٥١/٣، والبيهقي في الكبرى: ١٥٠٤٨/٣٨٨/٧، والطبراني في المعجم الكبير: ١٢٣٦٩/٢٦/١٢، والهيثمي في مجمع الزوائد: ٢٣/١، وقال الهيثمي: «رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح»، وصححه ابن كثير في تفسيره: ٥٣٥/١ وقال ابن كثير: «وهذا إسناد صحيح وجهالة الصحابي لا تضره» .

الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن»(١) يريد مستكمل الإيمان، ولم يرد به نفي جميع الإيمان عن فاعل ذلك، بدليل الإجماع على توريث الزاني والسارق وشارب الخمر إذا صلوا للقبلة وانتحلوا دعوة الإسلام من قرابتهم المؤمنين الذين آمنوا بتلك الأحوال، وفي إجماعهم على ذلك مع إجماعهم على أن الكافر لا يرث المسلم أوضح الدلائل على صحة قولنا: أن مرتكب الذنوب ناقص الإيمان بفعله ذلك وليس بكافر كما زعمت الخوارج في تكفيرهم المذنبين، وقد جعل الله في ارتكاب الكبائر حدودًا جعلها كفارة وتطهيرًا، كما جاء في حديث عبادة عن النبي ﷺ: **«فمن واقع منها شيئًا يعني من الكبائر، وأقيم عليه الحد فهو له كفارة، ومن لا فأمره إلى الله إن شاء غفر له وإن شاء عذبه»**، وليس هذا حكم الكافر؛ لأن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء.

والإيمان مراتب بعضها فوق بعض، فليس الناقص فيها كالكامل قال الله ﷻ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢﴾ [الأنفال: ٢] أي: إنما المؤمن حق الإيمان من كانت هذه صفته؛ ولذلك قال: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾ [الأنفال: ٤] ومثل هذه الآية في القرآن الكريم كثير، وكذلك قوله ﷺ: **«المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمؤمن من أمنه الناس على دمائهم وأموالهم»**(٢) إن هذا هو المؤمن المسلم حقًا ومن هذا قوله ﷺ: **«أكمل المؤمنين إيمانًا أحسنهم خلقًا»**(٣)، ومعلوم أنه لا يكون هذا أكمل حتى يكون

---

(١) صحيح البخاري: ٢٣٤٣/٨٧٥/٢، صحيح مسلم: ٥٧/٧٦/١، واللفظ له.

(٢) صحيح: رواه أحمد في المسند: ٣٧٩/٢ / ٨٩١٨، والترمذي في سننه: ٢٦٢٧/١٧/٥، قال أبو عيسى: «هذا حديث حسن صحيح»، والنسائي في السنن الكبرى: ٥٣٠/٦/ ١١٧٢٦، وفي المجتبى: ٨/ ١٠٤/ ٤٩٩٥، وابن حبان في صحيحه: ٤٠٦/١/ ١٨٠، والحاكم في المستدرك: ١/ ٥٤/ ٢٢، وقال: «ولم يخرجا هذه الزيادة، وهي صحيحة على شرط مسلم»، وصححه الألباني في سنن الترمذي: ح (٢٦٢٧) وقال الشيخ الألباني: «حسن صحيح»، وسنن النسائي: ح (٤٩٩٥).

(٣) صحيح: رواه أبو يعلى في مسنده: ٤٢٤٠/٢٣٧/٧، وابن أبي شيبة: ٢٥٣٢١/٢١٠/٥، وأحمد =

غيره أنقص، وكذلك قوله ﷺ: «**أوثق عرى الإيمان الحب في الله والبغض في الله**»[1]، وقوله: «**لا إيمان لمن لا صلاة له، ولا من لا أمانة له**» كل ذلك يدل على أنه ليس بإيمان كامل، وأن بعض الإيمان أوثق عروة، وأكمل من بعض كما قال: «**ليس المسكين بالطواف عليكم**»[2] يريد ليس الطواف بالمسكين حقًا؛ لأن ثم من هو أشد مسكنة منه، وهو الذي لا يسأل الناس ويتعفف، ويدلك على ذلك قول عائشة[3]: «**إن المسكين ليقف على بابي**»[4] وروى مجاهد بن جبر، وأبو صالح السمان جميعًا، عن عبدالله بن جمرة عن كعب قال: «**من أحب في الله، وأبغض في الله، وأعطى في الله، ومنع لله، فقد استكمل الإيمان**».

ومن الدلائل على أن الإيمان قول وعمل كما قالت الجماعة والجمهور قول

= في المسند: ٢/٢٥٠/٧٣٩٦، والترمذي: ٣/٤٦٦/١١٦٢، وقال أبو عيسى: «حديث أبي هريرة هذا حديث حسن صحيح»، والدارمي: ٢/٤١٥/٢٧٩٢، والبيهقي في الكبرى: ١٠/١٩٢/ ٢٠٥٧٢، وابن حبان في صحيحه: ٢/٢٢٧/٤٧٩، والحاكم في المستدرك: ١/٤٣/٢، وقال: «هذا حديث صحيح، ولم يخرج في الصحيحين، وهو صحيح على شرط مسلم بن الحجاج»، والهيثمي في مجمع الزوائد: ٤/٣٠٣، وقال: «رواه أحمد وفيه محمد بن عمرو وحديثه حسن وبقية رجاله رجال الصحيح»، وصححه ابن حجر في الفتح: ١٤/٤٥٨، وقال ابن حجر: وقد أخرج أبو يعلى من حديث أنس رفعه: «أكمل المؤمنين إيمانًا أحسنهم خلقًا»، وللترمذي وحسنه، والحاكم وصححه من حديث أبي هريرة رفعه «إن من أكمل المؤمنين أحسنهم خلقًا»، ولأحمد بسند رجاله ثقات، والألباني في سنن الترمذي: ح (١١٦٢) .

(١) رواه ابن أبي شيبة: ٧/٨٠/ ٣٤٣٣٨، والطيالسي في مسنده: ١/١٠١/ ٧٤٧، والمروزي في تعظيم قدر الصلاة: ١/٤٠٧/ ٣٩٩.

(٢) صحيح البخاري: ٢/٥٨٣ / ١٤٠٩، صحيح مسلم: ٢ / ٧١٩ / ١٠٣٩.

(٣) ليس هذا الحديث عن عائشة، وإنما عن أم بجيد.

(٤) صحيح: رواه الترمذي: ٣/٥٢/٦٦٥، وقال: وفي الباب عن علي، وحسين بن علي، وأبي هريرة، وأبي، قال أبو عيسى: «حديث أم بجيد حديث حسن صحيح»، وأبو داود: ٢/١٢٦/١٦٦٧، والنسائي في السنن الكبرى: ٢/٤٥/٢٣٥٥، وفي المجتبى: ٥/٨٦/٢٥٧٤، وابن خزيمة في صحيحه: ٤/١١١/٢٤٧٣، وابن حبان في صحيحه: ٨/١٦٦/٣٣٧٣، والبيهقي في سننه الكبرى: ٤/١٧٧/٧٥٣٩، والحاكم في المستدرك: ١/٥٧٨/١٥٢٤، وقال: «صحيح الإسناد ولم يخرجاه»، وصححه الألباني في سنن الترمذي: ح (١٥٢٤)، وأبي داود: ح (١٦٦٧)، والنسائي: (٢٥٧٤).

الله ﷻ: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَـٰنَكُمْ﴾[البقرة: ١٤٣] لم يختلف المفسرون أنه أراد صلاتكم إلى بيت المقدس، فسمى الصلاة إيمانًا، ومثل هذا قوله: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَـٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَـٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَـٰهَدُوا۟ وَٱلصَّـٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾﴾[البقرة: ١٧٧].

وأما من السنة فكثير جدًا من ذلك قوله ﷺ: **«بني الإسلام على خمس شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والحج، وصوم رمضان»**(١).

وقد كان معاذ بن جبل يقول لأصحابه: تعالوا بنا ساعة نؤمن، أن نذكر الله، فجعل ذكر الله من الإيمان(٢).

---

(١) صحيح البخاري: ١/١٢/٨، صحيح مسلم: ١/٤٥/١٦.

(٢) قال ابن تيمية: «ومن أصول أهل السنة أن الدين والأيمان قول وعمل، قول القلب واللسان، وعمل القلب واللسان والجوارح» . مجموع الفتاوى: ١٥١/٣.

قول ابن عبدالبر في أن الإيمان يزيد وينقص

قال ابن عبدالبر[١]: وأما الآيات التي نزع بها العلماء في أن الإيمان يزيد وينقص، فمنها قول الله ﷻ: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٤] وقوله: ﴿فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾ [آل عمران: ١٧٣] وقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ ﴿١٧﴾﴾ [محمد: ١٧] وقوله: ﴿وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى﴾ [الكهف: ١٣] ومثل هذا كثير.

وعلى أن الإيمان يزيد وينقص، يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية جماعة أهل الآثار والفقهاء أهل الفتوى بالأمصار، وقد روى ابن القاسم عن مالك: أن الإيمان يزيد، ووقف في نقصانه، وروى عنه عبدالرزاق، ومعمر بن عيسى، وابن نافع، وابن وهب: أنه يزيد وينقص، يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية. وعلى هذا مذهب الجماعة من أهل الحديث، والحمد لله.

حدثنا أحمد بن فتح، حدثنا إسحاق بن إبراهيم، حدثنا أحمد بن خالد، حدثنا عبيد ابن محمد الكشوري بصنعاء، حدثنا سلمة بن شبيب قال: سمعت عبدالرزاق يقول: سمعت سفيان الثوري ومعمر وابن جريج ومالك بن أنس وسفيان بن عيينة يقولون: الإيمان قول وعمل يزيد وينقص. فقلنا لعبدالرزاق: فما تقول أنت؟ قال: أقول: الإيمان قول وعمل يزيد وينقص، فإن لم أقل هذا فقد ضللت إذًا، وما أنا من المهتدين.

قال أحمد بن خالد، وحدثنا عيسى بن محمد الكشوري، قال: حدثنا محمد بن يزيد قال: سمعت عبدالرزاق وسئل عن الإيمان؟ فقال: أدركت أصحابنا سفيان الثوري، وابن جريج، وعبدالله بن عمر، ومالك بن أنس، ومعمر بن راشد، والأوزاعي، وسفيان بن عيينة يقولون: الإيمان قول وعمل يزيد وينقص، فقال له بعض القوم: فما تقول أنت يا أبا بكر؟ قال: إن خالفتهم فقد ضللت إذًا وما أنا من المهتدين.

قال أحمد، وحدثنا عبيد بن محمد قال: حدثنا عبدالرزاق قال: كان معمر، وابن

---

(١) التمهيد لابن عبدالبر: ٩/ ٢٥٢-٢٥٦، الاستذكار٨: / ٢٨٣ - ٢٨٤.

جريج، وسفيان الثوري، ومالك بن أنس يكرهون أن يقولوا: أنا مستكمل الإيمان على إيمان جبريل وميكائيل.

وحدثنا معن بن عيسى قال: سمعت مالك بن أنس، وسأله رجل عن الإيمان؟ فقال: الإيمان قول وعمل.

حدثنا محمد بن عبدالملك، حدثنا عبدالله بن مسرور، حدثنا عيسى بن مسكين، حدثنا ابن سنجر، حدثنا الحميدي قال: حدثنا يحيى بن سليم قال: سألت عشرة من الفقهاء عن الإيمان؟ فقالوا: قول وعمل، سألت سفيان الثوري، ومالك بن أنس، وابن جريج، وهشام بن حسان، ومحمد بن عمرو بن عثمان، وفضيل بن عياض، وسفيان ابن عيينة، ومحمد بن سالم الطائفي والمثنى بن الصباح، ونافع بن عمر الجمحي، فكلهم قال لي: الإيمان قول وعمل[1].

قال الحميدي: وسمعت سفيان بن عيينة يقول: الإيمان يزيد وينقص؛ فقال له أخوه إبراهيم بن عيينة: لا تقل ينقص؛ فغضب، وقال: اسكت يا صبي، بل ينقص حتى لا يبقى منه شيء.

وقال سفيان بن عيينة: نحن نقول الإيمان قول وعمل، والمرجئة تقول: الإيمان قول، وجعلوا ترك الفرائض ذنبًا بمنزلة ركوب المحارم، وليس كذلك إن ترك الفرائض من غير جهل، ولا عذر كفر، وركوب المحارم عمدًا من غير استحلال معصية، وبيان ذلك أمر آدم وإبليس وذلك أن الله حرم على آدم الشجرة ونهاه عن الأكل منها، فأكل منها، فسماه عاصيًا، وأمر إبليس بالسجود فأبى واستكبر، فسُمي كافرًا.

وعن عطاء بن السائب قال: سأل هشام بن عبدالملك الزهري، فقال: حدثنا بحديث النبي ﷺ: **«من مات لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة وإن زنى وإن سرق»**[2] فقال الزهري:

---

(١) قال ابن تيمية: «قال عبدالرحمن بن أبي حاتم: سألت أبي وأبا زرعة عن مذهب أهل السنة في أصول الدين، وما أدركا عليه أئمة العلم في ذلك؛ فقالا: أدركنا العلماء في جميع الأمصار حجازًا وعراقًا وشامًا ويمنًا؛ فكان من مذهبهم الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص» بيان تلبيس الجهمية: ٢/ ٤١.

(٢) سبق تخريجه.

أين يذهب بك يا أمير المؤمنين؟! كان هذا قبل الأمر والنهي، وفيما أجازنا عبد بن أحمد بن محمد الهروي، وأذن لي في روايته عنه، وكتبه إلي بخطه قال: أخبرنا أحمد ابن عبدان قال: أخبرنا أبو يوسف يعقوب ابن إبراهيم الدورقي قال: حدثنا عبدالله بن موسى قال: أخبرنا مبارك بن حسان قال: قلت لعطاء ابن أبي رباح: إن في المسجد عمر بن ذر ومسلم النحات وسالم الأفطس. قال: وما يقولون؟ قلت: يقولون: من زنا وسرق وشرب الخمر وقذف المحصنات وأكل الربا وعمل بكل معصية إنه مؤمن كإيمان البر التقي الذي لم يعص الله. فقال: أبلغهم ما حدثني أبو هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: **«لا يقتل القاتل حين يقتل وهو مؤمن، ولا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن، ولا يختلس خلسة يشتهر بها وهو مؤمن»**[١] قال عطاء: يخلع منه الإيمان كما يخلع المرء سرباله، فإن رجع إلى الإيمان تائبًا رجع إليه الإيمان إن شاء الله. قال: فذكرت ذلك لسالم الأفطس وأصحابه فقالوا: وأين حديث أبي الدرداء **«وإن زنى، وإن سرق»** ؟ قال: فرجعت إلى عطاء، فذكرت ذلك له؛ فقال: قل لهم: أو ليس قد قال الله: ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾﴾ [النساء: ١١٠] فدخل فيه السارق وغيره، ثم نزلت الأحكام والحدود بعد فلزمته، ولم يعذر في تركها، وقال رسول الله ﷺ: **«لا إيمان لمن لا أمانة له، ولا دين لمن لا عهد له»**[٢]، وقال: **«الإيمان قيد الفتك لا يفتك مؤمن»**[٣].

---

(١) صحيح: رواه ابن حبان في صحيحه: ١٣ / ٣١٨ / ٥٩٧٩، والنسائي في السنن الكبرى عن ابن عباس: ٤ / ٢٦٨ / ٧١٣٥،
والهيثمي في مجمع الزوائد: ٧ / ٢٩٥، وقال الهيثمي: «قلت: هو في الصحيح باختصار رواه البزار وفيه مبارك بن حسان وثقه ابن معين وغيره وضعفه أبو داود وغيره وبقية رجاله ثقات» .

(٢) صحيح: رواه أحمد في المسند: ٣ / ١٣٥ / ١٢٤٠٦، وأبو يعلى في مسنده: ٥ / ٢٤٦ / ٢٨٦٣، والبيهقي في الكبرى: ٦ / ٢٨٨/ ١٢٤٧٠، والطبراني في الأوسط: ٣ / ٩٨، وابن حبان في صحيحه: ١ / ٤٢٢ / ١٩٤، والهيثمي في مجمع الزوائد: ١ / ٩٦، وقال الهيثمي: «رواه أحمد وأبو يعلى والبزار والطبراني في الأوسط، وفيه أبو هلال وثقه ابن معين، وغيره وضعفه النسائي».

(٣) صحيح: رواه ابن أبي شيبة: ٧ / ٤٨٦/ ٣٧٤٣٥، وأبو داود في سننه: ٣ / ٨٧ / ٢٧٦٩.

أقوال ابن عبدالبر في فروع الإيمان واصوله

قال ابن عبدالبر[١]: وللإيمان أصول وفروع، فمن أصوله الإقرار باللسان مع اعتقاد القلب بما نطق به اللسان من الشهادة بأن لا إله إلا الله، وأن محمدا عبده ورسوله، وأن كل ما جاء به عن ربه حق من البعث بعد الموت، والإيمان بملائكة الله وكتبه ورسله، وكل ما أحكمه الله في كتابه ونقلته الكافة عن النبي من الصلاة والزكاة والصيام والحج وسائر الفرائض؛ فكل عمل صالح فهو من فروع الإيمان، فبر الوالدين من الإيمان، وأداء الأمانة من الإيمان، وحسن العهد من الإيمان، وحسن الجوار من الإيمان، وتوقير الكبير من الإيمان، ورحمة الصغير، حتى إطعام الطعام، وإفشاء السلام من الإيمان، فهذه الفروع من ترك شيئًا منها لم يكن ناقص الإيمان بتركها كما يكون ناقص الإيمان بارتكاب الكبائر وترك عمل الفرائض وإن كان مقرا بها، وتلخيص هذا يطول ولا سبيل إلى إيراده في هذا الموضع.

= والحاكم في المستدرك: ٤ / ٨٠٣٧/٣٩٢، وقال الحاكم: «هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه»، وصححه الذهبي في تذكرة الحفاظ: ٣ / ١٠١٩، وسير أعلام النبلاء: ١٧ / ٢٦، والمزي في تهذيب الكمال: ١٧ / ٣٦٨، وابن حجر في تهذيب التهذيب: ٦ / ٢٣٢، وصححه الألباني في سنن أبي داود: ح (٢٧٦٩) .

(١) الاستذكار: ٨ /٨٢.

أقوال ابن عبدالبر في الإيمان والإسلام

حديث طلحة بن عبيد الله، أن أعرابيا سأل رسول الله ﷺ عن الإسلام، فقال: «خمس صلوات» ويأتي في باب مالك، عن عمه أبي سهيل - إن شاء الله - حدثنا محمد ابن عبدالملك، حدثنا عبدالله بن مسرور، حدثنا عيسى بن مسكين، حدثنا محمد بن عبدالله بن سنجر، حدثنا الحجاج بن منهال، حدثنا حماد بن سلمة، عن أيوب عن أبي قلابة، عن رجل، عن أبيه: **«أن النبي ﷺ قال له: أسلم. قال: وما الإسلام؟ قال: أن تسلم قلبك لله، وأن يسلم المسلمون من لسانك ويدك. قال: فأي الإسلام أفضل؟ قال: الإيمان. قال: وما الإيمان؟ قال: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسوله والبعث بعد الموت. قال: فأي الأعمال أفضل؟ قال: الهجرة. قال: وما الهجرة؟ قال: أن تهجر السوء. قال: فأي الهجرة أفضل؟ قال: أن تجاهد المشركين إذا لقيتهم، ثم لا تغل ولا تجبن»**(١) وكذلك رواه حماد بن زيد عن أيوب كما رواه حماد بن سلمة سواء بالشهادة ورواه عن حماد بن زيد جماعة من أصحابه منهم أبو عمر الضرير، ومؤمل بن إسماعيل، وسليمان بن حرب، وغيرهم.

عن حماد بن زيد قال: كلمت أبا حنيفة في الإرجاء، فجعل يقول وأقول، فقلت له: حدثنا أيوب عن أبي قلابة قال: حدثني رجل من أهل الشام، عن أبيه ثم ذكر الحديث سواء إلى آخره قال حماد: فقلت لأبي حنيفة: ألا تراه يقول: أي الإسلام أفضل؟ قال: والإيمان، ثم جعل الهجرة، والجهاد من الإيمان، قال: فسكت أبو حنيفة، فقال بعض أصحابه: ألا تُجيبه يا أبا حنيفة؟ قال: لا أجيبه وهو يحدثني بهذا عن رسول الله ﷺ.

وفي رواية مؤمل وغيره في هذا الحديث عن حماد بن زيد قال: كنت بمكة مع أبي حنيفة فجاءه رجل، فسأله عن الإيمان وعن الإسلام؟ فقال: الإسلام والإيمان واحد؛ فقلت له: يا أبا حنيفة، حدثنا أيوب عن أبي قلابة وذكره.

---

(١) رواه المروزي في تعظيم قدر الصلاة: ١/٤٠١/٣٩٢، والحارث في مسنده: ١/١٥٨/١٣، والبيهقي في شعب الإيمان: ١/٥٥/٢٢.

قال أبو عمر: أكثر أصحاب مالك على أن الإسلام والإيمان شيء واحد، ذكر ذلك ابن بكير في الأحكام، واحتج بقول الله ﷻ: ﴿فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٥﴾ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٣٦﴾﴾ [الذاريات: (٣٥ - ٣٦] أي: غير بيت منهم. قالوا: وأما قوله ﷻ: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَٰكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا﴾ [الحجرات: ١٤] فأسلمنا هنا بمعنى استسلمنا مخافة السنان والقتل، كذلك قال مجاهد وغيره قال إسماعيل: والدليل على ذلك في الآية قوله: ﴿وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ [الحجرات: ١٤] قال قتادة: ليس كل الأعراب كذلك؛ لأن الله قال: ﴿وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ قُرُبَاتٍ عِندَ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٩٩].

وأما الأحاديث في معنى حديث أبي قلابة المذكور في أن الإسلام وصف بغير ما وصف به الإيمان فكثيرة جدًا منها ما حدثنا أبو عبدالله محمد بن خليفة رحمه الله قال: حدثنا محمد بن الحسين قال: حدثنا جعفر بن محمد الفريابي قال: حدثنا إسحاق بن راهويه قال: حدثنا النضر بن شميل قال: حدثنا كهمس بن الحسن قال: حدثنا عبدالله ابن بريدة عن يحيى بن يعمر أنه سمع عبدالله بن عمر يقول: حدثني عمر بن الخطاب قال: **«بينما نحن عند رسول الله ﷺ إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر لا يرى عليه أثر السفر ولا يعرفه منا أحد، حتى جلس إلى النبي ﷺ، فأسند ركبته إلى ركبته، ووضع كفيه على فخذيه، ثم قال: يا محمد، أخبرني عن الإسلام؟ قال: الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلًا. قال: صدقت. فعجبنا أنه يسأله ويصدقه. قال: فأخبرني عن الإيمان؟ قال: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره. قال: صدقت. فعجبنا أنه يسأله ويصدقه»**[1]. وذكر تمام الحديث، وأنا اختصرت منه صدرًا ليس في معنى هذا الباب.... وقد ذهبت طائفة من أهل الحديث

(١) صحيح مسلم: ١ / ٣٧ / ٨٨.

إلى أن الإيمان والإسلام معنيان بهذا الحديث، وما كان مثله، وبحديث ابن شهاب، عن عامر بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه أن رسول الله ﷺ: **«قسم قسمًا، فأعطى قومًا ومنع بعضهم. قال: فقلت: يا رسول الله، أعطيت فلانًا وفلانًا، ومنعت فلانًا والله إني لأراه مؤمنًا؟ فقال: لا تقل مؤمنًا، ولكن قل مسلمًا»**[1].... قال: وقال معمر: قال ابن شهاب: ﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا﴾[الحجرات: ١٤] قال ابن شهاب: فنرى أن الإسلام الكلمة، والإيمان العمل.

قال أبو عمر: وهذا الذي قاله ابن شهاب: إن الإسلام الكلمة، والإيمان العمل خلاف ما تقدم من الآثار المرفوعة في الإسلام وما بني عليه على ما مضى في هذا الباب؛ لأن هذا يدل على أن الإسلام العمل، والإيمان الكلمة إلا أن في تلك الأحاديث كلها في الإسلام شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، فعلى هذا خرج كلام ابن شهاب ـ والله أعلم ـ على إقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، والحج، والمعنى في ذلك كله متقارب إلا أن الذي عليه جماعة أهل الفقه والنظر: أن الإيمان، والإسلام سواء بدليل ما ذكرنا من كتاب الله ﷻ قوله: ﴿فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٥﴾ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٦﴾﴾[الذاريات: ٣٥ ـ٣٦]، وعلى القول بأن الإيمان هو الإسلام جمهور أصحابنا، وغيرهم من الشافعيين، والمالكيين، وهو قول داود وأصحابه، وأكثر أهل السنة والنظر المتبعين للسلف والأثر[2].

وقد روي عن أبي جعفر محمد بن علي بن حسين أنه قال: هذا الإيمان ودور

---

(١) صحيح البخاري: ١ / ١٨ /٢٧، صحيح مسلم: ١ / ١٣٢ / ١٥٠.

(٢) ذهب الإمام أحمد بن حنبل أن الإسلام غير الإيمان، قال عبدالواحد بن عبدالعزيز بن الحارث في كتابه اعتقاد الإمام أحمد ابن حنبل: وكان يقول: إن الإيمان غير الإسلام. وكان يقول: إن الله سبحانه قال: ﴿فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٥﴾ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٦﴾﴾ [سورة الذاريات: (٣٥ ـ ٣٦)] استثناء من غير الجنس.

وفرق أصحابه بين الإيمان والإسلام، فقالوا: حقيقة الإيمان التصديق، وحقيقة الإسلام الاستسلام، فلا يفهم من معنى التصديق الاستسلام، ولا يفهم من معنى الاستسلام التصديق.

واستدل احمد بن حنبل بحديث الأعرابي، وسؤاله عن الإيمان، والإسلام، وجواب رسول الله ﷺ عنهما بجوابين مختلفين، واستدل أيضًا بحديث الأعرابي الآخر وقوله: يا رسول الله، أعطيت فلانًا

دارة[1]، وهذا الإسلام ودور دارة خلف الدارة الأولى، قال: فإذا أذنبنا خرجنا من الدارة إلى الإسلام، وإذا أحسنا رجعنا إلى الإيمان، فلا نخرج من الإسلام إلى الشرك.

= ومنعتني، فقال له النبي ﷺ: ذلك مؤمن. فقال الأعرابي: وأنا مؤمن. قال له النبي ﷺ: أو مسلم، وبحديث وفد عبدالقيس. وبقوله ﷻ: ﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا﴾[سورة الحجرات: آية (١٤)]. انظر اعتقاد الإمام احمد بن حنبل: ١/ ٣٠٢، والعقيدة لأحمد بن حنبل: ١١٨/١.

وقد عقد أبو بكر الخلال في كتابه السنة بابًا في ذلك قال فيه: التفريق بين الإسلام والإيمان والحجة في ذلك من كتاب الله وسنة رسوله وأقوال أصحابه والتابعين: أخبرنا أبو بكر المروذي قال: قيل لأبي عبدالله: تقول: نحن المؤمنون؟ قال: نقول: نحن المسلمون.

قال أبو بكر: وقلت لأبي عبدالله: تقول: إنا مؤمنون؟ قال: لا، ولكن نقول: إنا المسلمون. إسناده صحيح. وأخبرني علي بن عيسى أنه سمع حنبل يقول: سمعت أبا عبدالله، وسئل عن الإيمان والإسلام ؟ فقال: الإيمان غير الإسلام. في إسناده علي بن عيسى لم أتوصل إلى ترجمته.

أخبرنا أبو بكر المروذي قال: ثنا أبو عبدالله وأخبرنا الميموني قال: ثنا ابن حنبل قال: ثنا مؤمل بن إسماعيل قال: ثنا حماد بن زيد قال: سمعت هشام يقول: كان الحسن ومحمد يقولان مسلم، ويهابان مؤمن. في إسناده ضعف، لأن مؤمل صدوق سيء الحفظ. وأخبرني زهير بن صالح بن أحمد بن حنبل قال: حدثني أبي قال: سئل أبي عن الإسلام والإيمان؟ قال: قال ابن أبي ذئب: الإسلام القول والإيمان العمل. قيل له: ما تقول أنت؟ قال: الإسلام غير الإيمان، وذكر حديث عامر بن سعد قال: يا رسول الله، إنه مؤمن. فقال النبي ﷺ: «أو مسلم» إسناده صحيح.

أخبرني عبدالملك قال: قلت: لأبي عبدالله تفرق بين الإيمان والإسلام؟ قال: نعم. وأقول: مسلم،ولا أستثني. قلت: بأي شيء تحتج؟ قال: عامة الأحاديث تدل على هذا ثم قال: «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يسرق حين يسرق وهو مؤمن» وقال الله ﷻ: ﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا﴾[سورة الحجرات: آية (١٤)]. قلت: وفي كتاب الله: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾ قُلْ أَتُعَلِّمُونَ ٱللَّهَ بِدِينِكُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٦﴾ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا۟ ۖ قُل لَّا تَمُنُّوا۟ عَلَىَّ إِسْلَٰمَكُم ۖ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٧﴾﴾ [سورة الحجرات: آيات (١٥-١٧) وقلت لابن حنبل: في كتاب الله -ﷻ- أيضًا آيات؟ قال لي ابن حنبل وحماد بن زيد يفرق بين الإيمان والإسلام قال: وحدثنا أبو سلمة الخزاعي قال: قال مالك وشريك وذكر قولهم قول حماد بن زيد فرق بين الإيمان والإسلام، قال عبدالملك: قال لي ابن حنبل: قال لي رجل: لو لم يجيئنا في الإيمان إلا هذا لكان حسن.انظر السنة: للخلال: ٣ / ٦٠٢.

قال ابن تيمية: «ونقول: إن الإسلام أوسع من الإيمان، وليس كل إسلام إيمانًا» انظر بيان تلبيس الجهمية: لابن تيمية: ٤٢٣/١.

(١) الدارة والدائرة: ما أحاط بالشيء. لسان العرب: ٤ / ٢٩٦.

وقال بهذا طوائف من عوام أهل الحديث، وهو قول الشيعة، والصحيح عندنا ما ذكرت لك، وهو كله متقارب المعنى متفق الأصل، وربما يختلفون في التسمية والألقاب، ولا يكفرون أحدًا بذنب إلا أنهم اختلفوا في تارك الصلاة، وهو مقر بها فكفره منهم من ذكرنا قوله في باب زيد بن أسلم، عن بسر بن محجن، وأبى الجمهور أن يكفروه إلا بالجحد والإنكار الذي هو ضد التصديق والإقرار على ما ذكرنا هناك والحمد لله، فهذا ما بين أهل السنة والجماعة في الإيمان.

وأما المعتزلة فالإيمان عندهم جماع الطاعات، ومن قصر منها عن شيء فهو فاسق لا مؤمن ولا كافر، وسواهم المتحققون بالاعتزال أصحاب المنزلة بين المنزلتين، ومنهم من قال في ذلك بقول الخوارج المذنب كافر غير مؤمن إلا أن الصفرية تجعله كالمشرك، وتجعل دار المذنب المخالف لهم دار حرب.

وأما الإباضية فتجعله كافر نعمة، ولكنهم يخلدونه في النار إن لم يتب من الكبيرة، ولا يستحلون ماله كما يستحله الصفرية، ولهم ظواهر آيات يبرهنون بها قد فسرتها السنة، وقد مضى على ما فسرت السنة في ذلك علماء الأمة.

روينا عن جابر بن عبدالله صاحب رسول الله ﷺ أنه قيل له: أكنتم تعدون شيئًا من الذنوب كفرًا أو شركًا أو نفاقًا؟ قال: معاذ الله، ولكنا نقول: مؤمنين مذنبين.

ولولا أن كتابنا هذا كتاب شرح معاني السنن الثابتة في الموطأ لحددنا الرد عليهم هنا، وقد أكثر العلماء من الرد عليهم، وكسر أقوالهم، وكذلك أكثر أهل الحديث من رواية الآثار في الإيمان، ومدار الباب كله عند جميعهم على ما ذكرت لك، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلنا وإليه أنبنا.

أقوال ابن عبدالبر في الشفاعة

عن ابن عباس قال: سمعت عمر بن الخطاب يخطب، فقال: **«أيها الناس، إن الرجم حق فلا تخدعن عنه، وإن آية ذلك أن رسول الله ﷺ قد رجم، وأن أبا بكر قد رجم، وإنا قد رجمنا بعدهما، وسيكون قوم من هذه الأمة يكذبون بالرجم، ويكذبون بالدجال، ويكذبون بطلوع الشمس من مغربها، ويكذبون بالشفاعة، ويكذبون بقوم يخرجون من النار بعدما امتحشوا»**(١).

قال أبو عمر(٢): الخوارج كلها، والمعتزلة تكذب بكل هذه الفصول الستة، وأهل السنة على التصديق بها، وهم الجماعة والحجة على من خالفهم بما هم عليه من استمساكهم بسنة نبيهم.

قال أبو عمر(٣): أخبرنا عبدالرحمن بن يحيى قال: حدثنا أحمد بن سعيد....

قال سفيان بن عيينة: الإيمان قول وعمل ونية، والإيمان يزيد وينقص، والإيمان بالحوض، والشفاعة، والدجال.

قال أبو عمر: على هذا جماعة المسلمين إلا من ذكرنا، فإنهم لا يصدقون بالشفاعة، ولا بالحوض، ولا بالدجال، والآثار في الحوض أكثر من أن تحصى وأصح ما ينقل ويروى...

قال أبو عمر(٤): تواتر الآثار عن النبي ﷺ في الحوض حمل أهل السنة والحق، وهم

---

(١) رواه الإمام أحمد في مسنده: ١ / ٢٣ / ١٥٦، وأبو يعلى في مسنده: ١/ ١٣٦ / ١٤٦، وعبدالرزاق في المصنف: ٧ / ٣٣٠ / ١٣٣٦٤، والهيثمي في مجمع الزوائد: ٢٠٧/٧، وقال: «وفيه علي بن زيد وهو سيء الحفظ وبقية رجاله ثقات» .

(٢) التمهيد: ٩٨/٢٣.

(٣) التمهيد: ٢٩١/٢.

(٤) التمهيد: ٣٠٩/٢.

الجماعة على الإيمان به وتصديقه، وكذلك الآثار في الشفاعة وعذاب القبر(١).

(١) قال ابن تيمية: والناس في الشفاعة على ثلاثة أقوال: فالمشركون والنصارى والمبتدعون من الغلاة في المشايخ وغيرهم يجعلون شفاعة من يعظمونه عند الله كالشفاعة المعروفة في الدنيا، والمعتزلة والخوارج أنكروا شفاعة نبينا محمد ﷺ في أهل الكبائر.
وأما أهل السنة والجماعة فيقرون بشفاعة نبينا ﷺ في أهل الكبائر وشفاعة غيره لكن لا يشفع أحد حتى يأذن الله ويحد له حدا كما في الحديث الصحيح حديث الشفاعة «أنهم يأتون آدم ثم نوحًا ثم إبراهيم ثم موسى وعيسى؛ فيقول لهم عيسى اذهبوا إلى محمد فإنه عبد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، قال: فيأتوني فأذهب فإذا رأيت ربي خررت له ساجدا؛ فأحمد ربي بمحامد يفتحها علي لا أحسنها الآن؛ فيقول: أي محمد ارفع رأسك، وقل تسمع واشفع تشفع؛ فأقول: أي رب، أمتي فيحد لي حدا فأدخلهم الجنة ثم أنطلق فأسجد فيحد لي حدا ذكر هذا ثلاث مرات» الصفدية: ٢/ ٢٩٠.
قال ابن قيم الجوزية: فقد تضمنت هذه الأحاديث خمسة أنواع من الشفاعة: أحدها: الشفاعة العامة التي يرغب فيها الناس إلى الأنبياء نبيًا بعد نبي حتى يريحهم الله من مقامهم. النوع الثاني: الشفاعة في فتح الجنة لأهلها. النوع الثالث: الشفاعة في دخول من لا حساب عليهم الجنة. النوع الرابع: الشفاعة في إخراج قوم من أهل التوحيد من النار. النوع الخامس: في تخفيف العذاب عن بعض أهل النار. ويبقى نوعان يذكرهما كثير من الناس: أحدهما في قوم استوجبوا النار؛ فيشفع فيهم أن لا يدخلوها وهذا النوع لم أقف إلى الآن على حديث يدل عليه، وأكثر الأحاديث صريحة في أن الشفاعة في أهل التوحيد من أرباب الكبائر إنما تكون بعد دخولهم النار، وأما أن يشفع فيهم قبل الدخول فلا يدخلون؛ فلم أظفر فيه بنص. والنوع الثاني: شفاعته ﷺلقوم من المؤمنين في زيادة الثواب ورفعة الدرجات، وهذا قد يستدل عليه بدعاء النبي ﷺ لأبي سلمة، وقوله: «اللهم اغفر لأبي سلمة وارفع درجته في المهديين» ...حاشية ابن القيم: ١٣/ ٥٥-٥٦.

الباب الثالث

أقوال ابن عبدالبر في السمعيات

- الفصل الأول: القول في الحياة البرزخية.
- الفصل الثاني: القول في الروح.
- الفصل الثالث: القول في الجنة والنار.

الفصل الأول

القول في الحياة البرزخية

- أقوال ابن عبدالبر في عذاب الميت ببكاء أهله
- أقوال ابن عبدالبر في فتنة القبر
- أقوال ابن عبدالبر في سماع الموتى
- أقوال ابن عبدالبر في البعث
- أقوال ابن عبدالبر في الحال التي يبعث عليها الشهيد.

أقوال ابن عبدالبر في عذاب الميت ببكاء أهله

عن أبي بردة عن أبيه قال: لما أصيب عمر ﷺ جعل صهيب يقول: واأخاه؛ فقال عمر: أما علمت أن النبي ﷺ قال: «إن الميت ليعذب ببكاء الحي»[1].

قال أبو عمر[2]: اختلف الناس في معنى قوله ﷺ: «إن الميت ليعذب ببكاء أهله عليه»؛ فقال منهم قائلون: معناه: أن يوصي بذلك الميت، وقال آخرون: معناه: يمدح في ذلك البكاء بما كان يمدح به أهل الجاهلية من الفتكات[3] والغدرات[4] وما أشبهها من الأفعال التي هي عند الله ذنوب، فهم يبكون لفقدها، ويمدحونه بها، وهو يعذب من أجلها؛ فكأنه قال: يعذب بما يبكي عليه به ومن أجله.

وقال آخرون: البكاء في هذا الحديث وما كان مثله، معناه: النياحة، وشق الجيوب، ولطم الخدود ونحو هذا، مثل النياحة، وأما بكاء العين فلا، وذهبت عائشة إلى أن أحدًا لا يعذب بفعل غيره، وهو أمر مجتمع عليه؛ لقول الله ﷻ: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [الأنعام: ١٦٤] وقال ﷺ لأبي رمثة في ابنه: «إنك لا تجني عليه ولا يجني عليك»[5] وقال الله ﷻ: ﴿وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا﴾[الأنعام: ١٦٤] ولكن قد صح عن النبي ﷺ من حديث عمر بن الخطاب، وعبدالله بن عمر، والمغيرة بن شعبة، وغيرهم أن رسول الله ﷺ قال: «يعذب الميت بما نيح عليه»[6] وهذا محمول عند جماعة من أهل العلم على ما نذكره في الباب عنهم بعد ذكر الآثار في ذلك إن شاء الله.

---

(١) صحيح البخاري: ١/٤٣٣/١٢٢٨، صحيح مسلم: ٢/٦٣٩/٩٢٧.

(٢) التمهيد: ١٧/٢٧٤-١٧/٢٨٥، الاستذكار: ٣/٧٠-٣/٧٣.

(٣) الفتك: أن يأتي الرجل صاحبه وهو غار غافل حتى يشد عليه فيقتله. لسان العرب: ١٠/٤٧٢.

(٤) الغدر ضد الوفاء بالعهد. لسان العرب: ٥/٨.

(٥) صحيح: سنن النسائي الكبرى: ٤/٢٤١/٧٠٣٦، سنن ابن ماجه: ٢/٨٩٠/٢٦٧١، مسند الحميدي: ٢/٣٨٢/٨٦٦، المعجم الكبير: ٢٢/٢٧٩/٧١٥، مسند أحمد بن حنبل: ٢/٢٢٧/ ٧١١٤، وصححه الألباني: في سنن ابن ماجه: ح (٢٦٧١) .

(٦) صحيح البخاري: ١/٤٣٤/١٢٣٠١، صحيح مسلم: ٢/٦٣٩/٩٢٧، بلفظ: «الميت يعذب في قبره بما نيح عليه» .

فأما إنكار عائشة على ابن عمر، فقد روي من وجوه منها ما رواه هشام بن عروة عن أبيه عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الميت ليعذب ببكاء أهله، وذكر ذلك لعائشة؛ فقالت: وهل ابن عمر إنما مر برسول الله ﷺ على يهودي؛ فقال: إن صاحب هذا القبر يعذب وأهله يبكون عليه»(١) وروى أيوب عن ابن أبي مليكة عن القاسم قال: «قالت عائشة: إنكم لتحدثون عن غير كاذبين عمر وابنه، ولكن السمع يخطئ»(٢).

قال أبو عمر: ليس إنكار عائشة بشيء، وقد وقف ابن عمر على مثل ما نزعت به عائشة، فلم يرجع وثبت على ما سمع، وهو الواجب كان عليه، حدثنا يعيش بن سعيد، وعبدالوارث بن سفيان، قالا: حدثنا قاسم بن أصبغ، حدثنا أحمد بن محمد البرتي، حدثنا أبو معمر، حدثنا عبدالوارث، حدثنا أيوب عن ابن سيرين، قال: قال ابن عمر: «إن المعول عليه يعذب؛ فقال رجل: إن الله ﴿أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ﴾ [النجم: ٤٣] ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [الأنعام: ١٦٤] قال: فقال ابن عمر: قد قال رسول الله ﷺ»(٣).

---

(١) صحيح مسلم: ٢/٦٤٢/٩٣١.
(٢) صحيح مسلم: ٢/٦٤١/ ٩٢٩.
(٣) لم أجده بهذا اللفظ، ولكن روى البخاري في صحيحه قال: حدثنا عبدان، حدثنا عبدالله، أخبرنا ابن جريج قال: أخبرني عبدالله بن عبيد الله بن أبي مليكة، قال: توفيت ابنة لعثمان ﷺ بمكة، وجئنا لنشهدها، وحضرها ابن عمر، وابن عباس ﷺ، وإني لجالس بينهما، أو قال: جلست إلى أحدهما، ثم جاء الآخر، فجلس إلى جنبي، فقال عبدالله بن عمر ﷺ لعمرو بن عثمان: ألا تنهى عن البكاء، فإن رسول الله ﷺ قال: إن الميت ليعذب ببكاء أهله عليه ؟ فقال ابن عباس ﷺ: قد كان عمر ﷺ يقول بعض ذلك، ثم حدث قال: صدرت مع عمر ﷺ من مكة حتى إذا كنا بالبيداء إذا هو بركب تحت ظل سمرة، فقال: اذهب فانظر من هؤلاء الركب، قال: فنظرت فإذا صهيب، فأخبرته، فقال: ادعه لي، فرجعت إلى صهيب؛ فقلت: ارتحل فالحق أمير المؤمنين، فلما أصيب عمر دخل صهيب يبكي، يقول: وا أخاه واصاحباه؛ فقال عمر ﷺ: يا صهيب أتبكي علي، وقد قال رسول الله ﷺ: «إن الميت يعذب ببعض بكاء أهله عليه، قال ابن عباس ﷺ فلما مات عمر ﷺ ذكرت ذلك لعائشة ﷺ فقالت: رحم الله عمر، والله ما حدث رسول الله ﷺ إن الله ليعذب المؤمن ببكاء أهله عليه، ولكن رسول الله ﷺ قال: إن الله ليزيد الكافر عذابًا ببكاء أهله عليه، وقالت: حسبكم القرآن ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [الأنعام: ١٦٤] قال ابن عباس ﷺ عند ذلك والله ﴿أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ﴾ [سورة النجم: آية (٤٣)] قال ابن أبي مليكة: والله ما قال ابن عمر ﷺ شيئًا» . صحيح البخاري: ١/٤٣٢/ ١٢٢٦، ومسلم في صحيحه مختصرًا: ٢/٦٤٢/٩٢٩.

قال أبو عمر: فهذا يبين لك أن ابن عمر قد أثبت ما حفظ عن رسول الله ﷺ في ذلك ولم ينس، ومن حفظ فهو حجة على من لم يحفظ، وليس يسوغ عند جماعة أهل العلم الاعتراض على السنن بظاهر القرآن إذا كان لها مخرج ووجه صحيح؛ لأن السنة مبينة للقرآن قاضية عليه غير مدافعة له، قال الله عز وجل: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: آية (٤٤)]..... وقد روى مثل رواية ابن عمر هذه جماعة من الصحابة، حدثنا عبدالوارث بن سفيان، وسعيد بن نصر قالا: حدثنا قاسم بن أصبغ حدثنا محمد بن إسماعيل، حدثنا الحميدي، حدثنا سفيان، حدثنا عمرو بن دينار: أنه سمع ابن أبي مليكة يقول: «**حضرت جنازة أم أبان وفي الجنازة عبدالله بن عمر، وعبدالله بن عباس، فجلست بينهما، فبكى النساء، فقال ابن عمر: إن بكاء الحي على الميت عذاب للميت، قال: فقال ابن عباس: صدرنا مع عمر أمير المؤمنين حتى إذا كنا بالبيداء إذا هو بركب نزول تحت شجرة؛ فقال: يا عبدالله، اذهب فانظر من الركب ثم ألحقني، فذهبت، فقلت: هذا صهيب مولى ابن جدعان؛ فقال: مره فليلحقني، قال: فلما قدمنا المدينة لم يلبث عمر أن طعن؛ فجاء صهيب وهو يقول: وا أخياه، واصاحباه؛ فقال عمر: مه يا صهيب، إن الميت يعذب ببكاء الحي عليه، فقال ابن عباس: فأتيت عائشة؛ فسألتها فقالت: يرحم الله عمر، إنما قال رسول الله ﷺ: إن الله ليزيد الكافر عذابًا ببعض بكاء أهله عليه، وقد قضى الله ألا تزر وازرة وزر أخرى**»(١) فهذا عمر قد روى في بكاء الحي على الميت مثل رواية ابنه سواء، وهذا حديث ثابت عن عمر صحيح الإسناد لا مقال فيه لأحد، وقد رواه عن ابن مليكة جماعة منهم أيوب السختياني وغيره، وروى شعبة عن قتادة عن سعيد بن المسيب عن ابن عمر عن أبيه عمر أن رسول الله ﷺ قال: «**إن الميت يعذب في قبره بالنياحة**»(٢) وحدثنا عبدالوارث ابن سفيان، حدثنا قاسم بن أصبغ، حدثنا محمد بن إسماعيل، حدثنا أبو نعيم، حدثنا

(١) سبق تخريجه.

(٢) صحيح: سنن النسائي الكبرى: ١/ ٦٠٨/ ١٩٨٠، مسند أحمد بن حنبل: ١/٢٦/١٨٠، مصنف ابن أبي شيبة: ٣/٦٠/ ١٢٠٩٧، وصححه الألباني في سنن النسائي: ح (١٨٥٣).

سعيد بن عبيد عن علي بن ربيعة: أنه خرج يومًا إلى المسجد والمغيرة بن شعبة أمير على الكوفة، فخرج المغيرة إلى المسجد، فرقي المنبر، فحمد الله، وأثنى عليه، ثم قال: «ما هذا النوح في الإسلام؟ قالوا: توفي رجل من الأنصار، يقال له: قرظة بن كعب، فنيح عليه، فقال المغيرة: إني سمعت رسول الله ﷺ قال: من نيح عليه فإنه يعذب بما نيح عليه»[1] وحدثنا عبدالوارث بن سفيان، حدثنا قاسم بن أصبغ، حدثنا الحسن بن سلام، حدثنا معاوية بن عمرو، حدثنا أبو إسحاق الفزاري، عن سعيد بن عبيد، عن علي بن ربيعة، قال: توفي رجل من الأنصار يقال له: قرظة بن كعب؛ فنيح عليه، فخرج المغيرة بن شعبة؛ فقال: «ما هذا النوح في الإسلام؟ سمعت رسول الله ﷺ يقول: من نيح عليه يعذب بما نيح عليه»، وحدثنا يعيش بن سعيد، وعبدالوارث بن سفيان، قالا: حدثنا قاسم بن أصبغ، حدثنا أحمد بن محمد البرتي، حدثنا أبو معمر، حدثنا عبدالوارث، حدثنا أيوب عن حميد بن هلال عن أبي بردة الأشعري عن أبي موسى، قال: إن الميت يعذب ما بكي عليه، قال: قلت: ما نيح عليه؟! قال: ما بكي عليه، قلت: ما نيح عليه؟! قال: فما سكت حتى سكت، وأخبرنا أحمد بن محمد، حدثنا وهب بن مسرة، حدثنا محمد ابن وضاح، حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة، حدثنا غندر عن شعبة قال: سمعت عبدالله بن صبيح قال: سمعت ابن سيرين قال: ذكروا عند عمران بن حصين أن الميت يعذب ببكاء الحي؛ فقالوا: كيف يعذب ببكاء الحي؟! فقال عمران: قد قاله رسول الله ﷺ.

قال أبو عمر: فهؤلاء جماعة من الصحابة قد قالوا كما قال ابن عمر، ورووا مثل ما روى ابن عمر إلا أن في حديث عمر وحديث المغيرة بن شعبة النياح دون البكاء، وهو أصح عند كل من خالف عائشة في هذا الباب من العلماء، ولهم في ذلك قولان:

أحدهما: إن طائفة من أهل العلم ذهبت إلى تصويب عائشة في إنكارها على ابن عمر، منهم الشافعي وغيره، وهو عندي تحصيل مذهب مالك؛ لأنه ذكر حديث عائشة في موطئه، ولم يذكر خلافه عن أحد؛ فأما الشافعي فذكر حديث عائشة من

---

(١) صحيح البخاري: ١/٤٣٤/١٢٢٩، صحيح مسلم: ٢/٦٤٣/٩٣٣.

رواية مالك على ما تقدم ذكره في هذا الباب، وذكر حديث عمر مع ابن عباس المذكور أيضًا في هذا الباب عن ابن عيينة عن عمرو بن دينار عن ابن أبي مليكة، ثم قال الشافعي: وأرخص في البكاء على الميت، ولا ندبة ولا نياحة، لما في النياحة من تجديد الحزن، ومنع الصبر، وعظيم الإثم، قال: وقال ابن عباس: «الله أضحك وأبكى» قال الشافعي: فما روته عائشة وذهبت إليه أشبه بدلالة الكتاب ثم السنة، قال الله ﷻ: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [الأنعام: ١٦٤] وقال: ﴿وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾ [الجاثية: ٢٢] وقال عليه السلام لرجل في ابنه: «أما إنه لا يجني عليك ولا تجني عليه»[(١)]، وما زيد في عذاب كافر فباستحبابه لا بذنب غيره.

وقال آخرون منهم داود بن علي وأصحابه: ما روى عمر، وابن عمر، والمغيرة أولى من قول عائشة وروايتها، قالوا: ولا يجوز أن تدفع رواية العدل بمثل هذا من الاعتراض؛ لأن من روى وسمع وأثبت حجة على من نفي وجهل.

قالوا: وقد صح عن النبي ﷺ أنه نهى عن النياحة نهيًا مطلقًا، ولعن النائحة والمستمعة، وحرم أجرة النائحة، وقال: «ليس منا من حلق، ومن سلق، ومن خرق»[(٢)]، وقال: «ليس منا من لطم الخدود، وشق الجيوب، ودعا بدعوى الجاهلية»[(٣)].

قال أبو عمر: أما قوله «ليس منا من سلق»، فيتحمل معنيين: أحدهما: لطم الخدود حتى تحمر، وخدشها حتى تعلوها الحمرة والدم، عن قول العرب سلقت الشيء بالماء الحار.

والآخر: سلق بمعنى صاح، وناح، وأكثر القول والعويل بدعوى الجاهلية وشبهها من

(١) سبق تخريجه.

(٢) صحيح ابن حبان: ٧/ ٤٢٢/ ٣١٥١، سنن النسائي الكبرى: ١/ ٦١١/ ١٩٨٨، سنن أبي داود: ٣/١٩٤/ ٣١٣٠، مصنف ابن أبي شيبة: ٢/٤٨٦/ ١١٣٤٠، المعجم الأوسط: ٣/١٠٢/ ٢٦٢٠، المعجم الكبير: ٢٥/١٧٥/ ٤٣٠، مسند أبي يعلى: ٤/١٠٠/ ٢١٣٣، مسند إسحاق بن راهويه: ٥/١٩٠/ ٢٣١٨، مسند أحمد بن حنبل: ٤/٤١١/ ١٩٧٠٥، مسند البزار: ٨/ ٥٥/ ٣٠٤٥، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود: ح (٣١٣٠) .

(٣) صحيح البخاري: ١/٤٣٥/ ١٢٣٢.

قولهم سلقه بلسانه ولسان مسلق.

وأما الأحاديث التي ذكروها فحدثنا عبدالله بن محمد، حدثنا محمد بن بكر، حدثنا أبو داود، حدثنا مسدد، حدثنا عبدالوارث، عن أيوب عن حفصة عن أم عطية قالت: **«نهانا رسول الله ﷺ عن النياحة»**(١) وأخبرنا عبدالله بن محمد، حدثنا محمد بن بكر، حدثنا أبو داود، حدثنا إبراهيم ابن موسى، حدثنا محمد بن ربيعة، عن محمد بن الحسن بن عطية، عن أبيه، عن جده، عن أبي سعيد الخدري، قال: **«لعن رسول الله ﷺ النائحة والمستمعة»**(٢) وأخبرنا عبدالله بن محمد، حدثنا محمد بن بكر، حدثنا أبو داود، حدثنا عثمان بن أبي شيبة، وحدثناه عبدالوارث بن سفيان،حدثنا قاسم بن أصبغ، حدثنا أحمد بن زهير، حدثني أبي قالا جميعًا: حدثنا جرير عن منصور عن إبراهيم عن يزيد بن أوس قال: **«دخلت على أبي موسى الأشعري وهو ثقيل، فذهبت امرأته لتبكي أو تهم به، فقال لها أبو موسى: أما سمعت ما قال رسول الله ﷺ؟** قالت: بلى، فسكتت، فلما مات أبو موسى، لقيت المرأة، فقلت لها، فقالت: قال رسول الله ﷺ: ليس منا من حلق ومن سلق ومن خرق»(٣) وحدثنا سعيد بن نصر، حدثنا قاسم ابن أصبغ، حدثنا ابن وضاح، حدثنا أبو بكر، حدثنا أبو معاوية ووكيع عن الأعمش عن عبدالله بن مرة عن مسروق عن عبدالله قال: قال رسول الله ﷺ: **«ليس منا من لطم الخدود وشق الجيوب ودعا بدعوى الجاهلية»**(٤) وحدثنا عبدالوارث بن سفيان، حدثنا قاسم بن أصبغ، حدثنا أحمد بن زهير، حدثنا أبو نعيم، حدثنا سفيان، عن زيد الأيامي عن إبراهيم النخعي عن مسروق عن عبدالله قال: قال رسول الله ﷺ: **«ليس منا من لطم الخدود وشق الجيوب ودعا بدعوى الجاهلية»**، حدثنا محمد بن عبدالملك، حدثنا

---

(١) صحيح البخاري: ٤/ ١٨٥٦/ ٤٦١٠.

(٢) سنن البيهقي الكبرى: ٤/٦٣/٦٩٠٥، المعجم الكبير: ١١/ ١٤٥/ ١١٣٠٩، مسند أحمد بن حنبل: ٣/ ٦٥/ ١١٦٤٠.

(٣) سبق تخريجه.

(٤) سبق تخريجه.

ابن الأعرابي، حدثنا سعدان بن نصر، حدثنا سفيان عن عبيد الله بن أبي يزيد، قال: سمعت ابن عباس يقول: خلال من خلال الجاهلية الطعن في الأنساب، والنياحة، ونسي الثالثة قال سفيان: يقولون: إنها الاستسقاء بالأنواء.

قال ابن عبدالبر: فذكروا هذه الأحاديث ومثلها، وقالوا: قد نهى رسول الله ﷺ عن النياحة وحرمها، ولعن النائحة والمستمعة، قالوا: وقد قال الله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا﴾[التحريم: ٦] وقال: ﴿وَأۡمُرۡ أَهۡلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ﴾ [طه: ١٣٢] فواجب على كل مسلم أن يعلم أهله ما بهم الحاجة إليه من أمر دينهم، ويأمرهم به، وواجب عليه أن ينهاهم عن كل ما لا يحل لهم، ويوقفهم عليه، ويمنعهم منه، ويعلمهم ذلك كله لقول الله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا﴾ [التحريم: ٦]، قالوا: فإذا علم الرجل المسلم ما جاء عن رسول الله ﷺ في النياحة على الميت، والنهي عنها، والتشديد فيها ولم ينه عن ذلك أهله ونيح عليه بعد ذلك، فإنما يعذب بما نيح عليه؛ لأنه لم يفعل ما أمر به من نهي أهله عن ذلك وأمره إياهم بالكف عنه، وإذا كان ذلك كذلك، فإنما يعذب بفعل نفسه وذنبه لا بذنب غيره، وليس في ذلك ما يعارض قول الله ﷻ: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٞ وِزۡرَ أُخۡرَىٰۚ﴾[الأنعام: ١٦٤]، وكان ما رواه عمر وابن عمر والمغيرة وغيرهم صحيح المعنى غير مدفوع وبالله التوفيق، وقال المزني: بلغني أنهم كانوا يوصون بالبكاء عليهم أو بالنياحة أو بهما وهي معصية، ومن أمر بها، فعملت بعده كانت له ذنبًا فيجوز أن يزاد بذنبه عذابًا كما قال الشافعي لا بذنب غيره.

قال أبو عمر: أما البكاء بغير نياح فلا بأس به عند جماعة العلماء وكلهم يكرهون النياحة ورفع الصوت بالبكاء والصراخ، والفرق في ذلك عندهم بيِّن، ذلك ما مضى في هذا الباب من الآثار في النياحة ولطم الخدود وشق الجيوب مع قوله ﷺ إذ بكى على ابنه: «**تدمع العين ويحزن القلب، ولا نقول ما يسخط الرب**»[1] رواه ثابت عن أنس

(١) صحيح البخاري: ١/٤٣٩/١٢٤١، صحيح مسلم: ٤/١٨٠٧/٢٣١٥.

عن النبي ﷺ، وروى عبدالرحمن بن عوف أنه قال له حينئذ: «أتبكي يا رسول الله وأنت تنهى عن البكاء؟ فقال: إنما نهيت عن صوتين أحمقين فاجرين، صوت لهو ولعب، ومزامير الشيطان عند نعمة وصوت عند مصيبة لطم وجوه وشق جيوب ورنة شيطان، وهذا رحمة، ومن لا يرحم لا يُرحم، يا إبراهيم، لولا أنه وعد صدق، وقول حق، وأن أخرانا يلحق أولانا، لحزنا عليك حزنًا أشد من هذا، وإنا بك يا إبراهيم لمحزونون، تدمع العين، ويحزن القلب، ولا نقول ما يسخط الرب»[1] رواه ابن أبي ليلى عن عطاء، عن جابر، عن عبدالرحمن بن عوف، عن النبي ﷺ، وروى أبو عثمان النهدي عن أسامة بن زيد نحو هذا المعنى عن النبي ﷺ في غير ابنه إبراهيم، أظنه ابن بعض بناته أتي به ونفسه تقعقع، فجعله في حجره، ودمعت عيناه وفاضت، فقال له سعد: «ما هذا؟ فقال: إنها رحمة يضعها الله في قلب من يشاء، وإنما يرحم الله من عباده الرحماء»[2] وروى أبو هريرة أن النبي ﷺ كان في جنازة، فبكت امرأة، فصاح بها عمر، فقال له رسول الله ﷺ: «دعها يا عمر، فإن العين دامعة، والنفس مصابة، والعهد قريب»[3]رواه هشام بن عروة عن وهب بن كيسان عن محمد بن عمرو بن عطاء عن سلمة بن الأزرق عن أبي هريرة عن النبي وفي حديث جابر بن عتيك ما يدل على أن الرخصة في البكاء إنما هي قبل أن تفيض النفس، فإذا فاضت ومات لقوله ﷺ «فيه دعوهن ما دام عندهن، فإذا وجب فلا تبكين باكية»[4] وسنذكر هذا الحديث في موضعه من كتابنا هذا إن شاء الله،

(١) صحيح: سنن الترمذي: ٣/ ٣٢٨/ ١٠٠٥، سنن البيهقي الكبرى: ٤/ ٦٩/ ٦٩٤٣، مصنف ابن أبي شيبة: ٣/ ٦٢/ ١٢١٢٤، المستدرك على الصحيحين: ٤/ ٤٣/ ٦٨٢٥، وحسنه الألباني في صحيح سنن الترمذي: ح (١٠٠٥).

(٢) صحيح البخاري: ١/ ٤٣١/ ١٢٢٤، صحيح مسلم: ٢/ ٦٣٥/ ٩٢٣.

(٣) ضعيف: المستدرك على الصحيحين: ١/٥٣٧/ ١٤٠٦، صحيح ابن حبان: ٧/ ٤٢٨/ ٣١٥٧، سنن النسائي الكبرى: ١/ ٦١٠/ ١٩٨٦، مصنف ابن أبي شيبة: ٢/ ٤٨٢/ ١١٢٩٥، سنن ابن ماجه: ١/ ٥٠٥/ ١٥٨٧، وضعفه الألباني في ضعيف سنن ابن ماجة: ح (١٥٨٧).

(٤) صحيح سنن أبي داود: ٣/ ١٨٨/ ٣١١١، سنن النسائي الكبرى: ١/ ٦٠٦/ ١٩٧٣، المستدرك على الصحيحين: ١/ ٥٠٣/ ١٣٠٠، صحيح ابن حبان: ٧/ ٤٦١/ ٣١٨٩، سنن البيهقي الكبرى: ٤/ ٦٩/٦٩٤٥، موطأ مالك: ١/ ٢٣٣/ ٥٥٤، المعجم الكبير: للطبراني: ٢/ ١٩١/ ١٧٧٩، =

وهذه الأحاديث كلها تدل على أن البكاء غير النياحة(١)، وأن النهي إنما جاء في

= وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود: ح (٣١١١).

(١) قال ابن تيمية: وأما قول السائل هل يؤذيه البكاء عليه؟ فهذه مسألة فيها نزاع بين السلف والخلف والعلماء، والصواب أنه يتأذى بالبكاء عليه كما نطقت به الأحاديث الصحيحة عن النبي ﷺ أنه قال: «إن الميت يعذب ببكاء أهله عليه»، وفي لفظ «من ينح عليه يعذب بما نيح عليه»، وفي الحديث الصحيح أن عبدالله بن رواحة لما أغمي عليه، جعلت أخته تندب، وتقول واعضداه، واناصراه، فلما أفاق قال: ما قلت لي شيئا إلا قيل لي: أكذلك أنت؟ وقد أنكر ذلك طوائف من السلف والخلف، واعتقدوا أن ذلك من باب تعذيب الإنسان بذنب غيره، فهو مخالف لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾[الأنعام: ١٦٤]، ثم تنوعت طرقهم في تلك الأحاديث الصحيحة، فمنهم من غلط الرواة لها كعمر بن الخطاب، وغيره وهذه طريقة عائشة والشافعي وغيرهما، ومنهم من حمل ذلك على ما إذا أوصى به فيعذب على ايصائه، وهو قول طائفة كالمزني وغيره، ومنهم من حمل ذلك على ما إذا كانت عادتهم، فيعذب على ترك النهي عن المنكر، وهو اختيار طائفة منهم جدي أبو البركات، وكل هذه الأقوال ضعيفة جدًا، والأحاديث الصحيحة الصريحة التي يرويها مثل عمر بن الخطاب، وابنه عبدالله، وأبي موسى الأشعري، وغيرهم لا ترد بمثل هذا، وعائشة أم المؤمنين رضي الله عنها لها مثل هذا نظائر، ترد الحديث بنوع من التأويل والاجتهاد لاعتقادها بطلان معناه، ولا يكون الأمر كذلك، ومن تدبر هذا الباب وجد هذا الحديث الصحيح الصريح الذي يرويه الثقة لا يرده أحد بمثل هذا إلا كان مخطئًا، وعائشة - رضي الله عنها - روت عن النبي لفظين، وهي الصادقة فيما نقلته فروت عن النبي قوله: «إن الله ليزيد الكافر عذابًا ببكاء أهله عليه»، وهذا موافق لحديث عمر؛ فإنه إذا جاز أن يزيده عذابًا ببكاء أهله جاز أن يعذب غيره ابتداء ببكاء أهله، ولهذا رد الشافعي في مختلف الحديث هذا الحديث نظرًا إلى المعنى، وقال الأشبه روايتها الأخرى «إنهم يبكون عليه، وأنه ليعذب في قبره»، والذين أقروا هذا الحديث على مقتضاه ظن بعضهم أن هذا من باب عقوبة الإنسان بذنب غيره، وأن الله يفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد، واعتقد هؤلاء أن الله يعاقب الإنسان بذنب غيره، فجوزوا أن يدخلوا أولاد الكفار النار بذنوب آبائهم، وهذا وإن كان قد قاله طوائف منتسبة إلى السنة، فالذي دل عليه الكتاب والسنة أن الله لا يدخل النار إلا من عصاه، كما قال: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [ص: ٨٥] فلابد أن يملأ جهنم من أتباع إبليس فإذا امتلأت لم يكن لغيرهم فيها موضع فمن لم يتبع إبليس، لم يدخل النار... والمقصود هاهنا أن الله لا يعذب أحدًا في الآخرة إلا بذنبه، وأنه: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾[سورة الأنعام: ١٦٤]، وقوله: «إن الميت يعذب ببكاء أهله عليه» ليس فيه أن النائحة لا تعاقب بل النائحة تعاقب على النياحة كما في الحديث الصحيح «أن النائحة إذا لم تتب قبل موتها تلبس يوم القيامة درعًا من جرب وسربالًا من قطران» فلا يحمل عمن ينوح وزره أحد وأما تعذيب الميت فهو لم يقل: «إن الميت يعاقب ببكاء أهله عليه»، بل قال: «يعذب» والعذاب أعم من العقاب، فإن العذاب هو الألم، وليس كل من تألم بسبب كان ذلك عقابًا له على ذلك السبب، فإن النبي قال: «السفر قطعة من العذاب، يمنع أحدكم طعامه وشرابه»، فسمى السفر عذابًا، وليس هو عقابًا على ذنب، والإنسان يعذب بالأمور المكروهة التي يشعر بها مثل =

النياحة لا في بكاء العين وبالله العصمة والتوفيق لا شريك له.

= الأصوات الهائلة، والأرواح الخبيثة، والصور القبيحة، فهو يتعذب بسماع هذا، وشم هذا، ورؤية هذا، ولم يكن ذلك عملًا له عوقب عليه، فكيف ينكر أن يعذب الميت بالنياحة، وإن لم تكن النياحة عملًا له يعاقب عليه، والإنسان في قبره يعذب بكلام بعض الناس، ويتألم برؤية بعضهم، وبسماع كلامه، ولهذا أفتى القاضي أبو يعلى بأن الموتى إذا عمل عندهم المعاصي، فإنهم يتألمون بها كما جاءت بذلك الآثار، فتعذيبهم بعمل المعاصي عند قبورهم كتعذيبهم بنياحة من ينوح عليهم، ثم النياحة سبب العذاب، وقد يندفع حكم السبب بما يعارضه، فقد يكون في الميت من قوة الكرامة ما يدفع عنه من العذاب، كما يكون في بعض الناس من القوة ما يدفع ضرر الأصوات الهائلة والأرواح والصور القبيحة.

وأحاديث الوعيد يذكر فيها السبب، وقد يتخلف موجبه لموانع تدفع ذلك إما بتوبة مقبولة، وإما بحسنات ماحية، وإما بمصائب مكفرة، وإما بشفاعة شفيع مطاع، وإما بفضل الله ورحمته ومغفرته، فإنه لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء، وما يحصل للمؤمن في الدنيا والبرزخ والقيامة من الألم التي هي عذاب، فإن ذلك يكفر الله به خطاياه كما ثبت في الصحيحين عن النبي ﷺ أنه قال: «ما يصيب المؤمن من وصب، ولا نصب، ولا هم، ولا حزن، ولا أذى حتى الشوكة يشاكها إلا كفر الله بها من خطاياه»، وفي المسند لما نزلت هذه الآية ﴿مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ﴾ [سورة النساء: ١٢٣] قال أبو بكر: «يا رسول الله، جاءت قاصمة الظهر، وأينا لم يعمل سوءًا، فقال: يا أبا بكر، ألست تحزن ألست يصيبك الأذى؟» فإن الجنة طيبة لا يدخلها إلا طيب كما قال تعالى: ﴿طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ﴾ [الزمر: ٧٣] وفي الحديث الصحيح «أنهم إذا عبروا على الصراط وقفوا على قنطرة بين الجنة والنار، فيقتص لبعضهم من بعض، فإذا هذبوا، ونقوا أذن لهم في دخول الجنة»، والكلام في هذه المسألة مبسوط في غير هذا الجواب والله أعلم بالصواب.

وما ذكرنا في أن الموتى يسمعون الخطاب، ويصل إليهم الثواب، ويعذبون بالنياحة، بل وما لم يسأل عنه السائل من عقابهم في قبورهم، وغير ذلك، فقد يكشف لكثير من أبناء زماننا يقظة ومناما، ويعلمون ذلك ويتحققونه، وعندنا من ذلك أمور كثيرة لكن الجواب في المسائل العلمية يعتمد فيه على ما جاء به الكتاب والسنة، فإنه يجب على الخلق التصديق به، وما كشف للإنسان من ذلك أو أخبره به من هو صادق عنده فهذا ينتفع به من علمه، ويكون ذلك مما يزيده إيمانًا وتصديقًا بما جاءت به النصوص ولكن لا يجب على جميع الخلق الإيمان بغير ما جاءت به الأنبياء، فإن الله ﷻ أوجب التصديق بما جاءت به الأنبياء، كما في قوله تعالى: ﴿قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ﴾[البقرة: ١٣٦] وقال تعالى: ﴿۞ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [البقرة: ١٧٧] وقد ثبت في الصحيحين عن النبي ﷺ أنه قال: «قد كان في الأمم قبلكم محدثون، فان يكن في أمتي أحد فعمر»، فالمحدث الملهم المكاشف من هذه الأمة يجب عليه أن يزن ذلك بالكتاب والسنة، فإن وافق ذلك صدق ما ورد عليه، وإن خالف لم يلتفت إليه، كما كان يجب على عمر رضي الله عنه وهو سيد المحدثين إذا ألقي في قلبه شيء، وكان مخالفًا للسنة لم يقبل منه، فإنه ليس معصومًا، وإنما العصمة للنبوة، ولهذا كان الصديق أفضل من عمر، فإن الصديق =

أقوال ابن عبدالبر في فتنة القبر

عن أسماء بنت أبي بكر، أنها قالت: «أتيت عائشة حين خسفت الشمس، فإذا الناس قيام يصلون، وإذا هي قائمة تصلي، فقلت: ما للناس؟ فأشارت بيدها نحو السماء، وقالت: سبحان الله؛ فقلت:آية؟ فأشارت برأسها أن نعم، قالت: فقمت حتى تجلاني الغشي، وجعلت أصب فوق رأسي الماء؛ فحمد الله ﷻ رسول الله ﷺ وأثنى عليه، ثم قال: ما من شيء كنت لم أره إلا وقد رأيته في مقامي هذا حتى الجنة والنار، ولقد أوحي إلي أنكم تفتنون في القبور مثل أو قريبًا من فتنة الدجال (لا أدري أيتهما قالت أسماء) يؤتى أحدكم، فيقال له: ما علمك بهذا الرجل؟ فأما المؤمن، أو الموقن (لا ادري أي ذلك قالت أسماء) فيقول: هو محمد رسول الله ﷺ جاءنا بالبينات والهدى فأجبنا وآمنا واتبعنا؛ فيقال له: نم صالحًا قد علمنا إن كنت لمؤمنًا، وأما المنافق أو المرتاب (لا أدري أيهما قالت أسماء) فيقول: لا أدري سمعت الناس يقولون شيئًا فقلته»[1].

= لا يتلقى من قلبه بل من مشكاة النبوة، وهي معصومة، والمحدث يتلقى تارة عن قلبه وتارة عن النبوة، فما تلقاه عن النبوة فهو معصوم يجب إتباعه، وما ألهم في قلبه فإن وافق ما جاءت به النبوة فهو حق، وإن خالف ذلك فهو باطل، فلهذا لا يعتمد أهل العلم والإيمان في مثل مسائل العلم والدين إلا على نصوص الكتاب والسنة وإجماع الأمة، وإن كان عندهم في بعض ذلك شواهد وبينات مما شاهدوه ووجدوه ومما عقلوه وعملوه، وذلك ينتفعون به هم في أنفسهم، وأما حجة الله تعالى على عباده فهم رسله وإلا فهذه المسائل فيها من الدلائل والاعتبارات العقلية والشواهد الحسية الكشفية ما ينتفع به من وجد ذلك، وقياس بنى آدم وكشفهم تابع لما جاءت به الرسل عن الله تعالى، فالحق في ذلك موافق لما جاءت به الرسل عن الله تعالى لا مخالف له، ومع كونه حقا فلا يفصل الخلاف بين الناس، ولا يجب على من لم يحصل له ذلك التصديق به، كما يجب التصديق بما عرف أنه معصوم، وهو كلام الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم، ولكن من حصل له في مثل هذه الأمور بصيرة أو قياس أو برهان كان ذلك نورًا على نور. قال بعض السلف: بصيرة المؤمن تنطق بالحكمة، وإن لم يسمع فيها بأثر، فإذا جاء الأثر كان نورًا على نور، ومن لم يجعل الله له نورًا فماله من نور. قال تعالى: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢١٣﴾﴾ [البقرة: ٢١٣]». مجموع الفتاوى: ٣٦٩/٢٤.

(١) صحيح البخاري: ٨٦/٤٤/١، وصحيح مسلم: ٩٠٥/٦٢٤/٢.

قال ابن عبدالبر[١]: وأما قوله ﷺ: «أوحي إلي أنكم تفتنون في قبوركم» فإنه أراد فتنة الملكين منكر ونكير حين يسألان العبد من ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟ والآثار في هذا متواترة وأهل السنة والجماعة كلهم على الإيمان بذلك ولا ينكره إلا أهل البدع... وأما الفتنة فلها في كلام العرب وجوه كثيرة منها: أن يفتن الرجل في دينه ببلوى من سلطان غالب، أو بهوى يصرفه عن الصواب في الدين، أو بحب يشغل قلبه حتى يركب ما لا يحل له فهذه فتنة تشربها القلوب، كما أشرب بنو إسرائيل حب العجل، وفتنوا به، والفتنة الحرق بالنار، وللفتنة وجوه كثيرة.

وأما قوله ﷺ: «إنكم تفتنون في قبوركم كفتنة الدجال أو قريب منها» فالفتنة هاهنا معناها الابتلاء والامتحان والاختبار ومن ذلك قول الله ﷻ لموسى عليه السلام: ﴿وَفَتَنَّكَ فُتُونًا﴾ [طه: ٤٠] أي: ابتليناك ابتلاء، واختبرناك اختبارًا، وفي عذاب القبر نزلت: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأَخِرَةِ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ [إبراهيم: ٢٧]، حدثنا سعيد بن نصر، قال: حدثنا قاسم بن أصبغ قال: حدثنا إسماعيل بن إسحاق القاضي، قال: حدثنا عمرو بن مرزوق قال: أخبرنا شعبة عن علقمة بن مرثد، عن سعد بن عبيدة عن البراء بن محارب أن النبي ﷺ قال: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأَخِرَةِ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ [إبراهيم: ٢٧] قال: «في القبر إذا سئل من ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟»[٢] ورواه غندر وغيره هكذا عن شعبة بإسناده مثله، وروى أبو معاوية عن الأعمش عن سعد بن عبيدة عن البراء مثله موقوفًا، وذكر بقي قال: حدثنا إسحاق بن أبي إسرائيل قال: حدثنا هشام بن يوسف عن ابن جريج: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأَخِرَةِ﴾ في الدنيا قول: لا إله إلا الله، وفي الآخرة المسألة في القبر، أخبرنيه ابن طاوس عن أبيه وروى الأعمش ويونس بن خباب

---

(١) التمهيد: ٢٢/٢٤٧-٢٢/٢٥٤.

(٢) صحيح البخاري: ٤/١٧٣٥/٤٤٢٢، صحيح مسلم: ٤/٢٢٠١/٢٨٧١.

عن المنهال بن عمرو عن زاذان، عن البراء بن عازب قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ في جنازة فذكر الحديث الطويل أمامه، وفيه في صفة المؤمن «ثم يعاد روحه إلى جسده، وأنه ليسمع خفق نعال أصحابه إذا ولوا عنه، ويدخل عليه ملكان؛ فيقولان له: من ربك؟ فيقول: الله؛ فيقولان له: ما دينك؟ فيقول:الإسلام؛ فيقولان له: ما كنت تقول في هذا الرجل؟ فيقول: وأي رجل؟ فيقولان: محمد رسول الله ﷺ فيقول: أشهد أنه رسول الله، قال: فينتهرانه، ويقولان له: وما يدريك؟ فيقول: إني قرأت كتاب الله، فصدقت به وآمنت. قال: فهي آخر فتنة تعرض على المؤمن، وذلك قول الله ﷻ: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾ قال: وينادي مناد من السماء أن صدق عبدي، فافرشوه من الجنة، وألبسوه من الجنة، وأروه مقعده من الجنة، فيأتيه من طيبها، وساق الحديث إلى صفة المنافق والمرتاب، قال: فيدخل عليه ملكان؛ فيقولان له: اجلس قال: وإنه ليسمع خفق نعال أصحابه إذا ولوا عنه، قال: فيجلس، فيقولان له: من ربك؟ وما دينك؟، ومن نبيك؟ (ففي رواية يونس بن خباب) فيقول: ربي الله، وديني الإسلام، ونبيي محمد ﷺ؛ فينتهرانه انتهارًا شديدًا، ويقولان: من ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟ فيقول: لا أدري؛ فيقولان: لا دريت ولا تليت»[(١)] وقال الأعمش في حديثه: «فيقولان: من ربك؟ وما دينك؟ فيقول: لا أدري؛ فيقولان: ما تقول في هذا الرجل؟ فيقول: وأي رجل؟ فيقولان: محمد ﷺ فيقول:لا أدري، سمعت الناس قالوا قولًا فقلت كما يقول الناس، قال: فينادي مناد من السماء أن كذب عبدي، فافرشوه من النار، وأروه مقعده من النار، ويضيق عليه قبره، حتى تختلف أضلاعه» وساقا الحديث إلى آخره، وروينا عن محمد ابن عمرو بن علقمة عن أصحابه، وعن معمر عن عمرو بن دينار، وعن سعد بن إبراهيم عن عطاء بن يسار (دخل حديث بعضهم في بعض) والمعنى واحد أن رسول الله ﷺ قال لعمر: «كيف بك يا عمر إذا جاءك منكر ونكير إذا مت، وانطلق بك قومك؛ فقاسوا ثلاثة أذرع وشبرًا في ذراع وشبر، ثم غسلوك، وكفنوك،

(١) سبق تخريجه.

وحنطوك، واحتملوك، فوضعوك فيه، ثم أهالوا، عليك التراب، فإذا انصرفوا عنك أتاك فتانا القبر منكر ونكير، أصواتهما كالرعد القاصف، وأبصارهما كالبرق الخاطف، يجران شعورهما، معهما مرزبة لو اجتمع عليها أهل الأرض لم يقلوها؟ فقال عمر: إن فرقنا فنحن أحق أن نفرق، أنبعث على ما نحن عليه؟ قال: نعم، إن شاء الله قال: إذن أكفيكهما»[1] وذكر سنيد عن إسماعيل بن عليه عن عبدالرحمن بن إسحاق عن أبي سعيد المقبري عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا مات المسلم أو المؤمن أتاه ملكان أزرقان أسودان، يقال: لأحدهما منكر والآخر نكير؛ فيقولان: ما كنت تقول في هذا الرجل؟ فيقول ما كان يقول في الدنيا: هو عبدالله ورسوله جاء بالحق، فيقال له: قد كنت تقول هذا، ثم يفتح له في قبره سبعون ذراعًا في سبعين، وينور له عنده نور، ويقال له: نم صالحًا، فيقول: أرجع إلي أهلي فأخبرهم؟ فيقال له: نم نومة العروس الذي لا يوقظه إلا أحب الناس إليه حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك، وإن كان منافقاً، قال: سمعت الناس يقولون شيئًا فقلته، فيقال: قد كنت تقول ذلك، قال: ثم تؤمر الأرض؛ فتلتئم عليه حتى تختلف أضلاعه فلا يزال كذلك معذبًا حتى يبعثه الله»[2].

قال أبو عمر: والآثار في عذاب القبر لا يحوط بها كتاب، وإنما ذكرنا منها هاهنا ما في معنى حديثنا، وما رجونا أن يكون تفسيرًا له، والآثار المرفوعة كلها في هذا المعنى تدل على أن الفتنة (والله أعلم) مرة واحدة، وكان عبيد بن عمير فيما ذكر ابن جريج عن الحرث بن أبي الحرث يقول: يفتن رجلان مؤمن ومنافق، فأما المؤمن فيفتن سبعًا، وأما المنافق فيفتن أربعين صباحًا.

قال أبو عمر: الآثار الثابتة في هذا الباب إنما تدل على أن الفتنة في القبر لا تكون إلا لمؤمن أو منافق ممن كان في الدنيا منسوبًا إلى أهل القبلة ودين الإسلام ممن حقن دمه

(١) مصنف عبدالرزاق: ٣/٥٨٢/٦٧٣٨، والبيهقي في الاعتقاد: ١/٢٢٣، وضعفه الذهبي في ميزان الاعتدال: ٦/ ٤٩٩.

(٢) حسن: سنن الترمذي: ٣/٣٨٣/١٠٧١، صحيح ابن حبان: ٧/٣٨٦/٣١١٧، وحسنه الألباني في سنن الترمذي: ح (١٠٧١) .

بظاهر الشهادة، وأما الكافر الجاحد المبطل، فليس ممن يسأل عن ربه ودينه ونبيه، وإنما يسأل عن هذا أهل الإسلام والله أعلم.... وأما ما جاء من الآثار في أن اليهود تعذب في قبورها، ففي حديث أنس أن رسول الله ﷺ مر مع بلال على البقيع، فقال: «ألا تسمع ما أسمع يا بلال؟ قال: لا والله يا رسول الله، ما أسمع، قال: أما تسمع أهل القبور يعذبون؟ يعني: قبور الجاهلية»[1]، فهذا ـ والله أعلم ـ عذاب غير الفتنة والابتلاء الذي يعرض للمؤمن؛ وإنما هذا عذاب واصب[2] للكفار إلى أن تقوم الساعة؛ فيصيرون إلى النار ألا ترى إلى قول الله ﷻ: ﴿وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٦﴾﴾ [غافر: ٤٦] فجائز أن يكون عذاب القبر غير فتنة القبر، وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه كان يستعيذ من فتنة القبر وعذاب القبر، وعذاب النار في حديث واحد، وذلك دليل على أن عذاب القبر غير فتنة القبر (والله أعلم)؛ لأن الفتنة قد تكون فيه مع النجاة، وقد يعذب الكافر في قبره على كفره دون أن يسأل (والله أعلم).

أخبرنا عبدالله بن محمد بن أسد قال: حدثنا حمزة بن محمد قال: حدثنا أحمد بن شعيب قال: أخبرنا محمد بن عبدالله بن المبارك قال: حدثنا أبو أسامة قال: حدثنا هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: «كان رسول الله ﷺ كثيرًا ما يدعو بهؤلاء الكلمات اللهم إني أعوذ بك من فتنة النار، وعذاب القبر، وشر فتنة المسيح الدجال، ومن شر فتنة القبر، ومن شر فتنة الغنى، اللهم اغسل خطاياي بماء الثلج والبرد، ونق قلبي من الخطايا كما أنقيت الثوب الأبيض من الدنس، وباعد بيني وبين خطاياي كما باعدت بين المشرق والمغرب، اللهم إني أعوذ بك من الكسل والهرم والمأثم والمغرم»[3] أخبرنا عبدالله بن محمد، قال: حدثنا حمزة بن محمد، قال: حدثنا أحمد بن شعيب،

---

(١) المستدرك على الصحيحين: ١/٩٨/١١٨، مسند أحمد بن حنبل: ٣/٢٥٩/١٣٧٤٥.

(٢) واصب: أي دائم. لسان العرب: ١/٧٩٧.

(٣) صحيح البخاري: ٥/٢٣٤٤/٦٠١٥.

قال: أخبرنا إسحاق بن إبراهيم، قال:أخبرنا جرير عن هشام بن عروة، عن أبيه عن عائشة، قالت: كان رسول الله ـ ﷺ ـ يقول: «اللهم إني أعوذ بك من عذاب النار وفتنة النار، وعذاب القبر وفتنة القبر، ومن شر فتنة المسيح الدجال، ومن شر الغنى، وشر فتنة الفقر، اللهم اغسل خطاياي بماء الثلج والبرد، ونق قلبي من الخطايا كما نقيت الثوب الأبيض من الدنس، وباعد بيني وبين خطاياي كما باعدت بين المشرق والمغرب»(١) وذكر تمام الحديث بمعنى ما تقدم سواء؛ فهذا الحديث يدل على أن فتنة القبر غير عذاب القبر؛ لأن الواو تفصل بين ذلك، هذا ما توجبه اللغة، وهو الظاهر في الخطاب (والله أعلم)، وقد تقدم عن عبيد ابن عمير، أنه قال:إنما يفتن رجلان مؤمن ومنافق، وهو معنى ما قلنا، وفي حديث زيد بن ثابت عن النبي ﷺ أنه قال: «إن هذه الأمة تبتلى في قبورها»(٢)، ومنهم من يرويه: «تُسأل في قبورها»، وهذا اللفظ يحتمل أن تكون هذه الأمة خصت بذلك، وهو أمر لا يقطع عليه (والله أعلم)، وحديث زيد بن ثابت هذا رواه عنه أبو سعيد الخدري ذكره سنيد وأبو بكر بن أبي شيبة قالا: حدثنا إسماعيل بن علية عن الجريري عن أبي نضرة عن أبي سعيد الخدري، قال: حدثنا زيد بن ثابت أن رسول الله ﷺ قال: «إن هذه الأمة تبتلى في قبورها» وقال ابن أبي شيبة: «تسأل في قبورها، فلولا أن لا تدافنوا لدعوت الله أن يسمعكم من عذاب القبر ما أسمع»، وقد يجوز أن يتأول متأول في هذا الحديث، وسياقه على ما ذكره ابن أبي شيبة فيه أن فتنة القبر والسؤال فيه هو عذاب القبر؛ ولكن ما ذكرنا أظهر في المعنى، وأحكام الآخرة لا مدخل فيها للقياس والاجتهاد ولا للنظر والاحتجاج، والله يفعل ما يشاء لا شريك له، وقد ذكر سنيد عن إسماعيل بن علية عن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة، قال: ذكر لنا أن عذاب القبر ثلاثة أثلاث: ثلث من البول، وثلث من الغيبة، وثلث من النميمة، وهذا لا حجة فيه؛ لأنه ليس بمسند ولا متصل، ولا يحتج بمثله على أنه يحتمل أن يكون

(١) صحيح مسلم: ٥٨٩/٢٠٧٨/٤.
(٢) صحيح مسلم: ٢٨٦٧/٢١٩٩/٤.

عذاب القبر هاهنا للمرتاب بعد السؤال الذي هو الفتنة وسببها والله أعلم، ويحتمل أن يكون قوله: «عذاب القبر» بمعنى فتنة القبر؛ فإنها تؤول إلى العذاب، وفيها عذاب والله أعلم بحقيقة ذلك لا شريك له(١).

---

(١) قال ابن تيمية: «ومن الإيمان باليوم الآخر الإيمان بكل ما أخبر به النبي ﷺ مما يكون بعد الموت؛ فيؤمن بفتنة القبر، وبعذاب القبر ونعيمه؛ فأما الفتنة فإن الناس يفتنون في قبورهم؛ فيقال للرجل: ما ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟ فيثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة؛ فيقول المؤمن: ربي الله، والإسلام ديني، ومحمد ﷺ نبيي، وأما المرتاب، فيقول: هاه هاه، لا أدري، سمعت الناس يقولون شيئًا فقلته؛ فيضرب بمرزبة من حديد فيصيح صيحة يسمعها كل شيء إلا الإنسان، ولو سمعها الإنسان لصعق ثم بعد هذه الفتنة إما نعيم وإما عذاب إلى أن تقوم القيامة الكبرى، فتعاد الأرواح إلى الأجساد، وتقوم القيامة التي أخبر الله بها في كتابه وعلى لسان رسوله وأجمع عليها المسلمون» . العقيدة الواسطية: ص ٣١-٣٢.

أقوال ابن عبدالبر في سماع الموتى

عن عائشة أنها قالت: «كان رسول الله ﷺ كلما كان ليلتها من رسول الله ﷺ يخرج من آخر الليل إلى البقيع؛ فيقول: السلام عليكم دار قوم مؤمنين، أتانا وأتاكم ما توعدون غدًا مؤجلون، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون اللهم اغفر لأهل بقيع الغرقد»(١).

قال أبو عمر(٢): وقد احتج به من ذهب إلى أن أرواح الموتى على أفنية القبور، والله أعلم بما أراد رسوله ﷺ بسلامه عليهم، وقد نادى أهل القليب ببدر، وقال: ما أنتم بأسمع منهم إلا أنهم لا يستطيعون أن يجيبوا، قيل: إن هذا خصوص، وقيل: إنهم لم يكونوا مقبورين؛ لقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي ٱلْقُبُورِ﴾ [فاطر: ٢٢] وما أدري ما هذا، وقد روى قتادة عن أنس في الميت حين يقبر أنه يسمع خفق نعالهم إذا ولوا عنه مدبرين، وهذه أمور لا يستطاع على تكييفها وإنما فيها الاتباع والتسليم.

قال أبو عمر: ينبغي لمن دخل المقبرة أن يسلم، ويقول ما روي عن النبي ﷺ أنه قاله، فإن لم يفعل فلا حرج ولا بأس عليه، وممكن أن يكون قوله ذلك ﷺ على وجه الاعتبار والفكرة في حال الأموات.

حدثنا عبدالعزيز بن عبدالرحمن، قال: حدثنا أحمد بن مطرف، وحدثنا إبراهيم بن شاكر قال: حدثنا عبدالله بن محمد بن عثمان، قالا: حدثنا سعيد بن عثمان، قال: حدثنا أحمد بن عبدالله بن صالح، قال: حدثنا محمد بن الصباح، قال: حدثنا شريك عن عاصم بن عبيد الله عن عبدالله بن عامر بن ربيعة عن عائشة، قالت: «فقدت النبي ﷺ فاتبعته، فأتى البقيع؛ فقال: السلام عليكم دار قوم مؤمنين، أنتم لنا فرط، وإنا بكم لاحقون، اللهم لا تحرمنا أجورهم ولا تفتنا بعدهم»(٣) ورواه أبو داود الطيالسي، قال: حدثنا شريك عن عاصم بن عبيد الله عن القاسم بن محمد عن عائشة مثله، وذكر

(١) صحيح مسلم: ٩٧٤/٦٦٩/٢.
(٢) التمهيد: ٢٠/٢٤٠-٢٤٣.
(٣) سنن النسائي الكبرى: ٥/ ٨٩١٢/٢٨٨، مسند أحمد بن حنبل: ٢٤٤٦٩/٧١/٦، مسند أبي يعلى: ٤٦٢٠/٨٧/٨.

العقيلي قال: حدثنا حجاج بن عمران، حدثنا محمد بن عبدالله بن عبدالرحيم البرقي، حدثنا سعيد بن هاشم، حدثنا مسلم بن خالد عن زيد بن أسلم عن صخر بن أبي سمية عن عبدالله بن عمر، أنه قام على باب عائشة مرة، وقدم من سفر؛ فقال: «**السلام عليك يا رسول الله، السلام عليك يا أبا بكر، السلام عليك يا أبت**»[1] وروينا عن أبي هريرة أنه قال: من دخل المقابر فاستغفر لأهل القبور وترحم على الأموات فكأنما شهد جنائزهم وصلى عليهم، وقال الحسن: من دخل المقابر؛ فقال: اللهم رب الأجساد البالية، والعظام النخرة، إنها خرجت من الدنيا، وهي بك مؤمنة، فأدخل عليها روحًا منك وسلامًا مني، كتب الله له بعددهم حسنات، وأظن قوله: «**وسلامًا مني**» مأخوذًا من قول النبي ﷺ: «**السلام عليكم**»، وروي عن علي بن أبي طالب ﷺ أنه خرج إلى المقابر، فلما أشرف على أهل القبور، رفع صوته، فنادى: يا أهل القبور، أتخبرونا عنكم أو نخبركم خبر ما عندنا؟ أما خبر ما عندنا، فالمال قد اقتسم والنساء قد تزوجن والمساكن قد سكنها قوم غيركم، هذا خبر ما عندنا، فأخبرونا خبر ما عندكم، ثم التفت إلى أصحابه؛ فقال: أما والله لو استطاعوا أن يجيبوا لقالوا: لم نر زادًا خيرًا من التقوى.

وهذا كله مر على سبيل الاعتبار وما يذكر إلا أولوا الأبصار، أخبرنا سعيد بن نصر قال: حدثنا قاسم بن أصبغ قال: حدثنا ابن وضاح قال: حدثنا محمد بن مسعود قال: حدثنا يحيى بن سعيد القطان عن سليمان التيمي عن أبي عثمان النهدي، قال: «**خرج رجل في يوم فيه دفء، فأتى الجبانة، فصلى ركعتين ثم أتى قبرًا فاتكأ عليه، فسمع صوتًا: ارتفع عني، ولا تؤذيني، إنكم تقولون ولا تعلمون، ونحن نعلم ولا نقول؛ لأن يكون لي مثل ركعتيك أحب إلي من كذا وكذا**، وروينا عن ثابت البناني أنه قال: **بينا أنا أمشي في المقابر**

---

(١) صحيح: رواه البيهقي في سننه الكبرى: ١٠٠٥١/٢٤٥/٥، السنن الصغرى للبيهقي (نسخة الأعظمي): ٤/٣٩٩ /١٧٤٩، مصنف ابن أبي شيبة: ١١٧٩٣/٢٨/٣، مصنف عبدالرزاق: ٣/ ٦٧٢٤/٥٧٦.

إذ أنا بهاتف يهتف من ورائي، يقول: يا ثابت، لا يغرنك سكوتنا، فكم من مغموم فيها، قال: فالتفت فلم أر أحدًا، وروينا أن عمر بن الخطاب مر ببقيع الغرقد؛ فقال: السلام عليكم أهل القبور، أخبار ما عندنا أن نساءكم قد تزوجن، ودوركم قد سكنت، وأموالكم قد فرقت، فأجابه هاتف: يا عمر بن الخطاب، أخبار ما عندنا أن ما قدمناه قد وجدناه، وما أنفقناه فقد ربحناه، وما خلفناه فقد خسرناه»(١).

ومن أحسن ما قيل في هذا المعنى من النظم قول أبي العتاهية (الكامل):

أَهلَ القُبورِ عَلَيكُمُ مِنّي السَلام ... إِنّي أُكَلِّمُكُم وَلَيسَ بِكُم كَلام
لا تَحسَبوا أَنَّ الأَحِبَّةَ لَم يَسُغ ... مِن بَعدِكُم لَهُمُ الشَرابُ وَلا الطَعام
كَلّا لَقَد رَفَضوكُمُ وَاِستَبدَلوا ... بِكُمُ وَفَرَّقَ ذاتَ بَينِكُمُ الحِمام
وَالخَلقُ كُلُّهُمُ كَذاكَ فَكُلُّ مَن ... قَد ماتَ لَيسَ لَهُ عَلى حَيٍّ ذِمام
ساءَلتُ أَجداثَ المُلوكِ فَأَخبَرَتـ ... ـني أَنَّهُم فيهِنَّ أَعضاءٌ وَهام
لَم يَبقَ مِن أَجسادِهِم تِلكَ الَّتي ... غُذِيَت بِأَنعَمِ عيشَةٍ إِلّا العِظام

---

(١) وقد عرض لذلك ابن تيمية؛ فقال: الحمد لله رب العالمين، نعم، يسمع الميت في الجملة كما ثبت في الصحيحين عن النبي ﷺ أنه قال: «يسمع خفق نعالهم حين يولون عنه» وثبت عن النبي ﷺ: «أنه ترك قتلى بدر ثلاثًا، ثم أتاهم؛ فقال: يا أبا جهل بن هشام، يا أمية بن خلف، يا عتبة بن ربيعة، يا شيبة بن ربيعة، هل وجدتم ما وعدكم ربكم حقًا؟ فإني وجدت ما وعدني ربي حقًا، فسمع عمر ﷺ ذلك، فقال: يا رسول الله، كيف يسمعون؟ وأنى يجيبون؟ وقد جيفوا، فقال: والذي نفسي بيده ما أنت بأسمع لما أقول منهم، ولكنهم لا يقدرون أن يجيبوا، ثم أمر بهم، فسحبوا في قليب بدر» وكذلك في الصحيحين عن عبدالله بن عمر: «أن النبي ﷺ وقف على قليب بدر؛ فقال: هل وجدتم ما وعدكم ربكم حقًا ؟ وقال: إنهم يسمعون الآن ما أقول» وقد ثبت عنه في الصحيحين من غير وجه أنه كان يأمر بالسلام على أهل القبور، ويقول: «قولوا: السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون، ويرحم الله المستقدمين منا ومنكم والمستأخرين، نسأل الله لنا ولكم العافية، اللهم لا تحرمنا أجرهم، ولا تفتنا بعدهم، واغفر لنا ولهم، فهذا خطاب لهم، وإنما يخاطب من يسمع» وروى ابن عبدالبر عن النبي ﷺ أنه قال: «ما من رجل يمر بقبر رجل كان يعرفه في الدنيا، فيسلم عليه إلا رد الله عليه روحه حتى يرد عليه السلام» وفي السنن عنه أنه قال: «أكثروا من الصلاة علي يوم الجمعة وليلة الجمعة، فإن صلاتكم معروضة علي؛ فقالوا: يا رسول الله، وكيف تعرض صلاتنا عليك، وقد أرمت يعني صرت رميمًا؟ فقال: إن الله تعالى حرم على الأرض أن تأكل لحوم الأنبياء» وفي السنن أنه قال: «إن الله وكل بقبري ملائكة يبلغوني عن أمتي السلام» فهذه النصوص وأمثالها تبين أن الميت يسمع في الجملة كلام الحي، ولا =

أقوال ابن عبدالبر في البعث

عن البراء بن عازب قال: «خرجنا مع رسول الله ﷺ في جنازة رجل من الأنصار؛ فانتهينا إلى القبر ولما يلحد، فجلس رسول الله ﷺ وجلسنا حوله كأنما على رؤوسنا الطير وفي يده عود ينكت به في الأرض، فرفع رأسه؛ فقال: استعيذوا بالله من عذاب القبر مرتين أو ثلاثًا ـ زاد في حديث جرير هاهنا ـ وقال: وإنه ليسمع خفق نعالهم إذا ولوا مدبرين حين يقال له: يا هذا من ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟ قال هناد: قال: ويأتيه ملكان فيجلسانه، فيقولان له: من ربك؟ فيقول: ربي الله، فيقولان له: ما دينك؟ فيقول: ديني الإسلام، فيقولان له: ما هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ قال: فيقول: هو رسول الله ﷺ فيقولان: وما يدريك؟ فيقول: قرأت كتاب الله، فآمنت به، وصدقت ـ زاد في حديث جرير ـ فذلك قول الله ﷻ: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّـٰلِمِينَ ۚ﴾ [إبراهيم: ٢٧] ثم اتفقا قال: فينادي مناد من السماء أن قد صدق عبدي، فافرشوه من الجنة، وافتحوا له بابًا إلى الجنة، وألبسوه من الجنة، قال: فيأتيه من روحها وطيبها، قال: ويفتح له فيها مد بصره، قال: وإن الكافر، فذكر موته، قال: وتعاد روحه في جسده، ويأتيه ملكان فيجلسانه، فيقولان له: من ربك؟ فيقول: هاه هاه هاه لا أدري، فيقولان له: ما دينك؟ فيقول: هاه هاه لا أدري، فيقولان: ما هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فيقول: هاه هاه، لا أدري، فينادي مناد من السماء، أن كذب، فافرشوه من النار، وألبسوه من النار، وافتحوا له بابًا إلى النار، قال: فيأتيه من حرها وسمومها، قال: ويضيق

= يجب أن يكون السمع له دائمًا، بل قد يسمع في حال دون حال كما قد يعرض للحي، فإنه قد يسمع أحيانًا خطاب من يخاطبه، وقد لا يسمع لعارض يعرض له، وهذا السمع سمع إدراك، ليس يترتب عليه جزاء، ولا هو السمع المنفي بقوله: ﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾[النمل: ٨٠] فإن المراد بذلك سمع القبول والامتثال؛ فان الله جعل الكافر كالميت الذي لا يستجيب لمن دعاه وكالبهائم التي تسمع الصوت ولا تفقه المعنى، فالميت وإن سمع الكلام، وفقه المعنى؛ فإنه لا يمكنه إجابة الداعي ولا امتثال ما أمر به ونهى عنه، فلا ينتفع بالأمر والنهي، وكذلك الكافر لا ينتفع بالأمر والنهي، وإن سمع الخطاب وفهم المعنى كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ ۖ﴾ [الأنفال: ٢٣]. الفتاوى الكبرى: ٣/٦٠.

عليه قبره حتى تختلف فيه أضلاعه (زاد في حديث جرير) قال: ثم يقيض له أعمى أبكم معه مرزبة من حديد، لو ضرب بها جبل لصار ترابًا، قال: فيضربه بها ضربة يسمعها ما بين المشرق والمغرب إلا الثقلين، فيصير ترابًا، قال: ثم تعاد فيه الروح»(١).

قال أبو عمر(٢): وهذا الحديث يفسر حديث ابن عمر المذكور في هذا الباب، عن النبي ﷺ قوله: **«إذا مات أحدكم عرض عليه مقعده بالغداة والعشي، إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة أو من أهل النار فمن أهل النار، فيقال:هذا مقعدك حتى يبعثك الله يوم القيامة»**(٣) ويبين المراد منه والله أعلم، وذكر البخاري من حديث سعيد، عن قتادة، عن أنس أن رسول الله ﷺ قال: **«إن العبد إذا وضع في قبره وتولى عنه أصحابه ليسمع قرع نعالهم، فيأتيه الملكان، فيقعدانه، فيقولان: ما كنت تقول في هذا الرجل لمحمد ﷺ؟ فأما المؤمن، فيقول: أشهد أنه عبدالله ورسوله، فيقال له: انظر إلى مقعدك من النار قد أبدلك الله به مقعدًا من الجنة، فيراهما جميعًا، قال قتادة: وذكر لنا أنه يفسح له في قبره»**(٤) وذكر الحديث، وذكر عبدالرزاق عن ابن جريج قال: أخبرني أبو الزبير أنه سمع جابرًا، يقول: **«إن هذه الأمة تبتلى في قبورها، فإذا أدخل المؤمن في قبره، وتولى عنه أصحابه أتاه ملك شديد الانتهار؛ فيقول: ما كنت تقول في هذا الرجل؟ فيقول المؤمن: كنت أقول: إنه رسول الله ﷺ وعبده، فيقول الملك: اطلع إلى مقعدك الذي كان لك من النار، قد أنجاك الله منه، وأبدلك مكانه مقعدك الذي ترى من الجنة، فيراهما كليهما، فيقول المؤمن: دعوني أبشر أهلي؛ فيقال له: اسكن هذا مقعدك أبدًا»**(٥) وذكر تمام الحديث في المنافق...

---

(١) صحيح: سنن أبي داود: ٤٧٥٣/٢٣٩/٤، مسند أحمد بن حنبل: ١٨٥٥٧/٢٨٧/٤، مصنف ابن أبي شيبة: ٥٤/٣ /١٢٠٥٩، وصححه الألباني في سنن أبي داود: ح (٤٧٥٣) .

(٢) التمهيد: ١٠٧/١٤- ١٠٩/١٤.

(٣) صحيح البخاري: ١٣١٣/٤٦٤/١.

(٤) صحيح البخاري: ١٣٠٨/٤٦٢/١، صحيح مسلم: ٢٨٧٠/٢٢٠٠/٤.

(٥) صحيح: مسند أحمد بن حنبل: ١٤٧٦٤/٣٤٦/٣، مصنف عبدالرزاق: ٦٧٤٤/٥٨٥/٣، المعجم الأوسط: ٩٠٧٦/٣٨/٩، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة: ح (٣٣٩٤)، وظلال الجنة: ٨٦٥.

قال أبو عمر: وفي هذا الحديث الإقرار بالموت، والبعث بعده(١)، والإقرار بالجنة والنار، وقد استدل به من ذهب إلى أن الأرواح على أفنية القبور، وهو أصح ما ذهب إليه في ذلك من طريق الآثار؛ لأن الأحاديث الدالة على ذلك ثابتة متواترة وكذلك أحاديث السلام على القبور، والله أعلم.

---

(١) قال ابن قيم الجوزية: الأمر العاشر: أن الموت معاد وبعث أول؛ فإن الله سبحانه وتعالى جعل لابن آدم معادين وبعثين يجزى فيهما الذين أساءوا بما عملوا، ويجزى الذين أحسنوا بالحسنى، فالبعث الأول مفارقة الروح للبدن ومصيرها إلى دار الجزاء الأول، والبعث الثانى يوم يرد الله الأرواح إلى أجسادها ويبعثها من قبورها إلى الجنة أو النار وهو الحشر الثانى، ولهذا في الحديث الصحيح «وتؤمن بالبعث الآخر» فإن البعث الأول لا ينكره أحد، وإن أنكر كثير من الناس الجزاء فيه والنعيم والعذاب، وقد ذكر الله سبحانه وتعالى هاتين القيامتين، وهما الصغرى والكبرى في سورة المؤمنين، وسورة الواقعة، وسورة القيامة وسورة المطففين وسورة الفجر وغيرها من السور، وقد اقتضى عدله وحكمته أن جعلها دار جزاء المحسن والمسيء الروح: ص ٧٤.

أقوال ابن عبدالبر في الحال التي يبعث عليها الشهيد

عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «والذي نفسي بيده لا يُكلم أحد في سبيل الله - والله أعلم بمن يكلم في سبيله - إلا جاء يوم القيامة وجرحه يثعب دمًا، اللون لون دم والريح ريح مسك»[(١)].

قال أبو عمر[(٢)]: هذا من أحسن حديث في فضل الغزو في سبيل الله والحض على الثبوت عند لقاء العدو...وفي هذا الحديث أيضًا دليل على أن الشهيد يبعث على حاله التي قبض عليها، ويحتمل أن يكون ذلك في كل ميت (والله أعلم) يبعث على حاله التي مات فيها إلا أن فضل الشهيد المقتول في سبيل الله بين الصفين، أن يكون ريح دمه كريح المسك، وليس كذلك دم غيره، ومن قال: إن الموتى جملة يبعثون على هيئاتهم احتج بحديث يحيى بن أيوب عن ابن الهادي عن محمد بن إبراهيم عن مسلمة عن أبي سعيد الخدري: «أنه لما حضرته الوفاة دعا بثياب جدد، فلبسها، ثم قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن الميت يبعث في ثيابه التي يموت فيها»[(٣)] وهذا قد يحتمل أن يكون أبو سعيد سمع الحديث في الشهيد، فتأوله على العموم، ويكون الميت المذكور في حديثه هو الشهيد الذي أمر أن يزمل بثيابه، ويدفن فيها ولا يغسل عنه دمه، ولا يغير شيء من حاله، بدليل حديث ابن عباس وغيره عن النبي ﷺ أنه قال: «إنكم محشورون يوم القيامة حفاة عراة غرلًا، ثم قرأ: ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ وَعْدًا عَلَيْنَآ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٤] وأول من يكسى يوم القيامة إبراهيم»[(٤)] فلهذا الحديث وشبهه، تأولنا في حديث أبي سعيد ما ذكرنا والله أعلم، وقد كان بعضهم يتأول في

---

(١) صحيح البخاري: ٥/٢١٠٤/٥٢١٣، صحيح مسلم: ٣/١٤٩٦/١٨٧٦، واللفظ له.

(٢) التمهيد: ١٩ / ١٣ - ١٩/١٤.

(٣) صحيح: سنن أبي داود: ٣/١٩٠/٣١١٤، سنن البيهقي الكبرى: ٣/٣٨٤/٦٣٩٥، مصنف عبدالرزاق: ٣/٤٣٠/٦٢٠٣، المستدرك على الصحيحين: ١/٤٩٠/١٢٦٠، صحيح ابن حبان: ١٦/٣٠٧/٧٣١٦، وصححه الألباني في سنن أبي داود: ح (٣١١٤) .

(٤) صحيح البخاري: ٣/١٢٢٢/٣١٧١، صحيح مسلم: ٤/٢١٩٤/٢٨٥٩.

حديث أبي سعيد أنه يبعث على العمل الذي يختم له به(١) وظاهره على غير ذلك والله أعلم.

---

(١) قال أبو حاتم بن حبان: قوله ﷺ: «الميت يبعث في ثيابه التي قبض فيها» أراد به: في أعماله كقوله جل وعلا: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝﴾ [المدثر: ٤] يريد به: وأعمالك فأصلحها، لا أن الميت يبعث في ثيابه التي قبض فيها، إذ الأخبار الجمة تصرح عن المصطفى ﷺ بأن الناس يحشرون يوم القيامة حفاة عراة غرلاً». صحيح ابن حبان: ١٦/ ٣٠٨.
وقال المناوي: «قال ابن حبان: أراد بثيابه أعماله من خير وشر من قبيل ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝﴾ لتصريح الأخبار ببعث الناس حفاة عراة غرلاً اه، وأخذ بظاهره الخطابي، وقال: لا يعارضه بعث الناس عراة؛ لأن البعض يحشر عاريًا، والبعض كاسيًا، أو يخرجون من قبورهم بثيابهم، ثم تتناثر عنهم. قال التوربشتي: وقد كان في الصحابة رضوان الله عليهم من يقصر فهمه في بعض الأحاديث عن المعنى المراد، والناس متفاوتون في ذلك، فلا يعد أمثال ذلك عليهم، وقد سمع عدي بن حاتم ﴿حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ﴾ [البقرة: ١٨٧] فعمد إلى عقالين أسود وأبيض فوضعهما تحت وسادته - الحديث - وقد رأى بعضهم الجمع بين الحديثين، فقال: البعث غير الحشر، فالبعث بثياب والحشر بدونها، قال: ولم يصنع هذا القائل شيئًا، فإنه ظن أنه نصر السنة، وقد ضيع أكثر مما حفظ؛ فإنه سعى في تحريف سنن كثيرة ليسوي كلام أبي سعيد، وقد روينا عن أفضل الصحب أنه أوصى أن يكفن في ثوبيه، وقال: إنما هما للمهل والتراب، ثم إنهم ليس لهم أن يحملوا قول المصطفى يبعث في ثيابه على الأكفان؛ لأنها بعد الموت تبلى اهـ. وتعقبه القاضي فقال: العقل لا يأبى حمله على ظاهره حسبما فهم منه الرازي، إذ لا يبعد إعادة ثيابه البالية كما لا يبعد إعادة عظامه النخرة؛ فإن الدليل الدال على جواز إعادة المعدوم لا تخصيص له بشيء دون شيء غير أن عموم قوله ﷺ: «يحشر الناس حفاة عراة» حمله جمهور أهل المعاني في حشرهم وبعثهم على أنهم أولوا الثياب بالأعمال التي يموت عليها من الصالحات والسيئات، والعرب تطلق الثياب وتستعير بها للأعمال، فإن الرجل يلابسها ويخالطها كما يلابس الملابس، قال الراجز:

لكل دهر قد لبست أثوابا ... حتى اكتسى الرأس قناعا أشيبا

قال الطيبي: وجواب القاضي عن قول التوربشتي صحيح، لكن قوله كالهروي؛ ليس لهم حملها على الأكفان لأنها بعد الموت تبلى قوي متين، ويعضده إخراج «يموت» على المضارع الدال على الاستمرار، وأن فعل الطاعات والحسنات دأبه وعادته، وأما العذر عن الصحابي، فيقال: إنه عرف مغزى الكلام؛ لكنه سلك سبيل الإبهام، وحمل الكلام على غير ما يترقب. فيض القدير: ٦/ ٢٧٩ - ٦/ ٢٨٠.

الفصل الثاني

القول في الروح

- ❑ أقوال ابن عبدالبر في الروح والنفس.
- ❑ أقوال ابن عبدالبر في مستقر أرواح المؤمنين.

أقوال ابن عبدالبر في الروح والنفس

عن زيد بن أسلم أنه قال: «عرس[(١)] رسول الله ﷺ ليلة بطريق مكة، ووكل بلالاً أن يوقظهم للصلاة، فرقد بلال ورقدوا حتى استيقظوا وقد طلعت عليهم الشمس، فاستيقظ القوم وقد فزعوا فأمرهم رسول الله ﷺ أن يركبوا حتى يخرجوا من ذلك الوادي، وقال: إن هذا واد به شيطان فركبوا حتى خرجوا من ذلك الوادي، ثم أمرهم رسول الله ﷺ أن ينزلوا وأن يتوضؤا، وأمر بلالاً أن ينادي بالصلاة أو يقيم، فصلى رسول الله ﷺ بالناس ثم انصرف إليهم، وقد رأى من فزعهم؛ فقال: ياأيها الناس، إن الله قبض أرواحنا ولو شاء لردها إلينا في حين غير هذا، فإذا رقد أحدكم عن الصلاة أو نسيها فليصلها كما كان يصليها في وقتها ثم التفت رسول الله ﷺ إلى أبي بكر؛ فقال: إن الشيطان أتى بلالاً وهو قائم يصلي فأضجعه فلم يزل يهدئه كما يهدأ الصبي حتى نام، ثم دعا رسول الله ﷺ بلالاً، فأخبر بلال رسول الله ﷺ مثل الذي أخبر رسول الله أبا بكر، فقال أبو بكر: أشهد أنك رسول الله»[(٢)].

قال أبو عمر[(٣)]: فإن العلماء اختلفوا في الروح والنفس هل هما شيء واحد أو شيئان؛ لأنه قد جاء في الحديث: «إن الله قبض أرواحنا» وجاء في حديث سعيد بن المسيب قول بلال: «أخذ بنفسي الذي أخذ بنفسك» فقال جماعة من أهل العلم: الروح والنفس شيء واحد ومن حجتهم قوله ﷻ: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا﴾ [الزمر: ٤٢] فروى عن ابن عباس، وسعيد بن جبير في هذه الآية أنهما قالا: «تقبض أرواح الأموات إذا ماتوا وأرواح الأحياء إذا ناموا، تتعارف ما شاء الله أن تتعارف؛ فيمسك التي قضى عليها الموت والتي قد ماتت، ويرسل الأخرى إلى أجل

---

(١) التَّعْرِيسُ: نزول القوم في السفر من آخر الليل، يَقَعُون فيه وقْعَةً للاستراحة ثم يُنيخون وينامون نومة خفيفة ثم يَثُورون مع انفجار الصبح سائرين. لسان العرب: ٦ / ١٣٦.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) التمهيد: لابن عبدالبر: ٥/ ٢٤١ - ٥/ ٢٤٧.

مسمى» ذكره بقي بن مخلد عن يحيى بن عبدالحميد الحماني عن يعقوب القمي عن جعفر بن أبي المغيرة عن سعيد بن جبير، وذكره أيضًا عن يحيى بن رجاء عن موسى بن أعين عن مطرف عن جعفر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس، ومعنى حديثهما واحد، وهذا يدل على أن النفس والروح شيء واحد؛ لأنهم فسروا الآية وقد جاءت بلفظ ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا﴾ فقالوا: يقبض الأرواح كما رأيت، وذلك واضح في أن النفس والروح سواء، ويشهد بصحة ذلك قول رسول الله ﷺ في هذا الحديث: «إن الله قبض أرواحنا» ولم ينكر على بلال قوله: «أخذ بنفسي الذي أخذ بنفسك»، فالقرآن والسنة يشيران إلى معنى واحد بلفظ النفس مرة وبلفظ الروح أخرى.

وقال آخرون: النفس غير الروح، واحتجوا بأن النفس مخاطبة منهية مأمورة، واستدلوا بقول الله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ۝٢٧﴾ [الفجر: ٢٧] وقوله: ﴿أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ﴾ [الزمر: ٥٦] ومثل هذا في القرآن كثير، قالوا: والروح لم تخاطب، ولم تؤمر، ولم تنه في شيء من القرآن، ولم يلحقها شيء من التوبيخ كما لحق النفس في غير آية من كتاب الله ﷻ، وتأولوا في قول بلال أي: أخذ بنفسي من النوم ما أخذ بنفسك، وذكر سنيد عن حجاج عن ابن جريج في قول الله ﷻ: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا﴾ [الزمر: ٤٢] قال: في جوف الإنسان روح ونفس بينهما في الجوف مثل شعاع الشمس؛ فإذا توفى الله النفس كان الروح في جوف الإنسان، فإذا أمسك الله نفسه أخرج الروح من جوفه، فإن لم يمته أرسل الله نفسه فرجعت إلى مكانها قبل أن يستيقظ، قال ابن جريج: وأخبرت عن ابن عباس نحو هذا الخبر.

وذكر عبدالمنعم بن إدريس عن وهب بن منبه، أنه حكى عن التوراة في خلق آدم عليه السلام قال الله ﷻ: حين خلقت آدم ركبت جسده من رطب ويابس وسخن وبارد، وذلك لأني خلقته من تراب وماء، ثم جعلت فيه نَفَسًا وروحًا، فيبوسة كل جسد

خلقته من التراب، ورطوبته من قبل الماء، وحرارته من قبل النفس، وبرودته من قبل الروح، ومن النفس حدته وشهوته ولهوه ولعبه وضحكه وسفهه وخداعه وعنفه وخرقه، ومن الروح حلمه ووقاره وعفافه وحياؤه وفهمه وتكرمه وصدقه وصبره.

وأخبرنا عبدالوارث بن سفيان قال: أخبرنا قاسم بن أصبغ قال: حدثنا محمد بن عبدالسلام قال: حدثنا المسيب بن واضح قال: حدثنا الحكم بن محمد الظفري عن إسماعيل بن عبدالكريم عن عبدالصمد بن معقل عن وهب بن منبه قال: إن أنفس الآدميين كأنفس الدواب التي تشتهي وتدعو إلى الشر، ومسكن النفس البطن إلا أن الإنسان فضل بالروح، ومسكنه الدماغ فبه يستحي الإنسان، وهو يدعو إلى الخير، ويأمر به، ثم نفخ وهب على يده؛ فقال: هذا بارد وهو من الروح، ثم تنهد على يده؛ فقال: هذا حار وهو من النفس، ومثلهما كمثل الرجل وزوجته، فإذا انحدر الروح إلى النفس والتقيا نام الإنسان، فإذا استيقظ رجع الروح إلى مكانه ويعتبر ذلك بأنك إذا كنت نائما فاستيقظت كان كل شيء يدر إلى رأسك.

وذكر أبو إسحاق محمد بن القاسم بن شعبان، أن عبدالرحمن بن القاسم بن خالد صاحب مالك قال: النفس جسد مجسد كخلق الإنسان، والروح كالماء الجاري، قال: واحتج بقول الله ﷻ: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا﴾ [الزمر: ٤٢] وقال: ألا ترى أن النائم قد توفى الله نفسه، وروح صاعد ونازل وأنفاسه قيام، والنفس تسرح في كل واد وترى ما تراه من الرؤيا، فإذا أذن الله في ردها إلى الجسد عادت، واستيقظ بعودتها جميع أعضاء الجسد، وحرك السمع والبصر وغيرهما من الأعضاء، قال: فالنفس غير الروح، والروح كالماء الجاري في الجنان، فإذا أراد الله إفساد ذلك البستان منع الماء الجاري فيه فماتت حياته، فكذلك الإنسان، قال أبو إسحاق: هذا معنى قول ابن القاسم: وإن لم يكن نسق لفظه، قال أبو إسحاق: قال عبيد الله بن أبي جعفر: إذا حمل الميت على السرير كانت نفسه بيد ملك من الملائكة يسير بها معه، فإذا وضع للصلاة عليه وقف، فإذا حمل إلى قبره سار معه، فإذا ألحد

ووُوري في التراب أعاد اللَّه نفسه حتى يخاطبه الملكان، فإذا وليا عنه منصرفين اختلع الملك نفسه فرمى بها إلى حيث أمر، وهذا الملك من أعوان ملك الموت، قال أبو إسحاق: هذا معنى قول عبيد اللَّه بن أبي جعفر، وقد قاله معه غيره.

قال أبو عمر: قد قالت العلماء بما وصفنا، واللَّه أعلم بالصحيح من ذلك، وما احتج به القوم فليس حجة واضحة ولا هو مما يقطع بصحته؛ لأنه ليس فيه خبر صحيح يقطع العذر ويوجب الحجة، ولا هو مما يدرك بقياس ولا استنباط، بل العقول تنحسر وتعجز عن علم ذلك، وقد قال جماعة من العلماء في قول اللَّه ﷻ: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾﴾ [الإسراء: ٨٥] أنه هذا الروح المشار إليه في هذا الباب بالذكر روح الحياة، وقال غيرهم: أنه ملك من الملائكة يقوم صفًا، وتقوم الملائكة صفًا فكيف يُتعاطى علم شيء استأثر اللَّه به، ولم يطلع عليه رسوله ﷺ، وقد قيل في الروح المذكور في هذه الآية: إنه جبريل عليه السلام، وقيل: هم خلق من خلق اللَّه، وقيل غير ذلك.

وكذلك اختلف في الذين عنوا بقوله: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾[الإسراء: ٨٥] فقيل: أراد اليهود السائلين عن الروح؛ لأنهم زعموا أن في التوراة علم كل شيء؛ فأنزل اللَّه: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ﴾ [لقمان: ٢٧] يقول: ما أوتيتم في التوراة والإنجيل يا أهل الكتاب من العلم إلا قليلًا، وقيل: بل عنى بالآية أمة محمد ﷺ والناس كلهم.

قال أبو عمر: لو كان الأمر على النظر والقياس والاستنباط في معنى الروح من حديث الموطأ؛ لقلنا: إن النظر يشهد للقول الأول، وهو الذي تدل عليه الآثار واللَّه أعلم، وقد تضع العرب النفس موضع الروح والروح موضع النفس، فيقولون: خرجت نفسه، وفاضت نفسه وخرجت روحه إما لأنهما شيء واحد، أو لأنهما شيئان متصلان لا يقوم أحدهما دون الآخر، وقد يسمون الجسد نفسًا، ويسمون الدم جسدًا، قال النابغة (بحر البسيط):

فَلا لَعَمرُ الَّذي مَسَّحتُ كَعبَتَهُ ... وَما هُريقَ عَلى الأَنصابِ مِن جَسَدِ[(١)]

يريد من دم، وقال ذو الرمة، فجعل الجسد نفسًا (البسيط):

يا مُخرِجَ الروحِ مِن جِسمي إِذا إِحتَضَرَت ... وَفارِجَ الكَربِ زَحزِحني عَنِ النارِ

ويقال للنفس: نسمة أيضًا، فيقال: علي عتق نسمة، أي: نفس، وقال ﷺ: «إنما نسمة المؤمن طائر»[(٢)] يعني: روحه.

وقال ابن عبدالبر في الاستذكار[(٣)]: عن علي بن حسين أن حسين بن علي أخبره أن علي ابن أبي طالب أخبره: «أن رسول الله ﷺ طرقه وفاطمة بنت النبي عليه السلام ليلة؛ فقال: ألا تصليان؟! فقلت: يا رسول الله، أنفسنا بيد الله فإذا شاء أن يبعثنا بعثنا، فانصرف حين قلنا ذلك، ولم يرجع إلي شيئا ثم سمعته وهو مول يضرب فخذه، وهو يقول: ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾ [الكهف: ٥٤]»[(٤)] وفي قول علي: «إنما أنفسنا بيد الله» وقول بلال: «أخذ بنفسي الذي أخذ بنفسك»، مع قوله عليه السلام: «إن الله قبض أرواحنا» وقوله - عليه السلام في حديث أبي جحيفة: «إنكم كنتم أمواتا فرد الله إليكم أرواحكم»[(٥)] مع قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا﴾ [الزمر: ٤٢] دليل واضح على أن الروح والنفس شيء واحد[(٦)].

---

(١) هذا بيت من قصيدة طويلة للنابغة مطلعها:

يا دارَ مَيَّةَ بِالعَلياءِ فَالسَنَدِ ... أَقوَت وَطالَ عَلَيها سالِفُ الأَبَدِ

(٢) صحيح: رواه مالك في الموطأ: ١/٢٤٠/٥٦٨، أحمد في مسنده: ٣/٤٥٥/١٥٨١٥، والنسائي في السنن الكبرى: ١/٦٦٥/ ٢٢٠٠، وفي المجتبى: ٤/١٠٨/٢٠٧٣، وابن ماجة في سننه: ٢/ ١٤٢٨/٤٢٧١، وابن حبان في صحيحه: ١٠/٥١٣/٤٦٥٧، والبخاري في التاريخ الكبير: ٥/ ٣٠٥، والطبراني في المعجم الكبير: ١٩/٦٤/١٢١.

(٣) الاستذكار: ١/٨٣ - ١/٨٤

(٤) صحيح البخاري: ١/٣٧٩/١٠٧٥، صحيح مسلم: ١/٥٣٧/٧٧٥.

(٥) صحيح: رواه ابن أبي شيبة في المصنف: ١/٤١١/٤٧٣٨، والطبراني في المعجم الكبير: ٢٢/ ١٠٧/٢٦٨، وأبو يعلى في مسنده: ٢/١٩٢/٨٩٥.

(٦) قال ابن تيمية: والروح المدبرة للبدن التى تفارقه بالموت هي الروح المنفوخة فيه، وهي النفس التى تفارقه بالموت قال النبى لما نام عن الصلاة: «ان الله قبض ارواحنا حيث شاء، وردها حيث شاء»، وقال له بلال: «يا رسول الله، أخذ بنفسي الذي أخذ بنفسك»، وقال تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ =

....

= حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا﴾ [الزمر: ٤٢]». مجموع الفتاوى: ٢٨٩/٩.

وقال ابن قيم الجوزية: المسألة العشرون: وهي هل النفس والروح شيء واحد أو شيئان متغايران؟ فاختلف الناس في ذلك، فمن قائل أن مسماهما واحد وهم الجمهور، ومن قائل أنهما متغايران، ونحن نكشف سر المسألة بحول الله وقوته، فنقول: النفس تطلق على أمور: أحدها: الروح، قال الجوهري: النفس الروح، يقال: خرجت نفسه، قال أبو خراش: نَجا سالِمٌ وَالنَفسُ مِنهُ بِشُدقِهِ وَلَم يَنجُ إِلّا جَفنَ سَيفٍ وَمِئزَرا أي: بجفن سيف ومئزر. والنفس والدم قال: سالت نفسه، وفي الحديث: «مالا نفس له سائلة لا ينجس الماء إذا مات فيه والنفس الجسد، قال الشاعر:

نُبِّئْتُ أَنَّ بَنِي سُحَيْمٍ أَدخَلُوا أَبْيَاتَهُم تَامُورَ نَفْسِ المُنذِرِ

والتامور الدم والنفس والعين، يقال: أصابت فلانًا أي: عين.

قلت: ليس كما قال بل النفس ها هنا الروح ونسبة الإضافة إلى العين توسع؛ لأنها تكون بواسطة النظر المصيب، والذي أصابه إنما هو نفس العائن كما تقدم.

قلت: والنفس في القرآن تطلق على الذات بجملتها كقوله تعالى: ﴿فَسَلِّمُوا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ﴾ [النور: ٦١]، وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَٰدِلُ عَن نَّفْسِهَا﴾ [النحل: ١١١]، وقوله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾﴾ [المدثر: ٣٨]، وتطلق على الروح وحدها كقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾﴾ [الفجر: ٢٧]، وقوله تعالى: ﴿أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ﴾ [الأنعام: ٩٣]، وقوله تعالى: ﴿وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ﴾ [النازعات: ٤٠]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ﴾ [يوسف: ٥٣]» .

وأما الروح فلا تطلق على البدن لا بإنفراده ولا مع النفس، وتطلق الروح على القرآن الذي أوحاه الله تعالى إلى رسوله، قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾ [الشورى: ٥٢]، وعلى الوحي الذي يوحيه إلى أنبيائه ورسله، قال تعالى: ﴿يُلْقِي ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ﴾ [غافر: ١٥]، وقال تعالى: ﴿يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ﴾ [النحل: ٢] وسمى ذلك روحًا لما يحصل به من الحياة النافعة، فإن الحياة بدونه لا تنفع صاحبها البتة، بل حياة الحيوان البهيم خير منها وأسلم عاقبة، وسميت الروح روحا لأن بها حياة البدن، وكذلك سميت الريح لما يحصل بها من الحياة، وهي من ذوات الواو، ولهذا تجمع على أرواح قال الشاعر:

إذا ذهبت الأرواح من نحو أرضكم وجدت لمسرها على كبدي بردًا

ومنها الروح والريحان والاستراحة؛ فسميت النفس روحًا، لحصول الحياة بها وسميت نفسًا إما من الشيء النفيس لنفاستها وشرفها، وإما من تنفس الشيء إذا خرج فلكثرة خروجها ودخولها في البدن سميت نفسًا، ومنه النفس بالتحريك، فإن العبد كلما نام خرجت منه فإذا استيقظ رجعت إليه، فإذا مات خرجت خروجًا كليًا فإذا دفن عادت إليه، فإذا سئل خرجت، فإذا بعث رجعت إليه، فالفرق بين النفس والروح فرق بالصفات لا فرق بالذات، وإنما سمي الدم نفسًا؛ لأن خروجه الذي يكون معه الموت يلازم خروج النفس، وإن الحياة لا تتم إلا به كما لا تتم إلا بالنفس؛ فلهذا قال: تَسيلُ عَلى =

أقوال ابن عبدالبر في مستقر أرواح المؤمنين

عن ابن شهاب عن عبدالرحمن بن كعب بن مالك، أنه أخبر، أن أباه كعب بن ملك كان يحدث أن رسول الله ﷺ قال: **«إنما نسمة المؤمن طائر يعلق في شجر الجنة حتى يرجعه الله إلى جسده يوم يبعثه»**(١).

قال ابن عبدالبر(٢): واختلف العلماء في معنى هذا الحديث، فقال منهم قائلون: أرواح المؤمنين عند الله في الجنة، شهداء كانوا أم غير شهداء، إذا لم يحبسهم عن الجنة كبيرة ولا دين وتلقاهم ربهم بالعفو عنهم وبالرحمة لهم، واحتجوا بأن هذا الحديث لم يخص فيه مؤمنًا أو شهيدًا من غير شهيد، واحتجوا أيضًا بما روي عن أبي هريرة أن أرواح الأبرار في عليين وأرواح الفجار في سجين، وعن عبدالله بن عمر مثل ذلك.

= تَحدُّ الظُّباتِ نُفوسُنا وَلَيسَت عَلى غَيرِ الظُّباتِ تَسيلُ ويقال: فاضت نفسه، وخرجت نفسه، وفارقت نفسه، كما يقال خرجت روحه، وفارقت، ولكن الفيض الاندفاع وهلة واحدة، ومنه الإفاضة وهي الاندفاع بكثرة وسرعة، لكن أفاض إذا دفع باختياره وإرادته، وإذا اندفع قسرًا وقهرًا فالله سبحانه هو الذي يفيضها عند الموت، فتفيض هي.

وقالت فرقة أخرى من أهل الحديث والفقه والتصوف: الروح غير النفس، قال مقاتل بن سليمان: للإنسان حياة وروح ونفس فإذا نام خرجت نفسه التي يعقل بها الأشياء، ولم تفارق الجسد بل تخرج كحبل ممتد له شعاع، فيرى الرؤيا بالنفس التي خرجت منه، وتبقى الحياة والروح في الجسد فيه يتقلب ويتنفس، فإذا حرك رجعت إليه أسرع من طرفة عين، فإذا أراد الله ﷻ أن يميته في المنام أمسك تلك النفس التي خرجت. وقال أيضا: إذا نام خرجت نفسه فصعدت إلى فوق، فإذا رأت الرؤيا رجعت فأخبرت الروح، ويخبر الروح، فيصبح يعلم أنه قد رأى كيت وكيت.

قال أبو عبدالله بن منده: ثم اختلفوا في معرفة الروح والنفس، فقال بعضهم النفس طينية نارية، والروح نورية روحانية. وقال بعضهم الروح لاهوتية، والنفس ناسوتية، وأن الخلق بها ابتلي.

وقالت طائفة وهم أهل الأثر: إن الروح غير النفس، والنفس غير الروح، وقوام النفس بالروح والنفس صورة العبد والهوى والشهوة، والبلاء معجون فيها، ولا عدو أعدى لابن آدم من نفسه، فالنفس لا تريد إلا الدنيا، ولا تحب إلا إياها، والروح تدعو إلى الآخرة وتؤثرها، وجعل الهوى تبعًا للنفس والشيطان تبع النفس والهوى، والملك مع العقل والروح والله تعالى يمدهما بإلهامه وتوفيقه.

وقال بعضهم: الأرواح من أمر الله أخفى حقيقتها وعلمها على الخلق.

وقال بعضهم: الأرواح نور من نور الله، وحياة من حياة الله». الروح: ص٢١٧ - ٢١٩.

(١) سبق تخريجه.

(٢) التمهيد: ١١/٥٩-١١/٦٥.

قال أبو عمر: وهذا قول يعارضه من السنة ما لا مدفع في صحة نقله، وهو قوله ﷺ: «**إذا مات أحدكم عرض عليه مقعده بالغداة والعشي، إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة، وإن كان من أهل النار فمن أهل النار، يقال: هذا مقعدك حتى يبعثك الله إليه يوم القيامة**»(١).... وقال آخرون: إنما معنى هذا الحديث في الشهداء دون غيرهم؛ لأن القرآن والسنة لا يدلان إلا على ذلك، أما القرآن فقوله ﷻ: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾﴾ [آل عمران: ١٦٩] وأما الآثار فمنها ما رواه الثقات في حديث ابن شهاب هذا أخبرنا عبدالوارث بن سفيان، قال: حدثنا قاسم بن أصبغ، قال: حدثنا محمد بن عبدالسلام، قال: حدثنا ابن أبي عمر: حدثنا سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن الزهري عن ابن كعب بن مالك عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال: «**أرواح الشهداء في طير خضر تعلق في شجر الجنة**»(٢)، ومنها حدثنا عبدالوارث بن سفيان، قال: حدثنا قاسم بن أصبغ قال: حدثنا مقدام بن داود قال: حدثنا يوسف بن عدي قال: حدثنا إسماعيل بن المختار عن عطية العوفي عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «**الشهداء يغدون ويروحون إلى رياض الجنة، ثم يكون مأواهم إلى قناديل معلقة بالعرش، فيقول الله تبارك وتعالى: هل تعلمون كرامة أفضل من كرامة أكرمتموها؟ فيقولون: لا غير أنا وددنا أنك أعدت أرواحنا في أجسادنا حتى نقاتل مرة أخرى في سبيلك**»(٣) وذكر بقي بن مخلد قال: حدثنا عباد بن السري عن

---

(١) صحيح البخاري: ١/٤٦٤/١٣١٣، صحيح مسلم: ٤/٢١٩٩/٢٨٦٦.

(٢) صحيح: سنن الترمذي: ٤/١٧٦/ ١٦٤١، وقال أبو عيسى: «هذا حديث حسن صحيح»، مصنف عبدالرزاق: ٥/٢٦٤/٩٥٥٦، المعجم الكبير: ١٩/٦٦/١٢٥، مسند أحمد بن حنبل: ٦/٣٨٦/ ٧٢١٠، وله شاهد من صحيح مسلم: ٣/١٥٠٢/١٨٨٧، وصححه الألباني في سنن الترمذي: ح (١٦٤١).

(٣) لم أجده بهذا اللفظ، ولكن روى مسلم من طريق يحيى بن يحيى، وأبو بكر بن أبي شيبة كلاهما عن أبي معاوية، وحدثنا إسحاق بن إبراهيم: أخبرنا جرير وعيسى بن يونس جميعًا، عن الأعمش، وحدثنا محمد بن عبدالله بن نمير، واللفظ له، حدثنا أسباط، وأبو معاوية قالا: حدثنا الأعمش عن عبدالله بن مرة، عن مسروق قال: «سألنا عبدالله هو بن مسعود، عن هذه الآية ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾﴾ [سورة آل عمران: آية (١٦٩)] قال =

إسماعيل بن المختار عن عطية عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ قال بقي: وحدثنا عثمان بن أبي شيبة قال: حدثنا عبدالله بن إدريس عن محمد بن إسحق عن إسماعيل ابن أمية عن أبي الزبير عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «لما أصيب إخوانكم يوم أحد، جعل الله أرواحهم في أجواف طير خضر ترد أنهار الجنة، وتأكل من ثمرها، وتأوي إلى قناديل من ذهب مذللة في ظل العرش، فلما وجدوا طيب مأكلهم ومشربهم ومقيلهم، قالوا: من يبلغ إخواننا عنا أنا أحياء في الجنة نرزق لئلا ينكلوا عن الحرب ولا يزهدوا في الجهاد؟ قال: فقال الله ﷻ: أنا أبلغهم عنكم، فأنزل الله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾﴾ [آل عمران: ١٦٩]»[١] قال بقي: وحدثنا أبو بكر بن أبي شيبة قال: حدثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن عبدالله بن مرة عن مسروق عن عبدالله قال: «﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾﴾ قال: أما أنا فقد سألنا عن ذلك، فقال: أرواحهم في جوف طير خضر لها قناديل معلقة بالعرش، تسرح من الجنة حيث شاءت، ثم تأوي إلى تلك القناديل، فاطلع إليهم ربهم اطلاعة، فقال: هل تشتهون شيئًا؟ قالوا: أي شيء نشتهي، ونحن نسرح من الجنة حيث شئنا؟! ففعل ذلك بهم ثلاث مرات، فلما رأوا أنهم لن يتركوا من أن يسألوا، قالوا: يا رب، نريد أن ترد أرواحنا في أجسادنا حتى نقتل في سبيلك مرة أخرى، فلما رأى أن ليس لهم حاجة تركوا»[٢] وحدثنا عبدالوارث بن سفيان، قال: حدثنا قاسم

= أما إنا قد سألنا عن ذلك، فقال: أرواحهم في جوف طير خضر لها قناديل معلقة بالعرش تسرح من الجنة حيث شاءت ثم تأوي إلى تلك القناديل، فاطلع إليهم ربهم اطلاعة، فقال: هل تشتهون شيئًا؟ قالوا: أي شيء نشتهي، ونحن نسرح من الجنة حيث شئنا ؟! ففعل ذلك بهم ثلاث مرات فلما رأوا أنهم لن يتركوا من أن يسألوا، قالوا: يا رب، نريد أن ترد أرواحنا في أجسادنا حتى نقتل في سبيلك مرة أخرى، فلما رأى أن ليس لهم حاجة تركوا» صحيح مسلم: ٣/ ١٥٠٢ / ١٨٨٧.

(١) رواه أبو داود في سننه: ٣/١٥/٢٥٢٠، سنن البيهقي الكبرى: ٩/١٦٣/١٨٣٠١، مصنف ابن أبي شيبة: ٤/٢٠٤/ ١٩٣٣٢، مسند أبي يعلى: ٤/٢١٩/٢٣٣١، مسند أحمد بن حنبل: ١/٢٦٥/ ٢٣٨٨، والحاكم في المستدرك على الصحيحين: ٢/٩٧ / ٢٤٤٤.

(٢) صحيح مسلم: ٣/١٥٠٢/١٨٨٧.

ابن أصبغ، قال: حدثنا محمد بن عبدالسلام، قال: حدثنا محمد بن بشار، قال: حدثنا محمد بن أبي عدي عن شعبة عن سليمان الأعمش عن عبدالله بن مرة عن مسروق، قال: سألنا عبدالله عن أرواح الشهداء، ولولا عبدالله ما أخبرنا أحد، قال: **«أرواح الشهداء عند الله إلى يوم القيامة في طير خضر في قناديل تحت العرش، تسرح في الجنة حيث شاءت، ثم ترجع إلى قناديلها، فيطلع عليها ربها، فيقول: ماذا تريدون؟ فيقولون: نريد أن نرجع إلى الدنيا فنقتل مرة أخرى»**(١).....

وقال بقي: حدثنا يحيى بن عبدالحميد، حدثنا ابن عيينة عن عبيد الله بن أبي يزيد سمع ابن عباس يقول: أرواح الشهداء تجول في أجواف طير خضر تعلق في شجر الجنة. قال: وحدثنا يحيى بن عبدالحميد، وجعفر بن حميد قالا: حدثنا ابن المبارك عن ابن جريج فيما قرئ عليه عن مجاهد قال: ليس هي في الجنة، ولكن يأكلون من ثمارها، فيجدون ريحها. قال: وحدثنا ابن المسيب: قال: حدثنا ابن المبارك عن ابن جريج عن مجاهد في قوله: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾﴾[آل عمران: ١٦٩] قالوا: يرزقون من ثمر الجنة فيجدون ريحها. قال: وحدثنا محمد بن عبيد، قال: حدثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة في قوله: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾﴾ [آل عمران: ١٦٩] قال: بلغنا أن أرواح الشهداء في صورة طير بيض يأكلون من ثمار الجنة.

حدثنا عبدالله بن محمد بن يوسف قال: حدثنا يحيى بن مالك بن عائد، قال: حدثنا محمد بن سليمان بن أبي الشريف، قال: حدثنا محمد بن علي، قال: حدثنا يزيد بن سنان، قال: حدثنا أبو عاصم النبيل، قال: حدثنا ثور بن يزيد عن خالد بن معدان عن عبدالله بن عمر قال: الجنة معلقة بقرون الشمس، تنشرها في كل عام مرة، وأرواح الشهداء في طير كالزرازير، يتعارفون، ويرزقون من ثمر الجنة.

---

(١) سنن الدارمي: ٢/٢٧١/٢٤١٠، سنن البيهقي: ٩/١٦٣/١٨٢٩٩، مسند الطيالسي: ١/٣٨/٢٩١.

قال أبو عمر: قد ذكرنا من الآثار عن السلف ما في معنى حديثنا في هذا الباب؛ لقوله ﷺ: «**إنما نسمة المؤمن طائر يعلق في شجر الجنة**»[١] وهذه الآثار كلها تدل على أنهم الشهداء دون غيرهم، وفي بعضها في صورة طير، وفي بعضها في أجواف طير، وفي بعضها كطير، والذي يشبه عندي والله أعلم أن يكون القول قول من قال: «**كطير، أو كصور طير**» لمطابقته لحديثنا المذكور، وليس هذا موضع نظر ولا قياس؛ لأن القياس إنما يكون فيما يسوغ فيه الاجتهاد، ولا مدخل للاجتهاد في هذا الباب، وإنما نسلم فيه لما صح من الخبر عمن يجب التسليم له، روى عيسى بن يونس هذا الحديث عن الأعمش عن عبدالله بن مرة عن مسروق عن عبدالله؛ فقال: أرواحهم كطير خضر، وكذلك قال فيه روح بن القاسم عن الأعمش عن عبدالله بن مرة عن مسروق عن عبدالله: «**كطير خضر تسرح في الجنة حيث شاءت، وتأوي إلى قناديل تحت العرش**» وثبت عن ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير أن هذه الآية نزلت في الشهداء، قوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾﴾ وهو قول ابن مسعود وأبي سعيد وجابر، وهو الصحيح وبالله التوفيق.

قال ابن عبدالبر: وللناس أقاويل في مستقر الأرواح غير ما ذكر سنذكر ذلك في حديث نافع إن شاء الله تعالى، فعلى هذا التأويل كأنه قال ﷺ: «**إنما نسمة المؤمن من الشهداء طائر يعلق في شجر الجنة**»[٢]، وجاء عن أبي بن كعب رحمه الله، وجماعة من التابعين في صفة أحوال الشهداء وطعامهم في الجنة أقاويل غير هذه، وإنما ذكرنا في هذا الباب ما في معنى حديثنا وما يطابقه ويضاهيه وبالله التوفيق.

وقال آخرون: أرواح المؤمنين على أفنية قبورهم، وكان ابن وضاح يذهب إلى هذا، ويحتج بحديث النبي ﷺ حين خرج إلى المقبرة، فقال: «**السلام عليكم دار قوم مؤمنين**»[٣] فهذا يدل على أن الأرواح بأفنية القبور، وقد خالفه غيره، فمال إلى

(١) سبق تخريجه.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) صحيح مسلم: ١ / ٢١٨ / ٢٤٩.

الحديث: «اذهبوا بروحه ـ يعني المؤمن ـ إلى عليين، وقال في الكافر: اذهبوا بروحه إلى سجين من أسفل الأرض»

وقال أبو عمر في الاستذكار(١): وقد ظن قوم أن هذا الحديث يعارضه ظاهر حديث ابن عمر المتقدم ذكره، قوله: «إذا مات أحدكم عرض عليه مقعده بالغداة والعشي» الحديث، وقالوا: إذا كان يسرح في الجنة، ويأكل منها فهو في الجنة في جميع أحيانه، فكيف يعرض عليه منها مقعده بالغداة والعشي خاصة؟.

قال أبو عمر: وهذا عندي ليس كما ظنوا؛ لأن حديث كعب بن مالك هذا معناه في الشهداء خاصة، وحديث ابن عمر في سائر الناس، والدليل على ذلك أن سفيان بن عيينة روى هذا الحديث عن عمرو بن دينار عن بن شهاب عن بن كعب بن مالك عن أبيه، أن رسول الله ﷺ قال: «أرواح الشهداء طير خضر يعلق في شجر الجنة» وقد ذكرنا إسناده عن ابن عيينة في التمهيد، وذكرنا حديث أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ قال: «الشهداء يغدون ويروحون إلى رياض الجنة، ثم يكون مأواهم إلى قناديل معلقة بالعرش» الحديث ذكرناه من طرق هناك والحمد لله. وروى ابن عيينة عن عبيد الله بن أبي يزيد سمع ابن عباس يقول: «إن أرواح الشهداء تجول في طير خضر تعلق من ثمر الجنة»، فهذا أكله، فهذا نص يخص أرواح الشهداء دون سائر الناس، فالشهيد يسرح في الجنة، ويأكل منها يقول الله ﷻ في الشهداء: إنهم ﴿أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٩] فخصهم بهذه الفضيلة فلا يشركهم فيها غيرهم، والنسمة الأرواح تذهب وتجيء وتسبح وتأكل كأنها طير ـ قد قيل ـ خضر وهذا هو الصحيح لا رواية من روى «في أجواف طير»؛ لأنه لا يجتمع في جسد روحان روح المؤمن وروح الطير، هذا محال تدفعه العقول لمخالفته الأصول، وإنما الرواية الصحيحة والله أعلم رواية من روى في أرواح الشهداء «كأنها طير» لا «في جوف طير» وهو ظاهر حديث مالك هذا في قوله: «إنما نسمه المؤمن طائر» ولم يقل «في جوف طائر» وروى الأعمش عن عبدالله بن مرة

(١) الاستذكار: ٣ / ٩٠ ـ ٩١.

عن مسروق قال: سئل عبدالله بن مسعود عن أرواح الشهداء؟ قال: أرواح الشهداء عند الله كطير خضر في قناديل تحت العرش تسرح في الجنة حيث شاءت، ثم ترجع إلى قناديلها، فيتطلع إليها ربها، فيقول: ماذا تريدون؟ فيقولون: نريد أن نرجع إلى الدنيا، فنقتل مرة أخرى وفي هذا الحديث عن ابن مسعود قوله: «كطير حسن» أيضًا، وفي قول ابن مسعود: «تسرح في الجنة» ما يعضد رواية من روى تعلَق (بفتح اللام)؛ لأن معنى ذلك تسرح، ومن روى تعلُق (بضم اللام) فالمعنى فيه عند أهل اللغة: تأكل وترعى ونحو هذا، ولمجاهد في قول الله ﷻ: في الشهداء: ﴿أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٩] قال: ليس هم في الجنة، ولكن يأكلون من ثمارها، ويجدون ريحها.

قال أبو عمر: ظاهر حديث مالك يرد قول مجاهد هذا؛ لأن فيه: «إنما نسمة المؤمن طائر يعلق في شجر الجنة» ومن ادعى أن شجر الجنة وثمرها في غيرها فقد أحال ظاهر الحديث، وقد استوعبنا القول في شرح معنى هذا الحديث ولفظه في التمهيد، والحمد لله[(١)].

---

(١) وقد عرض ابن قيم الجوزية لهذه المسألة في كتابه القيم الروح بما لا مزيد عليه، فقال: «المسألة الخامسة عشرة: وهي أين مستقر الأرواح ما بين الموت إلى القيامة؟ هل هي في السماء أم في الأرض؟ وهل هي في الجنة أم لا؟ وهل تودع في أجساد غير أجسادها التي كانت فيها فتنعم وتعذب فيها أم تكون مجردة؟» هذه مسالة عظيمة تكلم فيها الناس واختلفوا فيها، وهي إنما تتلقى من السمع فقط، واختلف في ذلك:

فقال قائلون: أرواح المؤمنين عند الله في الجنة، شهداء كانوا أم غير شهداء إذا لم يحبسهم عن الجنة كبيرة ولا دين وتلقاهم ربهم بالعفو عنهم والرحمة لهم، وهذا مذهب أبي هريرة وعبدالله بن عمر - رضي الله عنهم -.

وقالت طائفة: هم بفناء الجنة على بابها، يأتيهم من روحها ونعيمها ورزقها.

وقالت طائفة: الأرواح على أفنية قبورها.

وقال مالك: بلغني أن الروح مرسلة تذهب حيث شاءت.

وقال الإمام أحمد في رواية ابنه عبدالله: أرواح الكفار في النار، وأرواح المؤمنين في الجنة.

وقال أبو عبدالله بن منده: وقال طائفة من الصحابة والتابعين: أرواح المؤمنين عند الله ﷻ لم يزيدوا على ذلك، وقال: روى عن جماعة من الصحابة والتابعين: أرواح المؤمنين بالجابية، وأرواح الكفار ببرهوت (بئر بحضرموت)، وقال صفوان ابن عمرو: سألت عامر بن عبدالله أبا اليمان، هل لأنفس =

....

= المؤمنين مجتمع ؟ فقال: إن الأرض التي يقول الله تعالى عنها:
﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴿١٠٥﴾﴾ [الأنبياء:١٠٥] قال: هي الأرض التي يجتمع إليها أرواح المؤمنين حتى يكون البعث، وقالوا: هي الأرض التي يورثها الله المؤمنين في الدنيا.

وقال كعب: أرواح المؤمنين في عليين في السماء السابعة، وأرواح الكفار في سجين في الأرض السابعة تحت جند إبليس.

وقالت طائفة: أرواح المؤمنين ببئر زمزم، وأرواح الكفار ببئر برهوت.

وقال سلمان الفارسي: أرواح المؤمنين في برزخ من الأرض تذهب حيث شاءت، وأرواح الكفار في سجين، وفي لفظ عنه نسمة المؤمن تذهب في الأرض حيث شاءت.

وقالت طائفة: أرواح المؤمنين عن يمين آدم، وأرواح الكفار عن شماله.

وقالت طائفة أخرى منهم ابن حزم: مستقرها حيث كانت قبل خلق أجسادها، وقال: والذى نقول به في مستقر الأرواح هو ما قاله الله ﷻ ونبيه لا نتعداه فهو البرهان الواضح، وهو أن الله ﷻ قال: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَافِلِينَ ﴿١٧٢﴾﴾[الأعراف: ١٧٢] وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلآئِكَةِ اسْجُدُواْ لآدَمَ فَسَجَدُواْ إِلاَّ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ﴾ [الأعراف: ١١] فصح أن الله تعالى خلق الأرواح جملة، وكذلك أخبر أن الأرواح جنود مجندة، فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف، وأخذ الله عهدها وشهادتها له بالربوبية وهي مخلوقة مصورة عاقلة قبل أن يأمر الملائكة بالسجود لآدم وقبل أن يدخلها في الأجساد، والأجساد يومئذ تراب وماء، ثم أقرها حيث شاء، وهو البرزخ الذي ترجع إليه عند الموت، ثم لا يزال يبعث منها الجملة بعد الجملة، فينفخها في الأجساد المتولدة من المني إلى أن قال: فصح أن الأرواح أجساد حاملة لأغراضها من التعارف والتناكر، وأنها عارفة مميزة، فيبلوهم الله في الدنيا كما يشاء ثم يتوفاها فيرجع إلى البرزخ الذي رآها فيه رسول الله ﷺ ليلة أسرى به عند سماء الدنيا، أرواح أهل السعادة عن يمين آدم، وأرواح أهل الشقاوة عن يساره، وذلك عند منقطع العناصر، ويعجل أرواح الأنبياء والشهداء إلى الجنة. قال: وقد ذكر محمد بن نصر المروزي عن اسحاق بن راهويه أنه ذكر هذا الذى قلنا بعينه قال: وعلى هذا أجمع أهل العلم، قال ابن حزم: وهو قول جميع أهل الإسلام، قال: وهذا هو قول الله تعالى: ﴿فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ (٨) وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ (٩) وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ (١٠) أُوْلَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ (١١) فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ (١٢) ثُلَّةٌ مِّنَ الأَوَّلِينَ (١٣) وَقَلِيلٌ مِّنَ الآخِرِينَ﴾ [سورة الواقعة: ٨ ـ ١٤]، وقوله تعالى: ﴿فَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ (٨٨) فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةُ نَعِيمٍ﴾ [الواقعة: ٨٨، ٨٩]، فلا تزال الأرواح هنالك حتى يتم إعادة الأرواح إلى أجسادها ثانية، وهى الحياة الثانية يحاسب فيها الخلق فريق في الجنة وفريق في السعير مخلدين أبدًا انتهى.

وقال أبو عمر بن عبدالبر: أرواح الشهداء في الجنة وأرواح عامة المؤمنين على أفنية قبورهم، ونحن =

= نذكر كلامه، وما احتج به ونبين ما فيه.
وقال ابن المبارك عن ابن جريج فيما قرىء عليه من مجاهد: ليس هي في الجنة، ولكن يأكلون من ثمارها، ويجدون ريحها وذكر معاوية بن صالح عن سعيد بن سويد أنه سأل ابن شهاب عن أرواح المؤمنين، فقال: بلغني أن أرواح الشهداء كطير خضر معلقة بالعرش تغدو وتروح إلى رياض الجنة، تأتي ربها في كل يوم تسلم عليه.
وقال أبو عمر بن عبدالبر في شرح حديث ابن عمر: «إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة، وإن كان من أهل النار فمن أهل النار، يقال له: هذا مقعدك حتى يبعثك الله إلى يوم القيامة» قال: وقد استدل به من ذهب إلى أن الأرواح على أفنية القبور، وهو أصح ما ذهب إليه في ذلك والله أعلم؛ لأن الأحاديث بذلك أحسن مجيئًا وأثبت نقلًا من غيرها. قال: والمعنى أنها قد تكون على أفنية قبورها لا على أنها تلزم ولا تفارق أفنية القبور، كما قال مالك رحمه الله: إنه بلغنا أن الأرواح تسرح حيث شاءت، قال: وعن مجاهد أنه قال: الأرواح على أفنية القبور سبعة أيام من يوم دفن الميت لا تفارق ذلك والله أعلم.
وقالت فرقة: مستقرها العدم المحض، وهذا قول من يقول: إن النفس عرض من أعراض البدن كحياته وإدراكه، فتعدم بموت البدن كما تعدم سائر الأعراض المشروطة بحياته، وهذا قول مخالف لنصوص القرآن والسنة وإجماع الصحابة والتابعين كما سنذكر ذلك إن شاء الله، والمقصود أن عند هذه الفرقة المبطلة أن مستقر الأرواح بعد الموت العدم المحض.
وقالت فرقة: مستقرها بعد الموت أرواح أخرى تناسب أخلاقها وصفاتها التي اكتسبتها في حال حياتها، فتصير كل روح إلى بدن حيوان يشاكل تلك الأرواح، فتصير النفس السبعية إلى أبدان السباع، والكلبية إلى أبدان البهائم، والدنية والسفلية إلى أبدان الحشرات، وهذا قول المتناسخة منكري المعاد، وهو قول خارج عن أقوال أهل الإسلام كلهم، فهذا ما تلخص لي من جمع أقوال الناس في مصير أرواحهم بعد الموت، ولا تظفر به مجموعًا في كتاب واحد غير هذا البتة، ونحن نذكر مأخذ هذه الأقوال وما لكل قول وما عليه، وما هو الصواب من ذلك الذي دل عليه الكتاب والسنة على طريقتنا التي من الله بها، وهو مرجو الإعانة والتوفيق.
فأما من قال هى في الجنة، فاحتج بقوله تعالى: ﴿فَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ (٨٨) فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةُ نَعِيمٍ﴾ قال: وهذا ذكره سبحانه عقيب ذكر خروجها من البدن بالموت، وقسم الأرواح إلى ثلاثة أقسام: مقربين وأخبر أنها في جنة النعيم وأصحاب يمين حكم لها بالإسلام، وهو يتضمن سلامتها من العذاب، ومكذبة ضالة، وأخبر أن لها نزلًا من حميم وتصلية جحيم قالوا: وهذا بعد مفارقتها للبدن قطعًا، وقد ذكر سبحانه حالها يوم القيامة في أول السورة، فذكر حالها بعد الموت، وبعد البعث واحتجوا بقوله تعالى: ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ (٢٧) ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً (٢٨) فَادْخُلِي فِي عِبَادِي (٢٩) وَادْخُلِي جَنَّتِي (٣٠)﴾ [الفجر: ٢٧ - ٣٠]، وقد قال غير واحد من الصحابة والتابعين: إن هذا يقال لها عند خروجها من الدنيا ي، بشرها الملك بذلك، ولا ينافي ذلك قول من قال: إن هذا يقال لها في الآخرة؛ فانه يقال لها عند الموت وعند البعث، وهذه من البشرى التي قال =

....

= تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [فصلت: ٣٠] وهذا التنزل يكون عند الموت ويكون في القبر ويكون عند البعث وأول بشارة الآخرة عند الموت، وقد تقدم في حديث البراء بن عازب أن الملك يقول لها عند قبضها: أبشري بروح وريحان، وهذا من ريحان الجنة، واحتجوا بما رواه مالك في الموطأ عن ابن شهاب عن عبدالرحمن بن كعب بن مالك أخبره أن أباه كعب ابن مالك كان يحدث: أن رسول الله ﷺ قال: «إنما نسمة المؤمن طائر تعلق في شجر الجنة حتى يرجعه الله إلى الحياة يوم يبعثه».

قال أبو عمر: وفي رواية مالك هذه بيان سماع الزهري لهذا الحديث من عبدالرحمن بن كعب بن مالك وكذلك رواه يونس عن الزهري، قال سمعت عبدالرحمن بن كعب بن مالك يحدث عن أبيه وكذلك رواه الأوزاعي عن الزهري حدثني عبدالرحمن بن كعب، وقد أعل محمد بن يحيى الذهلي هذا الحديث بأن شعيب بن أبي حمزة ومحمد بن أخي الزهري وصالح بن كيسان، رووه عن الزهري عن عبدالرحمن بن عبدالله بن كعب بن مالك عن جده كعب، فيكون منقطعًا، وقال صالح بن كيسان: عن ابن شهاب عن عبدالرحمن أنه بلغه أن كعبًا بن مالك كان يحدث قال الذهلي: وهذا المحفوظ عندنا، وهو الذي يشبهه حديث صالح وشعيب وابن أخي الزهري، وخالفه في هذا غيره من الحفاظ فحكموا لمالك والأوزاعي قال أبو عمر: فاتفق مالك ويونس بن يزيد والأوزاعي والحارث بن فضيل على رواية هذا الحديث عن الزهري عن عبدالرحمن بن كعب بن مالك عن أبيه وصححه الترمذي وغيره، قال أبو عمر: ولا وجه عندي لما قاله محمد بن يحيى من ذلك ولا دليل عليه واتفاق مالك ويونس بن زيد والأوزاعي ومحمد بن إسحاق أولى بالصواب، والنفس إلى قولهم وروايتهم أسكن، وهم من الحفظ والاتقان بحيث لا يقاس بهم من خالفهم في هذا الحديث انتهى، وقد قال محمد الذهلي سمعت علي بن المديني يقول: ولد كعب خمسة، عبدالله وعبيد الله ومعبد وعبدالرحمن ومحمد، قال الذهلي: فسمع الزهري من عبدالله بن كعب، وكان قائد أبيه حين عمي، وسمع من عبدالرحمن بن عبدالله بن كعب، وروى عن بشير بن عبدالرحمن بن كعب ولا أراه سمع منه انتهى، فالحديث إن كان لعبدالرحمن عن أبيه كعب كما قال مالك ومن معه فظاهر، وإن كان لعبدالرحمن بن عبدالله بن كعب عن جده كما قال شعيب ومن معه فنهايته أن يكون مرسلًا من هذا الطريق وموصولًا من الأخرى، والذين وصلوه ليسوا بدون الذين أرسلوه قدرًا ولا عددًا، فالحديث من صحاح الأحاديث، وإنما لم يخرجه صاحبا الصحيح لهذه العلة والله أعلم.

قال أبو عمر: وأما قوله: «نسمة المؤمن»، فالنسمة ها هنا: الروح يدل على ذلك قوله في الحديث نفسه: «حتى يرجعه الله إلى جسده يوم يبعثه»، وقيل: النسمة الروح والنفس والبدن، وأصل هذه اللفظة أعني: النسمة الإنسان بعينه، وإنما قيل للروح نسمة والله أعلم؛ لأن حياة الإنسان بروحه وإذا فارقه عدم أو صار كالمعدوم، والدليل على أن النسمة الإنسان، قوله: «من أعتق نسمة مؤمنة»، وقول علي ﷺ: «والذي فلق الحبة وبرأ النسمة»، وقال الشاعر:

أعظم منك تقى في الحساب إذا النسمات نفضن الغبارا =

....

= يعني: إذا بُعث الناس من قبورهم يوم القيامة، وقال الخليل بن أحمد: النسمة الإنسان، قال: والنسمة: الروح، والنسيم: هبوب الريح، وقوله ﷺ: «تعلق في شجر الجنة» يُروى بفتح اللام، وهو الأكثر، ويُروى بضم اللام، والمعنى واحد، وهو الأكل والرعي، يقول: تأكل من ثمار الجنة، وتسرح بين أشجارها، والعلوقة والعلوق الأكل والرعي، تقول العرب: ما ذاق اليوم علوقًا، أي: طعامًا، قال الربيع بن زياد يصف الخيل:

ومجنبات ما يذقن علوقة ... يمصعن بالمهرات والأمهار .

وقال الأعشى:

وَفَلاةٍ كَأَنَّها ظَهرُ تُرسٍ ... لَيسَ إِلّا الرَجيعَ فيها عَلاقُ

قلت: ومنه قول عائشة والنساء إذ ذاك خفاف لم يغشهن اللحم: إنما يأكلن العلقة من الطعام، وأصل اللفظة من التعلق، وهو ما يعلق القلب والنفس من الغذاء.
قال: واختلف العلماء في معنى هذا الحديث؛ فقال قائلون منهم: أرواح المؤمنين عند الله في الجنة شهداء كانوا أم غير شهداء إذا لم يحبسهم عن الجنة كبيرة ولا دين، وتلقاهم ربهم بالعفو عنهم والرحمة لهم.
قال: واحتجوا بأن هذا الحديث لم يخص فيه شهيدًا من غير شهيد، واحتجوا أيضا بما روي عن أبي هريرة: أن أرواح الأبرار في عليين وأرواح الفجار في سجين، وعن عبدالله بن عمرو مثل ذلك.
قال أبو عمر: وهذا قول يعارضه من السنة ما لا مدفع في صحة نقله، وهو قوله: «إذا مات أحدكم عرض عليه مقعده بالغداة والعشي إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة وإن كان من أهل النار فمن أهل النار» يقال له: هذا مقعدك حتى يبعثك الله إليه يوم القيامة. وقال آخرون: إنما معنى هذا الحديث في الشهداء دون غيرهم؛ لأن القرآن والسنة إنما يدلان على ذلك، أما القرآن فقوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾﴾ [آل عمران: ١٦٩]، وأما الآثار فذكر حديث أبي سعيد الخدري ﷺ من طريق بقي بن مخلد مرفوعًا: «الشهداء يغدون ويروحون، ثم يكون مأواهم إلى قناديل معلقة بالعرش، فيقول لهم الرب تبارك وتعالى: هل تعلمون كرامة أفضل من كرامة أكرمتكموها ؟ فيقولون: لا، غير أنا وددنا أنك أعدت أرواحنا في أجسادنا حتى نقاتل مرة أخرى فنقتل في سبيلك» رواه عن هناد عن اسماعيل بن المختار عن عطية عنه، ثم ساق حديث ابن عباس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «لما أصيب إخوانكم، يعني: يوم أحد جعل الله أرواحهم في أجواف طير خضر ترد أنهار الجنة، وتأكل من ثمارها، وتأوي إلى قناديل من ذهب مدلاة في ظل العرش، فلما وجدوا طيب مأكلهم ومشربهم ومقيلهم»، قالوا: من يبلغ إخواننا أنا أحياء في الجنة نرزق لئلا ينكلوا عن الحرب ولا يزهدوا في الجهاد، قال: فقال الله ﷻ: أنا أبلغهم عنكم، فأنزل الله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾﴾ [آل عمران: ١٦٩] والحديث في مسند أحمد، وسنن أبي داود، ثم ذكر حديث الأعمش =

= عن عبدالله بن مرة عن مسروق قال: سأل عبدالله بن مسعود ﷺ عن هذه الآية: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾﴾ [آل عمران: ١٦٩]، فقال: أما أنا قد سألنا عن ذلك رسول الله ﷺ فقال: «أرواحهم في جوف طير خضر تسرح في الجنة في أيها شاءت ثم تأوي إلى تلك القناديل فاطلع اليهم ربك إطلاعة، فقال: هل تشتهون شيئا ؟ قالوا: وأي شيء نشتهي ونحن نسرح من الجنة حيث شئنا، ففعل بهم ذلك ثلاث مرات، فلما رأوا أنهم لم يتركوا من أن يسألوا، قالوا: يا رب، نريد أن ترد أرواحنا في أجسادنا حتى نقتل في سبيلك مرة أخرى، فلما رأى أن ليس لهم حاجة تركوا» والحديث في صحيح مسلم.

قلت: وفي صحيح البخارى عن أنس أن أم الربيع بنت البراء، وهي أم حارثة بن سراقة أتت النبي ﷺ فقالت: «يا نبي الله، ألا تحدثني عن حارثة، وكان قتل يوم بدر أصابه سهم غرب، فإن كان في الجنة صبرت، وإن كان في غير ذلك اجتهدت عليه في البكاء ؟ قال: يا أم حارثة، إنها جنان، وإن ابنك أصاب الفردوس الأعلى»، ثم ساق من طريق بقى بن مخلد حدثنا يحيى بن عبدالحميد حدثنا ابن عيينة عن عبيد الله بن أبي يزيد سمع ابن عباس يقول: «أرواح الشهداء تجول في أجواف طير خضر تعلق في ثمر الجنة»، ثم ذكر عن معمر عن قتادة قال: «بلغنا أن أرواح الشهداء في صور طير بيض تأكل من ثمار الجنة»، ومن طريق أبي عاصم النبيل عن ثور بن يزيد عن خالد ابن معدان عن عبدالله بن عمرو: «أرواح الشهداء في طير كالزرازير يتعارفون ويرزقون من ثمر الجنة»

قال أبو عمر: هذه الآثار كلها تدل على أنهم الشهداء دون غيرهم، وفي بعضها «في صور طير»، وفي بعضها «في أجواف طير»، وفي بعضها «كطير خضر» قال: والذي يشبه عندي (والله أعلم) أن يكون القول قول من قال: «كطير أو صور طير» لمطابقته لحديثنا المذكور، يريد حديث كعب بن مالك، وقوله فيه: «نسمة المؤمن كطائر»، ولم يقل: «في جوف طائر» قال: وروى عيسى بن يونس حديث ابن مسعود عن الأعمش عن عبدالله بن مرة عن مسروق عن عبدالله «كطير خضر» .

قلت: والذي في صحيح مسلم في أجواف طير خضر.

قال أبو عمر: فعلى هذا التأويل كأنه قال: إنما نسمة المؤمن من الشهداء طائر يعلق في شجر الجنة.

قلت: لا تنافي بين قوله: «نسمة المؤمن طائر يعلق في شجر الجنة»، وبين قوله: «إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي، إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة، وإن كان من أهل النار فمن أهل النار»، وهذا الخطاب يتناول الميت على فراشه والشهيد، كما أن قوله: «نسمة المؤمن طائر يعلق في شجر الجنة» يتناول الشهيد وغيره، ومع كونه يعرض عليه مقعده بالغداة والعشى ترد روحه أنهار الجنة وتأكل من ثمارها، وأما المقعد الخاص به والبيت الذي أعد له، فإنه إنما يدخله يوم القيامة، ويدل عليه أن منازل الشهداء ودورهم وقصورهم التي أعد الله لهم ليست هي تلك القناديل التي تأوي إليها أرواحهم في البرزخ قطعًا، فهم يرون منازلهم ومقاعدهم من الجنة ويكون مستقرهم في تلك القناديل المعلقة بالعرش، فان الدخول التام الكامل إنما يكون يوم القيامة، ودخول الأرواح الجنة في البرزخ أمر دون ذلك، ونظير هذا أهل الشقاء تعرض أرواحهم على النار غدوًا وعشيًا، فإذا كان يوم القيامة دخلوا منازلهم ومقاعدهم التي كانوا يعرضون عليها في البرزخ، فتنعم الأرواح بالجنة في =

....

= البرزخ شيء وتنعمها مع الأبدان يوم القيامة بها شيء آخر، فغذاء الروح من الجنة في البرزخ دون غذائها مع بدنها يوم البعث، ولهذا قال: «تعلق في شجر الجنة»، أي: تأكل العلقة وقام الأكل والشرب واللبس والتمتع، فإنما يكون إذا ردت إلى أجسادها يوم القيامة، فظهر أنه لا يعارض هذا القول من السنن شيء، وإنما تعاضده السنة وتوافقه. وأما قول من قال: إن حديث كعب في الشهداء دون غيرهم فتخصيص ليس في اللفظ ما يدل عليه، وهو حمل اللفظ العام على أقل مسمياته، فإن الشهداء بالنسبة إلى عموم المؤمنين قليل جدًا، والنبي ﷺ علق هذا الجزاء بوصف الإيمان، فهو المقتضي له، ولم يعلقه بوصف الشهادة، ألا ترى أن الحكم الذي اختص بالشهداء علق بوصف الشهادة، كقوله في حديث المقدام بن معد يكرب «للشهيد عند الله ست خصال، يغفر له في أول دفقة من دمه، ويرى مقعده من الجنة، ويحلى حلة الإيمان ويزوج من الحور العين، ويجار من عذاب القبر، ويأمن من الفزع الأكبر، ويوضع على رأسه تاج الوقار الياقوتة منه خير من الدنيا وما فيها، ويزوج اثنتين وسبعين من الحور العين، ويشفع في سبعين إنسانًا من أقاربه»، فلما كان هذا يختص بالشهيد قال: «إن للشهيد»، ولم يقل: «إن للمؤمن»، وكذلك قوله في حديث قيس الجذامي: «يعطى الشهيد ست خصال...»، وكذلك سائر الأحاديث والنصوص التي علق فيها الجزاء بالشهادة، وأما ما علق فيه الجزاء بالإيمان، فإنه يتناول كل مؤمن شهيدا كان أو غير شهيد، وأما النصوص والآثار التي ذكر في رزق الشهداء، وكون أرواحهم في الجنة؛ فكلها حق، وهي لا تدل على انتفاء دخول أرواح المؤمنين الجنة ولاسيما الصديقين الذين هم أفضل من الشهداء بلا نزاع بين الناس؛ فيقال لهؤلاء: ما تقولون في أرواح الصديقين، هل هي في الجنة أم لا ؟ فإن قالوا: إنها في الجنة، ولا يسوغ لهم غير هذا القول، فثبت أن هذه النصوص لا تدل على اختصاص أرواح الشهداء بذلك، وإن قالوا: ليست في الجنة، لزمهم من ذلك أن تكون أرواح سادات الصحابة كأبي بكر الصديق، وأبي بن كعب، وعبدالله بن مسعود، وأبي الدرداء، وحذيفة بن اليمان، وأشباههم ﷺ ليست في الجنة وأرواح شهداء زماننا في الجنة، وهذا معلوم البطلان ضرورة، فإن قيل: إن كان هذا حكم يختص بالشهداء، فما الموجب لتخصيصهم بالذكر في هذه النصوص ؟ قلت: التنبيه على فضل الشهادة وعلو درجتها، وأن هذا مضمون لأهلها ولا بد وأن لهم منها أوفر نصيب فتصيبهم من هذا النعيم في البرزخ أكمل من نصيب غيرهم من الأموات على فراشهم، وإن كان الميت على فراشه أعلى درجة منهم فله نعيم يختص به لا يشاركه فيه من هو دونه، ويدل على هذا أن الله سبحانه جعل أرواح الشهداء في أجواف طير خضر، فإنهم لما بذلوا أنفسهم لله حتى أتلفها أعداؤه فيه، أعاضهم منها في البرزخ أبدانًا خيرًا منها تكون فيها إلى يوم القيامة، ويكون نعيمها بواسطة تلك الأبدان أكمل من نعيم الأرواح المجردة عنها؛ ولهذا كانت نسمة المؤمن في صورة طير أو كطير ونسمة الشهيد في جوف طير، وتأمل لفظ الحديثين فانه قال: «نسمة المؤمن طير» فهذا يعم الشهيد وغيره، ثم خص للشهيد بأن قال: «هي في جوف طير»، ومعلوم أنها إذا كانت في جوف طير صدق عليها أنها طير؛ فصلوات الله وسلامه على من يصدق كلامه بعضه بعضًا، ويدل على أنه حق من عند الله، وهذا الجمع أحسن من جمع أبي عمر وترجيحه رواية من روى أرواحهم كطير خضر، بل الروايتان حق =

. . . .

= وصواب، فهي كطير خضر، وفي أجواف طير خضر.
وأما قول مجاهد: ليس هي في الجنة، ولكن يأكلون من ثمارها ويجدون ريحها، فقد يحتج لهذا القول بما رواه الإمام أحمد في مسنده من حديث ابن اسحق عن عاصم بن عمر عن محمود بن لبيد عن ابن عباس قال: قال رسول ﷺ: «الشهداء على بارق نهر بباب الجنة في قبة خضراء، يخرج عليهم رزقهم من الجنة بكرة وعشية» وهذا لا ينافي كونهم في الجنة؛ فإن ذلك النهر من الجنة ورزقهم يخرج عليهم من الجنة، فهم في الجنة وإن لم يصيروا إلى مقاعدهم منها، فمجاهد نفي الدخول الكامل من كل وجه، والتعبير يقصر عن الإحاطة بتمييز هذا، وأكمل العبارة وأدلها على المراد عبارة رسول الله ﷺ ثم عبارة أصحابه، وكلما علوت رأيت الشفاء والهدى والنور، وكلما نزلت رأيت الحيرة والدعاوى والقول بلا علم.
قال أبو عبدالله بن منده: وروى موسى بن عبيدة عن عبدالله بن يزيد عن أم كبشة بنت المعرور قالت: «دخل علينا رسول الله ﷺ فسألناه عن هذه الأرواح فوصفها صفة أبكى أهل البيت»، فقال: «إن أرواح المؤمنين في حواصل الطير خضر ترعى في الجنة، وتأكل من ثمارها، وتشرب من مائها، وتأوي إلى قناديل من ذهب تحت العرش يقولون: ربنا ألحق بنا إخواننا وآتنا ما وعدتنا، وإن أرواح الكفار في حواصل طير سود تأكل من النار، وتشرب من النار، وتأوي إلى جحر في النار، يقولون: ربنا لا تلحق بنا إخواننا ولا تؤتنا ما وعدتنا» . وقال الطبراني: حدثنا أبو زرعة الدمشقي، حدثنا عبدالله بن صالح، حدثني معاوية بن صالح عن ضمرة بن حبيب قال: «سئل النبي ﷺ عن أرواح المؤمنين؛ فقال: في طير خضر تسرح في الجنة حيث شاءت، قالوا: يا رسول الله، وأرواح الكفار؟ قال: محبوسة في سجين» رواه أبو الشيخ عن هشام بن يونس، عن عبد لله بن صالح، ورواه أبو المغيرة، عن أبي بكر ابن أبي مريم، عن ضمرة بن حبيب، وذكر أبو عبدالله بن منده عن الثورى عن ثور بن يزيد عن خالد بن معدان عن عبدالله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ: «أرواح المؤمنين في طير خضر كالزرازير، تأكل من ثمر الجنة» ورواه غيره موقوفًا، وذكر يزيد الرقاشي عن أنس وأبو عبدالله الشامي عن تميم الداري عن النبي ﷺ: «إذا عرج ملك الموت بروح المؤمن إلى السماء استقبله جبرائيل في سبعين ألفًا من الملائكة كل منهم يأتيه ببشارة من السماء سوى بشارة صاحبه، فإذا انتهي به إلى العرش خر ساجدًا، فيقول الله - ﷻ - لملك الموت: انطلق بروح عبدى فضعه في سدر مخضود وطلح منضود وظل ممدود وماء مسكوب» رواه بكر بن خنيس عن ضرار بن عمرو عن يزيد وأبي عبدالله.
وأما قول من قال: الأرواح على أفنية قبورها، فان أراد أن هذا أمر لازم لها لا تفارق أفنية القبور أبدًا، فهذا خطأ ترده نصوص الكتاب والسنة من وجوه كثيرة قد ذكرنا بعضها، وسنذكر منها ما لم نذكره إن شاء الله وإن أراد أنها تكون على أفنية القبور وقتًا أولها إشراف على قبورها وهي في مقرها فهذا حق، ولكن لا يقال مستقرها أفنية القبور وقد ذهب إلى هذا المذهب جماعة منهم أبو عمر بن عبدالبر قال في كتابه في شرح حديث ابن عمر «إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي»: وقد استدل به من ذهب إلى أن الأرواح على أفنية القبور، وهو أصح ما ذهب إليه في ذلك =

....

= من طريق الأثر ألا ترى أن الأحاديث الدالة على ذلك ثابتة متواترة، وكذلك أحاديث السلام على القبور، قلت: يريد الأحاديث المتواترة مثل حديث ابن عمر هذا، ومثل حديث البراء بن عازب الذي تقدم وفيه: «هذا مقعدك حتى يبعثك الله يوم القيامة»، ومثل حديث أنس: «أن العبد إذا وضع في قبره وتولى عنه أصحابه إنه ليسمع قرع نعالهم»، وفيه: «أنه يرى مقعده من الجنة والنار، وأنه يفسح للمؤمن في قبره سبعين ذراعًا، ويضيق على الكافر»، ومثل حديث جابر: «إن هذه الأمة تبلى في قبورها، فإذا دخل المؤمن قبره وتولى عنه أصحابه أتاه ملك» الحديث. «وأنه يرى مقعده من الجنة»؛ فيقول: «دعوني أبشر أهلي»؛ فيقال له: «أسكن فهذا مقعدك أبدًا»، ومثل سائر أحاديث عذاب القبر ونعيمه التي تقدمت، ومثل أحاديث السلام على أهل القبور وخطابهم ومعرفتهم بزيارة الأحياء لهم، وقد تقدم ذكر ذلك كله.

قلت: هذا القول ترده السنة الصحيحة والآثار التي لا مدفع لها، وقد تقدم ذكرها وكل ما ذكره من الأدلة فهو يتناول الأرواح التي هي في الجنة بالنص وفي الرفيق الأعلى، وقد بينا أن عرض مقعد الميت عليه من الجنة والنار لا يدل على أن الروح في القبر ولا على فنائه دائمًا من جميع الوجوه بل لها إشراف واتصال بالقبر وفنائه، وذلك القدر منها يعرض عليه مقعده، فإن للروح شأنًا آخر، تكون في الرفيق الأعلى في أعلى عليين ولها اتصال بالبدن بحيث إذا سلم المسلم على الميت رد الله عليه روحه فيرد عليه السلام وهي في الملأ الأعلى، وإنما يغلط أكثر الناس في هذا الموضع حيث يعتقد أن الروح من جنس ما يعهد من الأجسام التي إذا شغلت مكانًا لم يمكن أن تكون في غيره، وهذا غلط محض بل الروح تكون فوق السماوات في أعلى عليين، وترد إلى القبر فترد السلام، وتعلم بالمسلم وهي في مكانها هناك، وروح رسول الله ﷺ في الرفيق الأعلى دائمًا، ويردها الله سبحانه إلى القبر فترد السلام على من سلم عليه وتسمع كلامه، وقد رأى رسول الله ﷺ موسى قائمًا يصلي في قبره، ورآه في السماء السادسة والسابعة، فإما أن تكون سريعة الحركة والانتقال كلمح البصر، وإما أن يكون المتصل منها بالقبر وفنائه بمنزلة شعاع الشمس وجرمها في السماء، وقد ثبت أن روح النائم تصعد حتى تخترق السبع الطباق، وتسجد لله بين يدي العرش ثم ترد إلى جسده في أيسر زمان، وكذلك روح الميت تصعد بها الملائكة حتى تجاوز السماوات السبع وتقف بين يدي الله فتسجد له ويقضى فيها قضاءه، ويريها الملك ما أعد الله لها في الجنة، ثم تهبط فتشهد غسله وحمله ودفنه وقد تقدم في حديث البراء بن عازب: «أن النفس يصعد بها حتى توقف بين يدي الله، فيقول تعالى: اكتبوا كتاب عبدي في عليين ثم أعيدوه إلى الأرض، فيعاد إلى القبر»، وذلك في مقدار تجهيزه وتكفينه، فقد صرح به في حديث ابن عباس حيث قال: «فيهبطون على قدر فراغه من غسله وأكفانه، فيدخلون ذلك الروح بين جسده وأكفانه»، وقد ذكر أبو عبدالله ابن منده من حديث عيسى بن عبدالرحمن، حدثنا ابن شهاب، حدثنا عامر بن سعد عن إسماعيل بن طلحة بن عبيد الله عن أبيه قال: «أردت مالي بالغابة، فأدركني الليل، فأويت إلى قبر عبدالله بن عمر بن حرام، فسمعت قراءة من القبر ما سمعت أحسن منها، فجئت إلى رسول الله ﷺ، فذكرت ذلك له، فقال: ذلك عبدالله، ألم تعلم أن الله قبض أرواحهم فجعلها في قناديل من زبرجد وياقوت ثم علقها وسط الجنة، فإذا كان الليل ردت =

. . . .

= إليهم أرواحهم، فلا يزال كذلك حتى إذا طلع الفجر ردت أرواحهم إلى مكانهم الذي كانت به»، ففي هذا الحديث بيان سرعة انتقال أرواحهم من العرش إلى الثرى، ثم انتقالها من الثرى إلى مكانها؛ ولهذا قال مالك وغيره من الأئمة: إن الروح مرسلة تذهب حيث شاءت، وما يراه الناس من أرواح الموتى ومجيئهم إليهم من المكان البعيد أمر يعلمه عامة الناس ولا يشكون فيه والله أعلم.
وأما السلام على أهل القبور وخطابهم؛ فلا يدل على أن أرواحهم ليست في الجنة وأنها على أفنية القبور؛ فهذا سيد ولد آدم الذي روحه في أعلى عليين مع الرفيق الأعلى عند قبره ويرد سلام المسلم عليه، وقد وافق أبو عمر رَحِمَهُ اللَّهُ على أن أرواح الشهداء في الجنة ويسلم عليهم عند قبورهم كما يسلم على غيرهم كما علمنا النبي أن نسلم عليهم وكما كان الصحابة يسلمون على شهداء أحد، وقد ثبت أن أرواحهم في الجنة تسرح حيث شاءت كما تقدم، ولا يضيق عقلك عن كون الروح في الملأ الأعلى تسرح في الجنة حيث شاءت وتسمع سلام المسلم عليها عند قبرها وتدنو حتى ترد عليه السلام، وللروح شأن آخر غير شأن البدن، وهذا جبريل ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ رآه النبي وله ستمائة جناح منها جناحان قد سد بهما ما بين المشرق والمغرب، وكان من النبي ﷺ حتى يضع ركبتيه بين ركبتيه ويديه على فخذيه، وما أظنك يتسع بظنك أنه كان حينئذ في الملأ الأعلى فوق السماوات حيث هو مستقره وقد دنا من النبي هذا الدنو، فإن التصديق بهذا له قلوب خلقت له، وأهلت لمعرفته، ومن لم يتسع باطنه لهذا فهو أضيق أن يتسع للإيمان بالنزول الإلهي إلى سماء الدنيا كل ليلة، وهو فوق سماواته على عرشه لا يكون فوقه شيء البتة، بل هو العالي على كل شيء، وعلوه من لوازم ذاته، وكذلك دنوه عشية عرفة من أهل الموقف، وكذلك مجيئه يوم القيامة لمحاسبة خلقه وإشراق الأرض بنوره، وكذلك مجيئه إلى الأرض حين دحاها وسواها ومدها وبسطها وهيأها لما يراد منها، وكذلك مجيئه يوم القيامة، حين يقبض من عليها ولا يبقى بها أحد كما قال النبي ﷺ: «فأصبح ربك يطوف في الأرض، وقد خلت عليه البلاد»، هذا وهو فوق سماواته على عرشه.
ومما ينبغي أن يعلم أن ما ذكرنا من شأن الروح يختلف بحسب حال الأرواح من القوة والضعف والكبر والصغر؛ فللروح العظيمة الكبيرة من ذلك ما ليس لمن هو دونها، وأنت ترى أحكام الأرواح في الدنيا كيف تتفاوت أعظم تفاوت بحسب تفارق الأرواح في كيفياتها، وقواها وإبطائها وإسراعها والمعاونة لها؛ فللروح المطلقة من أسر البدن وعلائقه وعوائقه من التصرف والقوة والنفاذ والهمة وسرعة الصعود إلى الله والتعلق بالله ما ليس للروح المهينة المحبوسة في علائق البدن وعوائقه؛ فإذا كان هذا وهي محبوسة في بدنها فكيف إذا تجردت وفارقته واجتمعت فيها قواها وكانت في أصل شأنها روحا علية زكيه كبيرة ذات همة عالية، فهذه لها بعد مفارقة البدن شأن آخر وفعل آخر؛ وقد تواترت الرؤيا في أصناف بني آدم على فعل الأرواح بعد موتها ما لا تقدر على مثله حال اتصالها بالبدن من هزيمة الجيوش الكثيرة بالواحد والاثنين والعدد القليل ونحو ذلك، وكم قد رؤي النبي ﷺ ومعه أبو بكر وعمر في النوم قد هزمت أرواحهم عساكر الكفر والظلم، فإذا بجيوشهم مغلوبة مكسورة مع كثرة عِددهم وعَدَدهم وضعف المؤمنين وقلتهم، ومن العجب أن أرواح المؤمنين المتحابين المتعارفين تتلاقى وبينها أعظم مسافة وأبعدها، فتتآلم وتتعارف فيعرف بعضها بعضا كأنه =

= جليسه وعشيره، فإذا رآه طابق ذلك ما كان عرفته روحه قبل رؤيته، قال عبدالله بن عمرو: «إن أرواح المؤمنين تتلاقى على مسيرة يوم، وما رأى أحدهما صاحبه قط»، ورفعه بعضهم إلى النبي ﷺ وقال عكرمة، ومجاهد: «إذا نام الإنسان فإن له سببًا يجرى فيه الروح، وأصله في الجسد، فتبلغ حيث شاء الله ما دام ذاهبًا، فالإنسان نائم، فإذا رجع إلى البدن انتبه الإنسان، وكان بمنزلة شعاع الشمس الذي هو ساقط بالأرض فأصله متصل بالشمس»، وقد ذكر أبو عبدالله بن منده عن بعض أهل العلم أنه قال: إن الروح يمتد من منخر الإنسان، ومركبه وأصله في بدنه، فلو خرج الروح بالكلية لمات كما أن السراج لو فرق بينه وبين الفتيلة لانطفأ، ألا ترى أن مركب النار في الفتيلة وضوؤها وشعاعها يملأ البيت، فكذلك الروح تمتد من منخر الإنسان في منامه حتى تأتي السماء وتجول في البلدان وتلتقي مع أرواح الموتى، فإذا أراه الملك الموكل بأرواح العباد ما أحب أن يريه، وكان المرئي في اليقظة عاقلًا ذكيًا صدوقًا لا يلتفت في يقظته إلى شيء من الباطل رجع إليه روحه فأدى إلى قلبه الصدق مما أراه الله ﷻ على حسب خلقه، وإن كان خفيفا نزقا يحب الباطل والنظر إليه، فإذا نام وأراه الله أمرًا من خير أو شر رجعت روحه إليه فحيث ما رأى شيئًا من مخاريق الشيطان أو الباطل وقفت روحه عليه كما تقف في يقظته فكذلك لا يؤدى إلى قلبه، فلا يعقل ما رأى لأنه خلط الحق بالباطل، فلا يمكن معبر أن يعبر له وقد خلط الحق بالباطل، وهذا من أحسن الكلام، وهو دليل على معرفة قائله وبصيرته بالأرواح وأحكامها= =وأنت ترى الرجل يسمع العلم والحكمة وما هو أنفع شيء له، ثم يمر بباطل ولهو من غناء أو شبهة أو زور أو غيره فيصغي إليه ويفتح له قلبه حتى يتأدى إليه فيتخبط عليه ذلك الذي سمعه من العلم والحكمة، ويلتبس عليه الحق بالباطل، فهكذا شأن الأرواح عند النوم، وأما بعد المفارقة؛ فإنها تعذب بتلك الاعتقادات والشبه الباطلة التي كانت حظها حال اتصالها بالبدن، وينضاف إلى ذلك عذابها بتلك الإرادات والشهوات التي حيل بينها وبينها، وينضاف إلى ذلك عذاب آخر ينشئه الله لها ولبدنها من الأعمال التي اشتركت معه فيها، وهذه هي المعيشة الضنك في البرزخ والزاد الذي تزود به إليه والروح الزكيه العلوية المحقة التي لا تحب الباطل ولا تألفه بضد ذلك كله تنعم بتلك الاعتقادات الصحيحة والعلوم والمعارف التي تلقتها من مشكاة النبوة، وتلك الإرادات والهمم الزكية، وينشيء الله سبحانه لها من أعمالها نعيمًا ينعمها به في البرزخ فتصير لها روضة من رياض الجنة، ولتلك حفرة من حفر النار.

وأما قول من قال: أرواح المؤمنين عند الله تعالى ولم يزد على ذلك، فإنه تأدب مع لفظ القرآن حيث يقول الله ﷻ:

﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾﴾ [آل عمران: ١٦٩]

وقد احتج أرباب هذا القول بحجج منها ما رواه محمد بن إسحاق الصغاني، حدثنا يحيى بن أبي بكير، حدثنا محمد بن عبدالرحمن بن أبي ذئب، عن محمد بن عمرو بن عطاء، عن سعيد بن يسار، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «إن الميت تحضره الملائكة، فإذا كان الرجل الصالح،قالوا: اخرجي أيتها النفس الطيبة كانت في الجسد الطيب اخرجي حميدة، وأبشري بروح وريحان ورب غير غضبان، قال: فلا يزال يقال ذلك حتى تخرج ثم يعرج بها إلى السماء، فيستفتح لها، فيقال: من =

....

= هذا؟ فيقال: فلان، فيقولون: مرحبًا بالنفس الطيبة كانت في الجسد الطيب، ادخلي حميدة وأبشري بروح وريحان ورب غير غضبان، قال: فلا يزال يقال لها حتى ينتهي بها إلى السماء التي فيها ﷺ، وإذا كان الرجل السوء قالوا: اخرجي أيتها النفس الخبيثة، كانت في الجسد الخبيث اخرجي ذميمة، وأبشري بحميم وغساق، وآخر من شكله أزواج، فلا يزال حتى يخرج ثم يعرج بها إلى السماء، فيستفتح لها، فيقال: من هذا؟ فيقال: فلان، فيقال: لا مرحبًا بالنفس الخبيثة، كانت في الجسد الخبيث ارجعي ذميمة، فإنه لا يفتح لك أبواب السماء، فترسل من السماء ثم تصير إلى القبر، فيجلس الرجل الصالح، فيقال له مثل ما قيل له في الحديث الأول ويجلس الرجل السوء، فيقال له مثل ما قيل في الحديث الأول»، وهذا إسناد لا تسأل عن صحته، وهو في مسند أحمد وغيره. وقال أبو داود الطيالسي: حدثنا حماد بن سلمة عن عاصم بن بهدلة عن أبي وائل عن أبي موسى الأشعري قال: «تخرج روح المؤمن أطيب من ريح المسك، فتنطلق بها الملائكة من دون السماء، فيقولون: ما هذا؟ فيقولون: هذا فلان بن فلان كان يعمل كيت وكيت لمحاسن عمله، فيقولون: مرحبًا بكم وبه، فيقبضونها منهم فيصعد بها من الباب الذي كان يصعد منه عمله، فتشرق في السماوات ولها برهان كبرهان الشمس، حتى ينتهي إلى العرش، وأما الكافر، فإذا قبض انطلق بروحه، فيقولون: ما هذا؟ فيقولون: هذا فلان بن فلان كان يعمل كيت وكيت لمساوئ عمله، فيقولون: لا مرحبًا لا مرحبًا ردوه فيرد إلى أسفل الأرض إلى الثرى»، وقال الملكي بن إبراهيم عن داود بن يزيد الأودي قال أراه عن عامر الشعبي عن حذيفة بن اليمان، أنه قال: «الأرواح موقوفة عند الرحمن ﷻ تنتظر موعده حتى ينفخ فيها»، وذكر سفيان بن عيينة، عن منصور بن صفية، عن أمه: أنه دخل ابن عمر المسجد بعد قتل ابن الزبير، وهو مصلوب، فأتى أسماء يعزيها؛ فقال لها: عليك بتقوى الله والصبر؛ فإن هذه الجثث ليست بشيء وإنما الأرواح عند الله؛ فقالت: «وما يمنعني من الصبر وقد أهدي رأس يحيى بن زكريا إلى بغي من بغايا بني إسرائيل»، وذكر جرير عن الأعمش عن شمر بن عطية عن هلال بن إيساف قال: كنا جلوسًا إلى كعب والربيع بن خيثم وخالد بن عرعرة في أناس، فجاء ابن عباس، فقال: هذا ابن عم نبيكم، قال: فأوسع له فجلس، فقال: يا كعب، كل ما في القرآن قد عرفت غير أربعة أشياء، فأخبرني عنهن: ما سجين؟، وما عليون؟، وما سدرة المنتهي؟، وما قول الله لإدريس ورفعناه مكانًا عليًا؟ قال: أما عليون، فالسماء السابعة، فيها أرواح المؤمنين، وأما سجين فالأرض السابعة السفلى، وأرواح الكفار تحت جسد إبليس، وأما قول الله سبحانه لإدريس ورفعناه مكانًا عليًا، فأوحى الله إليه أني رافع لك كل يوم مثل أعمال بني آدم، وكلم صديقًا له من الملائكة أن يكلم له ملك الموت، فيؤخره حتى يزداد عملًا فحمله بين جناحيه، فعرج به حتى إذا كان في السماء الرابعة لقيه ملك الموت، فكلمه في حاجته، فقال: وأين هو؟ قال: هو ذا بين جناحي. قال: فالعجب أني أمرت أن أقبض روحه في السماء الرابعة، فقبض روحه. وأما سدرة المنتهي، فإنها سدرة على رؤوس حملة العرش ينتهي إليها علم الخلائق، ثم ليس لأحد وراءها علم؛ فلذلك سميت سدرة المنتهي. قال ابن منده: ورواه وهب بن جرير عن أبيه، ورواه يعقوب القمي عن شمر ورواه خالد بن عبدالله عن العوام بن حوشب عن القاسم بن عوف عن الربيع بن خيثم قال: «كنا جلوسًا عند كعب، فذكره» . =

= وذكر يعلى بن عبيد عن الأجلح عن الضحاك قال: «إذا قبض روح العبدالمؤمن عرج به إلى السماء الدنيا، فينطلق معه المقربون إلى السماء الثانية ثم الثالثة ثم الرابعة ثم الخامسة ثم السادسة ثم السابعة، حتى ينتهي به إلى سدرة المنتهي، قلت للضحاك: لم سميت سدرة المنتهي ؟..........وهذا القول لا ينافي قول من قال هم في الجنة، فإن الجنة عند سدرة المنتهي والجنة عند الله، وكأن قائله رأى أن هذه العبارة أسلم وأوفق وقد أخبر الله سبحانه أن أرواح الشهداء عنده وأخبر النبي ﷺ أنها تسرح في الجنة حيث شاءت» .

وأما قول من قال: إن أرواح المؤمنين بالجابية وأرواح الكفار بحضرموت ببرهوت، فقال أبو محمد بن حزم: هذا من قول الرافضة، وليس كما قال، بل قد قاله جماعة من أهل السنة، وقال أبو عبدالله بن منده: وروي عن جماعة من الصحابة والتابعين أن أرواح المؤمنين بالجابية، ثم قال أخبرنا محمد بن محمد بن يونس حدثنا أحمد بن عاصم حدثنا أبو داود سليمان بن داود حدثنا همام حدثني قتادة حدثني رجل عن سعيد بن المسيب عن عبدالله بن عمرو أنه قال: إن أرواح المؤمنين تجتمع بالجابية، وإن أرواح الكفار تجتمع في سبخة بحضرموت، يقال لها: برهوت. ثم ساق من طريق حماد بن سلمة عن عبدالجليل بن عطية عن شهر بن حوشب أن كعبًا رأى عبدالله بن عمرو وقد تكالب الناس عليه يسألونه، فقال لرجل سله: أين أرواح المؤمنين، وأرواح الكفار، فسأله؟ فقال: أرواح المؤمنين بالجابية وأرواح الكفار ببرهوت. قال ابن منده: ورواه أبو داود= =وغيره عن عبدالجليل، ثم ساق من حديث سفيان عن فرات القزاز عن أبي الطفيل عن علي قال: خير بئر في الأرض زمزم وشر بئر في الأرض برهوت في حضرموت وخير واد في الأرض وادي مكة والوادي الذي أهبط فيه آدم بالهند منه طيبكم، وشر واد في الأرض الأحقاف، وهو في حضرموت ترده أرواح الكفار. قال ابن منده: وروى حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن يوسف بن مهران عن ابن عباس عن علي: أبغض بقعة في الأرض واد بحضرموت، يقال له: برهوت فيه أرواح الكفار وفيه بئر ماؤها بالنهار أسود كأنه قيح تأوي إليه الهوام. ثم ساق من طريق إسماعيل بن إسحاق القاضي حدثنا علي بن عبدالله حدثنا سفيان حدثنا إبان بن تغلب قال: قال رجل: بت فيه يعني: وادي برهوت؛ فكأنما حشرت فيه أصوات الناس، وهم يقولون: يا دومه يا دومه، قال إبان: فحدثنا رجل من أهل الكتاب أن دومة هو الملك الذي على أرواح الكفار، وقال سفيان وسألنا الحضرميين، فقالوا: لا يستطيع أحد أن يبيت فيه بالليل، فهذا جملة ما علمته في هذا القول، فإن أراد عبدالله بن عمرو بالجابية التمثيل والتشبيه وأنها تجمع في مكان فسيح يشبه الجابية لسعته وطيب هوائه، فهذا قريب وإن أراد نفس الجابية دون سائر الأرض؛ فهذا لا يعلم إلا بالتوقيف، ولعله مما تلقاه عن بعض أهل الكتاب.

وأما قول من قال: إنها تجتمع في الأرض التي قال الله فيها: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴿١٠٥﴾﴾ [الأنبياء: ١٠٥] فهذا إن كان قاله في تفسير الآية فليس هو تفسيرًا لها، وقد اختلف الناس في الأرض المذكورة هنا، فقال سعيد بن جبير عن ابن عباس: هي أرض الجنة. وهذا قول أكثر المفسرين، وعن ابن عباس قول آخر أنها الدنيا التي فتحها الله على أمة محمد، وهذا القول هو الصحيح، ونظيره قوله تعالى في سورة النور: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا =

. . . .

= مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ [سورة النور: ٥٥]، وفي الصحيح عن النبي ﷺ قال: «زويت لي الأرض مشارقها ومغاربها، وسيبلغ ملك أمتي ما زوى لي منها»، وقالت طائفة من المفسرين المراد بذلك أرض بيت المقدس، وهي من الأرض التي أورثها الله عباده الصالحين، وليست الآية مختصة بها.

وأما قول من قال: إن أرواح المؤمنين في عليين في السماء السابعة، وأرواح الكفار في سجين في الأرض السابعة فهذا قول قد قاله جماعة من السلف والخلف، ويدل عليه قول النبي ﷺ: «اللهم الرفيق الأعلى»، وقد تقدم حديث أبي هريرة: «إن الميت إذا خرجت روحه عرج بها إلى السماء حتى ينتهي بها إلى السماء السابعة التي فيها الله ﷻ» وتقدم قول أبي موسى: إنها تصعد حتى تنتهي إلى العرش، وقول حذيفة: إنها موقوفة عند الرحمن، وقول عبدالله ابن عمر: إن هذه الأرواح عند الله، وتقدم قول النبي: إن أرواح الشهداء تأوي إلى قناديل تحت العرش، وتقدم حديث البراء بن عازب: إنها تصعد من سماء إلى سماء ويشيعها من كل سماء مقربوها حتى ينتهي بها إلى السماء السابعة، وفي لفظ إلى السماء التي فيها الله ﷻ، ولكن هذا لا يدل على استقرارها هناك بل يصعد بها إلى هناك للعرض على ربها، فيقضى فيها أمره، ويكتب كتابه من أهل عليين أو من أهل سجين، ثم تعود إلى القبر للمسألة، ثم ترجع إلى مقرها التي أودعت فيه، فأرواح المؤمنين في عليين بحسب منازلهم، وأرواح الكفار في سجين بحسب منازلهم.

وأما قول من قال: إن أرواح المؤمنين تجتمع ببئر زمزم، فلا دليل على هذا القول من كتاب ولا سنة يجب التسليم لها ولا قول صاحب يوثق به، وليس بصحيح، فإن تلك البئر لا تسع أرواح المؤمنين جميعهم، وهو مخالف لما ثبتت به السنة الصريحة من أن نسمة المؤمن طائر يعلق في شجر الجنة. وبالجملة فهذا من أبطل الأقوال وأفسدها، وهو أفسد من قول من قال: إنها بالجابية؛ فإن ذلك مكان متسع فضاء بخلاف البئر الضيقة.

وأما قول من قال: إن أرواح المؤمنين في برزخ من الأرض تذهب حيث شاءت، فهذا مروى عن سلمان الفارسي، والبرزخ: هو الحاجز بين شيئين، وكأن سلمان أراد بها في أرض بين الدنيا والآخرة مرسلة هناك تذهب حيث شاءت وهذا قول قوى؛ فإنها قد فارقت الدنيا، ولم تلج الآخرة، بل هي في برزخ بينهما، فأرواح المؤمنين في برزخ واسع فيه الروح والريحان والنعيم، وأرواح الكفار في برزخ ضيق فيه الغم والعذاب، قال تعالى: ﴿وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [سورة المؤمنون: ١٠٠] فالبرزخ هنا ما بين الدنيا والآخرة، وأصله الحاجز بين الشيئين.

وأما قول من قال: إن أرواح المؤمنين عن يمين آدم وأرواح الكفار عن يساره، فلعمر الله لقد قال قولًا يؤيده الحديث الصحيح، وهو حديث الإسراء، فان النبي رآهم كذلك، ولكن لا يدل على تعادلهم في اليمين والشمال، بل يكون هؤلاء عن يمينه في العلو والسعة، وهؤلاء عن يساره في السفل والسجن، وقد قال أبو محمد بن حزم: إن ذلك البرزخ الذي رآه فيه رسول الله ﷺ ليلة أسرى به عند سماء الدنيا، قال: وذلك عند منقطع العناصر، قال: وهذا يدل على أنها عنده تحت السماء حيث تنقطع العناصر، وهي الماء والتراب والنار والهواء، وهو دائمًا يشنع على من قال قولا لا دليل عليه، =

....

= فأي دليل له على هذا القول من كتاب وسنة ؟! وسيأتي إشباع الكلام على قوله إذا انتهينا إليه إن شاء الله تعالى، فإن قيل: فإذا كانت أرواح أهل السعادة عن يمين آدم، وآدم في السماء الدنيا، وقد ثبت أن أرواح الشهداء في ظل العرش، والعرش فوق السماء السابعة، فكيف تكون عن يمينه، وكيف يراها النبي هناك في السماء الدنيا ؟! فالجواب من وجوه: أحدها: أنه لا يمتنع كونها عن يمينه في جهة العلو كما كانت أرواح الأشقياء عن يساره في جهة السفل. الثاني: أنه غير ممتنع أن تعرض على النبي ﷺ في سماء الدنيا وإن كان مستقرها فوق ذلك. الثالث: أنه لم يخبر أنه رأى أرواح السعداء جميعًا هناك، بل قال: فإذا عن يمينه أسودة وعن يساره أسودة، ومعلوم قطعًا أن روح إبراهيم وموسى فوق ذلك في السماء السادسة والسابعة، وكذلك الرفيق الأعلى أرواحهم فوق ذلك، وأرواح السعداء بعضها أعلى من بعض بحسب منازلهم كما أن أرواح الأشقياء بعضها أسفل من بعض بحسب منازلهم والله أعلم.

وأما قول أبي محمد بن حزم: إن مستقرها حيث كانت قبل خلق أجسادها، فهذا بناء منه على مذهبه الذي اختاره وهو أن الأرواح مخلوقة قبل الأجساد، وهذا فيه قولان للناس وجمهورهم على أن الأرواح خلقت بعد الأجساد، والذين قالوا أنها خلقت قبل الأجساد ليس معهم على ذلك دليل من كتاب ولا سنة ولا إجماع إلا ما فهموه من نصوص لا تدل على ذلك أو أحاديث لا= =تصح، كما احتج به أبو محمد بن حزم من قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ شَهِدْنَآ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾﴾[الأعراف: ١٧٢]، وبقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَآئِكَةِ اسْجُدُواْ لآدَمَ فَسَجَدُواْ إِلاَّ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ﴾ [الأعراف: ١١] قال: فصح أن الله خلق الأرواح جملة، وهي الأنفس، وكذلك أخبر عليه السلام: «أن الأرواح جنود مجندة، فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف» . قال: وأخذ ﷻ عهدها وشهادتها وهي مخلوقة مصورة عاقلة قبل أن يأمر الملائكة بالسجود لآدم وقبل أن يدخلها في الأجساد والأجساد يومئذ تراب، وقال: لأن الله تعالى ذكر ذلك بلفظة «ثم» التي توجب التعقيب والمهلة ثم أقرها سبحانه وتعالى حيث شاء، وهو البرزخ الذي ترجع إليه عند الموت، وسنذكر ما في هذا الاستدلال عند جواب سؤال السائل عن الأرواح هي مخلوقة مع الأبدان أم قبلها إذ الغرض هنا الكلام على مستقر الأرواح بعد الموت، وقوله: إنها تستقر في البرزخ الذي كانت فيه قبل خلق الأجساد. مبني على هذا الاعتقاد الذي اعتقده، وقوله: «إن أرواح السعداء عن يمين آدم، وأرواح الكفار الأشقياء عن يساره»، حق كما أخبر به النبي ﷺ، وقوله: «إن ذلك عند منقطع العناصر»، لا دليل عليه من كتاب ولا سنة ولا يشبه أقوال أهل الإسلام، والأحاديث الصحيحة تدل على أن الأرواح فوق العناصر في الجنة عند الله، وأدلة القرآن تدل على ذلك، وقد وافق أبو محمد على أن أرواح الشهداء في الجنة، ومعلوم أن الصديقين أفضل منهم، فكيف تكون روح أبي بكر الصديق، وعبدالله بن مسعود، وأبي الدرداء، وحذيفة بن اليمان، وأشباههم ﷺ عند منقطع العناصر، وذلك تحت هذا الفلك الأدنى وتحت السماء الدنيا، وتكون أرواح شهداء زماننا وغيرهم فوق العناصر وفوق السماوات ؟!

=

....

= وأما قوله: قد ذكر محمد بن نصر المروزي عن إسحاق بن راهويه أنه ذكر هذا الذي قلنا بعينه، وقال: وعلى هذا جميع أهل العلم، وهو قول جميع أهل الإسلام.

قلت: محمد بن نصر المروزى ذكر في كتاب الرد على ابن قتيبة في تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَىٰ شَهِدْنَآ أَن تَقُولُواْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾﴾[الأعراف: ١٧٢] الآثار التي ذكرها السلف من استخراج ذرية آدم من صلبه ثم أخذ الميثاق عليهم وردهم في صلبه، وأنه أخرجهم مثل الذر، وأنه سبحانه قسمهم إذ ذاك إلى شقي وسعيد، وكتب آجالهم وأرزاقهم وأعمالهم وما يصيبهم من خير وشر، ثم قال: قال إسحاق: أجمع أهل العلم أنها الأرواح قبل الأجساد، استنطقهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم ؟ قالوا: بلى، شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين، أو تقولوا إنما أشرك آباؤنا من قبل، هذا نص كلامه، وهو كما ترى لا يدل على أن مستقر الأرواح ما ذكر أبو محمد حيث تنقطع العناصر بوجه من الوجوه، بل ولا يدل على أن الأرواح كائنة قبل خلق الأجساد، بل إنما يدل على أنه سبحانه أخرجها حينئذ، فخاطبها ثم ردها إلى صلب آدم، وهذا القول وإن كان قد قاله جماعة من السلف والخلف؛ فالقول الصحيح غيره كما ستقف عليه إن شاء الله، إذ ليس الغرض في جواب هذه المسألة الكلام في الأرواح هل هي مخلوقة قبل الأجساد أم لا حتى لو سلم لأبى محمد هذا كله، لم يكن فيه دليل على أن مستقرها حيث تنقطع العناصر، ولا أن ذلك الموضع كان مستقرها أولًا.

وأما قول من قال: مستقرها العدم المحض، فهذا قول من قال إنها عرض من أعراض البدن، وهو الحياة، وهذا قول ابن الباقلانى ومن تبعه، وكذلك قال أبو الهذيل العلاف: النفس عرض من الأعراض، ولم يعينه بأنه الحياة كما عينه ابن الباقلاني، ثم قال: هي عرض كسائر أعراض الجسم، وهؤلاء عندهم أن الجسم إذا مات عدمت روحه كما تقدم، وسائر أعراضه المشروطة بالحياة، ومن يقول منهم إن العرض لا يبقى زمانين كما يقوله أكثر الأشعرية، فمن قولهم: إن روح الإنسان الآن هي غير روحه قبل، وهو لا ينفك يحدث له روح ثم تغير ثم روح ثم تغير هكذا أبدًا، فيبدل له ألف روح فأكثر في مقدار ساعة من الزمان فما دونها، فإذا مات فلا روح تصعد إلى السماء وتعود إلى القبر وتقبضها الملائكة ويستفتحون لها أبواب السماوات، ولا تنعم، ولا تعذب، وإنما ينعم ويعذب الجسد إذا شاء الله تنعيمه أو تعذيبه رد إليه الحياة في وقت يريد نعيمه أو عذابه وإلا فلا أرواح هناك قائمة بنفسها البتة، وقال بعض أرباب هذا القول: ترد الحياة إلى عجب الذنب، فهو الذي يعذب وينعم وحسب، وهذا قول يرده الكتاب والسنة وإجماع الصحابة وأدلة العقول والفطن والفطرة، وهو قول من لم يعرف روحه فضلًا عن روح غيره، وقد خاطب الله سبحانه النفس بالرجوع والدخول والخروج، ودلت النصوص الصحيحة الصريحة على أنها تصعد، وتنزل، وتقبض، وتمسك وترسل، وتستفتح لها أبواب السماء، وتسجد، وتتكلم، وأنها تخرج تسيل كما تسيل القطرة، وتكفن، وتحنط في أكفان الجنة والنار، وأن ملك الموت يأخذها بيده ثم تتناولها الملائكة من يده، ويشم لها كأطيب نفحة مسك أو أنتن جيفة، وتشيع من سماء إلى سماء ثم تعاد إلى الأرض مع =

= الملائكة، وأنها إذا خرجت تبعها البصر بحيث يراها وهي خارجة، ودل القرآن على أنها تنتقل من مكان إلى مكان حتى تبلغ الحلقوم في حركتها، وجميع ما ذكرنا من جمع الأدلة الدالة على تلاقي الأرواح وتعارفها، وأنها أجناد مجندة إلى غير ذلك تبطل هذا القول، وقد شاهد النبي الأرواح ليلة الإسراء عن يمين آدم وشماله، وأخبر النبي ﷺ: أن نسمة المؤمن طائر يعلق في شجر الجنة، وأن أرواح الشهداء في حواصل طير خضر، وأخبر تعالى عن أرواح آل فرعون أنها تعرض على النار غدوًا وعشيًا، ولما أورد ذلك على ابن الباقلاني لج في الجواب، وقال: يخرج على هذا أحد وجهين: إما بأن يوضع عرض من الحياة في أول جزء من أجزاء الجسم، وإما أن يخلق لتلك الحياة والنعيم والعذاب جسد آخر. وهذا قول في غاية الفساد من وجوه كثيرة، أي قول أفسد من قول من يجعل روح الإنسان عرضًا من الأعراض تتبدل كل ساعة ألوفًا من المرات؛ فإذا فارقه هذا العرض لم يكن بعد المفارقة روح تنعم ولا تعذب ولا تصعد ولا تنزل ولا تمسك ولا ترسل، فهذا قول مخالف للعقل ونصوص الكتاب والسنة والفطرة، وهو قول من لم يعرف نفسه، وسيأتي ذكر الوجوه الدالة على بطلان هذا القول في موضعه من هذا الجواب إن شاء الله، وهو قول لم يقل به أحد من سلف الأمة ولا من الصحابة والتابعين ولا أئمة الإسلام.

وأما قول من قال: إن مستقرها بعد الموت أبدان أخر غير هذه الأبدان، فهذا القول فيه حق وباطل، فأما الحق فما أخبر الصادق المصدوق عن أرواح الشهداء أنها في حواصل طير خضر تأوي إلى قناديل معلقة بالعرش هي لها كالأوكار للطائر، وقد صرح بذلك في قوله: «جعل الله أرواحهم في أجواف طير خضر»، وأما قوله: «نسمة المؤمن طائر يعلق في شجر الجنة» يحتمل أن يكون هذا الطائر مركبًا للروح كالبدن لها، ويكون ذلك لبعض المؤمنين والشهداء، ويحتمل أن يكون الروح في صورة طائر، وهذا اختيار أبي محمد بن حزم وأبي عمر بن عبدالبر، وقد تقدم كلام أبي عمر، والكلام عليه. وأما ابن حزم، فإنه قال: معنى قوله «نسمة المؤمن طائر يعلق» هو على ظاهرة لا على ظن أهل الجهل، وإنما أخبر أن نسمة المؤمن طائر يعلق بمعنى أنها تطير في الجنة لا أنها تمسخ في صورة الطير، قال: فإن قيل: إن النسمة مؤنثة. قلنا: قد صح عن عربي فصيح أنه قال: أتتك كتابي فاستخففت بها، فقيل له: أتؤنث الكتاب ؟! قال: أوليس صحيفة، وكذلك النسمة تذكر كذلك، قال: وأما الزيادة التي فيها «إنها في حواصل طير خضر»، فإنها صفة تلك القناديل التي تأوي إليها، والحديثان معًا حديث واحد. وهذا الذي قاله في غاية الفساد لفظًا ومعنى، فإن حديث «نسمة المؤمن طائر يعلق في شجر الجنة» غير حديث «أرواح الشهداء في حواصل طير خضر» والذي ذكره محتمل في الحديث الأول، وأما الحديث الثاني فلا يحتمله بوجه، فإنه أخبر أن «أرواحهم في حواصل طير»، وفي لفظ «في أجواف طير خضر»، وفي لفظ «بيض»، وأن تلك الطير تسرح في الجنة، فتأكل من ثمارها، وتشرب من أنهارها، ثم تأوي إلى قناديل تحت العرش هي لها كالأوكار للطائر، وقوله: إن حواصل تلك الطير هي صفة القناديل التي تأوي إليها خطأ قطعًا، بل تلك القناديل مأوى لتلك الطير، فهاهنا ثلاثة أمور صرح بها الحديث: أرواح، وطير هي في أجوافها، وقناديل هي مأوى لتلك الطير، والقناديل مستقرة تحت العرش لا تسرح والطير تسرح وتذهب وتجيء والأرواح في أجوافها؛ فإن قيل: يحتمل أن تجعل =

....

= نفسها في صورة طير لا أنها تركب في بدن طير، كما قال تعالى: ﴿فِيٓ أَيِّ صُورَةٖ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ٨﴾ [الانفطار: ٨]، ويدل عليه قوله في اللفظ الآخر: «أرواحهم كطير خضر» كذلك رواه ابن أبي شيبة، حدثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن عبدالله بن مرة، عن مسروق عن عبدالله. قال أبو عمر: والذي يشبه عندي، والله أعلم أن يكون القول قول من قال: «كطير أو صورة طير»؛ لمطابقته لحديثنا المذكور، يعني: حديث كعب بن مالك في نسمة المؤمن.

فالجواب: أن هذا الحديث قد روى بهذين اللفظين، والذي رواه مسلم في الصحيح من حديث الأعمش عن مسروق فلم يختلف حديثهما أنها «في أجواف طير خضر»، وأما حديث ابن عباس، فقال عثمان بن أبي شيبة: حدثنا عبدالله ابن إدريس، عن محمد بن إسحاق، عن إسماعيل بن أمية، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال: قال رسول الله ﷺ: «لما أصيب إخوانكم - يعني: يوم أحد - جعل الله أرواحهم في أجواف طير خضر، ترد أنهار الجنة، وتأكل من ثمارها وتأوي إلى قناديل من ذهب مدلاة في ظل العرش، فلما وجدوا طيب مأكلهم ومشربهم ومقيلهم، قالوا: من يبلغ إخواننا عنا أنا أحياء في الجنة نرزق؛ لئلا ينكلوا عن الحرب ولا يزهدوا في الجهاد ؟ فقال الله تعالى: أنا أبلغهم عنكم فأنزل الله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتَۢاۚ بَلۡ أَحۡيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمۡ يُرۡزَقُونَ ١٦٩﴾ [آل عمران: ١٦٩]»، وأما حديث كعب بن مالك، فهو في السنن الأربعة، ومسند أحمد، ولفظه للترمذي أن رسول الله ﷺ قال: «إن أرواح الشهداء في طير خضر تعلق من ثمر الجنة، أو شجر الجنة»، قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح، ولا محذور في هذا، ولا يبطل قاعدة من قواعد الشرع، ولا يخالف نصًا من كتاب ولا سنة عن رسول الله بل هذا من تمام إكرام الله للشهداء أن أعاضهم من أبدانهم التي مزقوها لله أبدانًا خيرًا منها تكون مركبًا لأرواحهم؛ ليحصل بها كمال تنعمهم؛ فإذا كان يوم القيامة رد أرواحهم إلى تلك الأبدان التي كانت فيها في الدنيا، فان قيل: فهذا هو القول بالتناسخ وحلول الأرواح في أبدان غير أبدانها التي كانت فيها. قيل: هذا المعنى الذي دلت عليه السنة الصريحة حق يجب اعتقاده، ولا يبطله تسميه المسمي له تناسخًا، كما أن إثبات ما دل عليه العقل والنقل من صفات الله ﷻ وحقائق أسمائه الحسنى حق لا يبطله تسمية المعطلين لها تركيبًا وتجسيمًا، وكذلك ما دل عليه العقل والنقل من إثبات أفعاله، وكلامه بمشيئته، ونزوله كل ليلة إلى سماء الدنيا، ومجيئه يوم القيامة للفصل بين عباده حق لا يبطله تسمية المعطلين له حلول حوادث، كما أن ما دل عليه العقل والنقل من علو الله على خلقه ومباينته لهم، واستوائه على عرشه وعروج الملائكة والروح إليه، ونزولها من عنده وصعود الكلم الطيب إليه، وعروج رسوله إليه، ودنوه منه حتى صار قاب قوسين أو أدنى، وغير ذلك من الأدلة حق لا يبطله تسمية الجهمية له حيزًا وجهة وتجسيمًا، قال الإمام أحمد: لا نزيل عن الله صفة من صفاته لأجل شناعة المشنعين؛ فان هذا شأن أهل البدع يلقبون أهل السنة وأقوالهم بالألقاب التي ينفرون منها الجهال ويسمونها حشوًا وتركيبًا وتجسيمًا، ويسمون عرش الرب تبارك وتعالى حيزًا وجهة؛ ليتوصلوا بذلك إلى نفي علوه على خلقه واستوائه على عرشه، كما تسمى الرافضة موالاة أصحاب رسول الله ﷺ كلهم ومحبتهم والدعاء لهم نصًا، وكما تسمى القدرية المجوسية إثبات القدر جبرًا؛ فليس الشأن في الألقاب، وإنما الشأن في =

....

= الحقائق، والمقصود أن تسمية ما دلت عليه النصوص الصريحة من جعل أرواح الشهداء في أجواف طير خضر تناسخًا لا يبطل هذا المعنى، وإنما التناسخ الباطل ما تقوله أعداء الرسل من الملاحدة وغيرهم الذين ينكرون المعاد ويقولون: إن الأرواح تصير بعد مفارقة الأبدان إلى أجناس الحيوان والحشرات والطيور التي تناسبها وتشاكلها؛ فإذا فارقت هذه الأبدان انتقلت إلى أبدان تلك الحيوانات فتنعم فيها أو تعذب ثم تفارقها وتحل في أبدان أخر تناسب أعمالها وأخلاقها، وهكذا أبدا فهذا معادها عندهم ونعيمها وعذابها لا معاد لها عندهم غير ذلك، فهذا هو التناسخ الباطل المخالف لما اتفقت عليه الرسل والأنبياء من أولهم إلى آخرهم، وهو كفر بالله واليوم الآخر، وهذه الطائفة يقولون: إن مستقر الأرواح بعد المفارقة أبدان الحيوانات التي تناسبها وهو أبطل قول وأخبثه، ويليه قول من قال: إن الأرواح تعدم جملة بالموت، ولا تبقى هناك روح تنعم ولا تعذب بل النعيم والعذاب يقع على أجزاء الجسد أو جزء منه أما عجب الذنب أو غيره فيخلق الله فيه الألم واللذة إما بواسطة رد الحياة إليه كما قاله بعض أرباب هذا القول أو بدون رد الحياة كما قاله آخرون منهم، فهؤلاء عندهم لا عذاب في البرزخ إلا على الأجساد. ومقابلهم من يقول: «إن الروح لا تعاد إلى الجسد بوجه، ولا تتصل به، والعذاب والنعيم على الروح فقط، والسنة الصريحة المتواترة ترد قول هؤلاء وهؤلاء، وتبين أن العذاب على الروح والجسد مجتمعين ومنفردين» .

فإن قيل: فقد ذكرتم أقوال الناس في مستقر الأرواح، ومأخذهم، فما هو الراجح من هذه الأقوال حتى نعتقده ؟.

قيل: الأرواح متفاوتة في مستقرها في البرزخ أعظم تفاوت، فمنها أرواح في أعلى عليين في الملأ الأعلى، وهي أرواح الأنبياء ـ صلوات الله وسلامه عليهم ـ، وهم متفاوتون في منازلهم كما رآهم النبي ﷺ ليلة الإسراء، ومنها أرواح في حواصل طير خضر تسرح في الجنة حيث شاءت، وهي أرواح بعض الشهداء لا جميعهم بل من الشهداء من تحبس روحه عن دخول الجنة لدين عليه أو غيره، كما في المسند عن محمد بن عبدالله بن جحش أن رجلًا جاء إلى النبي ﷺ، فقال: «يا رسول الله، مالي إن قتلت في سبيل الله ؟ قال: الجنة، فلما ولى قال: إلا الدين، سارني به جبريل آنفًا»، ومنهم من يكون محبوسًا على باب الجنة كما في الحديث الآخر: «رأيت صاحبكم محبوسًا على باب الجنة»، ومنهم من يكون محبوسًا في قبره، كحديث صاحب الشملة التي غلها ثم استشهد، فقال الناس: «هنيئًا له الجنة، فقال النبي ﷺ: والذي نفسي بيده إن الشملة التي غلها لتشتعل عليه نارًا في قبره»، ومنهم من يكون مقره باب الجنة، كما في حديث ابن عباس: «الشهداء على بارق نهر بباب الجنة في قبة خضراء، يخرج عليهم رزقهم من الجنة بكرة وعشية» رواه أحمد، وهذا بخلاف جعفر بن أبي طالب حيث أبدله الله من يديه جناحين يطير بهما في الجنة حيث شاء، ومنهم من يكون محبوسًا في الأرض لم تعل روحه إلى الملأ الأعلى؛ فإنها كانت روحًا سفلية أرضية، فإن الأنفس الأرضية لا تجامع الأنفس السماوية، كما لا تجامعها في الدنيا، والنفس التي لم تكتسب في الدنيا معرفة ربها ومحبته وذكره والأنس به والتقرب إليه بل هي أرضية سفلية لا تكون بعد المفارقة لبدنها إلا هناك كما أن النفس العلوية التي كانت في الدنيا عاكفة على محبة الله وذكره والقرب إليه والأنس به =

= تكون بعد المفارقة مع الأرواح العلوية المناسبة لها؛ فالمرء مع من أحب في البرزخ ويوم القيامة والله تعالى يزوج النفوس بعضها ببعض في البرزخ ويوم المعاد كما تقدم في الحديث، ويجعل روحه يعني: المؤمن مع النسم الطيب، أي: الأرواح الطيبة المشاكلة، فالروح بعد المفارقة تلحق بأشكالها وأخواتها وأصحاب عملها فتكون معهم هناك، ومنها أرواح تكون في تنور الزناة والزاني، وأرواح في نهر الدم تسبح فيه، وتلقم الحجارة؛ فليس للأرواح سعيدها وشقيها مستقر واحد بل روح في أعلى عليين، وروح أرضية سفلية لا تصعد عن الأرض، وأنت إذا تأملت السنن والآثار في هذا الباب، وكان لك بها فضل اعتناء عرفت حجة ذلك، ولا تظن أن بين الآثار الصحيحة في هذا الباب تعارضًا؛ فإنها كلها حق يصدق بعضها بعضًا لكن الشأن في فهمها ومعرفة النفس وأحكامها، وأن لها شأنًا غير شأن البدن، وأنها مع كونها في الجنة فهي في السماء، وتتصل بفناء القبر وبالبدن فيه، وهي أسرع شيء حركة وانتقالاً وصعودًا وهبوطًا، وأنها تنقسم إلى مرسلة ومحبوسة وعلوية وسفلية، ولها بعد المفارقة صحة ومرض ولذة ونعيم وألم أعظم مما كان لها حال اتصالها بالبدن بكثير؛ فهنالك الحبس والألم، والعذاب والمرض، والحسرة، وهنالك اللذة والراحة والنعيم والإطلاق وما أشبه حالها في هذا البدن بحال ولد في بطن أمه وحالها بعد المفارقة بحاله بعد خروجه من البطن إلى هذه الدار؛ فلهذه الأنفس أربع دور كل دار أعظم من التي قبلها الدار الأولى في بطن الأم، وذلك الحصر والضيق والغم والظلمات الثلاث، والدار الثانية هي الدار التي نشأت فيها وألفتها واكتسبت فيها الخير والشر وأسباب السعادة والشقاوة، والدار الثالثة دار البرزخ، وهي أوسع من هذه الدار، وأعظم بل نسبتها إليه كنسبة هذه الدار إلى الأولى، والدار الرابعة دار القرار، وهي الجنة أو النار، فلا دار بعدها، والله ينقلها في هذه الدور طبقًا بعد طبق حتى يبلغها الدار التي لا يصلح لها غيرها ولا يليق بها سواها، وهي التي خلقت لها وهيئت للعمل الموصل إليها، ولها في كل دار من هذه الدور حكم وشأن غير شأن الدار الأخرى؛ فتبارك الله فاطرها ومنشئها ومميتها ومحييها ومسعدها ومشقيها الذي فاوت بينها في درجات سعادتها وشقاوتها كما فاوت بينها في مراتب علومها وأعمالها وقواها وأخلاقها، فمن عرفها كما ينبغي شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك كله، وله الحمد كله، وبيده الخير كله، وإليه يرجع الأمر كله، وله القوة كلها، والقدرة كلها، والعز كله، والحكمة كلها، والكمال المطلق من جميع الوجوه وعرف بمعرفة نفسه صدق أنبيائه ورسله، وأن الذي جاءوا به هو الحق الذي تشهد به العقول وتقر به الفطر وما خالفه هو الباطل وبالله التوفيق. الروح: لابن قيم الجوزية: ص ٩٠ - ١١٧.

الفصل الثالث

القول في الجنة والنار

- أقوال ابن عبدالبر في أن الجنة والنار مخلوقتان.
- أقوال ابن عبدالبر في أن الجنة والنار تنطقان وتريان.
- أقوال ابن عبدالبر في أبواب الجنة والنار.
- أقوال ابن عبدالبر في خمر الجنة.
- أقوال ابن عبدالبر في أن المرء يحبس عن الجنة بالدين.
- أقوال ابن عبدالبر في الورود على النار.

أقوال ابن عبدالبر في أن الجنة والنار مخلوقتان

عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: «**إذا اشتد الحر، فأبردوا بالصلاة، فإن شدة الحر من فيح جهنم، واشتكت النار إلى ربها؛ فقالت: يا رب، أكل بعضي بعضًا، فأذن لها بنفسين: نفس في الشتاء، ونفس في الصيف، فهو أشد ما تجدون من الحر، وأشد ما تجدون من الزمهرير**»[1].

قال **أبو عمر**[2]: وفي هذا الحديث ـ أيضًا ـ دليل على أن الجنة والنار مخلوقتان لا تبيدان، ومما يدلك على أن النار والجنة قد خلقتا، ما حدثناه خلف بن القاسم، وعبدالرحمن بن مروان قالا: أخبرنا الحسن بن رشيق قال: أخبرنا إسحاق بن إبراهيم ابن يونس قال: أخبرنا أبو شرحبيل عيسى بن خالد الحمصي قال: أخبرنا أبو اليمان قال: أخبرنا إسماعيل بن عياش عن عمارة بن غزية، أنه سمع حميد بن عبيد مولى المعلى يقول: سمعت ثابتًا البناني يحدث عن أنس بن مالك عن رسول الله ﷺ أنه قال لجبريل ﷺ: «**لم أر ميكائيل ضاحكًا قط؟ فقال: ما ضحك ميكائيل مذ خلقت النار**»[3] قال: وأخبرنا إسحاق بن إبراهيم بن يونس، أبو يعقوب قال: أخبرنا داود بن رشيد، وعبدالله بن مطيع قالا: أخبرنا إسماعيل بن جعفر عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «**لما خلق الله الجنة، دعا جبريل، فأرسله إليها، فقال: انظر إليها وإلى ما أعددت لأهلها، فرجع إليه، فقال: وعزتك لا يسمع بها أحد إلا دخلها، فحفت بالمكاره؛ فقال: ارجع إليها فانظر؛ فرجع فنظر إليها، فقال: وعزتك لقد خشيت أن لا يدخلها أحد، ثم أرسله إلى النار فقال: اذهب فانظر إليها وإلى ما أعددت لأهلها، فذهب ورجع، فقال: وعزتك لا يدخلها أحد، فحفت بالشهوات، ثم قال: عد إليها، فعاد ثم رجع،**

(١) صحيح البخاري: ١/١٩٩/٥١٢، صحيح مسلم: ١/٤٣٢/٦١٧.

(٢) التمهيد: ٥/ ٨ ـ١١/٥.

(٣) ضعيف: رواه أحمد في المسند: ٣/٢٢٤/١٣٣٦٧، وابن أبي عاصم في الزهد: ص ٦٩، والهيثمي في مجمع الزوائد: ١٠ /٣٨٥، وقال الهيثمي: «رواه أحمد، من رواية إسماعيل بن عياش، عن المدنيين، وهي كمال وبقية رجاله ثقات»، والمناوي في فيض القدير: ٥/٤٥٢ وقال: «من حديث ثابت، عن أنس بإسناد كما قال الزين العراقي: جيد» .

فقال: وعزتك لقد خشيت أن لا يبقى أحد إلا دخلها»(١).

قال أبو عمر: فلهذه الأحاديث وما كان مثلها قال أهل السنة: إن الجنة والنار مخلوقتان، وأنهما لا تبيدان؛ لأنهما إذًا لا تبيدان حتى تبيد الدنيا، ومعلوم أن الدنيا إذا انقرضت بقيام الساعة، جاءت الآخرة خالية من جهنم، كما جاءت خالية من الجنة؛ لأن الجنة رحمة اللَّه تعالى، والنار عذابه يصيب بها من يشاء من عباده، وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: **«اختصمت النار والجنة، فقالت الجنة: مالي يدخلني الضعفاء والمساكين؟ وقالت النار: ما لي يدخلني الجبارون والمتكبرون؟ فقال اللَّه للجنة: أنت رحمتي أصيب بك من أشاء، وقال للنار: أنت عذابي أصيب بك من أشاء»**(٢)..... ومما يدل على أن النار مخلوقة دائمة قول اللَّه ﷻ: ﴿وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ ۝ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ۝٤٦﴾ [غافر: الآيتان: (٤٥ - ٤٦] وقول رسول اللَّه ﷺ: **«إذا مات أحدكم، عرض عليه مقعده بالغداة والعشي إن كان من أهل الجنة، فمن أهل الجنة، وإن كان من أهل النار، فمن أهل النار يقال له: «هذا مقعدك، حتى يبعثك اللَّه إليه يوم القيامة»**(٣) وهو الذي عليه جماعة أهل السنة والأثر أن الجنة والنار مخلوقتان لا تبيدان.

وقال في موضع آخر(٤): والمعاني في ذلك كله متقاربة، وفي هذا الحديث دليل على أن الجنة والنار مخلوقتان كما يقول أهل السنة في ذلك - واللَّه أعلم - ويدل على ذلك أيضًا قول اللَّه ﷻ في آل فرعون: ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ

---

(١) صحيح: رواه الترمذي: ٤/٦٩٣/٢٥٦٠، وقال أبو عيسى: «هذا حديث حسن صحيح»، وأبو داود: ٤/٢٣٦/٤٧٤٤، والنسائي في السنن الكبرى: ٣/١٢١/٤٧٠٢، وفي المجتبى: ٧/٣/ ٣٧٦٣، والبيهقي في شعب الإيمان: ١/٣٤٧/٣٨٤، وصححه الحاكم في المستدرك: ١/٧٩/ ٧٢، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي: ح (٢٥٦٠)، وصحيح سنن أبي داود: ح (٤٧٤٤).

(٢) صحيح البخاري: ٦/٢٧١١/٧٠١١، صحيح مسلم: ٤/٢١٨٦/٢٨٤٦.

(٣) صحيح البخاري: ١/٤٦٤/١٣١٣، صحيح مسلم: ٤/٢١٩٩/٢٨٦٦.

(٤) التمهيد: ١٤/١٠٥- ١٠٦.

ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٦﴾﴾ [غافر: ٤٥] وقول النبي ﷺ: «اشتكت النار إلى ربها» الحديث[١] وقوله ﷺ: «اطلعت في الجنة، فرأيت أكثر أهلها المساكين، واطلعت في النار، فرأيت أكثر أهلها النساء»[٢] وقوله ﷺ: «دخلت الجنة، فأخذت منها عنقودًا»[٣] وقوله ﷺ: «لما خلق الله الجنة حفها بالمكاره، ولما خلق النار، حفها بالشهوات» الحديث[٤]، وهذا كثير والآثار في خلق الجنة والنار بأنهما قد خلقتا كثيرة.

وقال أبو عمر في موضع ثالث[٥]: والذي عليه الجماعة ـ أهل السنة ـ أن الجنة والنار مخلوقتان بعد، إحداهما رحمة الله لمن شاء من خلقه، والأخرى عذابه ونقمته لمن شاء أن يعذبه من خلقه.

أخبرنا أحمد بن سعيد بن بشر قال: حدثنا محمد بن عبدالله بن أبي دليم قال: حدثنا محمد بن وضاح قال: سألت يحيى بن معين عن الجنة والنار؛ فقال: مخلوقتان لا تبيدان.

قال أبو عمر: الدلائل من الآثار كثيرة على أن الجنة مخلوقة بعد والنار مخلوقة بعد؛ فمن ذلك قوله ﷺ: «إذا مات أحدكم عرض عليه مقعده بالغداة والعشي، إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة، وإن كان من أهل النار فمن أهل النار، يقال له: هذا مقعدك حتى يبعثك الله إليه يوم القيامة»[٦]، وقال الله ﷻ في آل فرعون: ﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا

(١) سبق تخريجه.

(٢) صحيح البخاري: ٣٠٦٩/١١٨٤/٣، صحيح مسلم: ٢٧٣٧/٢٠٩٦/٤.

(٣) صحيح البخاري: ٤٩٠١/١٩٩٤/٥، صحيح مسلم: ٩٠٧/٦٢٦/٢، بلفظ: «رأيت الجنة أو أريت الجنة» .

(٤) سبق تخريجه، ولفظه: «لما خلق الله الجنة، دعا جبريل، فأرسله إليها، فقال: انظر إليها، وإلى ما أعددت لأهلها، فرجع إليه، فقال: وعزتك لا يسمع بها أحد إلا دخلها، فحفت بالمكاره؛ فقال: ارجع إليها، فانظر، فرجع، فنظر إليها، فقال: وعزتك لقد خشيت أن لا يدخلها أحد، ثم أرسله إلى النار، فقال: اذهب، فانظر إليها وإلى ما أعددت لأهلها، فذهب ورجع، فقال: وعزتك لا يدخلها أحد، فحفت بالشهوات، ثم قال: عد إليها، فعاد ثم رجع، فقال: وعزتك لقد خشيت أن لا يبقى أحد إلا دخلها».

(٥) التمهيد: ١١٢/١٩-١١٥.

(٦) سبق تخريجه.

غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٦﴾ [غافر: الآية ٤٥]، وقوله: «**اطلعت في النار، فرأيت أكثر أهلها النساء، واطلعت في الجنة، فرأيت أكثر أهلها المساكين**»(١)، وقال رسول الله ﷺ: «**إذا دخل رمضان فتحت أبواب الجنة**»(٢)، وقوله ﷺ: «**اشتكت النار إلى ربها**»(٣)هذا الحديث أبين شيء في أنها قد خلقت، وأنها باقية شتاءً وصيفًا.

أخبرنا خلف بن القاسم قال: أخبرنا أبو قتيبة قال: حدثنا إبراهيم بن هاشم قال: حدثنا أبو نصر التمار قال: حدثنا حماد بن سلمة عن محمد بن عمرو بن علقمة عن أبي سلمة بن عبدالرحمن عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**لما خلق الله الجنة، قال: يا جبريل، اذهب فانظر إليها قال: فذهب فنظر إليها، فقال: يا رب، وعزتك لا يسمع بهذه أحد إلا دخلها، ثم حفها بالمكاره ثم قال له: اذهب فانظر إليها، فذهب فنظر إليها، فقال: يا رب، وعزتك لقد خشيت أن لا يدخلها أحد، فلما خلق النار، قال: يا جبريل، اذهب فانظر إليها، فنظر إليها، فقال: يا رب، وعزتك لا يسمع بها أحد، فيدخلها، فحفها بالشهوات، وقال: اذهب فانظر إليها، فنظر إليها، فقال: يا رب لقد خشيت ألا يبقى أحد إلا يدخلها**»(٤) وقرأت على خلف بن القاسم، أن الحسين بن جعفر حدثهم قال: حدثنا يوسف بن يزد قال: حدثنا الحجاج بن إبراهيم الأزرق قال: حدثنا إسماعيل بن جعفر عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة، أن رسول الله ﷺ قال: «**إن الله ﷻ دعا جبريل، فأرسله إلى الجنة، فقال: انظر إليها، وانظر إلى ما أعددت لأهلها، فرجع فقال: وعزتك لا يسمع بها أحد إلا دخلها، فحفت بالمكاره، فقال: ارجع فانظر إليها، فرجع، وقال: وعزتك لقد خشيت ألا يدخلها أحد، ثم أرسله إلى النار، فقال: اذهب إلى النار، فانظر ما أعددت لأهلها فيها، فرجع، فقال: وعزتك لا يدخلها أحد يسمع بها، فحفت**

(١) سبق تخريجه.

(٢) صحيح البخاري: ١٧٩٩/٦٧١/٢، صحيح مسلم: ١٠٧٩/٧٥٨/٢.

(٣) سبق تخريجه.

(٤) سبق تخريجه.

بالشهوات، ثم قال: عد إليها فانظر؛ فرجع، فقال: وعزتك لقد خشيت ألا يبقى أحد إلا دخلها»[١] وأخبرنا خلف بن القاسم قال: حدثنا أبو قتيبة سلم بن الفضل، حدثنا عبدالله بن محمد بن ناجية قال: حدثنا محمود بن غيلان قال: حدثنا مؤمل ابن إسماعيل قال: حدثنا حماد بن سلمة عن ثابت البناني عن أبي رافع عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **«إن لله ملائكة فضلاء سيارة، يلتمسون مجالس الذكر، فإذا مروا بقوم يذكرون الله يحفون بهم بأجنحتهم، فإذا انصرفوا عرجت الملائكة إلى السماء؛ فيقول لهم ربنا تبارك وتعالى ـ وهو أعلم ـ: من أين جئتم؟ فيقولون: من عند عبادك، يسبحونك، ويحمدونك، ويهللونك، ويسألونك، ويستجيرونك؛ فيقول ـ وهو أعلم ـ: وما يسألون؟ فيقولون: يسألونك الجنة؛ فيقول: وهل رأوها؟ فيقولون: لا؛ فيقول: كيف لو رأوها؟ ويقول: مم يستجيرون؟ ـ وهو أعلم ـ فيقولون: من النار، فيقول: وهل رأوها؟ فيقولون: لا، فيقول: كيف لو رأوها؟ ثم يقول: فإني أشهدكم، أني قد أعطيتهم ما سألوا، وأجرتهم مما استجاروا، فيقولون: أي رب، فيهم عبدك الخطاء، ليس منهم، إنما مر بهم فجلس إليهم؛ فيقول: وفلان قد غفرت له، هم القوم لا يشقى بهم جليسهم»**[٢].... والآثار في خلق الجنة والنار كثيرة جدًا، صحاح ثابتة، يجب الإيمان بها، والتسليم لما جاء منها، وبالله التوفيق[٣].

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) صحيح مسلم: ٤/ ٢٠٦٩ / ٢٦٨٩.

(٣) قال ابن قيم الجوزية: «قال عبدالرحمن بن أبي حاتم: سألت أبي، وأبا زرعة عن مذهب أهل السنة في أصول الدين، وما أدركا عليه أئمة العلم في ذلك، فقالا: مذهبهم الإيمان قول وعمل يزيد وينقص، والقرآن كلام الله تعالى، غير مخلوق بجميع جهاته، والقدر خيره وشره من الله ﷻ، وخير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر الصديق، ثم عمر بن الخطاب، ثم عثمان بن عفان، ثم علي بن أبي طالب....، وأن الله ﷻ على عرشه بائن من خلقه، كما وصف نفسه في كتابه، وعلى لسان رسوله، بلا كيف، أحاط بكل شيء علمًا، ليس كمثله شيء وهو السميع البصير، وأنه سبحانه يُرى في الآخرة، يراه أهل الجنة بأبصارهم، ويسمعون كلامه كيف شاء، وكما شاء، والجنة حق، والنار حق، وهما مخلوقتان لا يفنيان أبدًا، ومن زعم أن القرآن مخلوق، فهو كافر بالله العظيم =

أقوال ابن عبدالبر في أن الجنة والنار تنطقان وتريان

عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: «إذا اشتد الحر فأبردوا بالصلاة، فإن شدة الحر من فيح جهنم، واشتكت النار إلى ربها، فقالت: يا رب، أكل بعضي بعضًا، فأذن لها بنفسين: نفس في الشتاء، ونفس في الصيف، فهو أشد ما تجدون من الحر، وأشد ما تجدون من الزمهرير»(١).

قال أبو عمر(٢): وأما قوله في هذا الحديث: «اشتكت النار إلى ربها، فقالت: يا رب،

= كفرًا ينقل عن الملة، ومن شك في كفره ممن يفهمه ولا يجهله، فهو كافر، ومن وقف في القرآن، فهو جهمي، ومن قال: لفظي بالقرآن مخلوق، فهو جهمي....، وهذان الإمامان إماما أهل الدين وهما من نظراء الإمام أحمد، والبخاري ـ رحمهما الله تعالى» اجتماع الجيوش الإسلامية: ص ١٤٤ـ١٤٥.

وقال في حادي الأرواح: «في بيان وجود الجنة الآن: لم يزل أصحاب رسول الله ﷺ، والتابعون وتابعوهم وأهل السنة والحديث قاطبة، وفقهاء الإسلام، وأهل التصوف والزهد على اعتقاد ذلك، وإثباته مستندين في ذلك إلى نصوص الكتاب والسنة، وما علم بالضرورة من أخبار الرسل كلهم من أولهم إلى آخرهم، فإنهم دعوا الأمم إليها، وأخبروا بها، إلى أن نبغت نابغة من القدرية والمعتزلة، فأنكرت أن تكون مخلوقة الآن، وقالت: بل الله ينشئها يوم القيامة، وحملهم على ذلك أصلهم الفاسد الذي وضعوا به شريعة فيما يفعله الله، وأنه ينبغي له أن يفعل كذا ولا ينبغي له أن يفعل كذا، وقاسوه على خلقه في أفعالهم، فهم مشبهة في الأفعال، ودخل التجهم فيهم، فصاروا مع ذلك معطلة في الصفات، وقالوا: خلق الجنة قبل الجزاء عبث، فإنها تصير معطلة مُددًا متطاولة، ليس فيها سكانها. قالوا: ومن المعلوم أن ملكًا لو أتخذ دارًا، وأعد فيها ألوان الأطعمة، والآلات، والمصالح، وعطلها من الناس، ولم يمكنهم من دخولها قرونًا متطاولة لم يكن ما فعله واقعًا على وجه الحكمة، ووجد العقلاء سبيلًا إلى الاعتراض عليه، فحجروا على الرب تعالى بعقولهم الفاسدة وآرائهم الباطلة، وشبهوا أفعاله بأفعالهم، وردوا من النصوص ما خالف هذه الشريعة الباطلة التي وضعوها للرب أو حرفوها عن مواضعها، وضللوا وبدعوا من خالفهم فيها، والتزموا فيها لوازم أضحكوا عليهم فيها العقلاء، ولهذا يذكر السلف في عقائدهم أن الجنة والنار مخلوقتان، ويذكر من صنف في المقالات أن هذه مقالة أهل السنة والحديث قاطبة لا يختلفون فيها» حادي الأرواح: ص١١.

وقال النووي: «فيه بيان أن الجنة مخلوقة موجودة، وهو مذهب أهل السنة، وهى التى أهبط منها آدم، وهى التى ينعم فيها المؤمنون فى الآخرة، هذا إجماع أهل السنة، وقالت المعتزلة وطائفة من المبتدعة أيضًا وغيرهم: إنها ليست موجودة، وانما توجد بعد البعث فى القيامة، قالوا: والجنة التى أخرج منها آدم غيرها، وظواهر القرآن والسنة تدل لمذهب أهل الحق» شرح النووي على صحيح مسلم: ٣١/١٣.

(١) سبق تخريجه.

(٢) التمهيد: ١١/٥ـ ١٦.

أكل بعضي بعضًا» فإن قومًا حملوه على الحقيقة، وأنها أنطقها الذي أنطق كل شيء، واحتجوا بقول الله عز وجل: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [النور: ٢٤] وبقوله: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ [الإسراء: ٤٤] وبقوله: ﴿يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ﴾ [سبأ: ١٠] أي: سبحي معه، وقال: ﴿إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ ﴿١٨﴾﴾ [ص: ١٨] وبقوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ﴿٣٠﴾﴾ [ق: ٣٠] وما كان من مثل هذا وهو في القرآن كثير حملوا ذلك كله على الحقيقة لا على المجاز، وكذلك قالوا في قوله عز وجل: ﴿إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ﴿١٢﴾﴾ [الفرقان: ١٢] و: ﴿إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ ﴿٧﴾ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴿٨﴾﴾ [الملك: الآيتان: (٧ - ٨)] وما كان مثل هذا كله.

وقال آخرون في قوله عز وجل: ﴿إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ﴿١٢﴾﴾ [الفرقان: ١٢] و قوله: ﴿تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ﴾ [الملك: ٨] هذا تعظيم لشأنها، ومثل ذلك قوله عز وجل: ﴿جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ﴾ [الكهف: ٧٧]، فأضاف إليه الإرادة مجازًا، وجعلوا ذلك من باب المجاز والتمثيل في كل ما تقدم ذكره، على معنى أن هذه الأشياء لو كانت مما تنطق أو تعقل، لكان هذا نطقها وفعلها، وذكروا قول حسان بن ثابت (الوافر):

لَوَ أَنَّ اللُّؤمَ يُنسَبُ كَانَ عَبدًا قَبيحَ الوَجهِ أَعوَرَ مِن ثَقيفِ

وسئل المبرد عن قول الملك: ﴿إِنَّ هَٰذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ﴾ [ص: آية ٢٣] وهم الملائكة لا أزواج لهم(١)، فقال: نحن طول النهار نفعل مثل هذا، نقول ضرب زيد عمرًا، وإنما هو تقدير كأن المعنى إذا وقع هكذا، فكيف الحكم فيه؟

---

(١) أي أن المتكلم في الآية الملائكة، وهم لا أزواج لهم، فكان ذلك من باب المجاز.

وذكروا قول عدي بن زيد(١) للنعمان: أتدري ما تقول هذه الشجرة أيها الملك؟ قال: وما تقول قال تقول (الرمل):

رُبَّ رَكْبٍ قَدْ أَنَاخُوا حَوْلَنَا ... يَشْرَبُونَ الخَمْرَ بِالماءِ الزُّلال
عَصَفَ الدَهرُ بِهِم فَانقَرَضوا ... وَكَذاكَ الدَهرُ حالاً بَعدَ حال

وقول عنترة (الكامل):

فَازوَرَّ مِن وَقعِ القَنا بِلَبانِهِ ... وَشَكا إِلَيَّ بِعَبرَةٍ وَتَحَمحُمِ

وقول الآخر(٢) (الرجز):

يشكو إلي جملي طُولَ السُرى ... صَبرٌ جميلٌ فكلانا مبتلى

ومثل هذا قول الحارثي:

يريد الرمحُ صدر أبي براءٍ ... ويرغبُ عن دماءِ بني عقيل

وقال غيره (الرمل):

رب قوم غبروا من عيشهم ... في سرور ونعيم وغدق
سكت الدهر زمانا عنهم ... ثم أبكاهم دما حين نطق

وقال آخر(٣) (مجزوء الكامل):

وَعَظَتكَ أَجداثٌ خُفُت ... فيهِنَّ أَجسادٌ سُبُت
وَتَكَلَّمَت لَكَ بِالبِلى ... مِنهُنَّ أَلسِنَةٌ صُمُت
وَأَرَتكَ قَبرَكَ في القُبو ... رِ وَأَنتَ حَيٌّ لَم تَمُت

---

(١) عدي بن زيد بن حمّاد بن زيد العبادي التميمي. شاعر من دهاة الجاهليين، كان قرويًا من أهل الحيرة، فصيحًا، يحسن العربية والفارسية، والرمي بالنشاب. وهو أول من كتب بالعربية في ديوان كسرى، الذي جعله ترجمانًا بينه وبين العرب، فسكن المدائن، تزوج هندًا بنت النعمان. وشى به أعداء له إلى النعمان بما أوغر صدره فسجنه وقتله في سجنه بالحيرة.

(٢) حازم بن محمد بن حسن، ابن حازم القرطاجني أبو الحسن. أديب من العلماء له شعر، من أهل قرطاجنة شرقي الأندلس، تعلم بها وبمرسية وأخذ عن علماء غرناطة وإشبيلية وتتلمذ لأبي علي الشلوبين ثم هاجر إلى مراكش. ومنها إلى تونس، فاشتهر وعُمّر وتوفي بها. وله (ديوان شعر - ط) صغير، من كتبه (سراج البلغاء).

(٣) هذه الأبيات لأبي العَتاهِيَة، وقد سبقت ترجمته.

وَكَأَنَّنِي بِكَ عَنْ قَرِيـ ... ـبٍ رَهْنَ حَتْفٍ لَمْ يَفُتْ

وقال آخر:

فتكلمت تلك الديار ولم تكن ... تلك الديار تكلم الزوارا

ولو استطعت لما فجعت بساكني ... والدهر لا يبقى لنا عمارا

والشعر في هذا المعنى كثير جدًا، ومعناه: أن الديار لو كانت ممن يصح لها نطق، وقالت لكان هذا قولها وكلامها، وكذلك القبور لو كان لها قول في الحقيقة لكان هكذا، ومثل هذا مما أنشدوا في هذا المعنى قول القائل: قد قالت الأنساع(١) للبطن الحقي، وقول الآخر: امتلأ الحوض، وقال: قطني(٢)، وهو كثير، ومعناه كله ما ذكرناه، فمن حمل قول النار وشكواها على هذا احتج بما وصفنا، ومن حمل ذلك على الحقيقة قال: جائز أن ينطقها الله كما تنطق الأيدي، والجلود، والأرجل يوم القيامة، وهو الظاهر من قول الله عَجَّلَ: ﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ۝٣٠﴾ [ق: ٣٠] ومن قوله: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ [الإسراء: ٤٤] وقوله: ﴿قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [النمل: ١٨] وقال: قوله عَجَّلَ: ﴿تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ﴾ [الملك: الآية: ٨] أي: تتقطع عليهم غيظًا، كما تقول: فلان يتقد عليك غيظًا، وقال عَجَّلَ: ﴿إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ۝١٢﴾ [الفرقان: ١٢] فأضاف إليها الرؤية والتغيظ إضافة حقيقية، وكذلك كل ما في القرآن من مثل ذلك، واحتجوا بقول الله عَجَّلَ: ﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۖ يَقُصُّ الْحَقَّ ۖ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ﴾ [الأنعام: ٥٧]، ومن هذا الباب عندهم قوله: ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ ۝٢٩﴾ [سورةالدخان: ٢٩] وقوله: ﴿تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا ۝٩٠﴾ [مريم: ٩٠] وقوله: ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ

---

(١) الأنساعُ: الحبال، واحدها نِسْعٌ. لسان العرب: ١ / ٢٧٢.

(٢) أي: قد بلغ من الامتلاء إلى الحد الذي لو نطق لقال: حسبي.

فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴿١١﴾ [فصلت: ١١]، وقوله: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ۚ وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٧٤﴾﴾ [البقرة: ٧٤] قالوا: وجائز أن تكون للجلود إرادة لا تشبه إرادتنا، كما للجمادات تسبيح وليس كتسبيحنا، وللجبال والشجر سجود وليس كسجودنا، والاحتجاج لكلا القولين يطول وليس هذا موضع ذكره، وحمل كلام الله تعالى وكلام نبيه ﷺ على الحقيقة أولى بذوي الدين والحق؛ لأنه يقص الحق، وقوله الحق تبارك وتعالى علوًا كبيرًا.

وقال أبو عمر في موضع آخر(١): وأما قوله: «**اشتكت النار إلى ربها**»، فحمله قوم على المجاز كقول الشاعر:

يشكو إلي جملي طُولَ السُّرى

وكقول عنترة:

وَشَكا إِلَيَّ بِعَبرَةٍ وَتَحَمحُمِ

وكقول القائل: امتلأ الحوض، وقال: قطني مهلًا رويدًا قد ملأت بطني .

وكقول العرب: قالت السماء فهطلت، وقالت رجلي فخدرت، ونحو هذا.

وكقول عروة بن حزام(٢) حين جعل القول لمن لا يوجد منه قول (الطويل):

أَلا يـا غُـرابَـيّ دِمْـنَـةِ الـدَّارِ بَـيِّـنا ... أَبِالـصَّـرْمِ من عفـراءَ تَـنـتـحـبـانِ
فَإِنْ كـانَ حـقًّا ما تـقـولانِ فَـاذْهَـبا ... بِلَحْـمـي إلى وَكْـرَيْـكُـما فَـكُـلان

---

(١) التمهيد: ١٩/ ١١٦- ١١٧.

(٢) عروة بن حزام بن مهاجر الضني، من بني عذرة. شاعر، من متيمي العرب، كان يحب ابنة عم له اسمها (عفراء) نشأ معها في بيت واحد، لأن أباه خلفه صغيرًا، فكفله عمه. ولما كبر خطبها عروة، فطلبت أمها مهرًا لا قدرة له عليه فرحل إلى عم له في اليمن، وعاد فإذا هي قد تزوجت بأموي من أهل البلقاء (بالشام) فلحق بها، فأكرمه زوجها. فأقام أيامًا وودعها وانصرف، فضنى حبًا، فمات قبل بلوغ حيّه ودفن في وادي القرى (قرب المدينة) . له (ديوان شعر مطبوع) صغير.

وكقول ذي الرمة:

فقالت لي العينان سمعا وطاعة وحدرتا مثل الجمان المنظم.

ومثل هذا قول القائل:

كم أناس في نعيم عمروا في ذرى ملك تعالى فسبق
سكت الدهر زمانا عنهم ثم أبكاهم دمًا حين نطق.

وهذا ومثله كثير في أشعار العرب ولغاتها، وقد زدنا هذا المعنى بيانًا في باب زيد ابن أسلم.

وقال جماعة من أهل العلم: إن ذلك على الحقيقة، وإنها تنطق ينطقها الله الذي ينطق الجلود، وكل شيء، ولها لسان كما شاء الله ﷻ واستشهدوا بقوله ﷻ: ﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ۝٣٠﴾ [ق: ٣٠] وبقوله: ﴿إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ سَمِعُوا۟ لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ۝١٢﴾ [الفرقان: ١٢] وبما جاء من نحو هذا في الآثار الثابتة نحو قوله: **«فتقول: قط قط»**(١)، وقوله: **«وتقول وكلت بكل جبار عنيد»**(٢)، وهذا ونحوه في القرآن والأحاديث كثير جدًا، وحملوا ما في القرآن والآثار من مثل هذا على الحقيقة، واحتجوا بقول الله: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ يَقُصُّ ٱلْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْفَٰصِلِينَ﴾ [الأنعام: ٥٧]. وقوله: ﴿قَالَ فَٱلْحَقُّ وَٱلْحَقَّ أَقُولُ ۝٨٤﴾ [ص: ٨٤] ونحو هذا، ولكلا القولين وجه يطول الاعتلال له، والله الموفق للصواب.

وقال في الاستذكار(٣): وأما قوله «اشتكت النار إلى ربها، فقالت: يا رب، أكل بعضي

---

(١) صحيح البخاري: ٤/١٨٣٥/٤٥٦٧، صحيح مسلم: ٤/٢١٨٦/٢٨٤٦.

(٢) صحيح: رواه الترمذي في سننه من طريق أبي هريرة: ٤/٧٠١/٢٥٧٤، وكذا البيهقي في شعب الإيمان: ٥/١٩٠/٦٣١٧، ورواه أحمد في مسنده من طريق أبي سعيد الخدري: ٢/٣٣٦/ ٨٤١١، وابن أبي شيبة في المصنف: ٧/٥١/٣٤١٤١، وأبو يعلى في مسنده: ٢/٣٨٠/١١٤٦، والطبراني في الأوسط: ٤/٢٠٣/٣٩٨١، وصححه الهيثمي في مجمع الزوائد: ١٠/٣٩٢، وقال: «رواه البزار واللفظ له، وأحمد باختصار، وأبو يعلى بنحوه، والطبراني في الأوسط، وأحد إسنادي الطبراني رجاله رجال الصحيح»، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي: ح (٢٥٧٤).

(٣) الاستذكار: ١/ ١٠٠ - ١٠٢.

بعضًا» فإن أهل العلم اختلفوا في ذلك فحمله بعضهم على الحقيقة، وحمله منهم جماعة على المجاز، فالذين حملوه على الحقيقة قالوا: أنطقها الله الذي أنطق كل شيء، وفهم عنها كما فهم عن الأيدي والأرجل والجلود، وأخبر عن شهادتها، ونطقها(١)، وعن النمل بقولها(٢)وعن الجبال بتسبيحها، واحتجوا بقوله تعالى: ﴿يَٰجِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُۥ﴾[سبأ: ١٠] أي: سبحي معه، وبقوله: ﴿مَعَهُۥ يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِشْرَاقِ﴾[ص: ١٨]، وبقوله: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾[الإسراء: ٤٤] وبقوله: ﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ﴿٣٠﴾﴾ [ق: ٣٠] وبقوله: ﴿إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ سَمِعُوا۟ لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ﴿١٢﴾﴾[الفرقان: ١٢] وبقوله: ﴿فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ﴾ [فصلت: ١١]، فلما كان مثل هذا ـ وهو في القرآن كثير ـ حملوا بكاء السماء والأرض(٣)، وانفطار السماء وانشقاق الأرض(٤)، وهبوط الحجارة من خشية الله(٥)، كل ذلك وما كان مثله على الحقيقة، وكذلك إرادة الجدار الانقضاض(٦)، واحتجوا على صحة ما ذهبوا إليه من الحقيقة في ذلك بقوله تعالى: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۖ يَقُصُّ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْفَٰصِلِينَ﴾ [الأنعام: ٥٧] وبقوله: ﴿قَالَ فَٱلْحَقُّ وَٱلْحَقَّ أَقُولُ ﴿٨٤﴾﴾ [ص: ٨٤].

وأما الذين حملوا ذلك كله وما كان مثله على المجاز، قالوا: أما قوله: ﴿سَمِعُوا۟ لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا﴾ [الفرقان: ١٢] وقوله: ﴿تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلْغَيْظِ﴾ [الملك: الآية ٨] فهذا

---

(١) يقصد قول الله ﷻ: ﴿ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [يس: ٦٥]

(٢) يقصد قوله تعالى: ﴿قَالَتْ نَمْلَةٌ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [سورة النمل: ١٨]

(٣) يقصد قوله ﷻ: ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ﴾ [سورة الدخان: ٢٩].

(٤) يقصد قوله تعالى: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ ﴿١﴾﴾ [سورة الانفطار: ١].

(٥) يقصد قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [سورة البقرة: ٧٤].

(٦) يقصد قوله تعالى: ﴿فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ﴾ [سورة الكهف: ٧٧].

تعظيم من الله تعالى لشأنها، قالوا: وقول النبي ﷺ: «اشتكت النار إلى ربها» من باب قول عنترة:

وَشَكا إِلَيَّ بِعَبرَةٍ وَتَحَمحُمِ

وقول الآخر:

يشكو إلي جملي طُولَ السُرى صَبرٌ جميلٌ فكلانا مبتلى.

وكقول الحارثي:

يريد الرمحُ صدر أبي براءٍ ويرغبُ عن دماءِ بني عقيل

وقال غيره:

رب قوم غبروا من عيشهم في سرور ونعيم وغدق
سكت الدهر زمانا عنهم ثم أبكاهم دما حين نطق

وقال غيره:

وَعَظَتكَ أَجداثٌ خُفُت فيهِنَّ أَجسادٌ سُبُت
وَتَكَلَّمَت لَك بِالبِلى مِنهُنَّ أَلسِنَةٌ صُمُت
وَأَرَتكَ قَبرَكَ في القُبو رِ وَأَنتَ حَيٌّ لَم تَمُت
وَكَأَنَّني بِكَ عَن قَري بٍ رَهنَ حَتفٍ لَم يَفُت

وهذا كثير في أشعارهم ـ وقد ذكرنا كثيرًا منها في التمهيد ـ وقالوا: هذا كله على المجاز، والتمثيل، والمعنى في ذلك: أنها لو كانت ممن تنطق، لكان نطقها هذا وفعلها، وذكروا قول حسان بن ثابت حيث يقول (الوافر):

لَوَ أَنَّ اللُؤمَ يُنسَبُ كانَ عَبدًا قَبيحَ الوَجهِ أَعوَرَ مِن ثَقيفِ.

وسئل أبو العباس أحمد بن يزيد النحوي، عن قول الملك: ﴿إِنَّ هَٰذَآ أَخِى لَهُۥ تِسۡعٌ وَتِسۡعُونَ نَعۡجَةً وَلِىَ نَعۡجَةٌ وَٰحِدَةٌ﴾ [ص: ٢٣] وهم الملائكة لا أزواج لهم، فقال: نحن طول النهار نفعل هذا، فنقول: ضرب زيدٌ عمرًا، وإنما هذا تقدير، كأن المعنى: إذا وقع هذا، فكيف الحكم فيه؟

وذكروا قول عدي بن زيد العبادي للنعمان بن المنذر: أتدري ما تقول هذه الشجرة أيها الملك؟ قال: وما تقول؟ قال: تقول:

رُبَّ رَكْبٍ قَدْ أَناخُوا حَولَنا ... يَشْرَبونَ الخَمرَ بِالماءِ الزُّلال
عَصَفَ الدَّهرُ بِهِم فَانقَرَضوا ... وَكَذاكَ الدَّهرُ حالاً بَعدَ حال

قال أبو عمر: القول الأول يعضده عموم الخطاب، وظاهر الكتاب، وهو أولى بالصواب[1]، والله أعلم.

(١) قال ابن القيم: فصل: في أن الجنة تتكلم: قد تقدم قوله: «احتجت الجنة و النار» و قوله: «قالت الجنة: يا رب، قد اطردت أنهاري، و طابت ثماري؛ فعجل علي بأهلي» وقال إسماعيل بن أبي خالد عن سعيد الطائي: أخبرت إن الله تعالى لما خلق الجنة قال لها: تزيني فتزينت، ثم قال لها: تكلمي فتكلمت؛ فقالت: طوبى لمن رضيت عنه، و قال قتادة: لما خلق الله الجنة، قال لها: تكلمي؛ فقالت: طوبى للمتقين، وقال الطبراني حدثنا أحمد بن علي ثنا هشام بن خالد ثنا بقية عن ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «لما خلق الله جنة عدن خلق فيها ما لا عين رأت و لا أذن سمعت و لا خطر على قلب بشر، ثم قال لها: تكلمي فقالت: قد أفلح المؤمنون» حادي الأرواح: ص ٢٨١-٢٨٢.

أقوال ابن عبدالبر في أبواب الجنة والنار

عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «من أنفق زوجين من شيء من الأشياء في سبيل الله دعي من أبواب، يعني: الجنة يا عبدالله، هذا خير، فمن كان من أهل الصلاة دعي من باب الصلاة، ومن كان من أهل الجهاد دعي من باب الجهاد، ومن كان من أهل الصدقة دعي من باب الصدقة، ومن كان من أهل الصيام دعي من باب الصيام، وباب الريان؛ فقال أبو بكر: ما على هذا الذي يدعى من تلك الأبواب من ضرورة، وقال: هل يدعى منها كلها أحد يا رسول الله؟ قال: نعم، وأرجو أن تكون منهم يا أبا بكر»(١).

قال أبو عمر(٢): وفي هذا الحديث دليل على أن للجنة أبوابًا، وقد قيل: إن أبواب الجنة ثمانية، وأبواب جهنم سبعة أجارنا الله من جهنم وأدخلنا الجنة برحمته آمين.

وقد قال بعض أهل العلم بالقرآن واللغة: إن الواو في قوله ﷻ: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴿٧٣﴾﴾ [الزمر: ٧٣] فذكر ذلك بالواو، وقال في جهنم: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا﴾ [الزمر: ٧٣] بلا واو. قال: فالواو في ذكر الجنة هي واو الثمانية؛ لأن للجنة ثمانية أبواب، فمن هناك ذكرت الواو في ذلك، وواو الثمانية عندهم معروفة من ذلك قول الله ﷻ: ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ ٱلْحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلْءَامِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ [التوبة: ١١٢] فأدخل الواو في الصفة الثامنة دون غيرها، ومن ذلك قوله ﷻ: ﴿عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ مُسْلِمَٰتٍ مُّؤْمِنَٰتٍ قَٰنِتَٰتٍ تَٰٓئِبَٰتٍ عَٰبِدَٰتٍ سَٰٓئِحَٰتٍ ثَيِّبَٰتٍ وَأَبْكَارًا ﴿٥﴾﴾ [التحريم: ٥] فأدخل الواو في الصفة الثامنة، فسموا هذه الواو واو الثمانية، ومنها عندهم قول الله ﷻ: ﴿سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًۢا بِٱلْغَيْبِ﴾ [الكهف: ٢٢]

(١) صحيح البخاري: ٣/١٣٤٠/٣٤٦٦.
(٢) التمهيد: ٧/١٨٦-١٩١.

وما قالوا من ذلك عندي حسن، وقد كان بعضهم يقول: إن الواو في قوله: ﴿ثَيِّبَٰتٍ وَأَبْكَارًا﴾ [التحريم: ٥] ليست واو الثمانية، ولا وجه لما أنكر من ذلك والله أعلم.

وقد حدثنا عبدالوارث بن سفيان قال: حدثنا قاسم بن أصبغ قال: حدثنا أحمد بن محمد بن شيبة قال: حدثنا أبو مصعب قال: حدثني إبراهيم بن محمد بن ثابت عن أبيه عن عقبة بن عامر الجهني عن عمر بن الخطاب قال: قال رسول الله ﷺ: «**من توضأ فأسبغ وضوءه، ثم قال: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبده ورسوله صادقًا من نفسه أو من قلبه ـ شك أيهما قال ـ فتح له من أبواب الجنة ثمانية أبواب يوم القيامة، يدخل من أيها شاء**»(١) هكذا قال: «**أبواب الجنة**» وذكر أبو داود عن حسين ابن علي البسطامي قال: حدثنا عبدالله بن يزيد المقرىء قال: حدثنا حيوة بن شريح قال: حدثنا أبو عقيل عن ابن عمه عن عقبة بن عامر قال: قال لي عمر بن الخطاب: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «**من توضأ فأحسن الوضوء، ثم رفع بصره إلى السماء، فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، فتحت له ثمانية أبواب من الجنة يدخل من أيها شاء**»(٢)....

قال أبو عمر: فعلى هذا اللفظ أبواب الجنة ثمانية كما قالوا(٣).

---

(١) صحيح رواه مسلم: ١/٢٠٩/٢٣٤.

(٢) ضعيف: رواه أبو داو: ١/٤٤/١٧٠، والبزار: ١/٣٦١/٢٤٢، وأبو يعلى في مسنده: ١/١٦٢/١٨٠، وضعفه الألباني في سنن أبي داود: ح (١٧٠) .

(٣) قال ابن القيم: الباب التاسع في ذكر عدد أبواب الجنة.
قال الله تعالى: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ﴾ [سورة الزمر: ٧٣] وقال في صفة النار: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا﴾[سورة الزمر: ٧١] بغير واو، فقالت طائفة: هذه واو الثمانية دخلت في أبواب الجنة لكونها ثمانية وأبواب النار سبعة فلم تدخلها الواو، وهذا قول ضعيف لا دليل عليه، ولا تعرفه العرب ولا أئمة العربية، وإنما هو من استنباط بعض المتأخرين، وقالت طائفة أخرى: الواو زائدة والجواب الفعل الذي بعدها كما هو في الآية الثانية، وهذا أيضًا ضعيف؛ فإن زيادة الواو غير معروف في كلامهم، ولا يليق بأفصح الكلام أن يكون فيه حرف زائد لغير معنى ولا فائدة، وقالت طائفة ثالثة: الجواب محذوف، وقوله: ﴿وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا﴾ عطف على قوله: ﴿جَآءُوهَا﴾ وهذا اختيار أبي عبيدة والمبرد والزجاج وغيرهم، قال المبرد: وحذف الجواب أبلغ عند أهل العلم، قال =

....

= أبو الفتح بن جني: وأصحابنا يدفعون زيادة الواو ولا يجيزونه، ويرون أن الجواب محذوف للعلم به. بقي أن يقال فما السر في حذف الجواب في آية أهل الجنة وذكره في آية أهل النار؟ فيقال: هذا ابلغ في الموضعين؛ فإن الملائكة تسوق أهل النار إليها وأبوابها مغلقة، حتى إذا وصلوا إليها فتحت في وجوههم؛ فيفجأهم العذاب بغتة، فحين انتهوا إليها فتحت أبوابها بلا مهلة، فإن هذا شأن الجزاء المرتب على الشرط، أن يكون عقيبه؛ فإنها دار الإهانة والخزى، فلم يستأذن لهم في دخولها ويطلب إلى خزنتها أن يمكنوهم من الدخول، وأما الجنة فإنها دار الله ودار كرامته ومحل خواصه وأوليائه، فإذا انتهوا إليها صادفوا أبوابها مغلقة، فيرغبون إلى صاحبها ومالكها أن يفتحها لهم، ويستشفعون إليه بأولي العزم من رسله، وكلهم يتأخر عن ذلك حتى تقع الدلالة على خاتمهم وسيدهم وأفضلهم؛ فيقول: أنا لها؛ فيأتي إلى تحت العرش، ويخر ساجدًا لربه، فيدعه ما شاء الله أن يدعه ثم يأذن له في رفع رأسه وأن يسأله حاجته؛ فيشفع إليه سبحانه في فتح أبوابها فيشفعه ويفتحها تعظيمًا لخطرها وإظهارا لمنزلة رسوله وكرامته عليه، وإن مثل هذه الدار هي دار ملك الملوك ورب العالمين إنما يدخل إليها بعد تلك الأهوال العظيمة التي اولها من حين عقل العبد في هذه الدار إلى ان انتهى إليها وما ركبه من الأطباق طبقًا بعد طبق، وقاساه من الشدائد شدة بعد شدة حتى أذن الله تعالى لخاتم أنبيائه ورسله وأحب خلقه إليه أن يشفع إليه في فتحها لهم، وهذا أبلغ وأعظم في تمام النعمة وحصول الفرح والسرور مما يقدر بخلاف ذلك لئلا يتوهم الجاهل أنها بمنزلة الخان الذي يدخله من شاء، فجنة الله غالية بين الناس وبينها من العقبات والمفاوز والأخطار مالا تنال إلا به، فما لمن أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني ولهذه الدار، فليعد عنها إلى ما هو أولى به وقد خلق له وهيئ له، وتأمل ما في سوق الفريقين إلى الدارين زمرًا من فرحة هؤلاء بإخوانهم وسيرهم معهم كل زمرة على حده كل مشتركين في عمل متصاحبين فيه على زمرتهم وجماعتهم مستبشرين أقوياء القلوب كما كانوا في الدنيا وقت اجتماعهم على الخير، كذلك يؤنس بعضهم بعضًا، ويفرح بعضهم ببعض وكذلك أصحاب الدار الأخرى يساقون إليها زمرًا، يلعن بعضهم بعضًا، ويتأذى بعضهم ببعض، وذلك أبلغ في الخزى والفضيحة والهتيكة من أن يساقوا واحدًا واحدًا فلا تهمل تدبر قوله: ﴿زُمَرًا﴾ وقال خزنة أهل الجنة لأهلها: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ﴾ فبدؤهم بالسلام المتضمن للسلامة من كل شر ومكروه أي: سلمتم فلا يلحقكم بعد اليوم ما تكرهون، ثم قال لهم: ﴿طِبۡتُمۡ فَٱدۡخُلُوهَا خَٰلِدِينَ﴾ أي: سلامتكم وادخولها بطيبكم، فإن الله حرمها إلا على الطيبين؛ فبشروهم بالسلامة والطيب والدخول والخلود، وأما أهل النار فإنهم لما انتهوا إليها على تلك الحال من الهم والغم والحزن، وفتحت لهم أبوابها، وقفوا عليها وزيدوا على ما هم عليه توبيخ خزنتها وتكبيتهم لهم بقولهم: ﴿أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَتۡلُونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِ رَبِّكُمۡ وَيُنذِرُونَكُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَاۚ﴾ فاعترفوا وقالوا: ﴿بَلَىٰ﴾ فبشروهم بدخولها والخلود فيها، وإنها بئس المثوى لهم، وتأمل قول خزنة الجنة لأهلها: أدخلوها وقول خزنة النار لأهلها: ﴿ٱدۡخُلُوٓاْ أَبۡوَٰبَ جَهَنَّمَ﴾ تجد تحته سرًا لطيفًا ومعنى بديعًا لا يخفى على المتأمل، وهو أنها لما كانت دار العقوبة، وأبوابها أفظع شيء وأشده حرًا، وأعظمه عما يستقبل فيها الداخل من العذاب ما هو أشد منها، ويدنوا من الغم والخزي والحزن والكرب بدخول الأبواب؛ فقيل: ادخلوا أبوابها صَغَارًا لهم وإذلالًا وخزيًا، ثم قيل لهم لا يقتصر بكم على مجرد دخول الأبواب الفظيعة، ولكن وراءها =

= الخلود في النار، وأما الجنة فهي دار الكرامة والمنزل الذي أعده الله لأوليائه؛ فبشروا من أول وهلة بالدخول إلى المقاعد والمنازل والخلود فيها، وتأمل قوله سبحانه: ﴿جَنَّٰتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلْأَبْوَٰبُ ۝٥٠ مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ﴾ [ص: ٥٠ - ٥١] كيف تجد تحته معنى بديعًا؟ وهو أنهم إذا دخلوا الجنة لم تغلق أبوابها عليهم بل تبقى مفتحة كما هي، وأما النار فإذا دخلها أهلها أغلقت عليهم أبوابها، كما قال تعالى: ﴿إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ۝٨﴾ [سورة الهمزة: ٨] أي: مطبقة، ومنه سمي الباب وصيدًا وهي مؤصدة في عمد ممددة، قد جعلت العمد ممسكة للأبواب من خلفها كالحجر العظيم الذي يُجعل خلف الباب، قال مقاتل: يعني: أبوابها عليهم مطبقة، فلا يفتح لها باب، ولا يخرج منها غم، ولا يدخل فيها روح آخر الأبد، وأيضًا فإن في تفتيح الأبواب لهم إشارة إلى تصرفهم وذهابهم وإيابهم وتبوئهم في الجنة حيث شاؤا، ودخول الملائكة عليهم كل وقت بالتحف والألطاف من ربهم، ودخول ما يسرهم عليهم كل وقت، وأيضًا إشارة إلى أنها دار أمن لا يحتاجون فيها إلى غلق الأبواب كما كانوا يحتجون إلى ذلك في الدنيا، وقد اختلف أهل العربية في الضمير العائد من الصفة على الموصوف في هذه الجملة؛ فقال الكوفيون: التقدير مفتحة لهم أبوابها، والعرب تعاقب بين الألف واللام والإضافة، فيقولون: مررت برجل حسن العين، أي: عينه، ومنه قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِيَ ٱلْمَأْوَىٰ ۝٣٩﴾ [النازعات: ٣٩] أي: مأواه، وقال بعض البصريين: التقدير مفتحة لهم الأبواب منها، فحذف الضمير وما اتصل به، وقال: هذا التقدير في العربية أجود من أن يجعل الألف واللام بدلا من الهاء والألف؛ لأن معنى الألف واللام ليس من معنى الهاء والألف في شيء؛ لأن الهاء والألف اسم والألف واللام دخلتا للتعريف، ولا يبدل حرف من اسم، ولا ينوب عنه قالوا: وأيضًا لو كانت الألف واللام بدلًا من الضمير لوجب أن يكون في مفتحة ضمير الجنات ويكون معنى مفتحة: هي ثم أبدل منها الأبواب، ولو كان كذلك لوجب نصب الأبواب لكون مفتحة قد رفع ضمير الفاعل، فلا يجوز أن يرفع به اسم آخر؛ لامتناع ارتفاع فاعلين بفعل واحد، فلما ارتفع الأبواب دل على أن مفتحة خال من ضمير والأبواب مرتفعة به، وإذا كان في الصفة ضمير تعين نصب الثاني كما تقول: مررت برجل حسن الوجه، ولو رفعت الوجه ونونت حسنًا لم يجز؛ فالألف واللام إذا للتعريف ليس إلا، فلا بد من ضمير يعود على الموصوف الذي هو جنات عدن، ولا ضمير في اللفظ، فهو محذوف تقديره الأبواب منها وعندي أن هذا غير مبطل لقول الكوفيين؛ فإنهم لم يريدوا بالبدل إلا أن الألف واللام خلف وعوض عن الضمير تغني عنه، وإجماع العرب على قولهم حسن الوجه وحسن وجهه شاهد بذلك، وقد قالوا: إن التنوين بدل من الألف واللام بمعنى أنهما لا يجتمعان، وكذلك المضاف إليه يكون بدلًا من التنوين، والتنوين بدل من الإضافة، بمعنى: التعاقب والتوارد، ولا يريدون بقولهم هذا بدل من هذا أن معنى البدل معنى المبدل منه، بل قد يكون في كل منهما معنى لا يكون في الآخر؛ فالكوفيون أرادوا أن الألف واللام في الأبواب أغنت عن الضمير لو قيل أبوابها، وهذا صحيح؛ فإن المقصود الربط بين الصفة والموصوف بأمر يجعلها له لا مستقلة؛ فلما كان الضمير عائدًا على الموصوف نفي توهم الاستقلال، وكذلك لام التعريف، فإن كلًا من الضمير واللام يعين صاحبه هذا بعين مفسرة، وهذا يعين ما دخل عليه، وقد قالوا في زيد نعم الرجل: إن الألف واللام اغنت عن الضمير والله أعلم. =

أقوال ابن عبدالبر في خمر الجنة

عن ابن عمر، أن رسول اللّه ﷺ قال: «من شرب الخمر في الدنيا، فلم يتب منها حرمها

= وقد أعرب الزمخشري هذه الآية إعرابًا اعترض عليه فيه؛ فقال: ﴿جَنَّٰتِ عَدۡنٍ﴾معرفة كقوله: ﴿جَنَّٰتِ عَدۡنٍ ٱلَّتِي وَعَدَ ٱلرَّحۡمَٰنُ عِبَادَهُۥ بِٱلۡغَيۡبِ﴾ [سورة مريم: ٦١] وانتصابها على أنها عطف بيان لحسن مآب ومفتحة حال والعامل فيها ما في المتقين من معنى الفعل وفي مفتحة ضمير الجنات والأبواب بدل من الضمير تقديره مفتحة هي الأبواب كقولهم ضرب زيد اليد والرجل وهو من بدل الاشتمال هذا إعرابه فاعترض عليه بأن: ﴿جَنَّٰتِ عَدۡنٍ﴾ ليس فيها ما يقتضي تعريفها، وأما قوله: ﴿ٱلَّتِي وَعَدَ ٱلرَّحۡمَٰنُ عِبَادَهُۥ﴾ فبدل لا صفة، وبأن جنات عدن لا يسهل أن تكون عطف بيان لحسن مآب على قوله؛ لأن جريان المعرفة على النكرة عطف بيان لا قائل به، فإن القائل قائلان أحدهما: أنه لا يكون إلا في المعارف كقول البصريين والثاني: أنه يكون في المعارف والنكرات بشرط المطابقة، كقول الكوفيين وأبي على الفارسي، وقوله أن في ﴿مُّفَتَّحَةً﴾ضمير الجنات؛ فالظاهر خلافه وأن الأبواب مرتفع به ولا ضمير فيه، وقوله: إن الأبواب بدل اشتمال، فبدل الاشتمال قد صرح هو وغيره أنه لا بد فيه من الضمير وإن نازعهم فيه آخرون، ولكن يجوز أن يكون الضمير ملفوظًا به وأن يكون مقدرًا، وهنا لم يلفظ به فلا بد من تقديره أي: الأبواب منها، فإذا كان التقدير مفتحة لهم هي الأبواب منها كان فيه تكثير للإضمار وتقليله أولى، وفي الصحيحين من حديث أبي حازم عن سهل ابن سعد أن رسول الله قال: «في الجنة ثمانية أبواب: باب منها يسمى الريان لا يدخله إلا الصائمون»، وفي الصحيحين من حديث الزهري عن حميد بن عبدالرحمن عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «من أنفق زوجين في شيء من الأشياء في سبيل الله دعى من أبواب الجنة: يا عبدالله، هذا خير، فمن كان من أهل الصلاة دعي من باب الصلاة، ومن كان من أهل الجهاد دعي من باب الجهاد، ومن كان من أهل الصدقة دعي من باب الصدقة، ومن كان من أهل الصيام دعي من باب الريان؛ فقال أبو بكر: بأبي أنت وأمي يا رسول الله، ما على من دعي من تلك الأبواب من ضرورة؛ فهل يدعى أحد من تلك الأبواب كلها؟ فقال: نعم، وأرجو أن تكون منهم» وفي صحيح مسلم عن عمر بن الخطاب عن النبي قال: «ما منكم من أحد يتوضأ فيبالغ أو فيسبغ الوضوء، ثم يقول: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله إلا فتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء» زاد الترمذي بعد التشهد: «اللهم اجعلني من التوابين، واجعلني من المتطهرين» زاد أبو داود والأمام أحمد: «ثم رفع نظره إلى السماء»؛ فقال: وعند الأمام أحمد من رواية أنس يرفعه: «من توضأ فأحسن الوضوء ثم قال ثلاث مرات: اشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله فتح له أبواب الجنة الثمانية من أيها شاء دخل» وعن عتبة بن عبدالله السلمي قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما من مسلم يتوفى له ثلاثًا من الولد لم يبلغوا الحنث إلا تلقوه من أبواب الجنة الثمانية من أيها شاء دخل» رواه ابن ماجه وعبدالله بن أحمد عن ابن نمير ثنا إسحق بن سليمان ثنا جرير بن عثمان عن شرحبيل بن شفعة عن عتبة. حادي الأرواح: ص ٣٧-٤٢.

في الآخرة»[١].

قال ابن عبدالبر[٢]: في هذا الحديث دليل على تحريم الخمر، وعلى أن شربها من الكبائر؛ لأن هذا وعيد شديد يدل على حرمان دخول الجنة؛ لأن الله عز وجل أخبر أن الجنة بها خمر، فقال الله تعالى: ﴿وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَٰلِدٌ فِى ٱلنَّارِ وَسُقُوا۟ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ﴾[محمد: ١٥] وقال عز وجل: ﴿لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ ﴿١٩﴾﴾ [الواقعة: ١٩] والظاهر أن من دخل الجنة لا بد له من شرب خمرها، ولا يخلو من حرم الخمر في الجنة ولم يشربها فيها، وهو قد دخلها من أن يكون يعلم أن فيها خمرًا لذة للشاربين وأنه حرمها عقوبة، أو لا يكون يعلم بها، فإن يكن لا يعلم بها، فليس في هذا شيء من الوعيد؛ لأنه إذا لم يعلم بها، ولم يذكرها، ولا رآها لم يجد ألم فقدها، فأي عقوبة في هذا، ويستحيل أن يخاطب الله ورسوله بما لا معنى له، وإن يكن عالمًا بها وبموضعها، ثم يحرمها عقوبة لشربه لها في الدنيا إذ لم يتب منها قبل الموت، وعلى هذا جاء الحديث، فإن كان هذا هكذا فقد لحقه حينئذ حزن وهم وغم لما حرم من شربها هو، ويرى غيره يشربها، والجنة دار لا حزن فيها، ولا غم قال الله عز وجل: ﴿لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ﴾ [الحجر: ٤٨] وقال: ﴿وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ﴾ [فاطر: ٣٤] وقال:﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ﴾ [الزخرف: ٧١] ولهذا - والله أعلم - قال بعض من تقدم: إن من شرب الخمر، ولم يتب منها لم يدخل الجنة؛ لهذا الحديث ومثله، وهذا مذهب غير مرضي عندنا، إذا كان على القطع في إنفاذ الوعيد، ومحمله عندنا أنه لا يدخل الجنة إلا أن يغفر له إذا مات غير تائب عنها كسائر الكبائر، وكذلك قوله: «لم يشربها في الآخرة» معناه عندنا: إلا أن يغفر له، فيدخل الجنة، ويشربها، وهو عندنا في مشيئة الله إن شاء غفر له، وإن شاء عذبه بذنبه، فإن عذبه

---

(١) صحيح البخاري: ٥/٢١١٩/٥٢٥٣، صحيح مسلم: ٣/١٥٨٨/٢٠٠٣.

(٢) التمهيد: ١٥/١٥-١٠/١٠.

بذنبه، ثم دخل الجنة برحمته لم يحرمها إن شاء اللَّه، ومن غفر له فهو أحرى أن لا يحرمها ـ واللَّه أعلم ـ وعلى هذا التأويل يكون معنى قوله عليه السلام: «حرمها في الآخرة» أي: جزاؤه، وعقوبته أن يحرمها في الآخرة، وللَّه أن يجازي عبده المذنب على ذنبه، وله أن يعفو عنه، فهو أهل العفو وأهل المغفرة ﴿لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨] وهذا الذي عليه عقد أهل السنة، أن اللَّه يغفر لمن يشاء ما خلا الشرك، ولا ينفذ الوعيد على أحد من أهل القبلة وباللَّه التوفيق.

وجائز أن يدخل الجنة إذا غفر اللَّه له، فلا يشرب فيها خمرًا، ولا يذكرها، ولا يراها، ولا تشتهيها نفسه واللَّه أعلم.

وقد روي عن أبي سعيد الخدري، من لبس الحرير في الدنيا، ودخل الجنة لم يلبسه هو فيها من بين سائر أهلها، هذا ومعناه روي عنه.

حدثنا عبدالوارث بن سفيان قال: حدثنا قاسم بن أصبغ قال: حدثنا أحمد بن زهير قال: حدثنا مسلم قال: حدثنا هشام قال: حدثنا قتادة عن داود السراج عن أبي سعيد رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «من لبس الحرير في الدنيا لم يلبسه في الآخرة، وإن دخل الجنة لبسه أهل الجنة، ولم يلبسه هو»[١] ورواه أبو داود الطيالسي عن هشام بإسناده مرفوعًا، ورواه شعبة، عن قتادة عن داود عن أبي سعيد مثله موقوفًا وقد روى جماعة عن النبي ﷺ أنه قال: «من لبس الحرير في الدنيا لم يلبسه في الآخرة»[٢] وروي عن ابن الزبير أنه قال: من لم يلبسه في الآخرة لم يدخل الجنة؛ لأن اللَّه عز وجل قال في كتابه: ﴿وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾ [الحج: ٢٣].

قال ابن عبدالبر: وهذا عندي على نحو المعنى الذي نزعنا به في شارب الخمر، واللَّه أعلم.

---

(١) صحيح: رواه النسائي في السنن الكبرى: ٩٦١١/٤٧١/٥، والطيالسي في مسنده: ١/٢٩٤/ ٢٢١٧ وابن حبان في صحيحه: ٥٤٣٧/٢٥٣/١٢، والحاكم في المستدرك: ٧٤٠٤/٢١٢/٤، وصححه ابن حجر في الفتح: ٣٢/١٠.

(٢) صحيح البخاري: ٥٤٩٥/٢١٩٤/٥، صحيح مسلم: ٢٠٧٣/١٦٤٥/٣.

حدثنا عبدالرحمن بن مروان قال: حدثنا أحمد بن عمرو بن سليمان الحريري قال: حدثنا البغوي قال: حدثنا أبو الربيع العتكي الزهراني قال: حدثنا حماد بن زيد قال: حدثنا أيوب عن نافع عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «كل مسكر خمر، وكل مسكر حرام، ومن شرب الخمر في الدنيا، فمات ولم يتب منها لم يشربها في الآخرة»[1]....

قال ابن عبدالبر: وأجمع العلماء على أن شارب الخمر ما لم يتب منها فاسق مردود الشهادة، وذكر الأثرم قال: قلت لأحمد بن حنبل: لي جار يشرب الخمر أأسلم عليه؟ فسكت، ثم قال: سلم عليه، ولا تجالسه. حدثنا محمد بن عبدالملك قال: حدثنا ابن الأعرابي قال: حدثنا سعدان بن نصر قال: حدثنا ابن عيينة عن عمرو عن يحيى بن جعدة قال: قال عثمان بن عفان: «إياكم والخمر، فإنها مفتاح كل شر، أتي رجل فقيل له: إما أن تحرق هذا الكتاب، وإما أن تقتل هذا الصبي، وإما أن تقع على هذه المرأة، وإما أن تشرب هذه الكأس، وإما أن تسجد لهذا الصليب، قال: فلم ير فيها شيئًا أهون من شرب الكأس، فلما شربها سجد للصليب، وقتل الصبي، ووقع على المرأة، وحرق الكتاب»[2].

---

(١) صحيح مسلم: ٣/١٥٨٧/ ٢٠٠٣.

(٢) رواه البيهقي في السنن الكبرى: ٨/٢٨٨/١٧١١٧.

أقوال ابن عبدالبر في أن المرء يحبس عن الجنة بالدَّين

عن عبدالله بن أبي قتادة عن أبيه أنه قال: «جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، إن قتلت في سبيل الله صابرًا محتسبًا مقبلًا غير مدبر أيكفر الله عني خطاياي؟ فقال رسول الله ﷺ: نعم، فلما أدبر الرجل ناداه رسول الله ﷺ أو أمر به، فنودي له، فقال رسول الله ﷺ: كيف قلت؟ فأعاد عليه قوله؛ فقال له النبي ﷺ: نعم، إلا الدين، كذلك قال لي جبريل»[١].

قال ابن عبدالبر[٢]: في هذا الحديث أن الخطايا تكفر بالأعمال الصالحة مع الاحتساب والنية في العمل، وقد روي عن النبي ﷺ أنه قال: «قتل الصبر كفارة»[٣] مجملًا، وهذا عندي إنما يكون لمن احتسب كما جاء في هذا الحديث، أو يكون مظلومًا، فمن قتل مظلومًا كفرت خطاياه على كل حال، وفيه دليل على أن أعمال البر المتقبلات لا يكفر من الذنوب إلا ما بين العبد وبين ربه، فأما تبعات بني آدم فلا بد فيها من القصاص، وقد ذكرنا وجوه الذنوب المكفرات بالأعمال الصالحة في غير موضع من كتابنا هذا، والحمد لله.

حدثنا أحمد بن قاسم قال: حدثنا قاسم بن أصبغ قال: حدثنا الحارث بن أبي أسامة قال: حدثنا هدبة، ويزيد بن هارون قالا: حدثنا همام قال: حدثنا القاسم بن عبدالواحد عن عبدالله بن محمد بن عقيل، أنه سمع جابر بن عبدالله يقول: بلغني حديث عن رجل سمعه من رسول الله ﷺ فاشتريت بعيرًا، ثم شددت عليه رحلي، فسرت إليه شهرًا، حتى قدمت عليه الشام؛ فإذا عبدالله بن أنيس، فقلت للبواب: قل له: جابر على الباب؛ فقال: ابن عبدالله؟ قلت: نعم؛ فخرج يطأ ثوبه فاعتنقني،

---

(١) صحيح: رواه مالك في الموطأ: ٢/٤٦١/٩٨٦، والشافعي في السنن المأثورة: ح (٦٨٢)، وأحمد في المسند: ٥/٢٩٧/ ٢٢٥٩٥، وأبو عوانة في مسنده: ٤/٤٦٩/٧٣٦٧، وابن حبان في صحيحه: ١٠/٥١١/٤٦٥٤.

(٢) التمهيد: ٢٣/ ٢٣٢ - ٢٣/٢٤٠.

(٣) لم أجده بهذا اللفظ.

واعتنقته، فقلت: حديثًا بلغني عنك، أنك سمعته من رسول الله ﷺ في القصاص، فخشيت أن تموت أو أموت قبل أن أسمعه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**يحشر الناس يوم القيامة، أو قال: العباد عراة غرلًا**[١] **بُهمًا. قال: قلنا: وما بهمًا؟ قال: ليس معهم شيء، ثم يناديهم بصوت يسمعه من قرب كما يسمعه من بعد: أنا الملك، أنا الديان، ولا ينبغي لأحد من أهل النار أن يدخل النار وله عند أحد من أهل الجنة حق، حتى أقصه منه، ولا ينبغي لأحد من أهل الجنة أن يدخل الجنة ولأحد من أهل النار عنده حق حتى أقصه منه حتى اللطمة قال: قلنا: كيف وأنَّا إنما نأتي الله** ﷻ **عراة غرلًا بهمًا؟ قال: بالحسنات والسيئات**»[٢].

حدثنا خلف بن قاسم قال: حدثنا أبو طالب محمد بن زكرياء بن يحيى المقدسي ببيت المقدس قال: حدثنا محمد بن النعمان بن بشير قال: حدثنا إسماعيل قال: حدثني مالك عن سعيد المقبري عن أبي هريرة، أن رسول الله ﷺ قال: «**من كانت عنده مظلمة لأخيه فليتحللَّه منها؛ فإنه ليس ثم دينار ولا درهم من قبل أن يؤخذ لأخيه من حسناته، فإن لم يكن له حسنات أخذ من سيئات أخيه فطرحت عليه**»[٣]، وحدثنا خلف ابن قاسم، حدثنا إبراهيم بن محمد بن إبراهيم الديبلي قال: حدثنا محمد بن علي بن زيد، وحدثنا خلف، حدثنا عبدالله بن عمر بن إسحاق، حدثنا أحمد بن محمد بن الحجاج قالا: حدثنا عبدالعزيز بن يحيى المدني، قال: حدثنا مالك عن سعيد بن أبي سعيد المقبري عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «**من كانت عنده مظلمة لأخيه**» فذكر الحديث، وحدثنا خلف بن قاسم، حدثنا عبدالله بن عمر بن إسحاق، حدثنا أحمد بن محمد بن الحجاج، حدثنا هانيء بن المتوكل (من كتابه سنة ثمان وعشرين ومائتين)

---

(١) غرلًا: أي قُلْفًا. لسان العرب: ١١/٤٩٠.

(٢) صحيح: رواه أحمد في المسند: ٣/٤٩٥/١٦٠٨٥، وابن أبي عاصم في السنة: ١/٢٢٥/٥١٤، والبخاري في الأدب المفرد: ١/٣٣٧/٩٧٠، وصححه الحاكم في المستدرك: ٢/٤٧٥/٣٦٣٨، وصححه الهيثمي في مجمع الزوائد: ١٠/٣٤٥-٣٤٦، وصححه المزي في تهذيب الكمال: ٢٣/٣٩٣، والألباني في السنة لابن أبي عاصم: ح (٥١٤) .

(٣) صحيح البخاري: ٥/٢٣٩٤/٦١٦٩.

حدثني خالد بن حميد، حدثنا مالك عن سعيد بن أبي سعيد المقبري عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال: **«من كانت عنده مظلمة لأخيه من مال أو عرض؛ فليأته، فليتحلله قبل أن يؤخذ منه، وليس ثم دينار ولا درهم، فإن كانت عنده حسنات، وإلا أخذ من سيئات صاحبه، فطرحت عليه»**[١]، وذكر ابن الجارود قال: حدثنا أزهر بن زفر بن صدقة مولى جبر بن نعيم قال: حدثني هانيء بن المتوكل قال: حدثني خالد بن حميد عن مالك بن أنس عن سعيد بن أبي سعيد المقبري عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: **«من كانت عنده مظلمة لأخيه في مال، أو عرض»** فذكر معناه.

قال ابن الجارود: وحدثنا إبراهيم بن الحسن قال: حدثنا إسحاق بن محمد قال: حدثنا مالك عن العلاء بن عبدالرحمن عن أبيه، أنه سمع أبا هريرة يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«هل تدرون من المقلون؟ قالوا: يا رسول الله، المقلون فينا من لا درهم له، ولا متاع له؛ فقال رسول الله ﷺ: إن المقلين من يأتي يوم القيامة بصيام وصلاة وزكاة، ويأتي قد شتم عرض هذا، وأكل مال هذا، وقذف هذا، وضرب هذا، فيقعد يوم القيامة، فيقتص هذا كله من حسناته، فإن ذهبت قبل أن يقتص منه الذي عليه من الخطايا أخذ من خطاياهم، فتطرح عليه»**[٢]....

حدثنا أحمد بن فتح قال: حدثنا أبو الفضل جعفر بن محمد بن يزيد الجوهري بمصر، قال: حدثنا أحمد بن سلام البغدادي، قال: حدثنا أبو معمر، حدثنا إبراهيم بن سعد عن أبيه عن عمر بن أبي مسلمة عن أبيه عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ:

---

(١) صحيح: رواه البيهقي في السنن الكبرى: ٦٣٠٥/٣٦٩/٣، والطبراني في مسند الشاميين: ٢/ ١٣٢٦/٢٧٣، وابن حبان في صحيحه: ٧٣٦١/٣٦١/١٦.

(٢) لم أجده بهذا اللفظ، ولكن روى مسلم في صحيحه: حدثنا قتيبة بن سعيد، وعلي بن حجر قالا: حدثنا إسماعيل، وهو ابن جعفر عن العلاء عن أبيه عن أبي هريرة، أن رسول الله ﷺ قال: «أتدرون ما المفلس؟ قالوا: المفلس فينا من لا درهم له، ولا متاع؛ فقال: إن المفلس من أمتي يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة، ويأتي قد شتم هذا، وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا، فيعطى هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه أخذ من خطاياهم، فطرحت عليه، ثم طرح في النار» صحيح مسلم: ٢٥٨١/١٩٩٧/٤.

«نفس المؤمن معلقة بدينه، حتى يقضى عنه»[١]........

وحدثنا عبدالوارث قال: حدثنا قاسم، قال: حدثنا أحمد بن زهير، قال: حدثنا الفضل بن دكين قال: حدثنا سفيان، قال أحمد بن زهير: وحدثنا أبي قال: حدثنا وكيع عن سفيان عن سعد بن إبراهيم عن عمر بن أبي سلمة عن أبيه عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: **«نفس المؤمن معلقة ما كان عليه دين»**[٢].....

قال أبو عمر: هذه الأحاديث تفسر حديث هذا الباب، حدثنا قاسم بن محمد، قال: حدثنا خالد ابن سعيد قال: حدثنا أحمد بن عمرو، حدثنا ابن سنجر قال: حدثنا حجاج بن منهال قال: حدثنا حماد بن سلمة، أخبرني عبدالملك أبو جعفر، عن أبي نضرة، عن سعد بن الأطول، قال: **«إن أخاه مات وترك ثلاثمائة درهم، وترك عيالاً، قال: فأردت أن أنفقها عليهم»**، فقال النبي ﷺ: **«إن أخاك محبوس بدينه، فاقض عنه، قال: فقضيت عنه، ثم جئت إلى رسول الله ﷺ، قلت: قد قضيت عنه، ولم تبق إلا امرأة تدعي بدينارين، وليس لها بينة؛ فقال:أعطها، فإنها صادقة»**[٣]...

قال ابن عبدالبر: وفي حديث هذا الباب معان من الفقه منها: أن الورثة لا ينفق عليهم، ولا لهم ميراث حتى يؤدى الدين، وروى إسماعيل بن جعفر عن العلاء بن

---

(١) صحيح: رواه الشافعي في الأم: ٣٦١/١، والترمذي في سننه: ١٠٧٨/٣٨٩/٣، وابن ماجة: ٢/ ٢٤١٣/٨٠٦، والبيهقي في الكبرى: ١١٠٤٨/٤٩/٦، وفي شعب الإيمان: ٥٥٤٤/٤٠١/٤، والحاكم في المستدرك: ٢٢١٩/٣٣/٢،وصححه العجلوني في كشف الخفاء: ٢٨٣٢/٤٢٩/٢، وصححه ابن حجر في الفتح: ١٤٢/٥، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي: ح (١٠٧٨).

(٢) رواه أحمد في المسند: ٩٦٧٧/٤٤٠/٢، والدارمي في سننه: ٢٥٩١/٣٤٠/٢، والبيهقي في السنن الكبرى: ٦٨٩٢/٦١/٤، وفي شعب الإيمان: ٥٥٤٣/٤٠١/٤، والطبراني في المعجم الصغير: ٢/ ١١٤٤/٢٦٧، وابن حبان في صحيحه: ٣٠٦١/٣٣١/٧

(٣) صحيح: رواه أحمد في المسند: ١٧٢٦٦/١٣٦/٤، وأبو يعلى في مسنده: ١٥١٢/٨٢/٣، ولكن بلفظ «إن أباه مات»، والبخاري في التاريخ الكبير: ٤٥/٤، والبيهقي في السنن الكبرى: ١٠/ ٢٠٢٨٦/١٤٢، والطبراني في المعجم الكبير: ٥٤٦٦/ ٤٦/٦، وابن حبان في الثقات: ١٥٢/٣، والمزي في تهذيب الكمال: ٢٥٠/١٠، وابن حجر في الإصابة: ٦٧٨/٦، والهيثمي في مجمع الزوائد: ١٢٨/٤-١٢٩.

عبدالرحمن عن أبي كثير مولى محمد بن جحش عن محمد بن جحش، قال: «كنا جلوسًا في موضع الجنائز مع النبي ﷺ إذ رفع رأسه ثم نكسه، ثم وضع راحته على جبهته، وقال: سبحان الله ماذا نزل من التشديد؟ فسكتنا، وفرقنا، فلما كان من الغد، سُئل رسول الله ﷺ ما هذا التشديد الذي نزل؟ قال في الدين، والذي نفسي بيده لو أن رجلًا قتل في سبيل الله، ثم أحيي، ثم قتل، ثم أحيي، ثم قتل وعليه دين ما دخل الجنة حتى يقضى عنه»(١).... ورواه أنس بن عياض عن محمد بن أبي يحيى عن أبي كثير مولى الأشجعيين، قال: سمعت محمد بن عبدالله بن جحش، وكانت له صحبة يقول: «إن رسول الله ﷺ أتاه رجل؛ فقال: يا رسول الله، ما لي إن قاتلت في سبيل الله حتى أقتل؟ قال: الجنة، فلما ولى الرجل، قال رسول الله ﷺ كروه علي، فلما جاءه، قال: إن جبريل قال: إلا أن يكون عليه دين»(٢)، وروى سعيد بن سليمان، قال: حدثنا المبارك بن فضالة عن كثير أبي محمد عن البراء، قال: قال رسول الله ﷺ: «صاحب الدين مأسور يوم القيامة، يشكو إلى الله الوحدة»(٣).

قال أبو عمر: ومنها أن المرء يحبس عن الجنة من أجل دينه حتى يقع القصاص، ومنها أن القضاء عن الميت بعده في الدنيا ينفع الميت في الآخرة، ومنها أن الميت إنما يحبس عن الجنة بدينه إذا كان له وفاء ولم يوص به ولم يشهد عليه، والوصية بالدين فرض عند الجميع إذا لم يكن عليه بينة، فإذا لم يوص به كان عاصيًا، وبعصيانه ذلك يحبس عن الجنة، والله أعلم.

---

(١) صحيح: رواه أحمد في المسند: ٥/٢٨٩/٢٢٤٤٦، والنسائي في السنن الكبرى: ٤/٥٧/٦٢٨١، وفي المجتبى: ٧/٣١٤/ ٤٦٨٤، والبيهقي في الكبرى: ٥/٣٥٥/١٠٧٤٥، وفي شعب الإيمان: ٤/ ٣٩٨/٥٥٣٦، والطبراني في المعجم الكبير: ١٩/٢٤٨/٥٦٠، والحاكم في المستدرك: ٢/٢٩/ ٢٢١٢، وقال الحاكم: «هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه»، والمزي في تهذيب الكمال: ٢٥/٤٦٠، وحسنه الألباني في صحيح سنن النسائي: ح (٤٦٨٤) .

(٢) رواه الطبراني في المعجم الكبير: ١٩/٢٤٨/٥٥٨.

(٣) ضعيف: رواه الطبراني في الأوسط: ١/٢٧٤/٨٩٣، والهيثمي في مجمع الزوائد: ٤/١٢٩، وقال: «رواه الطبراني في الأوسط وفيه مبارك بن فضالة، وثقه عفان، وابن حبان، وضعفه جماعة» .

وفي قوله في هذا الحديث: «**أعطها، فإنها صادقة**» دليل على أن الحاكم يقضي بعلمه (وقد تكلمنا على هذا المعنى في غير هذا الموضع) والدين الذي يحبس به صاحبه عن الجنة ـ والله أعلم ـ هو الذي قد ترك له وفاء، ولم يوص به، أو قدر على الأداء، فلم يؤد، أو استدانه في غير حق، أو في إسراف ومات ولم يؤده، وأما من إدان في حق واجب لفاقة وعسرة، ومات ولم يترك وفاء، فإن الله لا يحبسه به عن الجنة ـ إن شاء الله ـ؛ لأن على السلطان فرضًا أن يؤدي عنه دينه إما من جملة الصدقات، أو من سهم الغارمين، أو من الفيء الراجع على المسلمين من صنوف الفيء.

وقد قيل: إن قول رسول الله ﷺ وتشديده في الدين كان من قبل أن يفتح الله عليه ما يجب منه الفيء والصدقات لأهلها.

حدثنا عبدالوارث بن سفيان، قال حدثنا قاسم بن أصبغ، قال: حدثنا بكر بن حماد، قال: حدثنا مسدد، قال: حدثنا حماد بن زيد عن بديل عن علي بن أبي طلحة عن راشد بن سعد عن أبي عامر الهوزي عن المقدام الكندي، قال: قال رسول الله: «**أنا أولى بكل مؤمن من نفسه، من ترك دينًا أو ضيعة فإلي، ومن ترك مالًا فلورثته**»[1]... حدثنا عبدالوارث، قال: حدثنا قاسم، قال: حدثنا مطلب بن شعيب، قال: حدثنا عبدالله بن صالح، حدثنا الليث، قال: حدثني عقيل عن ابن شهاب أخبرني أبو سلمة عن أبي هريرة، أن رسول الله ﷺ قال: «**أنا أولى بالمؤمنين من أنفسهم؛ فمن توفي من المسلمين، فترك دينًا، فعلي قضاؤه، ومن ترك مالًا، فلورثته**»، وحدثنا عبدالوارث قراءة مني عليه، أن قاسم بن أصبغ حدثهم، قال: حدثنا محمد بن وضاح، قال: حدثنا عبدالرحمن بن

---

(١) صحيح رواه مسلم عن جابر بن عبدالله: ٢/٥٩٢/٨٦٧، ولفظ رواية مسلم: «عن جابر بن عبدالله قال: كان رسول الله ﷺ إذا خطب احمرت عيناه، وعلا صوته، واشتد غضبه، حتى كأنه منذر جيش يقول: صبحكم، ومساكم، ويقول: بعثت أنا والساعة كهاتين، ويقرن ين إصبعيه السبابة والوسطى، ويقول: أما بعد، فإن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدى هدى محمد، وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة، ثم يقول: أنا أولى بكل مؤمن من نفسه، من ترك مالًا فلأهله، ومن ترك دينًا، أو ضياعًا فإلي وعلي» .

إبراهيم عن دحيم، قال: حدثنا الوليد، حدثنا الأوزاعي عن الزهري عن أبي سلمة عن أبي هريرة، قال: «**كان رسول الله ﷺ إذا دعي إلى رجل من المسلمين ليصلي عليه أقبل على أصحابه؛ فقال: هل ترك من دين؟ فإن قالوا: نعم. قال: فهل ترك من وفاء؟ فإن قالوا: لا. قال: صلوا على صاحبكم، فلما فتح الله على رسوله الفتوح، قال: أنا أولى بالمؤمنين من أنفسهم من ترك دينا، أو ضياعًا، فعلى الله ورسوله، ومن ترك مالاً، فلورثته**»(١) وعند سعيد بن أبي سعيد المقبري في هذا حديث آخر في هذا المعنى، أخبرنا قاسم بن محمد، قال: أخبرنا خالد ابن سعد، قال: حدثنا أحمد بن عمرو بن منصور، قال: حدثنا محمد بن سنجر، قال: حدثنا يعلى ابن عبيد قال: حدثنا محمد بن عمرو عن سعيد بن أبي سعيد المقبري عن عبدالله بن أبي قتادة عن أبيه، قال: «**أُتي رسول الله ﷺ بجنازة؛ ليصلي عليها؛ فقال: أعليه دين؟ قالوا: نعم، ديناران؛ فقال: أترك لهم وفاء؟ قالوا: لا، قال: صلوا على صاحبكم، قال أبو قتادة: هما علي يا رسول الله، قال: فصلى عليه النبي ﷺ**»(٢).

(١) صحيح البخاري: ٢/٨٠٥/٢١٧٦، صحيح مسلم: ٣/١٢٣٧/١٦١٩.

(٢) صحيح: رواه أحمد في مسنده: ٥/٢٩٧/٢٢٥٩٦، وابن أبي شيبة في المصنف: ٣/٤٩/١٢٠١٦، وعبد بن حميد في المنتخب: ح (١٩٠)، وابن حبان في صحيحه: ٧/٣٢٩/٣٠٥٨، وابن الجوزي في التحقيق: ٢/٢٠٤/١٥٣٣، وابن الملقن في خلاصة البدر المنير: ٢/٩١/١٥٩٧، وقال: «رواه أبو داود، والنسائي، وابن حبان كذلك من رواية جابر، والبخاري من رواية سلمة بن الأكوع، لكنه قال فيه: قالوا: عليه ثلاثة دنانير، قال الرافعي: وفي رواية أن عليًا لما قضى عنه دينه، قال: الآن بردت عليه جلده، قلت: تبع في هذا الوهم الوسيط، وصوابه قال لأبي قتادة: الآن بردت عليه جلده، كذا رواه أحمد، والدارقطني، والبيهقي، والحاكم من رواية جابر، قال الحاكم: صحيح الإسناد، قال الرافعي: وفي رواية أنه لما ضمن أبو قتادة الدينارين عن الميت، قال عليه السلام: هما عليك حق الغريم، وبريء الميت، قال: نعم، قلت: هذه الرواية رواها البيهقي من حديث ابن عقيل عن جابر بحذف هما عليك، ثم أشار إلى تعليله به» .

أقوال ابن عبدالبر في معنى الورود على النار

عن أبي هريرة، أن رسول الله ﷺ قال: «**لا يموت لأحد من المسلمين ثلاثة من الولد؛ فتمسه النار إلا تحلة القسم**»[١].

قال ابن عبدالبر[٢]: وأما قوله ﷺ في حديثنا المذكور في هذا الباب «**إلا تحلة القسم**» فهو لفظ مخرج في التفسير المسند؛ لأن القسم المذكور في هذا الحديث معناه عند أهل العلم، قول الله ﷻ: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾﴾ [مريم: ٧١] قال الحسن وقتادة: قسمًا واجبًا، وكذلك قال السدي، ورواه عن مرة الهمداني عن عبدالله بن مسعود، أنه قال: ذلك من ظاهر قوله: «فتمسه النار» يدل على أن الورود الدخول، والله أعلم؛ لأن المسيس حقيقته في اللغة المباشرة، وقد يحتمل على الاتساع أن يكون القرب.

وقد اختلف العلماء في الورود، فقال منهم قائلون: الورود الدخول، وممن قال ذلك ابن عباس، وعبدالله بن رواحة، وقد اختلف في ذلك عن ابن عباس، ولم يختلف عن ابن رواحة، وروى ابن المبارك، وغيره عن إسماعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم، أن عبدالله بن رواحة بكى، فقالت له امرأته: ما يبكيك؟! فقال: قد علمت أني داخل النار، ولا أدري أناج أنا منها أم لا.

قال أبو عمر: قال الله ﷻ: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾﴾ [مريم: ٧١ - ٧٢] وهذا يحتمل والله أعلم أنها تكون بردًا وسلامًا على المؤمنين، وينجون منها سالمين، وذكر ابن جرير عن عطاء عن ابن عباس، قال: إن الورود الذي ذكر الله ﷻ في القرآن الدخول، ليردنها كل بر وفاجر، ثم قال ابن عباس في القرآن أربعة أوراد، قوله: ﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ ۖ وَبِئْسَ الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ ﴿٩٨﴾﴾ [هود: ٩٨] وقوله:

---

(١) صحيح البخاري: ١١٩٣/٤٢١/١، صحيح مسلم: ٢٦٣٢/٢٠٢٨/٤.
(٢) التمهيد: ٦/ ٣٥٢. ٦/ ٣٦٢.

﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ ﴿٩٨﴾﴾ [الأنبياء: ٩٨] وقوله: ﴿وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا ﴿٨٦﴾﴾ [مريم: ٨٦] وقوله: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ [مريم: ٧١]، قال ابن عباس: والله لقد كان من دعاء من مضى: اللَّهم أخرجني من النار سالمًا، وأدخلني الجنة غانمًا.

وروى مجاهد عن نافع بن الأزرق، أنه سأل ابن عباس عن قول الله ﷻ: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ [مريم: ٧١] فقال ابن عباس: واردها داخلها؛ فقال نافع: يرد القوم ولا يدخلون، فاستوى ابن عباس جالسًا وكان متكئًا؛ فقال له: أما أنا وأنت، فسنردها، فانظر هل ننجو منها أم لا؟ أما تقرأ قول الله ﷻ: ﴿وَمَآ أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ يَقْدُمُ قَوْمَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ ٱلنَّارَ وَبِئْسَ ٱلْوِرْدُ ٱلْمَوْرُودُ ﴿٩٨﴾﴾ [هود: الآيتان (٩٧ - ٩٨] أفتراه (ويلك) أوقفهم على شفيرها؟! والله تعالى يقول: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ﴾ [غافر: ٤٦] وقد روى الأعمش عن أبي سفيان عن جابر، وابن جريج عن أبي الزبير عن جابر عن أم مبشر، أن رسول الله ﷺ قال: «**لا يدخل النار أحد شهد بدرًا، وبايع تحت الشجرة، فقالت له حفصة: ألم تسمع الله يقول: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ فقال رسول الله ﷺ: أما تسمعين الله ﷻ يقول: ﴿ثُمَّ نُنَجِّى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾﴾**»[(١)].

وقال خالد بن معدان: إذا دخل أهل الجنة الجنة، قالوا: ألم تقل: إنا نرد النار؟ فيقال: قد وردتموها، فألفيتموها رمادًا، وأخبرنا عبدالله بن محمد بن عبدالمؤمن، قال: حدثنا أحمد بن جعفر بن حمدان ببغداد، حدثنا عبدالله بن أحمد بن حنبل، حدثنا أبي، حدثنا سليمان بن حرب، حدثنا غالب بن سليمان أبو صالح عن كثير بن زياد البرساني عن أبي سمية، أنه سأل جابر بن عبدالله عن الورود؟ فقال: سمعت

---

(١) صحيح: رواه الترمذي في سننه: ٥/٦٩٥/٣٨٦٠، وأبو داود: ٤/٢١٣/٤٦٥٣، والنسائي في سننه الكبرى: ٦/٤٦٤/ ١١٥٠٨، وأحمد في المسند: ٦/٣٦٢/٢٧٠٨٧، وأبو يعلى: ١٢/٤٧٢/ ٧٠٤٤، والطبراني في المعجم الكبير: ٢٣/٢٠٦/٣٥٨، وابن أبي عاصم في السنة: ٢/٤١٤/ ٨٦٠، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة: ح (٢١٦٠).

رسول الله ﷺ يقول: «الورود الدخول، لا يبقى بر ولا فاجر إلا دخلها؛ فتكون على المؤمنين بردًا وسلامًا، كما كانت على إبراهيم ﴿ثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾﴾»[1].

وروى الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ قال: الممر على الصراط، وممن قال أيضًا إن الورود الممر على الصراط عبدالله بن مسعود، وكعب الأحبار، والسدي، ورواه السدي مرة عن ابن مسعود عن النبي ﷺ، ورُوي عن كعب أنه تلا: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ فقال: أتدرون ما ورودها؟ قالوا: الله أعلم. قال: ذلك أن يجاء بجهنم، فتمسك للناس كأنها متن إهالة[2] يعني: الودك الذي يجمد على القدر من المرقة، حتى إذا استقرت عليها أقدام الخلائق برهم وفاجرهم، نادى مناد أن خذي أصحابك، وذري أصحابي، فيخسف بكل ولي لها، فهي أعلم بهم من الوالدة بولدها، وينجو المؤمنون ندية ثيابهم، وروى هذين الحديثين عن أبي نضرة، وزاد وهو معنى قوله تعالى: ﴿فَٱسْتَبَقُوا۟ ٱلصِّرَٰطَ فَأَنَّىٰ يُبْصِرُونَ﴾ [يس: ٦٦] وروى وكيع عن شعبة عن عبدالله بن السائب عن رجل عن ابن عباس، أنه قال في قول الله ﷻ: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ قال: هو خطاب للكفار، وروى عنه أنه كان يقرأ: (وَإِن مِّنْهُمْ إِلَّا وَارِدُهَا) ردًا على الآيات التي قبلها في الكفار قوله: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَٱلشَّيَٰطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ﴿٦٨﴾ ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى ٱلرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا ﴿٦٩﴾ ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِٱلَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا ﴿٧٠﴾ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾﴾ [مريم: الآيات (٦٨ ـ ٧١)]، وقال ابن الأنباري محتجا لمصحف عثمان وقراءة العامة: جائز في اللغة أن يرجع من مخاطبة

---

(١) صحيح: رواه أحمد في المسند: ٣/٣٢٨/١٤٥٦٠، وعبد بن حميد: ح (١١٠٦)، والبيهقي في شعب الإيمان: ١/٣٣٦/ ٣٧٠، والحاكم في المستدرك: ٤/٦٣٠/٨٧٤٤، وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه»، والهيثمي في مجمع الزوائد: ٧/٥٥، وقال: «رواه أحمد، ورجاله ثقات»، وصححه ابن حجر في الفتح: ٢/١٢٤.

(٢) الإهالة: الدَّسَم، والدهن.

الغائب إلى لفظ المواجهة بالخطاب، كما قال تعالى: ﴿وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَآءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا ﴿٢٢﴾﴾ [الإنسان: ٢١ - ٢٢] فأبدل الكاف من الهاء.

قال أبو عمر: وترجع العرب من مواجهة الخطاب إلى لفظ الغائب، قال الله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ﴾ [يونس: ٢٢] وهذا كثير في القرآن وأشعار العرب، وأحسن ما قيل في ذلك قول الشاعر:

إذا لم يكن للقوم عز ولم يكن لهم رجل عند الإمام مكين
فكونوا كأيد وهن الله بطشها ترى أشملًا ليست لهن يمين

وقد جاء عن مجاهد، أنه قال في تأويل قول الله ﷻ: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ [مريم: ٧١] قال: الحمى من فيح جهنم، وهي حظ المؤمن من النار.

حدثنا سعيد بن نصر، حدثنا ابن أبي دليم، حدثنا ابن وضاح، حدثنا محمد بن سليمان الأنباري، حدثنا يحيى بن يمان عن عثمان بن الأسود عن مجاهد، أنه قال: الحمى حظ المؤمن من النار، ثم قرأ: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ قال: الحمى في الدنيا الورود، فلا يردها في الآخرة.

قال أبو عمر: ومن حجة من قال بهذا القول ما حدثنا عبدالوارث بن سفيان، قال: حدثنا قاسم بن أصبغ، قال: حدثنا محمد بن إسماعيل الصائغ، قال: حدثنا أبو أسامة، قال: حدثنا عبدالرحمن بن يزيد بن جابر عن إسماعيل بن عبيد الله الأشعري عن أبي هريرة، أن النبي ﷺ عاد مريضًا ومعه أبو هريرة من وعك كان به، فقال له النبي ﷺ: **«أبشر فإن الله تبارك وتعالى يقول: هي ناري أسلطها على عبدي المؤمن؛ لتكون حظه من النار في الآخرة»**(١).

(١) صحيح: رواه أحمد في المسند: ٢/٤٤٠/٩٦٧٤، والترمذي: ٤/٤١٢/٢٠٨٨، وابن ماجه: ٢/١١٤٩/٣٤٧٠، والبيهقي في الكبرى: ٣/٣٨١/٦٣٨٣، والطبراني في الأوسط: ١/٨/١٠، والحاكم في المستدرك: ١/٤٩٦/١٢٧٧، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي: ح(٢٠٨٨).

وحدثنا خلف بن أحمد، قال: حدثنا أحمد بن مطرف، حدثنا سعيد بن عثمان، حدثنا علي بن معبد بن نوح، حدثنا يزيد بن هارون، قال: حدثنا أبو غسان محمد بن مطرف عن الحصين عن أبي صالح الأشعري عن أبي أمامة عن النبي ﷺ قال: **«الحمى كير من جهنم؛ فما أصاب المؤمن منها كان حظه من النار»**(١) أبو الحصين هذا مروان بن رؤية التغلبي، وأبو صالح الأشعري مولى عثمان قاله ابن معين وغيره.

وحدثنا خلف قال: حدثنا أحمد، قال: حدثنا سعيد، حدثنا علي بن معبد، حدثنا مسلم بن إبراهيم قال: حدثنا عصمة بن سالم الهنايي، وكان صدوقًا عاقلًا، قال: حدثنا الأشعث بن جابر الحراني عن شهر بن حوشب عن أبي ريحانة الأنصاري، قال: قال رسول الله ﷺ: **«الحمى كير من جهنم، وهي نصيب المؤمن من النار»**(٢).

وقال قوم: الورود للمؤمنين أن يروا النار، ثم ينجي منها الفائز، ويصلاها من قدر عليه دخولها، ثم يخرج منها بشفاعة محمد ﷺ أو بغيرها من رحمة الله، واحتج هؤلاء بقول رسول الله ﷺ في مخاطبة أصحابه ومن جرى مجراهم من المؤمنين: **«إذا مات أحدكم عرض عليه مقعده بالغداة والعشي، إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة، وإن كان من أهل النار فمن أهل النار، يقال له: هذا مقعدك حتى يبعثك الله إليه يوم القيامة»**(٣) هذا حديث ابن عمر، وقد روى أبو هريرة، وغيره: أن المؤمن يعرض عليه مقعده من النار، فيقال له: انظر ما نجاك الله منه، ثم يفتح له إلى الجنة؛ فيقال: انظر ما تصير إليه، هذا معنى الحديث، فهذه الأقاويل كلها قد جاءت في معنى الورود في قوله ﷻ: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ وقد يحتمل أن يكون قوله ﷺ «إلا تحلة القسم» استثناء

---

(١) رواه أحمد في المسند: ٥/٢٦٤/٢٢٣٢٨، والروياني في مسنده: ٢/٣١٢/١٢٦٩، والبيهقي في شعب الإيمان: ٧/١٦١/ ٩٨٤٣، والطبراني في المعجم الكبير: ٨/٩٣/٧٤٦٨، والهيثمي في مجمع الزوائد: ٢/٣٠٥.

(٢) صحيح: رواه البيهقي في شعب الإيمان: ٧/١٦١/٩٨٤٦، والبخاري في التاريخ الكبير: ٧/٦٣/ ٢٩١، والهيثمي في مجمع الزوائد: ٢/٣٠٦، وقال: «رواه الطبراني في الكبير، وفيه شهر بن حوشب، وفيه كلام، ووثقه جماعة» .

(٣) صحيح البخاري: ١/٤٦٤/١٣١٣، صحيح مسلم: ٤/٢١٩٩/٢٨٦٦.

منقطعًا، بمعنى: لكن تحلة القسم، وهذا معروف في اللغة، وإذا كان ذلك كذلك، فقوله: **«لن تمسه النار إلا تحلة القسم»** أي: لا تمسه النار أصلًا كلامًا تامًا، ثم ابتدأ إلا تحلة القسم أي: لكن تحلة القسم لا بد منها في قول الله ﷻ:﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ وهي الجواز على الصراط، أو الرؤية والدخول دخول سلامة، فلا يكون في شيء من ذلك مسيس يؤذي، وقال بعض أهل العلم في قول الله: ﴿إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ﴾ [المائدة: ٩] معناه: لكن ما ذكيتم من غير ما ذكر في هذه الآية ذكاة تامة، وقد ذكرنا ذلك فيما سلف من كتابنا هذا، وذكرنا هناك تعارف ذلك في لسان العرب، وذلك في باب زيد بن أسلم، ومما يدل على أن الاستثناء هاهنا منقطع، وأنه غير عائد إلى النار قوله: **«لا تمس من مات له ثلاثة من الولد فاحتسبهم»** و حديثه الآخر ﷺ وهو قوله: **«لا يموت لأحدكم ثلاثة من الولد فيحتسبهم، إلا كانوا له جنة من النار؛ فقالت امرأة: يا رسول الله، أو اثنان؟ قال: أو اثنان»**[1] والجنة الوقاية والستر، ومن وقى النار، وستر عنها فلن تمسه أصلًا، وستر عنها فلن تمسه أصلًا، ولو مسته ما كان موقى، وإذا وقيها وستر عنها فقد زحزح وبوعد بينه وبينها، وهذا إنما يكون لمن صبر واحتسب ورضي وسلم والله أعلم، وبهذا الحديث يفسر الأول؛ لأن فيه ذكر الحسبة قوله: **«فيحتسبهم»** ولذلك جعله مالك بأثره مفسرًا له، والوجه عندي في هذا الحديث، وما أشبهه من الآثار إنها لمن حافظ على أداء فرائضه واجتنب الكبائر، والدليل على ذلك أن الخطاب في ذلك العصر لم يتوجه إلا إلى قوم الأغلب من أعمالهم ما ذكرنا، وهم الصحابة رضوان الله عليهم.

وقال أبو عمر في الاستذكار[2]: وأما قوله في حديث مالك **«إلا تحلة القسم»**، فهو لفظ مخرج في التفسير المسند؛ لأن القسم المذكور فيه معناه عند العلماء قول الله ﷻ: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ۝٧١﴾ [مريم: ٧١] قال الحسن، وقتادة: حتمًا مقضيًا واجبًا، وكذلك قال السدي، ورواه عن مرة الهمداني

(١) صحيح: رواه مالك في الموطأ: ١/٢٣٥/٥٥٧، وله شاهد من الصحيحين: البخاري: ٦/٢٦٦٦/ ٦٨٨٠، ومسلم: ٤/٢٠٢٨/٢٦٣٣.

(٢) الاستذكار: ٣/٧٤-٣/٧٧.

عن ابن مسعود.

وقد اختلف العلماء في الورود المذكور في هذه الآية، فقال منهم قائلون: الورود: الدخول، وممن قال ذلك عبدالله بن رواحة، وعبدالله بن عباس، على أنه قد اختلف في ذلك عن ابن عباس، وقد ذكرنا الأسانيد بذلك عنهما في التمهيد.

ذكر ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس، قال: الورود الذي ذكره الله تعالى في القرآن الدخول، ليردها كل بر وفاجر، ثم قال ابن عباس في القرآن أربعة أوراد قوله تعالى: ﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ ٱلنَّارَ ۖ وَبِئْسَ ٱلْوِرْدُ ٱلْمَوْرُودُ ۝٩٨﴾ [هود: ٩٨] وقوله: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ ۝٩٨﴾ [الأنبياء: ٩٨] وقوله: ﴿وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا ۝٨٦﴾ [مريم: ٨٦] وقوله: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ [مريم: ٧١] قال ابن عباس: والله لقد كان من دعاء من مضى: اللّهم أخرجني من النار سالمًا، وأدخلني الجنة غانمًا.

وعن جابر بن عبدالله، قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**الورود الدخول، لا يبقى بر ولا فاجر إلا دخلها، فتكون على المؤمنين بردًا وسلامًا، كما كانت على إبراهيم** ﴿ثُمَّ نُنَجِّى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ۝٧٢﴾»(١)، يقول: في ذلك الموضع يفوز بالسلامة أهل الطاعة ويشقى بالعذاب أولي الكفر والمعصية.

وقال آخرون: الورود الممر على الصراط(٢)، روى الكعبي عن أبي صالح عن ابن

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) قال ابن تيمية: «وكذلك في الحديث الصحيح أنه قال: » والذي نفسي بيده لا يلج النار أحد بايع تحت الشجرة، قالت حفصة: فقلت: يا رسول الله، أليس الله يقول: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ۝٧١﴾ [سورة مريم: ٧١] فقال: ألم تسمعيه قال: ﴿ثُمَّ نُنَجِّى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ۝٧٢﴾ [مريم: ٧٢] وقد بين في الحديث الصحيح الذي رواه جابر وغيره أن الورود هو المرور على الصراط، ومعلوم أنه إذا كان قد أخبرهم أن جميع الخلق يعبرون الصراط، ويردون النار بهذا الاعتبار لم يكن قوله لهم: فلان لا يدخل النار منافيًا لهذا العبور؛ ولهذا قال لها ألم تسمعيه قال: ﴿ثُمَّ نُنَجِّى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ۝٧٢﴾ فأخبرها أن هذا الورود لا ينافي عدم الدخول الذي أخبرت به، فالذين نجاهم الله بعد الورود الذي هو العبور لم يدخلوا النار، ولفظ الورود والدخول قد يكون فيه إجمال؛ فقد يقال لمن دخل سطح الدار: إنه دخلها، =

عباس في قوله ﷻ: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾﴾ [مريم: ٧١] قال: الممر على الصراط، وروي ذلك عن عبدالله بن مسعود، وكعب الأحبار، وخالد بن معدان، وأبي نضرة، وهو قول السدي، وروى إسرائيل، وشعبة عن السدي أنه سأل مرة الهمداني عن قول الله ﷻ: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾﴾ [مريم: ٧١] قال: فحدثني أن عبدالله بن مسعود حدثهم، قال: قال رسول الله ﷺ: **«ما من أحد إلا وهو يرد النار، ثم يصدرون منها بأعمالهم، فأولهم كالبرق، ثم كالريح، ثم كخطو الفرس، ثم كالراكب في رحله ثم كشد الرجل، ثم**

= ووردها، وقد يقال لمن مر على السطح ولم يثبت فيها: إنه لم يدخلها؛ فإذا قيل فلان ورد هذا المكان الرديء، ثم نجاه الله منه، وقيل فلان لم يدخله الله إياه كان كلا الخبرين صدقًا لا منافاة بينهما، وقوله تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾﴾ [مريم: (٧١- ٧٢] فيه بيان نعمة الله على المتقين، أنهم مع الورود، والعبور عليها، وسقوط غيرهم فيها نجوا منها، والنجاة من الشر لا تستلزم حصوله بل تستلزم انعقاد سببه، فمن طلبه أعداؤه ليهلكوه، ولم يتمكنوا منه يقال: نجاه الله منهم؛ ولهذا قال تعالى: ﴿وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾﴾ [الأنبياء: (٧٦] ومعلوم أن نوحا لم يغرق ثم خلص بل نجى من الغرق الذي أهلك الله به غيره، كما قال: ﴿فَأَنجَيْنَاهُ وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ﴾ [سورة العنكبوت: ١٥] وكذلك قوله عن لوط: ﴿وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَت تَّعْمَلُ الْخَبَائِثَ﴾[الأنبياء: (٧٤] ومعلوم أن لوطا لم يصبه العذاب الذي أصابهم من الحجارة والقلب وطمس الأبصار، وكذلك قوله: ﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَنَجَّيْنَاهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٨﴾﴾ [هود: ٥٨] وقوله: ﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ﴾[هود: ٦٦] وأمثال ذلك يبين سبحانه أنه نجى عباده المؤمنين من العذاب الذي أصاب غيرهم وكانوا معرضين له لولا ما خصهم الله من أسباب النجاة لأصابهم ما أصاب أولئك؛ فلفظ النجاة من الشر يقتضي انعقاد سبب الشر لا نفس حصوله في المنجي؛ فقوله تعالى: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا﴾ [مريم: ٧٢] لا يقتضي أنهم كانوا معذبين ثم نجوا، لكن يقتضي أنهم كانوا معرضين للعذاب الذي انعقد سببه، وهذا هو الورود؛ فقوله: «لن يدخل النار أحد بايع تحت الشجرة» لا ينافي هذا الورود؛ فإن مجرد الورود ليس بعذاب بل هو تعريض للعذاب، وهو إنما نفى دخول الذي هو العذاب، لم ينف التقريب من العذاب ولا انعقاد سببه، ولا الدخول على سطح مكان العذاب، ومع هذا لما اشتبه ذلك على امرأته سألته عن ذلك، وذكرت ما يعارض خبره في فهمها ولم تسكت» درء تعارض العقل مع النقل: ٧/٤٩- ٥١.

كمشيه»[1] وقفه إسرائيل وكان شعبة ربما رفعه، وكان كثيرًا يرفعه.

وقال آخرون: هو خطاب للكفار، ذكر وكيع عن شعبة عن عبدالرحمن بن السائب عن رجل عن ابن عباس، أنه قال في قول الله تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ۝٧١﴾ [مريم: ٧١] قال: هو خطاب للكفار، وروي ذلك عن الحسن قال: هو خطاب للمشركين.

قال أبو عمر: يريد: وإن منكم يا هؤلاء أو نحو ذلك، وقد روي عن ابن عباس، أنه كان يقرؤها (وإن منهم إلا واردها) ردًا على الآيات التي قبلها من الكفار قول الله تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ۝٦٨ ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا ۝٦٩ ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا ۝٧٠ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ۝٧١﴾ [مريم: الآيات (٦٨ - ٧١] وقال ابن الأنباري وغيره: جائز في القصة أن يرجع من مخاطبة الغائب إلى لفظ المواجه، كما قال ﷻ: ﴿وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا ۝٢٢﴾ [الإنسان: الآيتان (٢١ - ٢٢] فأبدل الله من الكاف الهاء.

قال أبو عمر: يرجع من مخاطبة الغائب إلى المواجه، ومن المواجه إلى الغائب، كما قال الله ﷻ: ﴿حَتَّىٰ إِذَا كُنتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ﴾ [يونس: ٢٢] وهو كثير في القرآن وأشعار العرب.

وقال آخرون: الورود إشراف على النار بالنظر إليها، ثم ينجي منها الفائز، ويصلاها من قدر عليه دخولها، واحتج هؤلاء أو بعضهم بقوله ﷻ: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ﴾ [القصص: ٢٣] أي: أشرف عليه ورآه، وقال الحسن: هو كقولك وردت

---

(١) صحيح: رواه الترمذي: ٣١٥٩/٣١٧/٥، وقال: «هذا حديث حسن، ورواه شعبة عن السدي، فلم يرفعه»، والدارمي: ٢/ ٤٢٤/٢٨١٠، وأحمد: ٤١٢٨/٤٣٣/١، وأبو يعلى: ١٨٦/٩/ ٥٢٨٢، والحاكم في المستدرك: ٨٧٤١/٦٢٩/٤، وقال: «هذا حديث صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه، وقد رواه شعبة عن إسماعيل السدي»، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي: ح (٣١٥٩).

البصرة، وليس الورود الدخول، واحتج من ذهب هذا المذهب بقوله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ۝١٠١﴾ [الأنبياء: ١٠١].

ومن قال الورود الدخول قال: من نجا منها كانت عليه بردًا وسلامًا، فقد أبعد عنها، واحتجوا أيضا بقوله ﷺ: «**إذا مات أحدكم عرض عليه مقعده بالغداة والعشي، إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة، وإن كان من أهل النار فمن أهل النار، يقال له: هذا مقعدك حتى يبعثك الله إليه يوم القيامة**»(١).

وقالت طائفة: إن المؤمن إذا زحزح عن النار لم يرها ولم يردها، ويكون ما يناله في الدنيا من الحمى ورودًا لها، حدثنا سعيد بن نصر، قال: حدثنا بن أبي دليم، قال: حدثنا بن وضاح، قال: حدثنا محمد بن سليمان الأنباري، قال: حدثنا يحيى بن يمان عن عثمان بن الأسود، أنه قال: حظ المؤمن من النار، ثم قرأ: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَاۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ۝٧١﴾ [مريم: ٧١] فقال: الحمى في الدنيا الورود، فلا يردها في الآخرة.

وقد روي عن أبي هريرة، أنه قال: عاد رسول الله ﷺ وأنا معه مريضًا كان به وعك، فقال له: «**أبشر فإن الله تعالى يقول هي ناري أسلطها على عبدي المؤمن؛ لتكون حظه من النار في الآخرة**»(٢).

وفي حديث أبي ريحانة الأنصاري عن النبي ﷺ أنه قال: «**الحمى كير من جهنم، وهي نصيب المؤمن من النار**»(٣).

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) سبق تخريجه.

الباب الرابع

أقوال ابن عبدالبر في الأنبياء

- **الفصل الأول: القول في صفات الأنبياء.**
- **الفصل الثاني: في صفات وخصائص النبي محمد.**
- **الفصل الثالث: القول في كرامات الأولياء.**

الفصل الأول

القول في صفات الأنبياء

- ❑ أقوال ابن عبدالبر في أن الأنبياء تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم.
- ❑ أقوال ابن عبدالبر في أن الأنبياء معصومون من الكبائر.
- ❑ أقوال ابن عبدالبر في الصلاة على غير الأنبياء.
- ❑ أقوال ابن عبدالبر في التبرك بالأنبياء.
- ❑ أقوال ابن عبدالبر في خلق آدم عليه السلام.
- ❑ أقوال ابن عبدالبر في صفة عيسى عليه السلام.
- ❑ أقوال ابن عبدالبر في سن عيسى عليه السلام.
- ❑ أقوال ابن عبدالبر في صفة المسيح الدجال.

أقوال ابن عبدالبر في أن الأنبياء تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم

عن زيد بن أسلم أنه قال: «عرس رسول الله ﷺ ليلة بطريق مكة، ووكل بلالًا أن يوقظهم للصلاة، فرقد بلال، ورقدوا، حتى استيقظوا، وقد طلعت عليهم الشمس، فاستيقظ القوم، وقد فزعوا، فأمرهم رسول الله ﷺ أن يركبوا حتى يخرجوا من ذلك الوادي، وقال: إن هذا واد به شيطان، فركبوا حتى خرجوا من ذلك الوادي، ثم أمرهم رسول الله ﷺ أن ينزلوا وأن يتوضئوا، وأمر بلالًا أن ينادي بالصلاة، أو يقيم فصلى رسول الله ﷺ بالناس، ثم انصرف إليهم، وقد رأى من فزعهم، فقال: ياأيها الناس، إن الله قبض أرواحنا، ولو شاء لردها إلينا في حين غير هذا، فإذا رقد أحدكم عن الصلاة أو نسيها فليصلها كما كان يصليها في وقتها، ثم التفت رسول الله ﷺ إلى أبي بكر، فقال: إن الشيطان أتى بلالًا وهو قائم يصلي فأضجعه، فلم يزل يهدئه كما يهدأ الصبي حتى نام، ثم دعا رسول الله ﷺ بلالًا، فأخبر بلال رسول الله ﷺ مثل الذي أخبر رسول الله أبا بكر، فقال أبو بكر: أشهد أنك رسول الله»[(١)].

قال ابن عبدالبر[(٢)]: ونومه ﷺ في ذلك الوقت عن صلاة الصبح حتى طلعت الشمس أمر خارج ـ والله أعلم ـ عن عادته وطباعه وطباع الأنبياء قبله، وأظن الأنبياء مخصوصين بأن تنام أعينهم، ولا تنام قلوبهم على ما روى عنه ﷺ وإنما كان نومه ذلك؛ ليكون سنة ـ والله أعلم ـ، وليعلم المؤمنون كيف حكم من نام عن الصلاة أو نسيها حتى يخرج وقتها، وهو من باب قوله ﷺ: «إني لأنسى أو أنسى لأسن»[(٣)]، والذي كانت عليه جبلته، وعادته ﷺ أن لا يخامر النوم قلبه، ولا يخالط نفسه، وإنما كانت

---

(١) مرسل: رواه مالك في الموطأ: ٢٦/١٤/١، والقاضي عياض في الشفاء: ٨٤/٢.

(٢) التمهيد: ٢٠٧/٥ـ ٢٠٩.

(٣) رواه مالك في الموطأ: ٢٢٥/١٠٠/١، وقال ابن عبدالبر في التمهيد: «أما هذا الحديث بهذا اللفظ، فلا أعلمه يروى عن النبي ﷺ بوجه من الوجوه مسندًا ولا مقطوعًا من غير هذا الوجه ـ والله أعلم ـ وهو أحد الأحاديث الأربعة في الموطأ التي لا توجد في غيره مسندة ولا مرسلة ـ والله أعلم ـ ومعناه صحيح في الأصول» التمهيد: ٣٧٥/٢٤.

تنام عينه، وقد ثبت عنه ﷺ أنه قال: «**إن عيني تنامان، ولا ينام قلبي**»(١) وهذا على العموم؛ لأنه جاء عنه ﷺ: «**إنا معشر الأنبياء تنام أعيننا، ولا تنام قلوبنا**»(٢)، ولا يجوز أن يكون مخصوصًا بذلك؛ لأنها خصلة لم يعدها في الست التي أوتيها ولم يؤتها أحد قبله من الأنبياء، فلما أراد الله منه ما أراد ليبين لأمته ﷺ قبض روحه وروح من معه في نومهم ذلك، وصرفها إليهم بعد طلوع الشمس؛ ليبن لهم مراده على لسان رسوله ﷺ وعلى هذا التأويل جماعة أهل الفقه والأثر وهو واضح والمخالف فيه مبتدع.

عن عائشة أنها قالت: «**ما كان رسول الله ﷺ يزيد في رمضان ولا في غيره على إحدى عشرة ركعة يصلي أربعًا فلا تسل عن حسنهن وطولهن، ثم يصلي أربعًا، فلا تسل عن حسنهن وطولهن، ثم يصلي ثلاثًا، قالت عائشة: فقلت يا رسول الله، أتنام قبل أن توتر؟! فقال: يا عائشة، إن عيني تنامان، ولا ينام قلبي**»(٣).

قال ابن عبدالبر(٤): وأما قولها: «**أتنام قبل أن توتر يا رسول الله؟!**» فقيل: إن عائشة لم تعرف النوم قبل الوتر؛ لأن أباها أبا بكر رضي الله عنه كان لا ينام حتى يوتر، وكان يوتر أول الليل، وهذا عنه محفوظ معلوم ـ قد ذكرنا الخبر به في موضعه ـ فلذلك قالت لرسول الله ﷺ: «**أتنام قبل أن توتر؟!**» لأنها رأت أباها لا يفعل ذلك، وكانت صبية فيها يقظة.

أما قوله ﷺ جوابا لها: «**إن عيني تنامان، ولا ينام قلبي**» فتلك من علياء مراتب الأنبياء صلوات الله عليهم؛ ولذلك روي عنه ﷺ أنه قال: «**إنا معشر الأنبياء تنام أعيننا، ولا تنام قلوبنا**»؛ ولهذا ـ والله أعلم ـ قال ابن عباس: «**رؤيا الأنبياء وحي**»(٥)؛ لأن الأنبياء يفارقون سائر البشر في نوم القلب، ويساووهم في نوم العين، ولو تسلط النوم على قلوبهم كما

---

(١) صحيح البخاري: ١/٣٨٥/١٠٩٦، صحيح مسلم: ١/٥٠٩/٧٣٨.

(٢) مرسل: رواه ابن سعد في الطبقات: ١/١٧١.

(٣) سبق تخريجه.

(٤) الاستذكار: ٢/١٠١ـ ٢/١٠٢.

(٥) صحيح: أخرجه البخاري في أول الوضوء في آخر حديث ابن عباس في صلاته خلف النبي ﷺ صلاة الليل من طريق عبيد بن عمير قال: «رؤيا الأنبياء وحي» ثم قرأ إني أرى في المنام أني أذبحك. صحيح البخاري: ١ / ٦٤ / ١٣٨.

يصنع بغيرهم، لم تكن رؤياهم إلا كرؤيا من سواهم، وقد خصهم اللَّه من فضله بما شاء أن يخصهم به، ومن هذا كان رسول اللَّه ﷺ ينام حتى ينفخ ثم يصلي، ولا يتوضأ؛ لأن الوضوء من النوم إنما يجب لغلبة النوم على القلب لا على العين، فكان رسول اللَّه ﷺ يساوي أمته في الوضوء من الحدث، ولا يساويهم في الوضوء من النوم، كما لم يساويهم في وصال الصوم وغيره مما جرت عادتهم به، فإن قيل: كان رسول اللَّه ﷺ يتوضأ من النوم. قيل: كان يتوضأ لكل صلاة، وما جاء عنه قط أنه قال: وضوئي هذا من النوم، وليس ببعيد أن يتوضأ إذا خامر النوم قلبه وذلك نادر، كنومه في سفره عن صلاة الصبح؛ ليسن لأمته أن الصلاة لا يسقطها خروج الوقت، وإن كان مغلوبًا بنوم أو نسيان، وهذا واضح واللَّه المستعان.

روى حماد بن سلمة عن أيوب عن عكرمة عن ابن عباس: **«أن رسول اللَّه ﷺ نام حتى سمع غطيطه، ثم صلى ولم يتوضأ. قال عكرمة: وكان رسول اللَّه ﷺ محفوظا»**[(١)] وإن ذلك كان منه نادرًا؛ ليسن لأمته كما سن فيمن نام أو نسي؛ وكما قال: **«إني لأنسى لأسن»**[(٢)] وذكر عبدالرزاق، وأبو سفيان عن معمر عن أيوب عن أبي قلابة قال: قال رسول اللَّه ﷺ: **«قيل لي لتنم عينك، وليعقل قلبك، ولتسمع أذنك، فنامت عيني، وعقل قلبي، وسمعت أذني»**[(٣)] وذكر الحديث.

---

(١) صحيح: رواه أحمد في المسند: ٢١٩٤/٢٤٤/١، وعبد بن حميد في مسنده: ٦١٦/٢٠٩/١، والبيهقي في سننه الكبرى: ٥٩٣/١٢١/١، وله شاهد من رواية البخاري: ١٣٨/٦٤/١، ومسلم: ٧٦٣/٥٢٧/١.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) صحيح: رواه الدارمي في سننه: ١١/١٨/١، والمروزي في السنة: ح (١٠٩)، والطبراني في المعجم الكبير: ٤٥٩٧/٦٥/٥، وحسنه الهيثمي في مجمع الزوائد: ٢٦٠/٨، وقال: «رواه الطبراني بإسناد حسن»، ورواه ابن كثير في تفسيره، وصحح وصله: ٤١٤/٢ ـ ٤١٥، وقال: «وهذا حديث مرسل، وقد جاء متصلًا من حديث الليث، عن خالد بن يزيد، عن سعيد بن أبي هلال، عن جابر ابن عبدالله ﷺ» .

قول ابن عبدالبر في أن الأنبياء معصومون من الكبائر

قال ابن عبدالبر(١): ومعلوم أن رسول الله ﷺ لم يكفر عنه إلا الصغائر من الذنوب؛ لأنه لم يأت قط كبيرة لا هو ولا أحد من أنبياء الله؛ لأنهم معصومون من الكبائر صلوات الله عليهم(٢).

(١) التمهيد: ٣/٢٦٦.

(٢) قال ابن تيمية: «قال الرافضي: وذهب جميع من عدا الإمامية والإسماعيلية إلى أن الأنبياء والأئمة غير معصومين؛ فجوزوا بعثة من يجوز عليه الكذب والسهو والخطأ والسرقة... فيقال الكلام على هذا من وجوه أحدها: أن يقال ما ذكرته عن الجمهور من نفي العصمة عن الأنبياء وتجويز الكذب والسرقة والأمر بالخطأ عليهم؛ فهذا كذب على الجمهور؛ فإنهم متفقون على أن الأنبياء معصومون في تبليغ الرسالة، ولا يجوز أن يستقر في شيء من الشريعة خطأ باتفاق المسلمين، وكل ما يبلغونه عن الله ﷻ من الأمر والنهي يجب طاعته فيه باتفاق المسلمين، وما أخبروا به وجب تصديقهم فيه بإجماع المسلمين، وما أمروهم به ونهوهم عنه وجبت طاعتهم فيه عند جميع فرق الأمة إلا عند طائفة من الخوارج، يقولون إن النبي ﷺ معصوم فيما يبلغه عن الله لا فيما يأمر هو به وينهى عنه، وهؤلاء ضلال باتفاق أهل السنة والجماعة... وأكثر الناس أو كثير منهم لا يجوزون عليهم الكبائر، والجمهور الذي يجوزون الصغائر هم ومن يجوز الكبائر يقولون: إنهم لا يقرون عليها بل يحصل لهم بالتوبة منها من المنزلة أعظم مما كان قبل ذلك، كما تقدم التنبيه عليه، وبالجملة فليس في المسلمين من يقول إنه يجب طاعة الرسول مع جواز أن يكون أمره خطأ، بل هم متفقون على أن الأمر الذي يجب طاعته لا يكون إلا صوابًا؛ فقوله: كيف يجب إتباعهم مع تجويز أن يكون ما يأمرون به خطأ قول لا يلزم أحدًا من الأمة، وللناس في تجويز الخطأ عليهم في الاجتهاد قولان معروفان، وهم متفقون على أنهم لا يقرون عليه، وإنما يطاعون فيما أقروا عليه لا فيما غيره الله ونهى عنه ولم يأمر بالطاعة فيه» منهاج السنة: ٣/ ٣٧١-٣٧٣.

أقوال ابن عبدالبر في الصلاة على غير الأنبياء

عن عمرو بن سليم الزرقي أنه قال: أخبرني أبو حميد الساعدي أنهم قالوا لرسول الله ﷺ: **«كيف نصلي عليك؟ فقال: قولوا: اللَّهم صل على محمد وأزواجه، وذريته كما صليت على إبراهيم، وبارك على محمد، وأزواجه وذريته، كما باركت على إبراهيم إنك حميد مجيد»**(١)

قال ابن عبدالبر(٢): قالوا: فجائز أن يقول الرجل لكل من كان من أزواج محمد ﷺ ومن ذريته صلى الله عليك إذا واجهه، وصلى الله عليه إذا غاب عنه، ولا يجوز ذلك في غيرهم. قالوا: والآل والأهل سواء، وأهل الرجل وآله سواء، وهم الأزواج والذرية، بدليل هذا الحديث.

وقال جماعة من أهل العلم: الأهل معلوم، والآل الأتباع...وقال آخرون: لا يجوز أن يصلى على أحد إلا على النبي ﷺ وحده دون غيره؛ لأنه خص بذلك، واستدلوا بقوله ﷻ: ﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُم بَعْضًا﴾[النور: ٦٣] قالوا: وإذا ذكر رسول الله ﷺ أحد من أمته انبغى له أن يصلي عليه؛ لما جاء في ذلك عنه من قوله ﷺ: **«من صلى علي مرة صلى الله عليه عشرا»**(٣) ولا يجوز أن يتراحم عليه؛ لأنه لم يقل من تراحم علي ولا من دعا لي، وإن كانت الصلاة ها هنا معناها الرحمة، فكأنه خص بهذا اللفظ تعظيمًا له. قال الله ﷻ: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾﴾ [الأحزاب: ٥٦]، ولم يقل: إن الله وملائكته يتراحمون على النبي، وإن كان المعنى واحدًا ليخصه بذلك والله أعلم.

واحتج قائلوا هذه المقالة: بأن عبدالله بن عباس ﷺ كان يقول: لا يصلى على أحد

(١) صحيح البخاري: ٣/١٢٣٢/٣١٨٩، صحيح مسلم: ١/٣٠٦/٤٠٧.
(٢) التمهيد: ١٧/٣٠٣ - ٣٠٦.
(٣) صحيح مسلم: ١/٣٠٦/٤٠٨.

إلا على النبي ﷺ، وبما روي عن عبدالله بن عمر ﷺ أنه كان يقف على قبر النبي ﷺ، فيصلي عليه، ويدعو لأبي بكر وعمر، وقد روي في خبره هذا: أنه كان يصلي على النبي ﷺ وعلى أبي بكر وعمر، والأول عند قائلي هذه المقالة أثبت عنه.

وقال آخرون: جائز أن يصلى على كل أحد من المسلمين، وقالوا: آل محمد: أتباعه، وشيعته وأهل دينه هم آله. واحتجوا بقول الله ﷻ: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ﴾ [غافر: ٤٦] قالوا: ومعلوم أن آل فرعوه أتباعه على دينه. واحتجوا أيضًا بحديث عبدالله بن أبي أوفى، حدثناه سعيد بن نصر وعبدالوارث بن سفيان قالا: حدثنا قاسم بن أصبغ، حدثنا عبدالله بن روح المدائني، حدثنا يزيد بن هارون، حدثنا شعبة عن عمرو بن مرة عن عبدالله بن أبي أوفى: «أن رسول الله ﷺ كان إذا أتاه قوم بصدقتهم، قال: اللّهم صل عليهم، فأتاه أبي بصدقته، فقال: اللّهم صل على آل أبي أوفى»(١) قالوا: ففي هذا الحديث بيان أن الصلاة على كل أحد جائزة من كل أحد اقتداء برسول الله ﷺ وتأسيا به؛ لأنه كان عليه السلام يمتثل قول الله ﷻ: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ﴾ [التوبة: آية ١٠٣] قالوا: ومعلوم أن الصلاة هاهنا الرحمة والتراحم، فغير نكير أن يجوز من كل أحد من المسلمين بدليل الكتاب والسنة.

قال أبو عمر: كل ما ذكرنا قد قاله العلماء فيما وصفنا، وبالله توفيقنا، وقد أخبرنا إبراهيم بن شاكر، حدثنا محمد بن أحمد، حدثنا محمد بن أيوب، حدثنا أحمد بن عمرو، حدثنا عمرو بن علي، حدثنا أبو قتيبة، حدثنا الثوري عن الأسود بن قيس عن نبيح العنزي عن جابر بن عبدالله قال: «أتاني النبي ﷺ فقلت لامرأتي: لا تسألي النبي ﷺ شيئًا، فقالت: يخرج رسول الله ﷺ من عندنا، ولا نسأله شيئًا؟! قالت: يا رسول الله، صل على زوجي، فقال رسول الله ﷺ: صلى الله عليك وعلى زوجك»(٢).

---

(١) صحيح البخاري: ١٤٢٦/٥٤٤/٢، صحيح مسلم: ١٠٧٨/٧٥٦/٢.

(٢) صحيح: رواه أحمد في المسند: ١٥٣١٦/٣٩٧/٣، وأبو يعلى في مسنده: ٢٠٧٧/٥٩/٤، وابن أبي شيبة: ٨٧١٧/٢٥٤/٢، وابن حبان في صحيحه: ٩١٦/١٩٧/٣، وأبو داود في سننه: ٢/ =

وقال أبو عمر[١] في الاستذكار: رويت الصلاة على النبي ﷺ من طرق متواترة بألفاظ متقاربة، ليس في شيء منها وارحم محمدًا وآل محمد، وإنما فيها كلها لفظ الصلاة والبركة لا غير. قوله ﷺ: «اللَّهم صل على محمد»، وليس في شيء منها وارحم محمدًا، فلا أحب أحدًا أن يقوله؛ لأن الصلاة وإن كانت من اللَّه الرحمة، فإن النبي ﷺ خص بهذا اللفظ، وذلك واللَّه أعلم من معنى قول اللَّه ﷻ: ﴿لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا﴾[النور: ٦٣] ولهذا أنكر العلماء على يحيى بن يحيى، ومن تابعه في الرواية عن مالك في الموطأ عن عبداللَّه بن دينار قال: «رأيت عبداللَّه بن عمر ﷺ يقف على قبر النبي ﷺ؛ فيصلي على النبي ﷺ، وعلى أبي بكر وعمر». قالوا: إنما الرواية لمالك وغيره عن عبداللَّه بن دينار عن ابن عمر: «أنه كان يقف على قبر النبي ﷺ فيصلي على النبي ﷺ، ويدعو لأبي بكر وعمر».

قال ابن عبدالبر: ففرقوا بما وصفت لك بين يدعو لأبي بكر وعمر، وبين يصلي على أبي بكر وعمر، وإن كانت الصلاة قد تكون دعاء لما خص به ﷺ من لفظ الصلاة عليه، وكذلك روي عن عبداللَّه بن عباس قال: لا يصلى على أحد إلا على النبي ﷺ، وسائر الناس يدعى لهم ويترحم عليهم، ومعلوم أن ابن عباس قد يعلم أن الصلاة تكون الدعاء والرحمة أيضًا، وقد رد ابن وضاح رواية يحيى إلى رواية ابن القاسم، فإنه روى رواية ابن القاسم عن سحنون، وحدث بها عنه، وكما رواه ابن القاسم كذلك رواه القعنبي وابن بكير ومن تابعهم في الموطأ، وجعلها «يصلي على النبي ﷺ ويدعو لأبي بكر وعمر».

قال أبو عمر: وهذا كله مذهب من لا يرى ألا يصلى على غير النبي ﷺ.

= ١٥٣٣/٨٨، والبيهقي في الكبرى: ٢٦٩٥/١٥٢/٢، والنسائي في السنن الكبرى: ١١٢/٦/ ١٠٢٥٦، والهيثمي في مجمع الزوائد: ١٣٦/٤ـ ١٣٧، وقال الهيثمي: «قلت: هو في الصحيح، وغيره باختصار. رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح»، وحسنه ابن حجر في الفتح: ٣٩٨/٧، وقال: «أخرجه أحمد بإسناد حسن في حديث طويل»، وصححه الألباني في سنن أبي داود: ح (١٥٣٣).

(١) الاستذكار: ٣٢٣/٢ـ ٣٢٤.

حدثنا أحمد بن عبدالله عن أبيه عن عبدالله بن يونس عن بقي بن مخلد قال: حدثنا أبو بكر ابن أبي شيبة قال: حدثنا هشيم قال: أخبرنا عثمان بن حكيم عن عكرمة عن ابن عباس قال: **«ما أعلم الصلاة تنبغي من أحد على أحد إلا على النبي ﷺ»**(١). وذكر عبدالرزاق عن الثوري عن عثمان بن حكيم بن سهل عن عكرمة عن ابن عباس قال: **«لا تنبغي الصلاة على أحد إلا على النبيين»**(٢)، وقال عبدالرزاق: وأخبرني الثوري عن موسى بن عبيدة عن محمد بن ثابت عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«صلوا على أنبياء الله ورسله فإن الله بعثهم كما بعثني»**(٣).

قال أبو عمر: وقد أجاز قوم الصلاة على غير النبي ﷺ واستدلوا بقوله ﷺ: **«اللهم صل على محمد وعلى آل محمد»** قالوا: ومعلوم أن آل محمد غير محمد. واحتجوا أيضا بحديث عبدالله بن أبي أوفى قال: **«كان الناس يأتون بصدقاتهم إلى النبي ﷺ فيدعو لهم، فجئت مع أبي بصدقته إلى رسول الله ﷺ، فقال: اللهم صل على آل أبي أوفى»**(٤) ففي هذا الحديث لفظ الصلاة على غير النبي عليه السلام.

قال أبو عمر: تهذيب هذه الآثار، وحملها على غير التضاد والتدافع هو أن يقال: أما النبي عليه السلام فجائز أن يصلي على من شاء؛ لأنه قد أمر أن يصلي على كل من يأخذ صدقته، وأما غيره فلا ينبغي، والذي اختاروه في هذا الباب أن يقال: اللهم ارحم فلانًا، واغفر له، ورحم الله فلانًا وغفر له ورضي عنه، ونحو هذا من الدعاء له، والترحم

---

(١) صحيح: رواه ابن أبي شيبة في المصنف: ٢/٢٥٤/٨٧١٦، والبيهقي في الكبرى: ٢/١٥٣/٢٦٩٦، وفي شعب الإيمان: ٢/٢١٨/١٥٨٥، والطبراني في المعجم الكبير: ١١/٣٠٥/١١٨١٣، وصححه الهيثمي في مجمع الزوائد: ١٠/١٦٧، وقال: «رواه الطبراني موقوفًا، ورجاله رجال الصحيح»، وصححه ابن حجر في الفتح: ٨/٥٣٤.

(٢) رواه عبدالرزاق في المصنف: ٢/٢١٦/٣١١٩.

(٣) ضعيف: رواه عبدالرزاق في مصنفه: ٢/٢١٦/٣١١٨، والبيهقي في شعب الإيمان: ١/١٤٨/١٣١، وضعفه ابن حجر في الفتح: ١١/ ١٦٩، وقال: «الحديث أخرجه إسماعيل القاضي بسند ضعيف»، وابن كثير في تفسيره وضعفه: ٣/٥١٧ وقال: «في إسناده ضعيفان، وهما عمر بن هارون وشيخه» .

(٤) سبق تخريجه.

عليه، ولا يقال إذا ذكر النبي ﷺ إلا صلى الله عليه، إلا أنه جائز أن يدخل معه في ذلك آله على ما جاء في الأحاديث عنه ﷺ: «**اللّهم صل على محمد، وعلى آل محمد**» و «**اللّهم صل على محمد، وأزواجه، وذريته**»، ولا يصلى على غيره بلفظ الصلاة امتثالا لعموم قول اللّه ﷻ: ﴿لَّا تَجۡعَلُواْ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيۡنَكُمۡ كَدُعَآءِ بَعۡضِكُم بَعۡضٗاۚ﴾[النور: ٦٣] في حياته وموته ﷺ(١).

---

(١) قال ابن تيمية: «وقد تنازع العلماء في ذلك، فذهب مالك، والشافعي، وطائفة من الحنابلة إلى أنه لا يصلى على غير النبي ﷺ منفردًا، كما روي عن ابن عباس أنه قال: «**لا أعلم الصلاة تنبغي على أحد إلا على النبي ﷺ**».
وذهب الإمام أحمد، وأكثر أصحابه إلى أنه لا بأس بذلك؛ لأن علي بن أبي طالب قال لعمر بن الخطاب: صلى الله عليك. وهذا القول أصح وأولى، ولكن إفراد واحد من الصحابة والقرابة كعلي، أو غيره بالصلاة عليه دون غيره مضاهاة للنبي ﷺ بحيث يجعل ذلك شعارًا معروفًا باسمه هذا هو البدعة» الفتاوى الكبرى: ١ / ٢٦٣.
وقال ابن تيمية: «قد تنازع العلماء: هل لغير النبي ﷺ أن يصلي على غير النبي ﷺ مفردا؟ على قولين:
أحدهما: المنع وهو المنقول عن مالك والشافعي واختيار جدي أبي البركات.
والثاني: أنه يجوز وهو المنصوص عن أحمد واختيار أكثر أصحابه: كالقاضي وابن عقيل والشيخ عبدالقادر واحتجوا بما روي عن علي أنه قال لعمر: صلى الله عليك.
واحتج الأولون بقول ابن عباس: لا أعلم الصلاة تنبغي من أحد على أحد إلا على رسول الله ﷺ وهذا الذي قاله ابن عباس قاله لما ظهرت الشيعة وصارت تظهر الصلاة على علي دون غيره فهذا مكروه منهي عنه كما قال ابن عباس.
وأما ما نقل عن علي: فإذا لم يكن على وجه الغلو وجعل ذلك شعارا لغير الرسول فهذا نوع من الدعاء وليس في الكتاب والسنة ما يمنع منه وقد قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِي يُصَلِّي عَلَيۡكُمۡ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ﴾ وقال النبي ﷺ: «إن الملائكة تصلي على أحدكم ما دام في مصلاه الذي صلى فيه ما لم يحدث»، وفي حديث قبض الروح: «صلى الله عليك وعلى جسد كنت تعمرينه».
ولا نزاع بين العلماء أن النبي ﷺ يصلي على غيره كقوله: «اللهم صل على آل أبي أوفى وأنه يصلي على غيره تبعا له كقوله: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد والله أعلم» الفتاوى الكبرى٢/٢٠٢.
وقال ابن قيم الجوزية: «وفصل الخطاب في هذه المسألة: أن الصلاة على غير النبي إما أن يكون آله، وأزواجه، وذريته أو غيرهم، فإن كان الأول؛ فالصلاة عليهم مشروعة مع الصلاة على النبي، وجائزة مفردة.
وأما الثاني: فإن كان الملائكة، وأهل الطاعة عمومًا الذين يدخل فيهم الأنبياء وغيرهم جاز ذلك =

= أيضًا؛ فيقال: اللهم صل على ملائكتك المقربين، وأهل طاعتك أجمعين.
وإن كان شخصًا معينًا، أو طائفة معينة كره أن يتخذ الصلاة عليه شعارًا لا يخل به، ولو قيل بتحريمه لكان له وجه، ولاسيما إذا جعلها شعارًا له، ومنع منها نظيره أو من هو خير منه، وهذا كما تفعل الرافضة بعلي ﷺ؛ فإنهم حيث ذكروه قالوا: عليه الصلاة والسلام، ولا يقولون ذلك فيمن هو خير منه، فهذا ممنوع لاسيما إذا اتخذ شعارًا لا يخل به؛ فتركه حينئذ متعين، وأما إن صلى عليه أحيانًا بحيث لا يجعل ذلك شعارًا، كما صلى على دافع الزكاة، وكما قال ابن عمر للميت صلى الله عليه، وكما صلى النبي على المرأة، وزوجها، وكما روي عن علي من صلاته على عمر، فهذا لا بأس به، وبهذا التفصيل تتفق الأدلة، وينكشف وجه الصواب والله الموفق» جلاء الأفهام: ص: ٤٨١ .٤٨٢.

أقوال ابن عبدالبر في التبرك بالأنبياء

عن محمد بن عمران الأنصاري عن أبيه أنه قال: عدل إلي عبدالله بن عمر وأنا نازل تحت سرحة[(١)] بطريق مكة، فقال: ما أنزلك تحت هذه السرحة؟ فقلت: أردت ظلها؛ فقال: هل غير ذلك؟ فقلت: لا، ما أنزلني إلا ذلك؛ فقال ابن عمر: قال رسول الله ﷺ: **«إذا كنت بين الأخشبين[(٢)] من منى، ونفخ بيده[(٣)] نحو المشرق؛ فإن هناك واديًا يقال له السرر به شجرة سر تحتها سبعون نبيًا[(٤)]»**[(٥)].

قال ابن عبدالبر[(٦)]: في هذا الحديث دليل على التبرك بمواضع الأنبياء والصالحين ومقاماتهم ومساكنهم، وإلى هذا قصد عبدالله بن عمر بحديثه هذا، والله أعلم.

عن محمود بن الربيع الأنصاري، أن عتبان بن مالك كان يؤم قومه وهو أعمى، وأنه قال لرسول الله ﷺ: **«إنها تكون الظلمة والمطر وأنا رجل ضرير البصر؛ فصل يا رسول الله في بيتي مكانًا أتخذه مصلى، فجاءه رسول الله ﷺ، فقال: أين تحب أن أصلي؟ فأشار له إلى مكان من البيت، فصلى فيه رسول الله ﷺ»**[(٧)].

قال ابن عبدالبر[(٨)]: في هذا الحديث التبرك بالمواضع التي صلى فيها رسول الله ﷺ ووطئها وقام عليها[(٩)]...... والتبرك والتأسي بأفعال رسول الله ﷺ إيمان وتصديق وحب في الله ورسوله.

---

(١) السَّرْحُ: كل شجر لا شوك فيه والواحدة سَرْحة. لسان العرب: ٢/ ٤٨٠.

(٢) الأَخْشَبُ مِنَ الجِبالِ: الخَشِنُ الغَلِيظُ؛ ويقال: هو الذي لا يُرْتَقَى فيه. لسان العرب: ١ / ٣٥٤.

(٣) نفخ بيده: أشار بها.

(٤) معنى سر تحتها سبعون نبيًا: فيها قولان: أحدهما: أنهم بشروا تحتها بما سرهم واحدًا بعد واحد، أو مجتمعين، أو نبئوا تحتها، فسروا من السرور. والقول الآخر: أنها قطعت تحتها سررهم، يعني: ولدوا تحتها. يقال قد سر العربي إذا قطعت سرته.

(٥) صحيح: رواه مالك في الموطأ: ١/٤٢٣/٩٤٩، وأحمد في مسنده: ٢/١٣٨/٦٢٣٣، والنسائي في السنن الكبرى: ٢/٤١٧/ ٣٩٨٦، وفي المجتبى: ٥/١٤٨/٢٩٩٥، والبيهقي في السنن الكبرى: ٥/١٣٩/٩٣٩٢، وابن حبان في صحيحه: ١٤/١٣٧/٦٢٤٤، وصححه المزي في تهذيب الكمال: ٢٢/ ٣٦٦.

(٦) التمهيد: ١٣/ ٦٧. (٧) صحيح البخاري: ١/٢٣٧/٦٣٦. (٨) الاستذكار: ٢/ ٣٦١.

(٩) قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «و أما ما نقل عن ابن عمر أنه كان يتحرى في سفره النزول في مكان =

أقوال ابن عبدالبر في خلق آدم عليه السلام

قال ابن عبدالبر(١): وأما خلق آدم صلوات الله عليه وعلى سائر أنبياء الله، فروي في خلقه آثار كثيرة في ظاهر بعضها اختلاف، روى شعبة عن الحكم عن إبراهيم عن سليمان قال: «**أول ما خلق الله من آدم رأسه، فجعل ينظر وهو يخلق**»(٢).

وروى حماد بن سلمة عن سليمان التيمي عن أبي عثمان النهدي عن سلمان الفارسي قال: «**خمر الله طينة آدم أربعين ليلة ثم خلقها بيده، فخرج طيبها في يمينه، وخرج خبيثها في الأخرى، ثم مسح يديه إحداهما بالأخرى، فخلط بعضه ببعض، فمن ثم يخرج الخبيث من الطيب والطيب من الخبيث**»(٣). وروى عوف عن قسامة بن زهير سمعت أبا موسى الأشعري يقول: «**إن الله خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض، فجاء بنو آدم على قدر الأرض جاء منهم الأحمر، والأبيض والأسود وبين ذلك والحزن والسهل، والخبيث والطيب**»(٤).

وقال ابن جريج: يقولون: «**إن الروح أول ما نفخ في يافوخ آدم**» وفي قوله عليه السلام وفيه يركب إيمان بالبعث والنشأة الأخرى.

= النبي ﷺ و الصلاة في مصلاه، فمن الناس من رخص في مثل ذلك، بخلاف ما إذا اجتمع على ذلك الناس، ومن الناس من قال: هذا أمر انفرد به ابن عمر، والخلفاء الراشدون، والأكابر من السابقين الأولين من المهاجرين و الأنصار لم يكونوا يفعلون ذلك، وهم أعلم من ابن عمر و أعظم إتباعا للنبي ﷺ فلو كان هذا مستحبًا لفعله هؤلاء» تلخيص كتاب الاستغاثة (الرد على البكري): ٥٢٧/٢- ٥٢٨.

(١) التمهيد: ١٧٥/١٨.

(٢) رواه ابن أبي شيبة في المصنف: ٣٥٩١١/٢٦٣/٧، والطبري في تفسيره: ٤٨/١٥، وابن سعد في طبقاته: ٣٠/١، وابن حجر في الفتح: ٥٥٣/٨.

(٣) ابن سعد في طبقاته: ٢٧/١، والطبري في تفسيره: ٢٢٥/٣.

(٤) صحيح: رواه أحمد في المسند: ١٩٥٩٧/٤٠٠/٤، وأبو داود في سننه: ٤٦٩٣/٢٢٢/٤، والترمذي في سننه: ٢٠٤/٥/ ٢٩٥٥، وقال أبو عيسى: «هذا حديث حسن صحيح»، والبيهقي في سننه الكبرى: ١٧٤٨٥/٣/٩، والبزار في مسنده: ٤٢/٨/ ٣٠٢٦، وصححه ابن حبان في صحيحه: ٦١٦٠/٢٩/١٤، وصححه المزي في تهذيب الكمال: ٦٠٣/٢٣، وصححه ابن حجر في الفتح: ٣٦٤/٦، وصححه الألباني في سنن الترمذي: ح (٢٩٥٥)، وسنن أبي داود: ح (٤٦٩٣).

أقوال ابن عبدالبر في عيسى عليه السلام

عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال: «**أراني الليلة عند الكعبة، فرأيت رجلًا آدم**(١) **كأحسن ما أنت راء من أدم الرجال له لمة**(٢) **كأحسن ما أنت راء من اللمم قد رجلها، فهي تقطر ماء متكئًا على رجلين أو على عواتق رجلين، يطوف بالبيت، فسألت: من هذا؟ فقيل: المسيح ابن مريم. ثم إذا أنا برجل جعد قطط أعور العين اليمنى كأنها عنبة طافية، فسألت: من هذا؟ فقيل: المسيح الدجال**»(٣).

قال أبو عمر(٤): أما المسيح ابن مريم عليه السلام ففي اشتقاق اسمه فيما ذكر ابن الأنباري لأهل اللغة خمسة أقوال: أحدها: أنه قيل له: مسيح؛ لسياحته في الأرض، وهو فعيل من مسح الأرض أي: من قطعها بالسياحة. والأصل فيه: مَسِيْح على وزن مَفِعل فأسكنت الياء، ونقلت حركتها إلى السين؛ لاستثقالهم الكسرة على الياء. وقيل: إنما قيل له: مسيح؛ لأنه كان ممسوح الرجل ليس لرجله أخمص، والأخمص ما لا يمس الأرض من باطن الرجل. وقيل: سُمي مسيحًا؛ لأنه خرج من بطن أمه ممسوحًا بالدهن. وقيل: سُمي مسيحًا؛ لأنه كان لا يمسح ذا عاهة إلا برئ. وقيل: المسيح: الصديق.

وأما المسيح الدجال فإنما قيل له: مسيح؛ لمسحه الأرض وقطعه لها. وقيل: لأنه ممسوح العين الواحدة. وقد يحتمل أن يكون ممسوح الأخمص أيضًا.

قال أبو عمر: والمسيح ابن مريم عليه السلام والمسيح الدجال لفظيهما واحدٌ عند أهل العلم وأهل اللغة، وقد كان بعض رواة الحديث يقول في الدجال: المِسِيح بكسر الميم والسين، ومنهم من قال ذلك بالخاء، وذلك كله عند أهل العلم خطأ. قال عبيد الله بن

---

(١) الأدمة: السمرة والآدم من الناس الأسمر. لسان العرب: ١٢/١١.

(٢) اللمة (بالكسر): الشعر الذي يجاوز شحمة الأذن، فإذا بلغ المنكبين فهي جمة، والجمع لمم ولمام. مختار الصحاح: ١/٢٥٢.

(٣) صحيح البخاري: ٥/٢٢١١/٥٥٦٢.

(٤) التمهيد: ١٤/١٨٧- ٢٠٥.

قيس الرقيات[(١)] (الوافر):

وَقَالُوا دَعْ رُقَيَّةَ واخشنها فقلت لهم إذا خَرَجَ المَسِيحُ

يريد إذا خرج الدجال هكذا فسروه، ويحتمل عندي نزول عيسى ﷺ ولكنهم بالدجال شرحوا قوله هذا؛ ولذلك ذكرناه عن أهل اللغة ليس معنى ما حكينا عنهم والله أعلم، وأول هذا الشعر:

أَتَكني عَن رُقَيَّةَ أَم تَبوحُ وَمَن تَبِعِ الهَوى حَينًا فُضوحُ

وفي هذا الحديث أن رسول الله ﷺ قد رأى المسيح ابن مريم عليه السلام ورأى الدجال، ووصفهما على حسب صورهما، ورؤيا الأنبياء وحي على ما قدمنا في غير ما موضع من كتابنا، ففي هذا الحديث والله أعلم أن عيسى سينزل على ما في الآثار، وسيطوف بالبيت، وفيه أن الطواف بالبيت من سنن النبيئين والمرسلين، والآثار في نزول عيسى بن مريم عليه السلام وحجه البيت وطوافه ثابتة عن النبي ﷺ وقد حج البيت فيما زعموا آدم وجماعة من الأنبياء بعده قبل رفع إبراهيم قواعده وبعد ذلك، وأما قوله: رجلًا، وآدم، فالآدم: الأسمر الذي علاه شيء من سواد قليل، والأدمة: لون العرب في الرجال إلا أنهم يقولون للأبيض من الإبل: الآدم، والآدم عندهم من الظباء الذي هو لون التراب. واللمة: الجمة من الشعر هي أكمل من الوفرة، والوفرة ما يبلغ الأذنين وقوله: «قد رجلها» يعني: قد مشطها بعد أن بلها. وقوله: فهي تقطر ماء من الاستعارة العجيبة والكلام البديع، وكان قد أوتي جوامع الكلم ﷺ، وقوله: «أو على عواتق رجلين» شك من المحدث لا شك من النبي ﷺ، وقد روى مجاهد عن ابن عمر مرفوعًا في صفة

---

(١) عبيد الله بن قيس بن شريح بن مالك، من بني عامر بن لؤي، ابن قيس الرقيات. شاعر قريش في العصر الأموي. كان مقيمًا في المدينة.خرج مع مصعب بن الزبير على عبدالملك بن مروان، ثم انصرف إلى الكوفة بعد مقتل ابني الزبير (مصعب وعبدالله) فأقام سنة وقصد الشام فلجأ إلى عبدالله بن جعفر بن أبي طالب فسأل عبدالملك في أمره، فأمّنه، فأقام إلى أن توفي. أكثر شعره الغزل والنسيب، وله مدح وفخر. ولقب بابن قيس الرقيات لأنه كان يتغزل بثلاث نسوة، اسم كل واحدة منهن رقية.

المسيح عليه السلام أنه أحمر جعد[1]، وذكر البخاري قال: حدثنا محمد بن كثير، حدثنا إسرائيل، حدثنا عثمان بن المغيرة، عن مجاهد عن ابن عمر قال: قال النبي ﷺ: «رأيت عيسى وموسى وإبراهيم عليهم السلام فأما عيسى فأحمر جعد عريض الصدر، وأما موسى فآدم جسيم سبط كأنه من رجال الزط[2]»[3] وذكر أسد بن موسى قال: حدثنا يحيى بن زكرياء بن أبي زائدة قال: حدثني مالك بن مغول عن سعيد بن مسروق عن عكرمة في قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ﴾[الإسراء: ٦٠] قال: أري إبراهيم وموسى وعيسى، قال: فذكر عيسى أبيض نحيف مبطن كأنه عروة ابن مسعود. قال: وحدثني يحيى عن أبيه عن عامر الشعبي: أن رسول الله ﷺ شبه عروة ابن مسعود بعيسى عليه السلام.... وحدثني عبدالرحمن بن يحيى قال: حدثنا علي بن محمد قال: حدثنا أحمد بن داود قال: حدثنا سحنون قال: حدثنا ابن وهب قال: أخبرنا عمرو بن الحرث عن سعيد بن أبي هلال أن يحيى بن عبدالرحمن الثقفي حدثه: أن عيسى بن مريم كان سائحًا؛ ولذلك سمي المسيح، قال: كان ليمسي بأرض ويصبح بأرض أخرى، وإنه لم يتزوج، ولم يرفع حجرًا على حجر ولا لبنة على لبنة، وإنه كان يجتاب العباءة، ثم يتدرعها ثم يقول: أنا الذي أرغمت الدنيا وإنه لما كانت الليلة التي رفع فيها أتى بفطره عند الليل خبز الشعير اليابس والماء القراح، فقالوا: أفطر يا رسول الله، فقال: لا أستطيع، إنني مرفوع من بين أظهركم؛ فما أدري ما يفعل بي ولا بكم. قالوا: يا رسول الله، إنك تفارقنا فأوصنا. قال: اعلموا أن حلو الدنيا مر الآخرة، عليكم بحشرات الأرض وخبز الشعير وثياب الشعر والصوف وظل الشجر وفيء الجدران، واعلموا حلو الدنيا مر الآخرة.

قال ابن وهب: أخبرني مالك بن أنس قال: بلغني أن عيسى بن مريم انتهى إلى قرية

---

(١) الجعد من الرجال: المجتمع بعضه إلى بعض. لسان العرب: ١٢٢/٣.

(٢) وهم جنس من السودان والهنود. النهاية: ٣٠٢/٢.

(٣) صحيح البخاري: ٣٢٥٥/١٢٦٩/٣.

قد خربت حصونها وجفت أنهارها ويبست أشجارها، فنادى يا خراب، أين أهلك؟ فلم يجبه أحد، ثم نادى يا خراب، أين أهلك؟ فلم يجبه أحد، ثم نادى الثالثة، فنودي عيسى بن مريم بادوا وتضمنتهم الأرض، وعادت أعمالهم قلائد في رقابهم إلى يوم القيامة... قال ابن وهب، وأخبرني أبو صخر، أن يزيد الرقاشي حدثه عن أنس بن مالك أنه قال: لما ولد عيسى عليه السلام أصبح كل صنم يعبد من دون الله خارًا على وجهه، قال: فأقبلت الشياطين تضرب وجوهها، وتنتف لحاها، فقالوا: يا أبانا، لقد حدث في الأرض حدث، فقال: وما ذلك؟ قالوا ما كان من صنم يضل به أحد من ولد آدم إلا أصبح خارًا على وجهه، قال: فأنظروني حتى أنظر، قال: فأخذ في أفق السماء حتى بلغ المشرق، ثم هاهنا حتى بلغ المغرب، ثم هاهنا حتى لا يرى، ثم هاهنا حتى لا يرى، ثم هبط إليهم، فقال: أما الذي تخافون من السماء فلم يكن شيء بعد ولكن هذا شيء حدث في الأرض، فأنظروني حتى أنظر، فأخذ هاهنا أيضًا حتى بلغ المشرق، وهاهنا حتى بلغ المغرب، وهاهنا حتى لا يرى، وهاهنا حتى لا يرى، ثم احتبس عنهم هنيهة ثم جاءهم فقال: هل تدرون ما حبسني عنكم؟ قالوا:لا، قال: فإن عيسى بن مريم عليه السلام ولد في بيت المقدس، وإني أردت الدخول، فوجدت الملائكة قد حرسوه، وحالت بيني وبينه دعوة الطيبة قولها: ﴿وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾[آل عمران: ٣٦] ما من مولود يولد إلا وضعت أصبعي عليه، فالصغو الذي تسمعونه تحت أمه، فتلك أصبعي حين أضعها عليه؛ فأردت أن أضعها على عيسى، فحالت بيني وبينه دعوة الطيبة، فوإله عيسى لأضلن به الناس ضلالًا لا أضلهم بأحد كان قبله أو أحد يكون بعده، قال ابن وهب: قال أبو صخر: فحدثت هذا الحديث محمد بن كعب القرطي، فقال: أي: الرقاشيين حدثك بهذا؟ فقلت: يزيد، قال: هلم حدثنيه، فلما حدثته، قال: ألا أحدثك عن عيسى ابن مريم؟ قلت: بلى. قال: فإن الله تبارك وتعالى لم يبعث نبيًا في أمة إلا جاء على رجله البلاء إمساك المطر، والشدة حتى كان عيسى بن مريم، فلما ولد جاء على رجله الرخاء، فأمطرت السماء،

وأخصبت الأرض، وفتح له البركات، وأبرأ الأكمه والأبرص وكلم الموتى وأحياهم، وخلق من الطين طيورًا، وأخبرهم بما يأكلون وما يدخرون، ثم عمر بين أظهرهم ما شاء الله أن يعمر، ثم أرسل الله إليه إني ﴿وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ فدخل بيتًا، وجمع فيه حواريه، ثم قال: إن الله رافعي إليه، فأيكم يتشبه بي فإنه مقتول، قال رجل من القوم: أنا، قال: أوصيكم بتقوى الله، وأن تبروا من قطعكم، وأن تؤدوا الحق إلى من منعه منكم، ولا تكافئوا الناس بأعمالهم، فضرب الباب، ورفعه الله إليه، وقتل الرجل، قال الله تعالى: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾﴾ [النساء: ١٥٧ - ١٥٨] فاجتمع بنو إسرائيل فقهاؤهم وأحبارهم، فقالوا: ألا تقومون فتنظرون أي شيء كان هذا الذي كان بين أظهركم؟ قالوا: بلى، فاختاروا الخيار النقادة لا يألون خمسين رجلًا، ثم اختاروا من الخمسين عشرة، ثم اختاروا من العشرة أربعة، فدخلوا بيتًا، فقالوا: أنتم سادتنا وخيارنا، فينظر كل واحد منكم برأيه، فإنما نحن تبع لكم فأخذوا شيخًا، وآخر دون الشيخ في السن، وآخر دونه في السن، وفتى شابًا حين استوى شبابه، فبدأوا بالشيخ لسنه، فقال: هل تعلمون أحدًا يعلم الغيب إلا الله، ويحيي الموتى غير الله،أو يبرئ الأكمه والأبرص إلا الله؟ قالوا: لا، قال: فإن هذا الله كان بين أظهركم ثم بدا له أن يرتفع فارتفع، قال الآخر: هل عندك شيء غير هذا؟ قال: لا، قال: لا أقول مثل ما قلت، هل تعلمون أحدًا يعلم الغيب إلا الله ويبرئ الأكمه والأبرص ويخلق إلا الله؟ قالوا: لا، قال: هذا ابنه علمه من خلائقه ما شاء، ثم بدا له أن يرفعه إليه فرفعه، قال الثالث: هل عندكما شيء غير هذا؟ قالا: لا، قال: فإني لا أقول كما قلتما، ولكن هل تعلمون أحدًا خُلِق من غير نطفة إلا آدم؟ قالوا: لا، قال: فإنه لِغية[1].

فقام الشاب فقال: هل عندكم غير هذا؟ قالوا: لا، قال: فإني لا أقول كما قلتم،

---

(١) لِغية: أي لزنية. لسان العرب: ١٤٢/١٥.

وأشهد ما هو بالله ولا ولد الله ولا لغية، ولكن روح الله وكلمته ألقاها إلى مريم، فقال له: كن فكان فاستوى، ثم خرجوا على قومهم وهم جلوس، فقالوا: ماذا قلتم؟ فقال الكبير: قلت: هو الله فاتبعته فرقة، ثم قال الآخر: هو ولد الله، فتبعته فرقة، ثم قال الآخر: هو لغية فاتبعته فرقة، وقال الآخر: هو عبدالله وروحه وكلمته ألقاها إلى مريم، فاتبعته فرقة، فقالوا: كيف نعيش وهذا معنا؟! فاقتلوه، فقتل الفتى ومن معه، قال: فلذلك قال الله ﷻ: ﴿فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَيْنِهِمْ ۖ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٣٧﴾﴾ [مريم: ٣٧] وقال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ﴾ [المائدة: ١٧] وقال ﷻ: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ ۖ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۚ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [التوبة: ٣٠] وقال: ﴿وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَٰنًا عَظِيمًا ﴿١٥٦﴾﴾ [النساء: ١٥٦] فهؤلاء الذين قالوا هو لِغية. قال تعالى: ﴿مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَآءَ مَا يَعْمَلُونَ﴾ [المائدة: ٦٦] فهذا الشاب وأصحابه الأمة المقتصدة، قال أبو صخر: وقال لي القرطي: أنت وأصحابك من المقتصدة.

أقوال ابن عبدالبر في سن عيسى عليه السلام

قال ابن عبدالبر[١]: وأما سن عيسى ﷺ ففيه حديث عائشة وفاطمة أن عمره كان مثلي عمر نبينا ﷺ وهو حديث روي من حديث بألفاظ، والمعنى الذي قصدناه منه لم يختلفوا فيه.

أخبرنا عبدالله بن محمد بن أسد قال: حدثنا حمزة بن محمد بن علي قال: حدثنا محمد بن عمر ابن يوسف بن عامر الأندلسي قال: حدثنا محمد بن عبدالله بن عبدالرحيم البرتي قال: حدثنا ابن أبي مريم عن عبدالله بن لهيعة عن جعفر بن ربيعة عن عبدالله بن عبيد الله بن الأسود عن عروة عن عائشة قالت: «إن رسول الله ﷺ دخل علي أنا وفاطمة، فناجى فاطمة فلمّا توفي سألتها، فقالت: قال لي: ما بعث نبي قط إلا كان له من العمر نصف عمر الذي قبله، وقد بلغت نصف عمر من كان قبلي؛ فبكيت؛ وقال: أنت سيدة نساء أهل الجنة إلا مريم بنت عمران فضحكت»[٢]، قال: وأنبأنا ابن أبي مريم عن نافع بن يزيد عن عمارة بن غزية عن محمد بن عبدالله بن عمرو بن عثمان عن أمه فاطمة بنت حسين عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها عن فاطمة عن النبي ﷺ بنحوه. وأخبرني أن عيسى عاش عشرين ومائة سنة، وفي سماع أشهب وابن نافع من مالك في كتاب العتبي قال مالك: كان عيسى بن مريم يقول: يا ابن الثلاثين، مضت الثلاثون، فماذا تنتظر؟ قال: ومات وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة.

قال أبو عمر: احتج بهذا الحديث من ذهب إلى أن عيسى ـ صلوات الله عليه وسلامه ـ مات وأنه توفي موتًا، ولا حجة في هذا الحديث لمن زعم أنه مات؛ لأنه يحتمل أن يكون قوله في هذا الحديث: «عاش عشرين ومائة سنة» أي: عاش في قومه

---

(١) التمهيد: لابن عبدالبر: ١٤/ ١٩٩ـ ٢٠٤.

(٢) صحيح: رواه الطبري في تفسيره: ٣/٢٦٤، والطبراني في المعجم الكبير: ١٠٣١/٤١٧/٢٢، والهيثمي في معجم الزوائد وضعفه: ٩/٢٣، وقال: «رواه الطبراني بإسناد ضعيف، وروى البزار بعضه أيضًا وفي رجاله ضعف»، ورواه أبو بكر الشيباني في الآحاد والمثاني: ٢٩٧٠/٣٦٩/٥، وصححه العجلوني في كشف الخفاء: ٢١٩٢/٢٣٧/٢.

قبل أن يرفع، وكذلك قوله: «**كان له من العمر نصف الذي قبله**» وقوله: «**عاش نصف عمر الذي قبله**» أي: عاش في قومه، وكان في قومه أو في الأرض ونحو هذا، والدليل على صحة هذا القول ما ثبت عن النبي ﷺ في نزوله، وقتله الدجال، وحجه البيت بأسانيد لا مطعن فيها.

أخبرنا عبدالله بن محمد، حدثنا محمد بن بكر، حدثنا أبو داود، حدثنا معاوية بن خالد، حدثنا همام بن يحيى ـ أظنه ـ عن قتادة عن عبدالرحمن بن آدم عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «**ليس بيني وبين عيسى نبي، وإنه نازل، فإذا رأيتموه فاعرفوه رجل مربوع إلى الحمرة والبياض، كأن رأسه يقطر، وإن لم يصبه بلل، فيقاتل الناس على الإسلام، فيدق الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، وتهلك في زمانه الملل كلها إلا الإسلام، ويهلك المسيح الدجال؛ فيمكث في الأرض أربعين سنة، ثم يتوفى، فيصلي عليه المسلمون**»[(١)].

أخبرنا عبدالله حدثنا ابن السكن، حدثنا محمد، حدثنا البخاري، حدثنا أبو اليمان، أخبرنا شعيب عن الزهري، أن أبا سلمة أخبره عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ قال: «**أنا أولى الناس بابن مريم، ليس بيني وبينه نبي، والأنبياء أولاد علات**[(٢)]»[(٣)] وقال رسول الله ﷺ: «**ليهلن ابن مريم بفج الروحاء، حاجًا، أو معتمرًا، أو ليثنينهما**»[(٤)]، وفي حديث النواس بن سمعان عن النبي ﷺ حين ذكر الدجال، وذكر مكثه في الأرض ثم قال: «**ينزل عيسى ﷺ عند المنارة البيضاء بشرقي دمشق، فيدركه عند باب لد، فيقتله**»[(٥)]، ومن صحيح حديث الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكمًا عدلًا،**

---

(١) صحيح: رواه الإمام أحمد في مسنده: ٢/٤٠٦/٩٢٥٩، وأبو داود في سننه: ٤/١١٧/٤٣٢٤، وابن حبان في صحيحه: ١٥/ ٢٣٣/٦٨٢١، والخطيب البغدادي في الجمع والتفريق: ٢ / ٢٣٨، وصححه الألباني في سنن أبي داود: ح (٤٣٢٤).

(٢) معناه: أنهم لأمهات مختلفة، ودينهم واحد. لسان العرب: ١١/٤٧٠.

(٣) صحيح البخاري: ٣/١٢٧٠/٣٢٥٨، صحيح مسلم: ٤/١٨٣٧/٢٣٦٥.

(٤) صحيح مسلم: ٢/٩١٥/١٢٥٢.

(٥) صحيح مسلم: ٤/٢٢٥٠/٢٩٧٣.

فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويفيض المال حتى لا يقبله أحد حتى تكون السجدة الواحدة خيرًا من الدنيا وما فيها، ثم يقول أبو هريرة: واقرؤوا إن شئتم: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾[النساء: ١٥٩]»[(١)]

وروى عبدالله بن نافع الصائغ صاحب مالك عن عثمان بن الضحاك بن عثمان الأسدي عن محمد بن يوسف عن عبدالله بن سلام عن أبيه عن جده قال: «يدفن عيسى عليه السلام مع النبي ﷺ وصاحبيه، ثم موضع قبر رابع»[(٢)].

وأما اختلاف العلماء في قول الله عز وجل: ﴿يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۖ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ [آل عمران: ٥٥].

فقالت طائفة: أراد إني رافعك ومتوفيك. قالوا: وهذا جائز في الواو، والمعنى عند هؤلاء: أنه توفي موت إلا أنه لم يمت بعد. وقال زيد بن أسلم وجماعة: ﴿مُتَوَفِّيكَ﴾ قابضك من غير موت، مثل توفيت المال واستوفيته أي: قبضته، وقال الربيع بن أنس: يعني: وفاة منام؛ لأن الله تعالى رفعه في منامه. وروى علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: ﴿مُتَوَفِّيكَ﴾ أي: مميتك. وقال وهب: توفاه الله ثلاث ساعات من النهار.

قال ابن عبدالبر: والصحيح عندي في ذلك قول من قال: ﴿مُتَوَفِّيكَ﴾ قابضك من الأرض لما صح عن النبي ﷺ من نزوله. وإذا حملت رواية علي بن أبي طلحة عن ابن عباس على التقديم والتأخير أي: رافعك ومميتك لم يكن بخلاف لما ذكرناه، وأما قوله عز وجل: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴿١٥٩﴾﴾[سورة النساء: ١٥٩] فقال أبو هريرة، وابن عباس: قبل موت عيسى عليه السلام

(١) صحيح البخاري: ٣/١٢٧٢/٣٢٦٤، صحيح مسلم: ١/١٣٥/١٥٥.

(٢) رواه الترمذي في سننه: ٥/٥٨٨/٣٦١٧، والهيثمي في مجمع الزوائد: ٨/٢٠٦، وقال: «رواه الطبراني، وفيه عثمان بن الضحاك وثقه ابن حيان وضعفه أبو داود، وقد ذكر المزي رحمه الله هذا في ترجمته، وعزاه إلى الترمذي، وقال: حسن. ولم أجده في الأطراف والله أعلم»، والمزي في تهذيب الكمال: ١٩/٣٩٤، وابن حجر في الفتح: ١٣/٣٠٨.

وهو قول الحسن، وعكرمة، وأبي مالك، ومجاهد هذه رواية سعيد بن جبير عن ابن عباس، وروى مجاهد عن ابن عباس: ﴿قَبْلَ مَوْتِهِۦ﴾ قبل موت صاحب الكتاب، فقيل لابن عباس: وإن ضربت عنقه؟ فقال: وإن ضربت عنقه، وقد روي عن مجاهد، وعكرمة مثل ذلك أيضًا، وروى معمر، عن ثابت البناني، عن أبي رافع قال: رفع عيسى عليه السلام وعليه مدرعة، وخُفًّا راع، وحذافة يحذف بها الطير. وهذا لا أدري ما هو، ويحتمل أنه كانت تلك هيئته ولباسه إلى أن رفع، ورفع كيف شاء الله بعد، وفائدة هذا الخبر رفعه حيًّا لا غير والله أعلم.

وذكر سنيد عن حجاج عن ابن جريج عن مجاهد في قوله تبارك وتعالى: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾[النساء: ١٥٧] قال: صلبوا رجلًا شبهوه بعيسى عليه السلام يحسبونه إياه، ورفع الله عيسى حيًّا.

قال سنيد: وحدثنا إسماعيل عن أبي رجاء عن الحسن في قول الله عز وجل: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴿١٥٩﴾﴾ [سورة النساء: ١٥٩] قال: قبل موت عيسى عليه السلام والله إنه لحي الآن عند الله، ولكنه إذا نزل آمنوا به أجمعون، قال أبو جعفر الطبري: الآية في قوله: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴿١٥٩﴾﴾ [النساء: ١٥٩] خاصة في أهل زمن عيسى عليه السلام دون سائر الأزمنة والله أعلم.

أقوال ابن عبدالبر في صفة المسيح الدجال

عن عبادة بن الصامت عن النبي ﷺ أنه قال: «إني قد حدثتكم عن الدجال حتى خشيت أن لا تعقلوا، إن المسيح الدجال قصير أفحج[١] جعد أعور مطموس العين»[٢] وفي حديث الشعبي عن فاطمة بنت قيس حديث الجساسة في صفة الدجال: «أعظم إنسان رأيناه خلقًا، وأشده وثاقًا»[٣].

وفي حديث الزهري عن أبي سلمة عن فاطمة بنت قيس في ذلك: «فإذا رجل يجر شعره مسلسل في الأغلال ينزو فيما بين السماء والأرض»[٤].

قال أبو عمر[٥]: والآثار مختلفة في نتوء عينه، وفي أي عينيه هي العوراء، ولم تختلف الآثار أنه أعور، وذكر البخاري عن ابن بكير عن الليث عن عقيل عن ابن شهاب عن سالم عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: «بينما أنا نائم أطوف بالكعبة، فإذا رجل آدم سبط الشعر ينطف أو يهراق رأسه ماء، قلت: من هو؟ قالوا: ابن مريم، ثم ذهبت فالتفت؛ فإذا رجل جسيم أحمر جعد الرأس أعور العين كأن عينه عنبة طافية، قلت: من هذا؟ قالوا: الدجال وإذا أقرب الناس به شبهًا ابن قطن رجل من خزاعة»[٦] وأما قوله: «جعد قطط» في صفة الدجال فالقطط هو: المتكسر الشعر الملتوي الشعر الذي لا يسترسل شعره البتة مثل شعر الحبش». وأما قوله: «كأنها عنبة طافية» فإنه يعني: الظاهرة الممتلئة المنتفخة، يقول: إنها قد طفت على وجهه كما يطفو الشيء على الماء أي:

---

(١) الأفحج: الذي في رجليه اعوجاج. لسان العرب: ٢/ ٣٤٠.

(٢) صحيح: رواه أحمد في المسند: ٥/٣٢٤/٢٢٨١٦، والبزار في مسنده: ٧/١٢٩/٢٦٨٦، وأبو داود في سننه: ٤/١١٦/٤٣٢٠، وابن أبي عاصم في السنة: ١/١٨٦/٤٢٨، وابن حجر في الفتح: ١٣/٩٧، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود: ح (٤٣٢٠) .

(٣) صحيح مسلم: ٤/٢٢٦١/٢٩٤٢.

(٤) صحيح: رواه أبو داود في سننه: ٤/١١٨/٤٣٢٥، والطبراني في المعجم الكبير: ٢٤/٣٧١/٩٢٢، وأبو بكر الشيباني في الآحاد والمثاني: ٦/٥/٣١٨١، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود: ح (٤٣٢٥) .

(٥) التمهيد: ١٤/ ١٩١ - ١٩٣.

(٦) صحيح البخاري: ٣/١٢٧٠/٣٢٥٧، صحيح مسلم: ١/١٥٦/١٧١.

يظهر عليه لامتلائها وانتفاخها.

حدثنا أحمد بن قاسم، وعبدالوارث بن سفيان قالا: حدثنا قاسم بن أصبغ قال: حدثنا الحرث بن أبي أسامة قال: حدثنا روح بن عبادة قال: حدثنا سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن الحسن عن سمرة بن جندب أن النبي ﷺ كان يقول: «**إن الدجال خارج، وهو أعور العين الشمال عليها ظفرة غليظة، وإنه يبرئ الأكمه والأبرص ويحيي الموتى، ويقول للناس: أنا ربكم؛ فمن قال: أنت ربي فقد فتن، ومن قال: ربي الله حتى يموت على ذلك، فقد عصم من فتنته ولا فتنة عليه، فيلبث في الأرض ما شاء الله، ثم يجيء عيسى بن مريم من قبل المغرب مصدقًا بمحمد ﷺ وعلى ملته، فيقتل الدجال، ثم إنما هو قيام الساعة**»[1].

قال ابن عبدالبر: ففي هذا الحديث أعور العين الشمال، وفي حديث مالك[2] أعور العين اليمنى والله أعلم، وحديث مالك أثبت من جهة الإسناد.

---

(١) صحيح: رواه أحمد في المسند: ٥/١٣/ ٢٠١٦٣، والروياني في مسنده: ٢/٥٦/٨٢٨، والطبراني في المعجم الكبير: ٧/٢٢٠/٦٩١٨، وصححه الهيثمي في مجمع الزوائد: ٧/٣٣٦، وقال الهيثمي: «رواه الطبراني، وأحمد، ورجاله رجال الصحيح، ورواه البزار بإسناد ضعيف» .

(٢) يقصد حديث ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال: «أراني الليلة عند الكعبة، فرأيت رجلًا آدم كأحسن ما أنت راء من أدم الرجال له لمة كأحسن ما أنت راء من اللمم قد رجلها، فهي تقطر ماء متكئًا على رجلين أو على عواتق رجلين، يطوف بالبيت، فسألت: من هذا؟ فقيل: المسيح بن مريم، ثم إذا أنا برجل جعد قطط أعور العين اليمنى كأنها عنبة طافية، فسألت: من هذا؟ فقيل: المسيح الدجال».

الفصل الثاني

في صفات وخصائص النبي محمد ﷺ

- ❑ أقوال ابن عبدالبر في رؤية النبي ﷺ للجنة والنار.
- ❑ أقوال ابن عبدالبر في حوض النبي ﷺ.
- ❑ أقوال ابن عبدالبر فيمن يدفع عن الحوض.
- ❑ أقوال ابن عبدالبر في شفاعة النبي.
- ❑ أقوال ابن عبدالبر في رؤية النبي ﷺ من وراء ظهره.
- ❑ أقوال ابن عبدالبر في أن فضائل النبي ﷺ لا تنسخ.
- ❑ أقوال ابن عبدالبر في المصاب برسول اللّه ﷺ.

أقوال ابن عبدالبر في رؤية النبي ﷺ للجنة والنار

عن مالك عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن عبدالله بن عباس قال: «**انخسفت الشمس على عهد رسول الله ﷺ فصلى رسول الله ﷺ فقام قيامًا طويلًا نحوًا من قراءة سورة البقرة، ثم ركع ركوعًا طويلًا، ثم رفع فقام قيامًا طويلًا وهو دون القيام الأول، ثم ركع ركوعًا طويلًا وهو دون الركوع الأول، ثم سجد ثم قام قيامًا طويلًا وهو دون القيام الأول، ثم ركع ركوعًا طويلًا وهو دون الركوع الأول، ثم رفع فقام قيامًا طويلًا وهو دون القيام الأول، ثم ركع ركوعًا طويلًا وهو دون الركوع الأول، ثم سجد، ثم انصرف وقد تجلت الشمس فقال ﷺ: إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا يخسفان لموت أحد ولا لحياته، فإذا رأيتم ذلك فاذكروا الله. قالوا: يا رسول الله، رأيناك تناولت شيئًا في مقامك، ثم رأيناك تكعكعت؟ قال رسول الله: إني رأيت الجنة، فتناولت عنقودًا، ولو أصبته لأكلتم منه الدنيا، وأريت النار فلم أر منظرًا كاليوم قط أفظع، ورأيت أكثر أهلها النساء، قالوا: بم يا رسول الله؟ قال: بكفرهن، قيل: يكفرن بالله؟ قال: يكفرن العشير، ويكفرن الإحسان، لو أحسنت إلى إحداهن الدهر كله، ثم رأت منك شيئًا قالت: ما رأيت منك خيرًا قط**»(١).

قال ابن عبدالبر(٢): وأما قوله ﷺ: «**إني رأيت الجنة ورأيت النار**» فإن الآثار في رؤيته لهما ﷺ كثيرة، وقد رآهما مرارًا ـ والله أعلم ـ على ما جاءت به الأحاديث، وعند الله علم كيفية رؤيته لهما ﷺ، فيمكن أن يمثلا له، فينظر إليهما بعيني وجهه، كما مثل له بيت المقدس حين كذبه الكفار بالإسراء، فنظر إليه وجعل يخبرهم عنه، وممكن أن يكون ذلك برؤية القلب قال ﷻ: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ۝٧٥﴾ [الأنعام: ٧٥] وقد اختلف أهل التفسير في ذلك، فقال مجاهد: فرجت له السماوات فنظر إلى ما فيهن حتى انتهى بصره إلى العرش، وفرجت له الأرضون لسبع، فنظر إلى ما فيهن. ذكره حجاج عن ابن جريج قال: أخبرني القاسم

---

(١) صحيح البخاري: ١٠٠٤/٣٥٧/١، صحيح مسلم: ٩٠٧/٦٢٦/٢.
(٢) التمهيد: ٣١٩/٣ ـ ٣٢٠.

ابن أبي بزة عن مجاهد. وذكره معمر عن قتادة قال: ﴿مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ الشمس والقمر والنجوم، وملكوت الأرض الجبال والشجر والبحار.

قال أبو عمر: والظاهر في هذا الحديث أنه رأى الجنة والنار رؤية عين - والله أعلم - وتناول من الجنة عنقودًا على ما ذكر ﷺ ويؤيد ذلك قوله: «فلم أر كاليوم منظرًا قط» فالظاهر الأغلب أنها رؤية عين؛ لأن الرؤية والنظر إذا أطلقا فحقهما أن يضافا إلى رؤية العين إلا بدليل لا يحتمل تأويلًا، وإلا فظاهر الكلام وحقيقته أولى إذا لم يمنع منه مانع دليل يجب التسليم له.

وقال في موضع آخر[1]: وأما رؤيته ﷺ للجنة والنار، فذلك ثابت عنه في كثير من الآثار، ونحن لا نكيف ذلك، ولا نحده.

(١) التمهيد: ٢٢/ ٢٤٧.

أقوال ابن عبدالبر في حوض النبي ﷺ

قال أبو عمر[1]: الأحاديث في حوضه ﷺ متواترة صحيحة ثابتة كثيرة، والإيمان بالحوض عند جماعة علماء المسلمين واجب، والإقرار به عند الجماعة لازم، وقد نفاه أهل البدع من الخوارج والمعتزلة، وأهل الحق على التصديق بما جاء عنه في ذلك ﷺ.

وقال في موضع آخر[2]: تواتر الآثار عن النبي ﷺ في الحوض حمل أهل السنة والحق وهم الجماعة على الإيمان به وتصديقه، وكذلك الأثر في الشفاعة، وعذاب القبر[3].

(١) التمهيد: ٢/٢٩١.

(٢) التمهيد: ٢/٣٠٩.

(٣) قال ابن تيمية: «ونقول: إن الحوض والميزان حق والصراط حق والبعث بعد الموت حق وأن الله يوقف العباد بالموقف ويحاسب المؤمنين وأن الإيمان قول وعمل يزيد وينقص» . الفتاوى الكبرى: ٦/٦٥٥.

أقوال ابن عبدالبر فيمن يدفع عن الحوض

عن أبي هريرة: «أن رسول الله ﷺ خرج إلى المقبرة، فقال: السلام عليكم دار قوم مؤمنين، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون، وددت أني قد رأيت إخواننا، قالوا: يا رسول الله، ألسنا بإخوانك؟! قال: بل أنتم أصحابي، وإخواننا الذين لم يأتوا بعد، وأنا فرطهم على الحوض، قالوا: يا رسول الله، كيف تعرف من يأتي بعدك من أمتك؟ قال: أرأيت لو كانت لرجل خيل غر محجلة في خيل دهم(١) بهم(٢) ألا يعرف خيله؟ قالوا: بلى، يا رسول الله. قال: فإنهم يأتون يوم القيامة غرًا محجلين من الوضوء، وأنا فرطهم على الحوض، ألا ليذادن(٣) رجل عن حوضي كما يذاد البعير الضال، أناديهم ألا هلم؛ فيقال: إنهم قد بدلوا بعدك، فأقول: سحقًا سحقًا»(٤).

قال ابن عبدالبر(٥): وكل من أحدث في الدين ما لا يرضاه الله ولم يأذن به الله، فهو من المطرودين عن الحوض المبعدين عنه ـ والله أعلم ـ وأشدهم طردًا من خالف جماعة المسلمين، وفارق سبيلهم مثل الخوارج على اختلاف فرقها، والروافض على تباين ضلالها، والمعتزلة على أصناف أهوائها؛ فهؤلاء كلهم يبدلون، وكذلك الظلمة المسرفون في الجور والظلم وتطميس الحق وقتل أهله وإذلالهم، والمعلنون بالكبائر المستخفون بالمعاصي، وجميع أهل الزيغ والأهواء والبدع كل هؤلاء يخاف عليهم أن يكونوا عنوا بهذا الخبر، ولا يخلد في النار إلا كافر جاحد ليس في قلبه مثقال حبة خردل من إيمان، وقد قال ابن القاسم رحمه الله قد يكون من غير أهل الأهواء من هو شر من أهل الأهواء، وكان يقال تمام الإخلاص تجنب المعاصي.

---

(١) الدُّهْمَةُ: السواد، و الأَدْهَمُ: الأشود. لسان العرب: ١٢/٢٠٩.

(٢) البُهْمُ: واحدها بَهيم. وهو الذي لا يخالِط لَونَه لونٌ سِواه من سَوادٍ كان أَو غيره. لسان العرب: ١٢/٥٩.

(٣) الذَّوْدُ: السَّوْق والطرد والدفع. لسان العرب: ٣/١٦٧.

(٤) صحيح مسلم: ١/٢١٨/٢٤٩.

(٥) التمهيد: لابن عبدالبر: ٢٠/٢٦٢-٢٦٣.

أقوال ابن عبدالبر في شفاعة النبي ﷺ

عن أبي هريرة ﷺ أن رسول اللَّه ﷺ قال: «لكل نبي دعوة يدعو بها، فأريد أن أختبئ دعوتي شفاعة لأمتي في الآخرة»(١).

وعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ في قول اللَّه ﷻ: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا﴾[الإسراء: ٧٩] قال: «المقام المحمود الذي أشفع فيه لأمتي»(٢)...

قال أبو عمر(٣): على هذا أهل العلم في تأويل قول اللَّه ﷻ: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا﴾ أنه الشفاعة، وقد رُوي عن مجاهد: أن المقام المحمود أن يقعده معه يوم القيامة على العرش، وهذا عندهم منكر في تفسير هذه الآية، والذي عليه جماعة العلماء من الصحابة، والتابعين، ومن بعدهم من الخالفين أن المقام المحمود هو المقام الذي يشفع فيه لأمته. وقد رُوي عن مجاهد مثل ما عليه الجماعة من ذلك؛ فصار إجماعًا في تأويل الآية من أهل العلم بالكتاب والسنة.

ذكر ابن أبي شيبة عن شبابة عن ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا﴾ [الإسراء: ٧٩] قال: شفاعة محمد ﷺ.

وذكر بقي قال: حدثنا يحيى بن عبدالحميد قال: حدثنا قيس عن عاصم عن زر عن ابن مسعود: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا﴾ الشفاعة. قال: وحدثنا يحيى بن عبدالحميد قال: حدثنا أبو بكر عن عاصم عن زر عن عبداللَّه بن مسعود مثله، وذكر

---

(١) صحيح البخاري: ٥/٢٣٢٣/٥٩٤٥، صحيح مسلم: ١/١٨٨/١٩٨.

(٢) صحيح: رواه أبو حنيفة في مسنده من رواية أبي سعيد: ص١٩٦، وأحمد في المسند: ٢/٤٤٤/ ٩٧٣٣، وابن أبي شيبة في المصنف: ٦/٣١٩/٣١٧٤٥، والترمذي في سننه: ٥/٣٠٣/٣١٣٧، والدارقطني في علله: ٨/٣٢٠/١٥٩١، وقال: يرويه وكيع واختلف عنه، فرواه أبو بكر بن أبي شيبة في المسند عن وكيع عن إدريس الأودي عن أبيه عن أبي هريرة، وهو غلط، ورواه في موضع آخر عن وكيع عن داود الأودي عن أبي هريرة، والصواب عن داود، وهو داود بن يزيد بن عبدالرحمن الزعافري، وهو ضعيف كوفي، وهو الذي روى عن الشعبي عن علي ﷺ أنه قال: «لا صداق أقل من عشرة دراهم» قال الثوري: لقن غياث ابن إبراهيم لداود الأودي هذا الحديث، فتلقنه فصار حديثًا، وصححه الألباني في سنن الترمذي: ح (٣١٣٧) .

(٣) التمهيد: ١٩/ ٦٣-٦٩.

الفريابي عن الثوري عن سلمة بن كهيل عن أبي الزعراء عن ابن مسعود مثله، وذكر ابن أبي شيبة قال: حدثنا أبو معاوية عن عاصم عن أبي عثمان عن سلمان قال: المقام المحمود الشفاعة. وروى سفيان وإسرائيل عن أبي إسحاق عن صلة عن حذيفة قال: يجتمع الناس في صعيد واحد، ينفذهم البصر، ويسمعهم الداعي ـ زاد سفيان في حديثه ـ حفاةً عراةً سكوتًا كما خلقوا قيامًا، لا تكلم نفس إلا بإذنه، فينادي مناد يا محمد، ـ على رؤوس الأولين والآخرين ـ فيقول: لبيك وسعديك والخير في يديك ـ زاد سفيان ـ والشر ليس إليك، والمهدي من هديت تباركت ربنا وتعاليت، وعبدك بين يديك ومنك واليك لا ملجأ ولا منجى إلا إليك تباركت رب البيت. قال حذيفة: فذلك المقام المحمود. قال: وحدثنا إسماعيل بن أبي كريمة قال: حدثنا محمد بن عبدالرحيم قال: حدثني زيد بن أبي أنيسة عن أبي إسحاق عن صلة عن حذيفة، فذكر مثله، وروى عبدالرزاق عن معمر عن أبي إسحاق عن صلة بن زفر عن حذيفة بن اليمان، فذكر مثله، وروى يزيد بن زريع عن سعيد عن قتادة في قوله ﷻ: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحۡمُودًا﴾ قال: ذكر لنا أن نبي الله ﷺ خير بين أن يكون عبدًا نبيًا أو ملكًا نبيًا، فأومأ إليه جبريل عليه السلام أن تواضع فاختار نبي الله ﷺ أن يكون عبدًا نبيًا، فأعطي بها اثنين: أول من تنشق عنه الأرض، وأول شافع. قال قتادة: وكان أهل العلم يرون أن المقام المحمود الذي قال الله ﷻ: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحۡمُودًا﴾ شفاعته يوم القيامة.

وممن رُوي عنه ـ أيضًا ـ أن المقام المحمود الشفاعة الحسن البصري، وإبراهيم النخعي، وعلي بن الحسين بن علي، وابن شهاب، وسعيد بن أبي هلال، وغيرهم.

وفي الشفاعة أحاديث مرفوعة صحاح مسندة من أحسنها، ما حدثناه أحمد بن فتح بن عبدالله وعبدالرحمن بن يحيى قالا: حدثنا حمزة بن محمد بن علي قال: أخبرنا أحمد بن علي بن المثنى قال: حدثنا أبو الربيع الزهراني قال: حدثنا حماد بن زيد قال: حدثنا معبد بن هلال العنزي قال: اجتمع رهط من أهل البصرة وأنا فيهم، فأتينا أنـ

ابن مالك، واستشفعنا عليه بثابت البناني، فدخلنا عليه، فأجلس ثابتًا معه على السرير، فقلت: لا تسألوه عن شيء غير هذا الحديث؛ فقال ثابت: يا أبا حمزة، إخوانك من أهل البصرة جاءوا يسألونك عن حديث رسول الله ﷺ في الشفاعة؟ فقال: حدثنا محمد ﷺ قال: «إذا كان يوم القيامة ماج الناس بعضهم في بعض، فيؤتى آدم عليه السلام فيقولون: يا آدم اشفع لنا إلى ربك؛ فيقول: لست لها، ولكن عليكم بإبراهيم عليه السلام فإنه خليل الله عز وجل فيؤتى إبراهيم، فيقول: لست لها، ولكن عليكم بموسى، فإنه كليم الله، فيؤتى موسى عليه السلام فيقول: لست لها، ولكن عليكم بعيسى بن مريم، فإنه روح الله وكلمته، فيؤتى عيسى عليه السلام فيقول: لست لها، ولكن عليكم بمحمد؛ فأوتى فأقول: أنا لها، فأنطلق فأستأذن على ربي عز وجل فيؤذن لي، فأقوم بين يديه مقامًا، فيلهمني فيه محامد لا أقدر عليها الآن، فأحمده بتلك المحامد، ثم أخر له ساجدًا، فيقول لي: يا محمد ارفع رأسك وقل تسمع وسل تعط واشفع تشفع؛ فأقول: أي رب، أمتي أمتي؛ فيقال لي: انطلق فمن كان في قلبه مثقال ذرة أو مثقال شعيرة فأخرجه، فأنطلق، فأفعل ثم أرجع، فأحمده بتلك المحامد، ثم أخر له ساجدًا؛ فيقال: يا محمد،ارفع رأسك، وقل يسمع لك، وسل تعط؛ واشفع تشفع؛ فأقول: أي رب، أمتي أمتي؛ فيقال: انطلق، فمن كان في قلبه أدنى مثقال حبة خردل من إيمان فأخرجه من النار؛ فلما رجعنا من عند أنس قلت لأصحابي: هل لكم في الحسن وهو مستخف في منزل أبي خليفة في عبدالقيس؟ فأتيناه، فدخلنا عليه، فقلنا خرجنا من عند أخيك أنس بن مالك، فلم نسمع مثل ما حدثنا في الشفاعة؛ قال: كيف حدثكم؟ فحدثناه الحديث حتى إذا انتهينا قلنا: لم يزدنا على هذا قال: لقد حدثنا هذا الحديث منذ عشرين سنة، ولقد ترك منه شيئًا، فلا أدري أنسي الشيخ أم كره أن يحدثكموه فتتكلوا، ثم قال - في الرابعة -: ثم أعود فأخر له ساجدًا، ثم أحمده بتلك المحامد؛ فيقال لي: يا محمد ارفع رأسك، وقل يسمع لك، وسل تعط، واشفع تشفع؛ فأقول: أي رب، ائذن لي فيمن قال لا إله إلا الله صادقًا، قال: فيقول تبارك وتعالى: ليس لك وعزتي وجلالي وكبريائي وعظمتي لأخرجن منها من قال لا إله إلا الله، فأشهد على الحسن لحدثنا بهذا الحديث يوم حدثنا به

أنس بن مالك»(١).

قال أبو عمر: وقد قيل: إن الشفاعة منه ﷺ تكون مرتين مرة في الموقف، يشفع في قوم، فينجون من النار ولا يدخلونها، ومرة بعد دخول قوم من أمته النار، فيخرجون منها بشفاعته، وقد رويت آثار بنحو هذا الوجه، يعني: الوجه الأول فالله أعلم.

حدثني أحمد بن محمد، حدثنا أحمد بن الفضل، حدثنا الحسن بن علي الرافقي، حدثنا أبو أمية محمد بن إبراهيم، حدثنا حفص بن عمر بن ميمون القرشي، حدثنا ثور ابن يزيد، عن هشام بن عروة عن أسماء بنت عميس أنها قالت: **«يا رسول، ادع الله أن يجعلني ممن تشفع له يوم القيامة؛ فقال لها رسول الله ﷺ: إذن تخمشك النار، فإن شفاعتي لكل هالك من أمتي تخمشه النار»**(٢).

حدثنا عبدالوارث بن سفيان قال: حدثنا قاسم بن أصبغ قال: حدثنا مضر بن محمد قال: حدثنا يحيى بن معين قال: حدثنا أبو اليمان عن شعيب بن أبي حمزة عن الزهري عن أنس بن مالك، عن أم حبيبة: **«أن النبي ﷺ ذكر ما تلقى أمته بعده من سفك دم بعضها بعضًا، وسبق ذلك من الله كما سبق في الأمم قبلهم، فسألته أن يوليني شفاعة فيهم ففعل»**(٣).

قال: وأخبرنا مضر قال: حدثنا شيبان بن فروخ قال: حدثنا أبو عوانة عن الأعمش عن مجاهد عن عبيد بن عمير عن أبي ذر قال: قال رسول الله ﷺ: **«أعطيت خمسًا لم يعطهن أحد من قبلي: بعثت إلى الأحمر والأسود، وأحلت لي الغنائم، ولم تحل لأحد قبلي، نصرت بالرعب شهرًا فيرعب العدو مني مسيرة شهر، وجعلت لي الأرض طهورًا ومسجدًا،**

---

(١) صحيح البخاري: ٦/٢٧٢٧/٧٠٧٢، صحيح مسلم: ١/١٨٢/١٩٣.

(٢) لم أجده بهذا اللفظ.

(٣) صحيح: رواه أحمد في المسند: ٦/٤٢٧/٢٧٤٥٠، وصححه ابن أبي عاصم في السنة: ٢/٣٧٢/٨٠٠، والذهبي في سير أعلام النبلاء: ١٠/٣٢٢، والمزي في تهذيب الكمال: ٧/١٥١، والهيثمي في مجمع الزوائد: ٧/٢٢٤، وقال: «رواه أحمد، والطبراني في الأوسط، ورجالهما رجال الصحيح»، والحاكم في المستدرك: ١/١٣٨/٢٢٧، وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد على شرط الشيخين، ولم يخرجاه».

وقيل لي: سل تعط، فاختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة، وهي نائلة منكم إن شاء الله من لم يشرك بالله شيئًا»[(١)].

حدثنا أحمد بن فتح بن عبدالله قال: حدثنا عبدالله بن أحمد بن حامد بن ثرثال قال: حدثنا الحسن بن الطيب بن حمزة قال: حدثنا شيبان بن فروخ قال: حدثنا حرب بن سريج قال: حدثنا أيوب عن نافع عن ابن عمر أنه قال: «ما زلنا نمسك عن الاستغفار لأهل الكبائر، حتى سمعنا من نبينا ﷺ يقول: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨] وقال: إني ادخرت دعوتي شفاعة لأهل الكبائر من أمتي»[(٢)].

وحدثنا عبدالوارث قال: حدثنا قاسم قال: حدثنا إبراهيم بن مهدي قال: حدثنا شيبان بن فروخ قال: حدثنا حرب بن سريج قال: حدثنا أيوب السختياني عن نافع عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «إن شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي».

حدثنا أحمد بن سعيد بن بشر، حدثنا مسلمة بن قاسم بن إبراهيم، حدثنا جعفر بن محمد بن الحسن الأصبهاني بسيراف، حدثنا يونس بن حبيب، حدثنا أبو داود الطيالسي سليمان بن داود قال: حدثنا محمد بن ثابت عن جعفر بن محمد بن علي عن أبيه عن جابر بن عبدالله قال: قال النبي ﷺ: «شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي، قال: فقال جابر: من لم يكن من أهل الكبائر فما له وللشفاعة؟!»[(٣)].

---

(١) صحيح: رواه الدارمي في سننه: ٢/٢٩٥/٢٤٦٧، وابن حبان في صحيحه: ١٤/٣٧٥/٦٤٦٢، والبزار في مسنده: ٩/٤٦١/ ٤٠٧٧، والهيثمي في مجمع الزوائد وصححه: ٨/٢٥٩.

(٢) صحيح: رواه أبو يعلى في مسنده: ١٠/١٨٥/٥٨١٣، والطبراني في الأوسط: ٦/١٠٦/٥٩٤٢، وصححه الهيثمي في مجمع الزوائد: ١٠/٢١٠، وقال: «رواه البزار وإسناده جيد»، وابن أبي عاصم في السنة: ٢/٣٩٨/٨٣٠، والذهبي في ميزان الاعتدال: ٢/٢١١، وحسنه الألباني في تحقيقه لكتاب السنة لابن أبي عاصم: ح (٨٣٠)، وقال شيخنا الألباني: «حديث حسن، ورجاله ثقات رجال حرب بن سريج المنقري، وهو صدوق يخطيء كما في التقريب، فمثله مما يحتمل حديثه التحسين» .

(٣) صحيح رواه الترمذي: ٤/٦٢٥/٢٤٣٦، وابن ماجة: ٢/١٤٤١/٤٣١٠، وابن حبان في صحيحه: ١٤/٣٨٦/٦٤٦٧، والطيالسي في مسنده: ح (١٦٦٩)، والحاكم في المستدرك: ١/١٤٠/٢٣٢، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي: ح(٢٤٣٦)، وصحيح سنن ابن ماجة: ح (٤٣١٠) .

قال ابن عبدالبر: والآثار في هذا كثيرة متواترة، والجماعة ـ أهل السنة ـ على التصديق بها ولا ينكرها إلا أهل البدع.

حدثنا أحمد بن قاسم، وعبدالوارث بن سفيان قالا: حدثنا قاسم بن أصبغ قال: حدثنا الحرث بن أبي أسامة قال: حدثنا إسحاق بن عيسى قال: حدثنا حماد بن زيد عن علي بن زيد عن يوسف ابن مهران عن ابن عباس قال: قال عمر بن الخطاب: **«أيها الناس، إن الرجم حق، فلا تخدعن عنه، وآية ذلك أن رسول الله ﷺ قد رجم وأبا بكر، ورجمنا بعدهما، وإنه سيكون أناس يكذبون بالرجم، ويكذبون باللعان، ويكذبون بطلوع الشمس من مغربها، ويكذبون بعذاب القبر، ويكذبون بالشفاعة(١)، ويكذبون بقوم يخرجون من النار بعدما امتحشوا»(٢).**

(١) قال ابن تيمية: «ومن السنن المتواترة التي من جحدها كفر: صلاة المسلمين على الميت ودعاؤهم له في الصلاة، وكذلك شفاعة النبي ﷺ يوم القيامة؛ فإن السنن فيها متواترة بل لم ينكر شفاعته لأهل الكبائر إلا أهل البدع بل قد ثبت أنه يشفع لأهل الكبائر وشفاعته دعاؤه وسؤاله الله تبارك وتعالى فهذا وأمثاله من القرآن والسنن المتواترة وجاحد مثل ذلك كافر بعد الحجة عليه» الفتاوى الكبرى: ٢٧/٣.

(٢) ضعيف رواه أحمد في مسنده: ١٥٦/٢٣/١، وعبدالرزاق في مصنفه: ١٣٣٦٤/٣٣٠/٧، وأبو يعلى في مسنده: ١/١٣٦/ ١٤٦، والمروزي في السنة: ح (٣٥٤)، وابن أبي عاصم في السنة: ١/ ٣٤٣/١٥٢، وضعفه الهيثمي في مجمع الزوائد: ٧/ ٢٠٧، وقال الهيثمي: رواه أحمد في مسنده، وأبو يعلى في الكبير، وزاد «ويكذبون بطلوع الشمس من مغربها»، وفيه علي بن زيد وهو سيء الحفظ، وبقية رجاله ثقات،وضعفه الألباني في السنة لابن أبي عاصم: ح (٣٤٣)، وقال الألباني: «إسناده ضعيف من أجل علي بن زيد، وهو ابن جدعان، سيء الحفظ، وسائر رجاله ثقات».

أقوال ابن عبدالبر في رؤية النبي ﷺ من وراء ظهره

عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «**أترون قبلتي هاهنا، فوالله ما يخفى علي خشوعكم ولا ركوعكم، إني لأراكم من وراء ظهري**»(١).

قال أبو عمر(٢): هذا كما قال النبي ﷺ ولا سبيل إلى كيفية ذلك، وهو علم من أعلام نبوته.

أخبرنا أبو محمد عبدالله بن محمد بن عبدالمؤمن قال: أخبرنا عبدالحميد بن أحمد بن عيسى الوراق، أخبرنا الخضر بن داود قال: أخبرنا أبو بكر الأثرم قال: قلت لأبي عبدالله، يعني: أحمد ابن حنبل رَحِمَهُ اللَّهُ: قول النبي ﷺ: «**إني أراكم من وراء ظهري**» فقال: كان يرى من خلفه كما يرى من بين يديه؛ قلت له: إن إنسانًا قال لي: هو في ذلك مثل غيره، وإنما كان يراهم كما ينظر الإمام من عن يمينه وشماله، فأنكر ذلك إنكارًا شديدًا.

حدثنا عبدالوارث بن سفيان، حدثنا قاسم بن أصبغ، حدثنا محمد بن وضاح، حدثنا حامد بن يحيى، حدثنا سفيان عن داود وحميد وابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله: ﴿وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ ٢١٩﴾ [الشعراء: ٢١٩] قال: كان النبي ﷺ يرى من خلفه في الصلاة كما يرى من بين يديه. قال: وحدثنا موسى، وأبو بكر قالا: حدثنا وكيع عن سفيان عن ليث عن مجاهد قال: كان يرى من خلفه كما يرى من أمامه. قال: وحدثنا موسى، حدثنا وكيع عن سفيان عن أبيه، عن عكرمة: ﴿وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ ٢١٩﴾ [الشعراء: ٢١٩] قال: ركوعه وسجوده.

قال معمر: عن قتادة: ﴿فِي ٱلسَّٰجِدِينَ﴾ في المصلين. قال: وقال عكرمة: قائمًا، وراكعًا، وساجدًا، وجالسًا، وذكر سنيد، حدثنا حجاج عن ابن أبي ذئب عن عجلان عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**والذي نفسي بيده إني لأنظر إلى من ورائي كما**

---

(١) صحيح البخاري: ١/١٦١/٤٠٨، صحيح مسلم: ١/٣١٩/٤٢٤.
(٢) التمهيد: ١٨/٣٤٦-٣٤٧.

أنظر إلى من بين يدي، فسووا صفوفكم، وأحسنوا ركوعكم وسجودكم»(١).

قال أبو عمر(٢): دفعت طائفة من أهل الزيغ هذا الحديث، وقالوا: كيف تقبلون مثل هذا وأنتم ترون ضده؟! فذكروا حديث أبي بكرة إذ ركع دون الصف، فلما فرغ رسول الله ﷺ من صلاته قال: **«أيكم الذي ركع دون الصف؟ فقال أبو بكرة: أنا؛ فقال له رسول الله ﷺ: زادك الله حرصًا، ولا تعد»**(٣) وذكروا حديث حميد عن أنس ﷺعن النبي ﷺ أنه قال للرجل الذي دخل الصف، وقد حفزه النفس، فقال حين انتهى إلى الصف: الحمد لله حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه، فلما قضى النبي الصلاة قال: **«من المتكلم»** الحديث(٤) وذكروا مثل هذا من الأحاديث، وقالوا: ألا ترون أن رسول الله ﷺ لم يعلم من الراكع دون الصف حتى استعلم، ولا من المتكلم؟.

قال أبو عمر: فالجواب أن رسول الله ﷺ كانت فضائله تزيد في كل وقت إلى أن مات ﷺ ألا ترى أنه ﷺ قال: كنت عبدًا قبل أن أكون نبيًا، وكنت نبيًا قبل أن أكون رسولًا، وقال رسول الله ﷺ: **«لا يقولن أحدكم: إني خير من يونس بن متى»**(٥) وقال له رجل: **«يا خير البرية»**، فقال: **«ذاك إبراهيم»**(٦) وقال له آخر: **«يا سيد بن السادة أو يا**

---

(١) صحيح: رواه أحمد في المسند: ٧١٩٨/٢٣٤/٢، وعبدالرزاق في المصنف: ٣٧٣٧/٣٦٩/٢، وصححه الهيثمي في مجمع الزوائد: ٢/ ٨٩، وقال: «رواه البزار ورجاله ثقات»، ورواه ابن خزيمة في صحيحه من غير هذا الطريق عن أبي هريرة: ٦٦٤/٣٣٢/١، وكذا رواه ابن حبان في صحيحه من طريق آخر عن أبي هريرة: ٦٣٣٨/٢٥٠/١٤.

(٢) الاستذكار: ٣٢٨/٢- ٣٣٠.

(٣) صحيح: رواه البخاري في صحيحه: ٧٥٠/٢٧١/١، ولفظ البخاري: «عن أبي بكرة أنه انتهى إلى النبي ﷺ وهو راكع فركع قبل أن يصل إلى الصف، فذكر ذلك للنبي ﷺ فقال: زادك الله حرصًا، ولا تعد».

(٤) صحيح مسلم: ٦٠٠/٤١٩/١، ولفظ مسلم: «عن أنس: أن رجلًا جاء، فدخل الصف، وقد حفزه النفس، فقال: الحمد لله حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه، فلما قضى رسول الله ﷺ صلاته قال: أيكم المتكلم بالكلمات؟ فأرم القوم؛ فقال: أيكم المتكلم بها؟ فإنه لم يقل بأسًا؟ فقال رجل: جئت، وقد حفزني النفس، فقلتها؛ فقال رسول الله ﷺ: لقد رأيت اثني عشر ملكًا يبتدرونها أيهم يرفعها».

(٥) صحيح البخاري: ٣٢٣١/١٢٥٤/٣.

(٦) صحيح مسلم: ٢٣٦٩/١٨٣٩/٤.

شريف بن الشرفاء؛ فقال: ذاك يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم»(١).

قال ابن عبدالبر: وذلك قوله كله قبل أن تنزل عليه سورة: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١﴾ [الفتح: ١] فلما نزلت عليه وفيها: ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ۝٢﴾ [سورةالفتح آية (٢)] ولم يغفر لأحد قبله ما تقدم من ذنبه؛ فلما كان ذلك قال حينئذ: «أنا سيد ولد آدم ولا فخر»(٢) وحينئذ قال - والله أعلم -: إني لأراكم من وراء ظهري، فكانت فضائله ﷺ تزيد ولا تنقص.

قال أبو عمر: وقد تأول قوم أن «أرى» هنا بمعنى: أعلم، كما قال الله ﷻ حاكيًا عن شعيب وكان أعمى: ﴿إِنِّيٓ أَرَىٰكُم بِخَيْرٍ﴾ [هود: ٨٤] وأرى بمعنى أعلم معلوم في لسان العرب، فأراد بقوله أراكم: أعلم خشوعكم، وتمام ركوعكم بما يخفى عنكم، ويلقي الله في قلبي معرفة أحوالكم.

قال أبو عمر: هذه دعوى فيها تحديد لمخالفة الظاهر، وغير نكير أن يكون ذلك برؤية العين كسائر ما أعطيه من خرق العادة وأعلام النبوة، فيكون ذلك في آخر أمره، فيكون قولنا على ظاهر ما قاله ﷺ وإن كان لا سبيل إلى كيفيته، وهو علم من أعلام نبوته ﷺ.

قال أبو بكر الأثرم: قلت لأحمد بن حنبل: قول النبي ﷺ: «أراكم من وراء ظهري» فقال: كان يرى من خلفه كما يرى من بين يديه. قلت له: إن إنسانًا هو في ذلك كغيره، وإنما كان يراهم كما ينظر الإمام من عن يمينه وشماله، فأنكر ذلك إنكارًا شديدًا.

قال أبو عمر: وصحيح قول أحمد أن رسول الله ﷺ كان لا يلتفت في صلاته، وقد روي سفيان ابن عيينة عن داود وحميد وابن أبي نجيح عن مجاهد ﷺ في قوله تعالى:

---

(١) لم أجده بهذا اللفظ، ولكن روى الطبراني في الأوسط: «عن ابن عباس قال: قيل: يا رسول الله، من السيد؟ قال: ذاك يوسف ابن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم، قالوا: فما في أمتك سيد؟ قال: بلى، رجل أعطي مالًا وحلالًا ورزق سماحة، فأدنى الفقير رجاء شكايته في الناس» المعجم الأوسط: ٧/١١١/٧٠٠٦.

(٢) صحيح مسلم: ٤/١٧٨٢/٢٢٧٨.

﴿وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾﴾ [الشعراء: ٢١٩] قال: كان النبي ﷺ يرى من خلفه في الصلاة كما يرى من بين يديه، وروى وكيع عن سفيان عن الليث عن مجاهد قال: كان يرى من خلفه كما يرى من أمامه، وخالف مجاهد في تأويل هذه الآية عكرمة وقتادة، وقد ذكرنا ذلك في التمهيد والحمد لله.

أقوال ابن عبدالبر في أن فضائل النبي ﷺ لا تنسخ

قال ابن عبدالبر[١]: وفضائله ﷺ لا يجوز عليها النسخ لأنها لم تزل تترى به[٢] حتى مات ولم يبتز شيئًا منها بل كان يزاد فيها، ألا ترى أنه كان عبدًا غير نبي، ثم نبأه اللّه، ثم أرسله، فصار رسولًا نبيًا، ثم غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، ووعده أن يبعثه المقام المحمود الذي يبين به فضله عن سائر الأنبياء قبله، وفي كل ما قلنا من ذلك جاءت الآثار عنه ﷺ قال: **«كنت عبدًا قبل أن أكون نبيًا، وكنت نبيًا قبل أن أكون رسولًا»**[٣].

ومما يوضح ما قلنا أنه ﷺ قد أخبر اللّه عنه في أول أمره أنه قال: ﴿وَمَآ أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِى وَلَا بِكُمْۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ وَمَآ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ [الأحقاف:آية (٩)] وقال ﷺ: **«لا يقل أحدكم إني خير من يونس بن متى»**[٤] وقال له رجل: **«يا خير البرية»**، فقال: ذاك إبراهيم عليه السلام»[٥]، ثم شك في نفسه وفي موسى عليه السلام فلم يدر من تنشق الأرض عنه قبل، وقال له رجل: أنت الكريم ابن الكرماء، فقال: **«ذلك يوسف بن يعقوب بن إسحاق ابن إبراهيم»**[٦] ثم لما غفر اللّه له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، وأخبر أنه يبعث المقام المحمود قال: **«أنا سيد ولد آدم، ولا فخر»**[٧].

قال ابن عبدالبر: فلذلك قلنا: إن فضائله لا يجوز عليها النسخ، ولا التبديل، ولا النقص، ألا ترى إلى قوله ﷺ: **«أوتيت خمسًا»** وقد روي **«ستًا»** وروى فيه **«ثلاثًا»**، **«وأربعًا»** وهي تنتهي إلى أكثر من سبع، قال فيهن: لم يؤتهن أحد قبلي: بعثت إلى

---

(١) الاستذكار: ١/٩٤- ٩٥.

(٢) تَتْرى: أي تأتي واحدةً بعد واحدة.

(٣) لم أجده بهذا اللفظ

(٤) سبق تخريجه.

(٥) سبق تخريجه.

(٦) لم أجده بهذا اللفظ، ولكن روى البخاري في صحيحه: عن عبدالله بن عمر عن النبي ﷺ قال: «الكريم بن الكريم بن الكريم بن الكريم يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم» صحيح البخاري: ٤/١٧٢٨/٤٤١١.

(٧) سبق تخريجه.

الأحمر والأسود، ونصرت بالرعب مسيرة شهر، وجعلت أمتي خير الأمم، وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي، وجعلت لي الأرض مسجدًا وطهورًا، وأتيت الشفاعة، وبعثت بجوامع الكلم، وبينا أنا نائم أوتيت بمفاتيح خزائن الأرض، فوضعت بين يدي، وزويت لي مشارق الأرض ومغاربها، وأعطيت الكوثر، وهو خير كثير وعذب، ولي حوض ترد عليه أمتي يوم القيامة، آنيته عدد نجوم السماء من شرب منه لم يظمأ بعدها أبدًا، وختم بي النبيون.

قال ابن عبدالبر: فهذه كلها فضائل خص بها رسول الله ﷺ منها قوله: جعلت لي الأرض مسجدًا وتربتها طهورًا، وهذه الخصال رواية جماعة من الصحابة، وبعضهم يذكر ما لم يذكره غيره، وهي صحاح ورويت في آثار شتى.

أقوال ابن عبدالبر في المصاب برسول الله ﷺ

قال ابن عبدالبر[1]: وصدق رسول الله ﷺ لأن المصيبة به أعظم من كل مصيبة يصاب بها المسلم بعده إلى يوم القيامة، انقطع الوحي، وماتت النبوة، وكان أول ظهور الشر بارتداد العرب، وغير ذلك مما يطول ذكره، كان أول انقطاع الخير، وأول نقصانه، قال أبو سعيد الخدري: «ما نفضنا أيدينا من تراب قبر رسول الله ﷺ حتى أنكرنا قلوبنا»[2]، ولقد أحسن أبو العتاهية في نظمه معنى هذا الحديث حيث يقول (الكامل):

اصبِر لِكُلِّ مُصيبَةٍ وَتَجَلَّدِ ... وَاعلَم بِأَنَّ المَرءَ غَيرُ مُخَلَّدِ
أَو مَا تَرى أَنَّ المَصائِبَ جَمَّةٌ ... وَتَرى المَنِيَّةَ لِلعِبادِ بِمَرصَدِ
مَن لَم يُصِب مِمَّن تَرى بِمُصيبَةٍ ... هَذا سَبيلٌ لَستَ فيهِ بِأَوحَدِ
وَإِذا ذَكَرتَ مُحَمَّدًا وَمُصابَهُ ... فَاذكُر مُصابَكَ بِالنَبِيِّ مُحَمَّدِ

وأحسن الراجز في قوله:

لو كنت يا أحمد فينا حيا ... إذا رشدنا وفقدنا الغيا
بأبي أنت وأمي من نبي ... لم تر عيناي ولا عين أبي
ما حل من بعدك في الإسلام ... الأذى والفتن العظام
أليس من بعدك قل العدل ... وكثر الجور وشاع القصل

ولأبي العتاهية (الطويل):

لَنا فِكرَةٌ في أَوَّلينا وَعِبرَةٌ ... بِها يَقتَدي ذو العَقلِ فيها وَيَهتَدي
لِكُلِّ أَخي ثُكلٍ عَزاءٌ وَأُسوَةٌ ... إِذا كانَ مِن أَهلِ التُقى في مُحَمَّدِ

---

(١) التمهيد: ١٩/٣٢٣ ـ ٣٢٥.

(٢) حسن: رواه أحمد في مسنده من طريق أنس: ٣/٢٢١/١٣٣٣٦، وابن أبي شيبة: ٧/١٣٣/٣٤٧٥٥، وأبو يعلى: ٦/٥١/ ٣٢٩٦، والترمذي: ٥/٥٨٨/٣٦١٨، وابن ماجه: ١/٥٢٢/١٦٣١، وصححه ابن حبان في صحيحه: ١٤/٦٠١/٦٦٣٤، وحسنه ابن حجر في الفتح: ٨/١٤٩، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي: ح (٣٦١٨)، وصحيح سنن ابن ماجة: ح (١٦٣١).

ورحم اللَّه أبا العتاهية فلقد أحسن حيث يقول (الطويل):

وَلَن تَسرِيَ الذِكرى بِما هُوَ أَهلُهُ   إِذا كُنتَ لِلبِرِّ المُطَهَّرِ ناسِيا
تَكَدَّرَ مِن بَعدِ النَبِيِّ مُحَمَّدٍ   عَلَيهِ سَلامُ اللَهِ ما كانَ صافِيا
فَكَم مِن مَنارٍ كانَ أَوضَحَهُ لَنا   وَمِن عَلَمٍ أَمسى وَأَصبَحَ عافِيا
رَكَنّا إِلى الدُنيا الدَنيَّةِ بَعدَهُ   وَكَشَّفَتِ الأَطماعُ مِنّا المَساوِيا

في شعر طويل محكم عجيب له رحمه اللَّه عليه.

ومن أحسن ما قيل في هذا المعنى قول منصور الفقيه (الطويل):

أَلا أَيُّها النَّفسُ السئومُ تنبُّهي   وَألقي إِلَيَّ السَّمعَ إِلقاءَ حازِمَه
ضلالٌ لأَذهانٍ وظنٌّ مكذَّبٌ   رجاؤُكِ أن تَبقي على الدَّهرِ سالِمَه
وَقَد غُصَّ بالكَأسِ الكَريهَةِ أحمدُ   وماتَ فماتَ الحَقُّ إلا معالِمَه
عَلَيهِ سلامُ اللَّهِ ما فَصلَ النَّدى   وَصَدَّقَ ذو الشحِّ المطاعِ لَوائِمَه

أخبرنا خلف بن القاسم قال: حدثنا أبو محمد بكر العطار قال: حدثنا يحيى بن عثمان بن صالح قال: حدثنا حسان بن غالب قال: حدثني الليث بن سعد عن أبي بكر بن عبدالرحمن عن المسور ابن مخرمة، أن رسول اللَّه ﷺ قال: **«من عظمت مصيبته؛ فليتذكر مصيبته بي؛ فإنه ستهون عليه مصيبته»**[(١)]...

أخبرنا عبداللَّه بن محمد بن يوسف، وسعيد بن سيد بن سعيد، قالا: أخبرنا عبداللَّه ابن محمد ابن علي قال: حدثنا أحمد بن خالد، قال: حدثنا الحسن بن أحمد، قال: حدثنا محمد بن عبيد ابن حساب قال: حدثنا عبداللَّه بن جعفر قال: أخبرني مصعب ابن محمد بن شرحبيل عن أبي سلمة بن عبدالرحمن عن عائشة قالت: **«أقبل رسول اللَّه ﷺ في مرضه على الناس، فقال: أيها الناس من أصيب منكم بمصيبة، فليتعز بي عن مصيبته التي تصيبه، فإنه لن يصاب أحد من أمتي بعدي بمثل مصيبته بي»**[(٢)].

---

(١) لم أجده بهذا اللفظ، وقد ضعفه ابن عبدالبر.

(٢) ضعيف: رواه الإمام أحمد في فضائل الصحابة: ٢١٦/١٩٨/١، والبيهقي في شعب الإيمان: ٧/ ١٠١٥٤/٢٣٩، وضعفه الطبراني في المعجم الأوسط: ٤٤٤٨/٣٦٥/٤، والصغير: ٦١٢/٣٦٦/١، =

وحدثنا أحمد بن قاسم قال: حدثنا قاسم بن أصبغ قال: حدثنا محمد بن إسماعيل الترمذي قال: حدثنا نعيم بن حماد قال: حدثنا ابن المبارك قال: حدثنا سفيان عن علقمة بن مرثد عن عبدالرحمن بن سابط قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا أصابت أحدكم مصيبة؛ فليذكر مصابه بي، وليعزه ذلك من مصيبته»[١].

حدثنا خلف بن القاسم قال: حدثنا الحسن بن رشيق قال: حدثنا عبدالله بن أحمد بن زيد ـ القاضي بمصر ـ قال: حدثنا محمد بن شداد بن عيسى قال: حدثنا الأصمعي عن العمري عن القاسم بن محمد قال: كان أبو بكر الصديق إذا عزى عن ميت قال لوليه: ليس مع العزاء مصيبة، ولا مع الجزع فائدة، والموت أهون ما بعده، وأشد ما قبله اذكروا فقد نبيكم ﷺ تهون عندكم مصيبتكم وأعظم أجركم.

= وقال الطبراني: «لا يروى عن عائشة إلا بهذا الإسناد تفرد به عبدالله بن جعفر»، وضعفه الهيثمي في مجمع الزوائد: ٣/١١ـ ٩/٣٧، وقال الهيثمي: «رواه الطبراني في الأوسط، وفيه عبدالله بن جعفر والد علي بن المديني، وهو ضعيف» .

(١) ضعيف: رواه عبدالرزاق في مصنفه: ٣/٥٦٤/٦٧٠٠، والدارمي عن مكحول: ١/٥٣/٨٤، والطبراني في المعجم الكبير: ٧/١٦٧/٦٧١٨، والبيهقي في شعب الإيمان: ٧/٢٣٩/١٠١٥٣، والهيثمي في مجمع الزوائد: ٣/٢، وقال الهيثمي: «رواه الطبراني في الكبير، وفيه أبو بردة عمرو ابن يزيد، وثقه ابن حبان وضعفه غيره» .

الفصل الثالث

القول في كرامات الأولياء

- أقوال ابن عبدالبر في المفاضلة بين أول الأمة وآخرها.
- أقوال ابن عبدالبر في التبرك بدعاء الصالحين.

أقوال ابن عبدالبر في المفاضلة بين أول الأمة وآخرها(١)

عن محمد بن أبي حميد عن زيد بن أسلم عن أبيه عن عمر قال: كنت جالسًا عند النبي ﷺ فقال: «أتدرون أي الخلق أفضل إيمانًا؟ قلنا: الملائكة، قال: وحُق لهم، بل غيرهم قلنا: الأنبياء قال: حُق لهم، بل غيرهم، قلنا: الشهداء، قال: هم كذلك، وحُق لهم، بل غيرهم، ثم قال رسول الله ﷺ: أفضل الخلق إيمانا قوم في أصلاب الرجال يؤمنون بي ولم يروني، يجدون ورقًا فيعملون بما فيه هم أفضل الخلق إيمانًا»(٢) وحدثنا أبو إسحاق إبراهيم ابن شاكر قال: حدثنا محمد بن أحمد بن يحيى قال: حدثنا إسحاق بن محمد بن حمدان قال: حدثنا أبو يحيى زكرياء بن يحيى الساجي قال: حدثنا محمد بن المثني قال: حدثنا ابن أبي عدي عن ابن أبي حميد عن زيد بن أسلم عن أبيه عن ابن الخطاب قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «أنبئوني بأفضل أهل الإيمان إيمانًا؟ قلنا: الملائكة...» وذكر الحديث كما تقدم.

وذكر سنيد عن خلف بن خليفة عن عطاء بن السائب قال: قال ابن عباس ﷺ يومًا لأصحابه: أي الناس أعجب إيمانًا؟ قالوا: الملائكة قال: وكيف لا تؤمن الملائكة والأمر فوقهم؟! قالوا: الأنبياء. قال: وكيف لا تؤمن الأنبياء والأمر ينزل عليهم غدوة وعشية؟! قالوا: فنحن. قال: كيف لا تؤمنون وأنتم ترون من رسول الله ﷺ ما ترون؟! ثم قال: قال رسول الله ﷺ: «أعجب الناس إيمانًا قوم يأتون بعدي يؤمنون بي ولم يروني أولئك إخواني حقًا»(٣) وكان سفيان ابن عيينة يقول: تفسير هذا الحديث وما كان مثله بيِّنٌ في كتاب الله وهو قوله: ﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ

---

(١) التمهيد: ٢٠/ ٢٤٨- ٢٥٥.

(٢) ضعيف: رواه البزار في مسنده: ١/٤١٣/ ٢٨٩، والهيثمي في مجمع الزوائد: ١٠/٦٥،وأبو يعلى في مسنده: ١/١٤٧/ ١٦٠، وضعفه ابن حجر في الفتح: ٧/٦، والمناوي في فيض القدير: ٥ / ٣٥٣، والألباني في السلسلة الضعيفة: ٦٤٨.

(٣) ضعيف: رواه الطبراني في المعجم الكبير: ١٢/٨٧/١٢٥٦٠، والهيثمي في مجمع الزوائد: ٨ / ٢٩٩، وقال الهيثمي: «رواه الطبراني في الكبير والأوسط باختصار، والبزار باختصار، وأحمد إلا أنه قال: فانفجر من بين أصابعه عيون، وفيه عطاء بن السائب وقد اختلط».

وَفِيكُمْ رَسُولُهُۥ وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [آل عمران: ١٠١].

وروى مالك عن صفوان بن سليم عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد الخدري: أن النبي ﷺ قال: **«إن أهل الجنة ليتراءون أهل الغرف من فوقهم، كما تتراءون الكوكب الدري في الأفق من المشرق أو المغرب، لتفاضل بينهم. قالوا: يا رسول الله، تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم قال: بلى، والذي نفسي بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين»**(١)...

حدثنا عبدالوارث بن سفيان قال: حدثنا قاسم بن أصبغ قال: حدثنا أحمد بن زهير قال: حدثنا هارون ابن معروف قال: حدثنا ضمرة عن مرزوق بن نافع عن صالح بن جبير عن أبي جمعة قال: **«قلنا: يا رسول الله، هل أحد خير منا؟ قال: نعم، قوم يجيئون من بعدكم، فيجدون كتابًا بين لوحين يؤمنون بما فيه، ويؤمنون بي ولم يروني»**(٢)... وروى أبو ثعلبة الخشني عن النبي ﷺ أنه قال: **«إن أمامكم أيامًا الفائز فيهن كالقابض على الجمر، للعامل فيهم أجر خمسين رجلًا يعمل مثل عمله. قيل: يا رسول الله، منهم؟ قال: بل منكم»**(٣) وهذه اللفظة **«بل منكم»** قد سكت عنها بعض رواة هذا الحديث فلم يذكرها.

---

(١) صحيح البخاري: ٣/١١٨٨/٣٠٨٣، صحيح مسلم: ٤/٢١٧٧/ ٢٨٣١.

(٢) صحيح: رواه أحمد في مسنده: ٤/١٠٦/ ١٧٠١٨، والبخاري في التاريخ الكبير: ٢ / ٣١٠ / ٢٥٨٥، وابن عبدالبر في الاستيعاب: ٤ / ١٦٢٠/٢٨٩٥٠، وابن كثير في تفسيره: ١/٤٢، والطبراني في الكبير: ٤/٢٣/٣٥٤١، والهيثمي في مجمع الزوائد: ١٠/٦٦، وقال الهيثمي: «رواه أحمد وأبو يعلى والطبراني بأسانيد وأحد أسانيد أحمد رجاله ثقات»، وصححه الذهبي في تذكرة الحفاظ: ١/٣٩٠.

(٣) صحيح: رواه أبو داود: ٤/ ١٢٣ /٤٣٤١، والترمذي: ٥/٢٧٥/٣٠٥٨، وقال أبو عيسى: «هذا حديث حسن غريب» والبيهقي في الكبرى: ١٠/٩١/١٩٩٨٠، وابن حبان في صحيحه: ٢/ ١٠٨/ ٣٨٥، والطبراني في الكبير: ٢٢/٢٢٠/٥٨٧، والحاكم في المستدرك: ٤/٣٥٨/٧٩١٢، وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه»، وصححه ابن حجر في الفتح: ٧/٦، والمزي في تهذيب الكمال: ٢٣/٥٥، وضعفه الألباني في سنن أبي داود: ح (٤٣٤١)، وفي سنن الترمذي: ح (٣٠٥٨)، وفي سنن ابن ماجه: ح (٤٠١٤) .

حدثنا سعيد بن نصر قال: حدثنا قاسم بن أصبغ قال: حدثنا محمد بن وضاح قال: حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة قال: حدثنا أبو خالد الأحمر عن يحيى بن سعيد عن أبي صالح عن رجل من بني أسد، عن أبي ذر قال: قال رسول الله ﷺ: «إن من أشد أمتي حبًا لي قومًا يأتون من بعدي، يود أحدهم لو يُعطي ماله وأهله ويراني»[1].

قال أبو عمر: قد عارض قوم هذه الأحاديث بما جاء عنه ﷺ: «خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم»[2] وهو حديث حسن المخرج جيد الإسناد، وليس ذلك عندي بمُعارِض لأن قوله ﷺ: «خير الناس قرني» ليس على عمومه بدليل ما يجمع القرن من الفاضل والمفضول، وقد جمع قرنه مع السابقين من المهاجرين والأنصار جماعةً من المنافقين المظهرين للإيمان، وأهل الكبائر الذين أقام عليهم أو على بعضهم الحدود، وقال لهم ﷺ: «ما تقولون في الشارب والسارق والزاني»[3]، وقال ﷺ مواجهة لمن هو في قرنه: «لا تسبوا أصحابي فلو أنفق أحدكم مثل أحد ذهبًا، ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه[4]»[5] وقال لخالد بن الوليد في عمار: «لا تسب من هو خير منك»[6].

(١) صحيح: رواه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة: ٤ / ٢١٧٨ / ٨٣٢.

(٢) صحيح البخاري: ٢ / ٩٣٨ / ٢٥٠٩، صحيح مسلم: ٤ / ١٩٦٣ / ٢٥٣٣

(٣) صحيح: رواه مالك في الموطأ: ١ / ١٦٧ / ٤٠١، والشافعي في مسنده: ١ / ١٦٣، وفي اختلاف الحديث: ١ / ٢١١، وعبدالرزاق في مصنفه: ٢ / ٣٧١ / ٣٧٤٠، والبيهقي في الكبرى: ٨ / ٢٠٩ /١٦٦٧٨، وقال البيهقي: «تفرد به عمر بن سعيد الدمشقي وهو منكر الحديث وإنما يعرف من حديث النعمان بن مرة مرسلًا»، والطبراني في الكبير: ١٨ / ١٤٠ / ٢٩٣، والهيثمي في مجمع الزوائد: ١ / ١٠٣، وقال: «رواه الطبراني في الكبير ورجاله ثقات إلا أن الحسن مدلس وعنعنه»، وصححه ابن حجر في الإصابة: ٦ / ٥٠٩ / ٨٩٠٤، وقال: «وللمتن شاهد من حديث الحسن، عن عمران بن حصين أخرجه البخاري في الأدب المفرد، وآخر من حديث أبي سعيد الخدري أخرجه أبو داود الطيالسي في مسنده، وآخر عن أبي وروى النعمان هذا الحديث عن علي، وجرير، وأنس» .

(٤) النصيف: النصف. لسان العرب: ٩/ ٣٣٢.

(٥) صحيح البخاري: ٣/١٣٤٣/٣٤٧٠.

(٦) صحيح: رواه أحمد في مسنده: ٩٠/٤/ ١٦٨٦٧، و النسائي في سننه الكبرى: ٥ / ٧٤ / ٨٢٧٢، والحاكم في المستدرك: ٣ / ٤٣٩ / ٥٦٧٠، والطبراني في المعجم الكبير: ٤ / ١١٢ / ٣٨٣١، وفي الأوسط: ٥ / ١٠٢ / ٤٧٩٦، وابن حبان في صحيحه: ١٥ / ٥٥٦ / ٧٠٨١، =

وقال عمر بن الخطاب في قوله ﷻ: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾ [آل عمران: ١١٠] قال: من فعل مثل فعلهم كان مثلهم، وقال ابن عباس في قوله: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾ هم الذين هاجروا من مكة إلى المدينة، وشهدوا بدرًا والحديبية، وهذا كله يشهد أن خير قرنه فضلًا أصحابه، وأن قوله ﷺ: «خير الناس قرني» أنه لفظ خرج على العموم ومعناه الخصوص، وقد قيل في قول الله ـ ﷻ: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ أنهم أمة محمد ﷺ يعني: الصالحين منهم، وأهل الفضل هم شهداء على الناس يوم القيامة. قالوا: وإنما صار أول هذه الأمة خير القرون؛ لأنهم آمنوا حين كفر الناس، وصدقوه حين كذبه الناس، وعزروه، ونصروه، وآووه، وواسوه بأموالهم وأنفسهم، وقاتلوا غيرهم على كفرهم حتى أدخلوهم في الإسلام.

وقد قيل في توجيه أحاديث الباب مع قوله ﷺ: «خير الناس قرني» إن قرنه إنما فضل؛ لأنهم كانوا غرباء في إيمانهم لكثرة الكفار، وصبرهم على أذاهم، وتمسكهم بدينهم، وإن آخر هذه الأمة إذا أقاموا الدين، وتمسكوا به، وصبروا على طاعة ربهم في حين ظهور الشر والفسق والهرج والمعاصي والكبائر، كانوا عند ذلك أيضًا غرباء، وزكت أعمالهم في ذلك الزمن كما زكت أعمال أوائلهم، ومما يشهد لهذا قوله ﷺ: «إن الإسلام بدأ غريبًا، وسيعود غريبًا، فطوبى للغرباء»(١) ويشهد له أيضا حديث أبي الخشني، وقد تقدم ذكره.

ويشهد له أيضًا قوله ﷺ: «مثل أمتي كالمطر لا يدرى أوله خير أم آخره»(٢) وقد ذكر

= والهيثمي في مجمع الزوائد: ٩ / ٢٩٣، وقال: «رواه أحمد والطبراني ورجاله رجال الصحيح»، والبخاري في التاريخ الكبير: ٣ / ١٣٦ / ٤٦١، والطيالسي في مسنده: ١ / ١٥٨ / ١١٥٦، وصححه المزي في تهذيب الكمال: ٢٥ / ٣٦٥ / ٥٢٨٧.

(١) صحيح مسلم: ١ / ١٣٠ / ١٤٥.

(٢) صحيح: رواه أحمد في المسند: ٤ / ٣١٩ / ١٨٩٠١، والترمذي في سننه: ٥ / ١٥٢ / ٢٨٦٩، والبزار في مسنده: ٤ / ٢٢٤ / ١٤١٢، وقال: «وهذا الحديث قد روي عن عمار، وهذا الإسناد أحسن من الأسانيد الأخر التي تروى عن عمار»، والهيثمي في مجمع الزوائد: ١٠ / ٦٨، وقال:

البخاري قال: حدثنا محمد بن بشار قال: حدثنا ابن أبي عدي عن حميد عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: **«لا تقوم الساعة حتى لا يقال في الأرض الله الله»**(١).

قال أبو عمر: فما تلك بعبادة الله وإظهار دينه في ذلك الوقت أليس هو كالقابض على الجمر لصبره على الذل والفاقة وإقامة الدين والسنة؟!

وروينا أن عمر بن عبدالعزيز لما ولي الخلافة، كتب إلى سالم بن عبدالله بن عمر أن أكتب إلي بسيرة عمر بن الخطاب، لأعمل بها، فكتب إليه سالم إن عملت بسيرة عمر، فإنها فضل عمر لأن زمانك ليس كزمان عمر، ولا رجالك كرجال عمر. قال: وكتب إلى فقهاء زمانه فكلهم كتب إليه بمثل قول سالم، وقد عارض بعض الجلة من العلماء قوله ﷺ: **«خير الناس قرني»** بقوله ﷺ: **«خير الناس من طال عمره وحسن عمله»** حدثنا سعيد بن نصر قال: حدثنا قاسم بن أصبغ قال: حدثنا إسماعيل بن إسحاق قال: حدثنا علي بن المديني قال: حدثنا عفان قال: حدثنا حماد بن سلمة عن حميد ويونس عن الحسن عن أبي بكرة أن رجلًا قال: **«يا رسول الله، أي الناس خير؟ قال: من طال عمره وحسن عمله. قال: فأي الناس شر؟ قال: من طال عمره، وساء عمله»**(٢) ....

= «رواه أحمد، والبزار، والطبراني، ورجال البزار رجال الحسن بن قزعة وعبيد بن سليمان الأغر، وهما ثقتان، وفي عبيد خلاف لا يضر»، والطيالسي في مسنده: ١ / ٩٠ / ٦٤٧،وصححه ابن كثير في تفسيره: ٤ / ٢٨٥، وصححه ابن حجر في الفتح: ٧ / ٦، وقال: «وهو حديث حسن له طرق قد يرتقي بها إلى الصحة، وأغرب النووي فعزاه في فتاويه إلى مسند أبي يعلى من حديث أنس بإسناد ضعيف، مع أنه عند الترمذي بإسناد أقوى منه في حديث أنس، وصححه ابن حبان من حديث عمار»، وصححه المناوي في فيض القدير: ٣/ ٤٩٧، والشوكاني في النيل: ٩/٢٢٨-٢٢٩، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي: ح (٢٨٦٩) .

(١) صحيح مسلم: ١ / ١٣١ / ١٤٨.

(٢) صحيح: رواه أحمد في المسند: ٥/٤٠/٢٠٤٣١، وابن أبي شيبة: ٧/٩٠/٣٤٤٢٤، والترمذي في سننه: ٤/٥٦٦/٢٣٣٠، قال أبو عيسى: «هذا حديث حسن صحيح»، والدارمي: ٢/٣٩٨/ ٢٧٤٢، والبيهقي في الكبرى: ٣/٣٧١/٦٣٧١، والطبراني في المعجم الأوسط: ٥ /٣٢٧/ ٥٤٤٩، والصغير: ٢/٨١/٨١٨، والبزار في مسنده: ٩/ ٩٢/٣٦٢٣، والهيثمي في مجمع الزوائد: ١٠/٢٠٣، وقال الهيثمي: «رواه الطبراني في الصغير والأوسط وإسناده جيد»، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي: ح (٢٨٦٩) .

وروى ابن مسعود، وابن عباس عن النبي ﷺ: «أنه لما عرضت الأمم عليه، فرأى أمته سوادًا كثيرًا فرح، فقيل له بأن لك سوى هؤلاء من أمتك سبعون ألفًا يدخلون الجنة لا حساب عليهم؛ فقال بعض أصحابه لبعض: من ترون هؤلاء؟ فقالوا: ما نراهم إلا قوم ولدوا في الإسلام لم يشركوا بالله شيئًا، وعملوا بالإسلام حتى ماتوا عليه، فبلغ ذلك النبي ﷺ، فقال: بل هم الذين لا يسترقرون، ولا يكتوون، ولا يتطيرون، وعلى ربهم يتوكلون؛ فقال عكاشة: يا رسول الله، أدع الله أن يجعلني منهم» وذكر تمام الخبر(١).

قال أبو عمر: وهذه الأحاديث تقتضي مع تواتر طرقها وحسنها التسوية بين أول هذه الأمة وآخرها، والمعنى في ذلك ما قدمنا ذكره من الإيمان، والعمل الصالح في الزمن الفاسد الذي يرفع فيه العلم والدين من أهله، ويكثر الفسق والهرج، ويذل المؤمن، ويعز الفاجر، ويعود الدين غريبًا كما بدأ، ويكون القائم فيه بدينه كالقابض على الجمر، فيتسوي حينئذ أول هذه الأمة بآخرها في فضل العمل إلا أهل بدر والحديبية والله أعلم، ومن تدبر آثار هذا الباب بان له الصواب، والله يؤتي فضله من يشاء(٢).

---

(١) صحيح البخاري: ٥/٢١٥٧/٥٣٧٨، ولفظه قال رسول الله ﷺ: «عرضت علي الأمم، فجعل النبي والنبيان يمرون معهم الرهط، والنبي ليس معه أحد، حتى رفع لي سواد عظيم؛ قلت: ما هذا؟ أمتي هذه؟ قيل: هذا موسى وقومه، قيل: انظر إلى الأفق؛ فإذا سواد يملأ الأفق، ثم قيل لي انظر ها هنا وها هنا في آفاق السماء؛ فإذا سواد قد ملأ الأفق، قيل: هذه أمتك، ويدخل الجنة من هؤلاء سبعون ألفًا بغير حساب، ثم دخل، ولم يبين لهم؛ فأفاض القوم، وقالوا: نحن الذين آمنا بالله واتبعنا رسوله؛ فنحن هم أو أولادنا الذين ولدوا في الإسلام، فإنا ولدنا في الجاهلية، فبلغ النبي ﷺ فخرج فقال: هم الذين لا يسترقون، ولا يتطيرون، ولا يكتوون، وعلى ربهم يتوكلون؛ فقال عكاشة بن محصن: أمنهم أنا يا رسول الله؟ قال: نعم؛ فقام آخر فقال: أمنهم أنا؟ قال: سبقك بها عكاشة» .

(٢) قال ابن تيمية: وأما قوله ﷺ: «مثل امتى كمثل الغيث لا يدرى أوله خير أو آخره» فهذا قد رواه أحمد فى المسند وقد ضعفه بعض الناس وبعضهم لم يضعفه، لكن قال: «معناه أنه يكون فى آخر الأمة من يقارب أولهم فى الفضل، وإن لم يكن منهم حتى يشتبه على الناظر أيهما أفضل وإن كان الله يعلم أن الأول أفضل، كما يقال فى الثوب المتشابه الطرفين هذا الثوب لا يدرى أى طرفيه خير مع العلم بأن أحد طرفيه خير من الآخر، وذلك لأنه قال لا يدرى أوله خير أو آخره ومن المعلوم أن الله يعلم أيهما خير إذا كان الأمر كذلك وإنما ينفى العلم عن المخلوق لا عن الخالق؛ لأن المقصود التشابه والتقارب وما كان كذلك إشتبه على المخلوق أيهما خير» مجموع الفتاوى: ١٨/٣٠٦.

أقوال ابن عبدالبر في التبرك بدعاء الصالحين

عن فاطمة ابنة المنذر، أن أسماء بنت أبي بكر كانت إذا أتيت بالمرأة وقد حمت تدعو لها أخذت الماء؛ فصبته بينها وبين جيبها، وقالت: «إن رسول الله ﷺ كان يأمر أن يبردها بالماء»[1].

قال ابن عبدالبر[2]: في هذا الحديث التبرك بدعاء الإنسان الصالح رجاء الشفاء في دعائه، وفي ذلك دليل على أن الدعاء يصرف البلاء، وهذا إن شاء الله ما لا يشك فيه مسلم[3].

(١) صحيح البخاري: ٥/٢١٦٢١/٥٣٩٢، صحيح مسلم: ٤/١٧٣٢/٢٢١١.

(٢) التمهيد: ٢٢/٢٢٧.

(٣) قال ابن تيمية: «وسؤال الله بمجرد ذوات الأنبياء والصالحين غير مشروع بخلاف الطلب من الله بدعاء الصالحين وبالأعمال الصالحة فإنه جائز لأن دعاء الصالحين سبب لحصول مطلوبنا الذي دعوا به وكذلك الأعمال الصالحة سبب لثواب الله لنا فإذا توسلنا إلى الله بالأعمال الصالحة وبدعائهم كنا متوسلين إليه بوسيلة كما قال يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة فالوسيلة هي الأعمال الصالحة.

وأما إذا توسلنا إليهم بنفس ذواتهم لم يكن في نفس ذواتهم سبب يقتضي إجابة دعائنا» الرد على البكري: ١/١١٩-١٢٠.

الباب الخامس

أقوال ابن عبد البر في الإمامة

- الفصل الأول: القول في الصحابة الكرام.
- الفصل الثاني: القول في واجبات الراعي والرعية.
- الفصل الثالث: القول في الولاء والبراء.
- الفصل الرابع: القول في الجماعة وفضائلها.
- الفصل الخامس: القول في الوقت الذي تطلب فيه العزلة.
- الفصل السادس: القول في الفرق الإسلامية.

الفصل الأول

القول في الصحابة الكرام

- أقوال ابن عبدالبر في خلافة أبي بكر الصديق.
- أقوال ابن عبدالبر في التفضيل بين الصحابة.

أقوال ابن عبدالبر في خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه

عن عائشة أن رسول الله ﷺ قال: «مروا أبا بكر فليصل للناس؛ فقالت عائشة: إن أبا بكر إذا قام مقامك لم يسمع الناس من البكاء؛ فمر عمر فليصل للناس، قال: مروا أبا بكر فليصل للناس؛ فقالت عائشة: فقلت لحفصة قولي له إن أبا بكر إذا قام في مقامك لم يسمع الناس من البكاء فمر عمر فليصل للناس؛ ففعلت حفصة؛ فقال رسول الله ﷺ إنكن لأنتن صواحب يوسف، مروا أبا بكر فليصل للناس؛ فقالت حفصة: لعائشة ما كنت لأصيب منك خيرًا»(١).

قال ابن عبدالبر(٢): وقال الأثرم: قلت لأحمد بن حنبل: رجلان أحدهما أفضل من صاحبه، والآخر اقرأ منه؛ فقال: حديث أبي مسعود: «يؤم القوم أقرؤهم»(٣) قال: ألا ترى أن سالمًا مولى أبي حذيفة كان مع خيار أصحاب رسول الله ﷺ منهم عمر وأبو سلمة بن عبدالأسد، وكان يؤمهم؛ لأنه جمع القرآن، وحديث عمرو بن سلمة أفهم للقرآن، فقلت له: حديث رسول الله ﷺ: «مروا أبا بكر فليصل بالناس» أليس هو خلاف حديث أبي مسعود عن النبي ﷺ يؤم القوم أقرؤهم؟ فقال: إنما قوله لأبي بكر يصلي بالناس، إنما أراد الخلافة، وكان لأبي بكر فضل بيِّنٌ على غيره، وإنما الأمر في الإمامة إلى القراءة، وأما قصة أبي بكر فإنما أراد به الخلافة.

قال أبو عمر: لما قال رسول الله ﷺ: «مروا أبا بكر يصلي بالناس» في مرضه الذي توفي فيه واستخلفه على الصلاة، وهي عظم الدين، وكانت إليه لا يجوز أن يتقدم إليها أحد بحضرته ﷺ؛ فلما مرض استخلف عليها أبا بكر والصحابة متوافرون منهم علي وعمر وعثمان رضي الله عنهم استدل المسلمون بذلك على فضل أبي بكر، وعلى أنه أحق بالخلافة بعد، وعلموا ذلك فارتضوا لدنياهم، وإمامتهم، وخلافتهم من ارتضاه لهم

(١) صحيح البخاري: ٦٤٧/٢٤٠/١.
(٢) التمهيد: ١٢٤/٢٢-١٣٣/٢٢.
(٣) صحيح مسلم: ٦٧٣/٤٦٥/١.

رسول الله ﷺ لأجل دينهم، وذلك إمامتهم في صلاتهم، ولم يكن يمنع رسول الله ﷺ من أن يصرح بخلافة أبي بكر بعده والله أعلم، إلا أنه كان لا ينطق في دين الله بهواه، ولا ينطق إلا بما يوحى إليه فيه قال الله ﷻ: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝﴾ [النجم: ٣ - ٤] ولم يكن يوحى إليه في الخلافة شيء، وكان لا يتقدم بين يدي ربه في شيء، وكان يحب أن يكون أبو بكر الخليفة بعده؛ فلما لم ينزل عليه في ذلك وحي، ونعني: لم يؤمر بذلك، ولكنه أراهم موضع الاختيار، وموضع إرادته؛ فعرف المسلمون ذلك منه؛ فبايعوا أبا بكر بعده، فخير لهم في ذلك، ونفعهم الله به، وبارك لهم فيه؛ فقاتل أهل الردة حتى أقام الدين كما كان، وعدل في الرعية، وقسم بالسوية، وسار بسيرة رسول الله ﷺ حتى توفاه الله حميدًا ﷺ، وقد روى هذا الحديث حماد بن سلمة عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة بمعنى حديث مالك قال حماد: وأخبرنا أيوب عن ابن أبي مليكة عن عائشة بمثله قال ابن أبي مليكة: وأي خلافة أبين من هذا؟! وقد جاءت عن النبي ﷺ آثار تدل على أن رسول الله ﷺ كان يسره ويعلم أن الخليفة بعده أبو بكر والله أعلم، منها قوله ﷺ: «اقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر وعمر»(١).

حدثنا أحمد بن قاسم قال: حدثنا قاسم بن أصبغ قال: حدثنا الحرث بن أبي أسامة قال: حدثنا قبيصة بن عقبة الكوفي قال: حدثنا سفيان بن سعيد بن عبدالملك بن عمير عن مولى لربيعي عن ربيعي عن حذيفة قال: قال رسول الله ﷺ: «اقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر وعمر» وحدثنا أحمد بن عبدالله قال: حدثنا الميمون بن حمزة قال: حدثنا الطحاوي قال: حدثني المزني قال: حدثني الشافعي أخبرنا إبراهيم بن سعد بن براهيم عن أبيه عن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه: «أن أمرآة أتت رسول الله ﷺ؛ فسألته عن شيء فأمرها أن ترجع، قالت: يا رسول الله، إن رجعت فلم أجدك؟ قال: كأنها

(١) صحيح: المستدرك على الصحيحين: ٣/٧٩/٤٤٥١، سنن البيهقي الكبرى: ٥/٢١٢/٩٨٣٦، سنن الترمذي: ٥/٦٠٩/٣٦٦٢، مصنف ابن أبي شيبة: ٦/٣٥٠/٣١٩٤٢، المعجم الأوسط: ٥/ ٣٤٤/٥٥٠٣، مسند أحمد بن حنبل: ٥/٣٨٢/٢٣٢٩٣، وصححه الألباني: ح (٣٦٦٢) .

تعني الموت، قال: فأتي أبا بكر»[1] قال الشافعي: وفي هذا دليل على خلافة أبي بكر.

وحدثنا عبدالوارث بن سفيان قال: حدثنا قاسم بن أصبغ قال: حدثنا جعفر بن محمد الصائغ قال: حدثنا سليمان بن داود قال: حدثنا إبراهيم بن سعد قال: حدثنا أبي عن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه: «أن امرأة أتت النبي ﷺ فسألته عن شيء؛ فقال لها: ارجعي؛ فقالت: يا رسول الله، إن رجعت فلم أجدك؟ ـ تعني: الموت ـ قال: فأتي أبا بكر» حدثنا عبدالوارث قال حدثنا قاسم ابن أصبغ قال: حدثنا أحمد بن زهير قال: حدثنا منصور بن سلمة الخزاعي أبو سلمة قال: حدثنا إبراهيم بن سعد عن أبيه عن محمد بن جبير عن أبيه قال: «أتت النبي عليه السلام امرأة تكلمه في شيء؛ فأمرها أن ترجع إليه؛ فقالت: إن جئت ولم أجدك؟ قال: فأتي أبا بكر» أخبرنا أبو محمد عبدالله بن محمد ابن عبدالمؤمن قال: حدثنا أبو بكر محمد بن عبدالله الشافعي ببغداد إملاء في الجامع يوم الجمعة سنة تسع وأربعين وثلاثمائة، قال: حدثنا محمد بن أحمد بن أبي العوام الرياحي سنة ست وسبعين ومائتين قال: أخبرني أبي قال: حدثنا محمد بن يزيد عن إسماعيل بن أبي خالد عن زر عن عبدالله قال: كان رجوع الأنصار يوم سقيفة بني ساعدة لكلام قاله عمر: أنشدكم بالله أتعلمون أن الرسول ﷺ أمر أبا بكر أن يصلي بالناس؟ قالوا: نعم. قال: فأيكم تطيب نفسه أن يزيله عن مقام أقامه فيه رسول الله ﷺ قالوا: كلنا لا تطيب أنفسنا أن نزيله عن مقام أقامة فيه رسول الله ﷺ. أخبرنا عبدالوارث بن سفيان قال: حدثنا قاسم بن أصبغ قال: حدثنا أبو بكر محمد بن أبي العوام قال: حدثني أبي أحمد بن يزيد أبي العوام قال: حدثنا محمد بن يزيد الوسطي قال: حدثنا إسماعيل بن أبي خالد عن زر عن عبدالله بن مسعود قال: كان رجوع الأنصار يوم سقيفة بني ساعدة بكلام قاله عمر بن الخطاب: نشدتكم الله، هل تعلمون أن رسول الله ﷺ أمر أبا بكر أن يصلي بالناس؟ قالوا: اللّهم نعم. قال: فأيكم تطيب نفسه أن يزيله عن مقام أقامه فيه رسول الله ﷺ؛ فقالوا: كلنا لا تطيب نفسه، نستغفر

(١) صحيح مسلم: ٢٣٨٦/١٨٥٦/٤.

اللَّه، وأجمعوا أن أبا بكر كان يكتب من خليفة رسول اللَّه في كتبه كلها. وذكر نافع ابن عمر الجمحي عن ابن أبي مليكة أن رجلًا قال لأبي بكر: يا خليفة اللَّه، فقال أبو بكر: أنا خليفة رسول اللَّه ﷺ وأنا راض بذلك. وبعث عمر بن عبدالعزيز محمد بن الزبير إلى الحسن يسأله، هل استخلف رسول اللَّه ﷺ أبا بكر؟ فقال: نعم.

قال **أبو عمر**: إنما قال هذا استدلالًا بنحو ما ذكرنا من الحديث واللَّه أعلم، ولم يختلف عن عمر أنه لما حضرته الوفاة قال: **«إن أستخلف فقد استخلف أبو بكر، وإن لم أستخلف فلم يستخلف رسول اللَّه ﷺ»**[1] قال ابن عمر: فلما ذكر رسول اللَّه ﷺ علمت أنه لا يستخلف، وهذا معناه أنه لم يستخلف نصًا، ولا تصريحًا واللَّه أعلم.

حدثنا عبدالوارث قال: حدثنا قاسم قال: حدثنا أحمد بن زبير قال: حدثنا أحمد بن محمد بن أيوب قال: حدثنا إبراهيم بن سعد عن محمد بن إسحاق عن الزهري عن عبدالملك بن أبي بكر ابن عبدالرحمن عن أبيه عن عبداللَّه بن زمعة بن الأسود قال: قلت لعمر: صل بالناس وأبو بكر غائب في مرض رسول اللَّه ﷺ فلما كبر سمع رسول اللَّه ﷺ صوته؛ فقال: **«وأين أبو بكر؟ يأبى اللَّه ذلك والمسلمون، يأبى اللَّه ذلك والمسلمون مرتين؛ فبعث إلى أبي بكر؛ فجاء بعد أن صلى عمر تلك الصلاة؛ فصلى بالناس»**[2].

حدثنا خلف بن القاسم قال: حدثنا ابن المفسر حدثنا أحمد بن علي القاضي قال: حدثنا عبيد اللَّه ابن عمر القواريري حدثنا عبداللَّه بن داود عن هشام بن عروة عن أبيه عن ابن عمر قال: لما طعن عمر رَحِمَهُ اللَّهُ قالوا له: ألا تستخلف؟ قال: أحتملكم حيًا وميتًا، حظي منكم الكفاف لا علي ولا لي، إن أترككم فقد ترككم من هو خير مني ومنكم رسول اللَّه ﷺ، وإن استخلف فقد استخلف من هو خير مني أبو بكر. قال: وحدثنا أحمد بن علي قال: حدثنا أبو بكر وعثمان ابنا أبي شيبة قالا: حدثنا حسين بن علي عن زائدة بن قدامة عن عاصم عن زر عن عبداللَّه قال: لما قبض رسول اللَّه ﷺ

---

(١) صحيح البخاري: ٦٧٩٢/٢٦٣٨/٦.

(٢) صحيح: سنن أبي داود: ٤٦٦٠/٢١٥/٤، المعجم الأوسط: ١٠٦٥/١١/٢، مسند أحمد بن حنبل: ١٨٩٢٦/٣٢٢/٤، وصححه الألباني في سنن أبي داود: ح (٤٦٦٠) .

قالت الأنصار: منا أمير ومنكم أمير، قال: فأتاهم عمر بن الخطاب؛ فقال: يا معشر الأنصار، ألستم تعلمون أن رسول الله ﷺ قال: مروا أبا بكر يؤم الناس؟ فأيكم تطيب نفسه يتقدم أبا بكر؟ قال: فقالت الأنصار: نعوذ بالله أن نتقدم أبا بكر. قال أحمد بن علي وحدثنا أبو خيثمة زهير بن حرب حدثنا معاوية بن عمرو عن زائدة عن عاصم عن زر عن عبدالله مثله أخبرنا عبدالله بن محمد حدثنا محمد بن بكر بن داسة حدثنا حسان بن الحسين الإمام حدثنا حجاج بن منهال حدثنا حماد بن سلمة عن حميد وثابت عن الحسن عن قيس بن عباد قال: قال لي علي بن أبي طالب: إن نبيكم ﷺ نبي الرحمة لم يقتل قتلًا، ولم يمت فجأة مرض ليالي وأيامًا، يأتيه بلال فيؤذنه بالصلاة، وهو يرى مكاني؛ فيقول: ائت أبا بكر فليصل بالناس؛ فلما قبض رسول الله ﷺ نظرت في أمري، فإذا الصلاة عظم الإسلام وقوام الدين، فرضينا لدنيانا من رضيه رسول الله ﷺ لديننا، فبايعنا أبا بكر. وحدثنا عبدالوارث بن سفيان قال: حدثنا قاسم ابن أصبغ قال: حدثنا الحسين بن علي الأشناني قال: حدثنا إسحاق بن إبراهيم حدثني عمرو بن الحرث قال: حدثني عبدالله بن سالم عن الزبيدي قال: قال عبدالرحمن بن القاسم أخبرني القاسم أن عائشة قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«لقد هممت أن أرسل إلى أبي بكر فأعهد إليه؛ فإنه رب متمن وقائل أنا أنا وسيدفع الله، ويأبى ذلك والمؤمنون»**(١).

وقد استدل قوم من أهل العلم على خلافة أبي بكر بقول الله ﷻ: ﴿قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَـٰتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ﴾[الفتح: ١٦] ومعلوم أن الداعي لأولئك القوم غير النبي ﷺ؛ لأن الله قد منع المخلفين من الأعراب من الخروج مع رسول الله ﷺ بقوله: ﴿فَقُل لَّن تَخْرُجُوا۟ مَعِىَ أَبَدًا وَلَن تُقَـٰتِلُوا۟ مَعِىَ عَدُوًّا ۖ إِنَّكُمْ رَضِيتُم بِٱلْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَٱقْعُدُوا۟ مَعَ ٱلْخَـٰلِفِينَ﴾[التوبة: ٨٣] وقد أرادوا الخروج معه إلى بعض ما رجوا فيه الغنيمة؛ فأنزل الله: ﴿سَيَقُولُ ٱلْمُخَلَّفُونَ إِذَا ٱنطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ

---

(١) صحيح البخاري: ٦/٢٦٣٨/٦٧٩١.

لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ﴾ [الفتح: ١٥] يعني قوله: ﴿لَّن تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا﴾، ولا تبديل لكلمات الله، وفي قوله ﷻ: ﴿فَإِن تُطِيعُوا يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا وَإِن تَتَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُم مِّن قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [الفتح: ١٦] أوضح الدلائل على وجوب طاعة أبي بكر وإمامته، وعد الله المخلفين عن رسوله إذا أطاعوا الذي يدعوهم بعده بالأجر الحسن، وأوعدهم بالعذاب الأليم إن تولوا عنه.

وللعلماء في قول الله ﷻ: ﴿قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ﴾ قولان لا ثالث لهما أحدهما: أنهم قالوا أراد بقوله: ﴿إِلَىٰ قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾ اليمامة مع مسيلمة. وقال آخرون: أراد فارس؛ فإن كان كما قالوا أهل اليمامة فأبو بكر هو الذي دعاهم إلى قتالهم، وإن كانوا فارس فعمر دعا إلى قتالهم، وعمر إنما استخلفه أبو بكر، فعلى أي الوجهين كان فالقرآن يقتضي بما وصفنا إمامة أبي بكر وخلافته. وإن كان أراد فارس فهو دليل إمامة عمر وخلافته، وقد قال من لا علم له بتأويل القرآن: إنهم هوازن وحنين، وهذا ليس بشيء لقول الله: ﴿فَقُل لَّن تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَن تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا﴾، وقوله: ﴿ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِن قَبْلُ﴾، ومعلوم أن من واسى رسول الله ﷺ وصحبه أخيرًا لا يلحق في الفضل بمن واساه ونصره وصحبه أولًا قال الله ﷻ: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا﴾[الحديد: ١٠] وكان أبو بكر أول الناس عزر رسول الله ﷺ ونصره وآمن به وصدقه وصابر على الأذى فيه؛ فاستحق بذلك الفضل العظيم؛ لأن كل ما صنعه غيره بعده قد شاركه فيه وفاتهم وسبقهم بما تقدم إليه، فلفضله ذلك استحق الإمامة إذ شأنها أن تكون في الفاضل أبدًا ما وجد إليه السبيل، والآثار في فضائله ليس هذا موضع ذكرها؛ وإنما ذكرنا استحقاقه للخلافة بدليل الكتاب والسنة، وروى إسرائيل عن أبي إسحاق عن إبراهيم النخعي عن عبدالرحمن بن يزيد قال: قال عبدالله بن مسعود: اجعلوا إمامكم خيركم؛ فإن رسول الله ﷺ جعل إمامنا خيرنا

بعده. حدثنا عبدالوارث قال: حدثنا قاسم قال: حدثنا أحمد بن زهير قال: حدثنا موسى بن إسماعيل قال: حدثنا حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن عبدالرحمن بن أبي بكرة عن أبيه أن رجلًا قال: **«يا رسول الله، رأيت كأن ميزانًا دلي من السماء؛ فوزنت أنت فيه وأبو بكر؛ فرجحت بأبي بكر، ثم وزن فيه أبو بكر وعمر، فرجح أبو بكر بعمر، ثم رفع الميزان؛ فقال رسول الله ﷺ نبوة وخلافة، ثم يؤتي الله الملك من يشاء»**[١] وأما قول رسول الله ﷺ لعلي: **«أنت مني بمنزلة هارون من موسى»**[٢]، واحتجاج أهل الزيغ به على أنه أراد بذلك استخلافه؛ فقد أجابه عن ذلك أبو إسحاق المروزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ بجواب على وجهين مجملين:

أحدهما: أن هارون كان خليفة موسى في حياته، ولم يكن علي خليفة رسول الله ﷺ في حياته، وإذا جاز أن يتأخر علي عن خلافة رسول الله ﷺ في حياته على حسبما كان هارون خليفة موسى في حياته، جاز أن يتأخر بعد موته زمانًا، ويكون غيره مقدمًا عليه، ويكون معنى الحديث القصد إلى إثبات الخلافة له كما ثبتت لهارون، لا أنه استحق تعجيلها في الوقت الذي تعجلها هارون من موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ.

والوجه الآخر: أن هذا الكلام إنما خرج من النبي عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ في تفضيل علي ومعرفة حقه لا في الإمامة؛ لأنه ليس كل من وجب حقه وصار مفضلًا استحق الإمامة؛ لأن هارون مات قبل موسى بزمان؛ فاستخلف موسى بعده يوشع بن نون؛ فهارون إنما كان خليفة لموسى في حياته، وقد علم أن عليا لم يكن خليفة النبي ﷺ في حياته، ولم يكن هارون خليفة لموسى بعد موته؛ فيكون ذلك دليلًا على أن عليًا خليفة رسول الله ﷺ بعد موته.

---

(١) سنن أبي داود: ٤/٢٠٨/٤٦٣٥، مسند أحمد بن حنبل: ٥/٤٤/٢٠٤٦٣، مسند الطيالسي: ١/ ١١٦/ ٨٦٦، مصنف ابن أبي شيبة: ٦/١٧٦/٣٠٤٨٢، وصححه الألباني في السنة لابن أبي عاصم: ٢/ ٥٣٦/١١٣١، وسنن أبي داود: ح (٤٦٣٥) .

(٢) صحيح البخاري: ٣/١٣٥٩/٣٥٠٣، صحيح مسلم: ٤/١٨٧٠/٢٤٠٤.

قال أبو عمر: كان هذا القول من النبي ﷺ لعلي حين استخلفه على المدينة في وقت خروجه غازيًا غزوة تبوك، وهذا استخلاف منه في حياته، وقد شركه في مثل هذا الاستخلاف غيره من لا يدعي له أحد خلافة جماعة، قد ذكرهم أهل السنة، وقد ذكرناهم في كتاب الصحابة، وليس في استخلافه حين قال له ذلك القول دليل على أنه خليفة بعد موته والله أعلم، وأما قوله ﷺ: «من كنت مولاه فعلي مولاه»(١) فيحتمل للتأويل؛ لأن المولى يحتمل وجوهًا في اللغة أصحها أنه الولي والناصر، وليس في شيء منها ما يدل على أنه استخلفه بعده، ولا ينكر فضل علي مؤمن، ولا يجهل سابقته وموضعه من رسول الله ﷺ ومن دين الله عالم، وقد ثبت عنه رضي الله عنه أنه فضل أبا بكر على نفسه من طرق صحاح، وقال: خير الناس بعد رسول الله ﷺ أبو بكر ثم عمر، وحسبك بهذا منه رضي الله عنه(٢).

---

(١) صحيح: سنن النسائي الكبرى: ٥/١٣٠/٨٤٦٤، سنن الترمذي: ٥/٦٣٣/٣٧١٣، المستدرك على الصحيحين: ٣/١١٨/٤٥٧٧، وصححه ابن حجر في فتح الباري: ٧/٧٤، وقال: «أخرجه الترمذي والنسائي، وهو كثير الطرق جدًا، وقد استوعبها ابن عقدة في كتاب مفرد، وكثير من أسانيدها صحاح وحسان»، وصححه الألباني في سنن الترمذي: ح (٣٧١٣).

(٢) قال ابن تيمية: حكى أصحابنا كالقاضي أبي يعلى وغيره عن الإمام أحمد في خلافة أبي بكر هل ثبتت باختيار المسلمين له أو بالنص الخفي عن النبي ﷺ أو البين:
أحدهما: بالاختيار، وهو قول جمهور العلماء والفقهاء وأهل الحديث والمتكلمين كالمعتزلة والأشعرية وغيرهم.
والثانية: بالنص الخفي، وهو قول طوائف أهل الحديث والمتكلمين، ويروى عن الحسن البصري، وبعض أهل هذا القول يقولون بالنص الجلي.
وأما قول الإمامية: إنها ثبتت بالنص الجلي على علي، وقول الزيدية الجارودية: إنها بالنص الخفي عليه، وقول الراوندية: إنها بالنص على العباس، فهذه أقوال ظاهرة الفساد عند أهل العلم والدين، وإنما يدين بها إما جاهل وإما ظالم، وكثير ممن يدين بها زنديق.
والتحقيق في خلافة أبي بكر وهو الذي يدل عليه كلام أحمد أنها انعقدت باختيار الصحابة ومبايعتهم له، وأن النبي ﷺ أخبر بوقوعها على سبيل الحمد لها والرضا بها، وأنه أمر بطاعته، وتفويض الأمر إليه، وأنه دل الأمة وأرشدهم إلى بيعته؛ فهذه الأوجه الثلاثة الخبر والأمر والإرشاد ثابت من النبي ﷺ.
فالأول: كقوله: «رأيت كأني على قليب أنزع منها، فأتى ابن أبي قحافة، فنزع ذنوبًا أو ذنوبين» =

أقوال ابن عبدالبر في التفضيل بين الصحابة

عن أبي النضر مولى عمر بن عبيد الله أنه بلغه أن رسول الله ﷺ قال لشهداء أحد: «**هؤلاء أشهد عليهم؛ فقال أبو بكر الصديق: ألسنا يا رسول الله، بإخوانهم أسلمنا كما أسلموا، وجاهدنا كما جاهدوا؟! فقال رسول الله ﷺ: بلى، ولكن لا أدري ما تحدثون بعدي، قال: فبكى أبو بكر، وقال: أئنا لكائنون بعدك**»(١).

= الحديث، وكقوله: «رأيت كأن ميزانًا دلي من السماء؛ فوزنت بأبي بكر فرجحت بأبي بكر، ثم وزن أبو بكر بعمر فرجح أبو بكر بعمر، ثم وزن عمر...» الحديث وكقوله: «ادعي لي أباك وأخاك حتى أكتب لأبي بكر كتابًا لا يختلف عليه الناس من بعدي، ثم قال: يأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر»؛ فهذا إخبار منه بأن الله والمؤمنون لا يعقدونها إلا لأبي بكر، الذي همَّ بالنص عليه، وكقوله: «أري الليلة رجل صالح أن أبا بكر نيط برسول الله» الحديث وقوله: «خلافة النبوة ثلاثون سنة ثم تصير ملكا».

وأما الأمر: فكقوله: «اقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر وعمر»، وقوله: «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي» وقوله للمرأة التي سألته إن لم أجدك؟ قال: «فأتي أبا بكر»، وقوله لأصحاب الصدقات: «إذا لم تجدوه أعطوها لأبي بكر» ونحو ذلك.

والثالث: تقديمه له في الصلاة، وقوله: «سدوا كل خوخة في المسجد إلا خوخة أبي بكر» وغير ذلك من خصائصه ومزاياه وهذه الوجوه الثلاثة الثابتة بالسنة دل عليها القرآن:

فالأول: في قوله: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [سورة النور: ٥٥] وقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ [سورة المائدة: ٥٤] وقوله: ﴿وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾[آل عمران: ١٤٤].

والثاني: قوله: ﴿سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ﴾ [الفتح: ١٦]الآية.

والثالث: كقوله: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى ﴿١٧﴾﴾ [الليل: ١٧] وقوله: ﴿النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ﴾[النساء: ٦٩] وقوله: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ﴾ [التوبة: ١٠٠] ونحو ذلك فثبتت صحة خلافته، ووجوب طاعته بالكتاب والسنة والإجماع، وإن كانت إنما انعقدت بالإجماع والاختيار كما أن الله إذا أمر بتولية شخص أو إنكاحه أو غير ذلك من الأمور معه؛ فإن ذلك الأمر لا يحصل إلا بعقد الولاية والنكاح، والنصوص قد دلت على أمر الله بذلك العقد ومحبته له؛ فالنصوص دلت على أنهم مأمورون باختياره والعقد له، وأن الله يرضى ذلك ويحبه، وأما حصول المأمور به المحبوب فلا يحصل إلا بالامتثال؛ فلما امتثلوا ما أمروا به عقدوا له باختيارهم، وكان هذا أفضل في حقهم وأعظم في درجتهم. كتب ورسائل وفتاوى ابن تيمية في الفقه: ٣٥/٤٧ـ٤٩/٥.

(١) موطأ مالك: ٢/٤٦١/٩٨٧.

قال أبو عمر[١]: هذا الحديث مرسل هكذا منقطع عند جميع الرواة للموطأ، ولكن معناه يستند من وجوه صحاح كثيرة، ومعنى قوله **«أشهد عليهم»**: أي أشهد لهم بالإيمان الصحيح والسلامة من الذنوب الموبقات، ومن التبديل والتغيير والمنافسة في الدنيا، ونحو ذلك والله أعلم.

وفيه من الفقه دليل على أن شهداء أحد ومن مات من أصحاب رسول الله ﷺ قبله أفضل من الذين تخلفهم بعده والله أعلم، وهذا عندي في الجملة المحتملة للتخصيص؛ لأن من أصحابه من أصاب من الدنيا بعده وأصابت منه، وأما الخصوص والتعيين فلا سبيل إليه إلا بتوقيف يجب التسليم له، وأما أصحاب رسول الله ﷺ الذين تخلفهم رسول الله ﷺ بعده فأفضلهم أبو بكر وعمر على هذا جماعة علماء المسلمين إلا من شذ؛ وقد قالت طائفة كثيرة من أهل العلم إن أفضل أصحاب رسول الله ﷺ أبو بكر وعمر لم يستثنوا من مات قبله ممن مات بعده.

وقال أبو عمر في الاستذكار[٢]: وقد ذهب قوم من جلة العلماء إلى القطع أن من مات في حياة رسول الله ﷺ من الشهداء مثل حمزة وجعفر ومصعب بن عمير وسعد بن معاذ، ومن جرى مجراهم ممن موتهم قبله، وصلى عليهم، وشهد بالجنة لهم أفضل ممن بقي بعده من أصحابه الذين قال فيهم: **«ألا لا أدري ما تحدثون بعدي»**، وخاف عليهم من الفتنة، والميل إلى الدنيا ما قد وقع فيه بعضهم، وقالوا: معنى قول من قال: أفضل الناس بعد رسول الله ﷺ أبو بكر وعمر وعثمان وعلي أو فلان وفلان، يعني: من بقي بعده ﷺ.

وقال جماعة من أهل العلم: أفضل أصحاب رسول الله ﷺ أبو بكر وعمر وعثمان وعلي، وسائر أهل بدر، والحديبية لم يستثنوا من مات في حياة رسول الله ﷺ ممن بقي بعده.

---

(١) التمهيد لابن عبدالبر: ٢١/٢٢٨.
(٢) الاستذكار: ٥ /١٠٦-١١٠/٥.

قال أبو عمر: والذي عندي في هذا الباب مما يصح في التأمل والنظر وصحيح الاعتبار والأثر مما شهد له الكتاب والسنة والأصول المجتمع عليها، أن السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار ممن شهد العقبة، ثم شهد بدرًا والحديبية أفضل من كل من لم يدرك تلك المشاهد ولم يشهدها؛ لأن هؤلاء من شهد لهم رسول الله ﷺ بالفضل، وقال: «**لن يدخل النار من شهد بدرًا والحديبية**»[1]، وقال ﷺ: «**ما يدريك لعل الله قد اطلع على أهل بدر؛ فقال: اعملوا ما شئتم؛ فقد غفرت لكم**»[2]وحسبك بقول الله ﷻ: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [الحديد: ١٠] وقد مضى القول فيمن مات شهيدًا في حياته ومن مات ورسول الله ﷺ راض عنه، وأما الباقون بعده؛ فهذه الجملة من القول عامة فيهم مع ثناء الله ﷻ عليهم بأنهم: ﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾[الفتح: ٢٩] وأنهم:﴿رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ [المائدة: ١١٩] وحسبك بهذا.

وأما التعيين فيهم، وتفضيل بعضهم على بعض؛ فهذا لا يصح في نظر ولا اعتبار، ولا يحيط بذلك إلا الواحد القهار المطلع على النيات الحافظ للأعمال، إلا من جاء فيه أثر صحيح بأنه في الجنة جاز أن يقال فيه ذلك إتباعا للأثر، لا أنه أفضل من الذين شاركوه في مثل فضله ذلك، ومن فضله رسول الله بخصلة، وشهد له بها جاز أن يفضل بها في نفسه لا على غيره. وقد شهد رسول الله ﷺ لجماعة من أصحابه بفضائل وخصائل من الخير كثيرة، أثنى بها عليهم، ووصف كل واحد منهم بخصلة

---

(١) صحيح: صحيح ابن حبان: ١١/١٢٥/٤٨٠٠، سنن ابن ماجه: ٢/١٤٣١/٤٢٨١، الآحاد والمثاني: ٦/١٠١/٣٣١٦، المعجم الأوسط: ٤/١٤٣/٣٨٢٣، المعجم الكبير: ٢٣/٢٠٦/٣٥٨، مسند أبي يعلى: ١٢/٤٧٢/٧٠٤٤، مسند إسحاق بن راهويه: ٤/١٨٩/١٩٨٦ مسند أحمد بن حنبل: ٦/٢٨٥/٢٦٤٨٣، وصححه الألباني في سنن ابن ماجه: ح (٤٢٨١)، وفي السنة لابن أبي عاصم: ٢/ ٤١٤/٨٦٠.

(٢) صحيح البخاري: ٣/١٠٩٥/ ٢٨٤٥، صحيح مسلم: ٤/ ١٩٤١/٢٤٩٤.

منها، أفرده بها، ولم يشرك معه غيره فيها، ولم يأت عنه ﷺ من وجه صحيح تجب الحجة بمثله أنه قال: فلان أفضل من فلان، إذا كانا جميعًا من أهل السوابق والفضائل، وذلك من أدبه ومحاسن أخلاقه ﷺ؛ لئلا يومئ للمفضول بغيبة ويحطه في نفسه؛ فيخرجه ويخزيه؛ ولم يكن ذلك أيضًا من دينه؛ لأنه لم يعلم من غيب أمورهم وحقائق شأنهم إلا ما أطلعه اللَّه عليه من ذلك، وكان لا يتقدم بين يدي ربه، ولو كان ذلك من دينه لأفشاه إن علمه، ومن أخذ عليه الميثاق في تعليمه وتبليغه، فلما لم يفعل علمنا أن قول القائل: فلان أفضل من فلان باطل، وليس بدين ولا شريعة، وقد أجمع علماء المسلمين أن اللَّه تعالى لا يسأل عباده يوم الحساب من أفضل عبادي، ولا هل فلان أفضل من فلان؟ ولا ذلك مما يسأل عنه أحد في القبر، ولكن رسول اللَّه قد مدح خصالًا، وحمد أوصافًا من اهتدى إليها جاز الفضائل، وبقدر ما فيه منها كان فضله في ظاهر أمره على من لم ينلها، ومن قصر عنها لم يبلغ من الفضل منزلة من ناله، هذا طريق التفضيل في الظاهر عند السلف من الصحابة والتابعين لهم بإحسان.

قال أبو عمر: ألا ترى الحكام إنما يقضون في التعديل والتجريح عند الشهادات بما يظهر ويغلب، ولا يقطعون على غيب فيما به من ذلك يقضون، ولم يكلفوا إلا العلم الظاهر، والباطن إلى اللَّه ﷻ؟ وفي قول اللَّه ﷻ: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٤﴾﴾ [البقرة: ١٣٤] وقوله تعالى: ﴿قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَىٰ ﴿٥١﴾ قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي﴾[طه: ٥١ - ٥٢] ما يعاضد ما ذكرنا وباللَّه توفيقنا.

وروى سحنون عن بن القاسم في كتاب الديات من «المدونة» قال: سمعت مالكًا، وسئل عن علي وعثمان؛ فقال: ما أدركت أحدا اقتدي به في دين يفضل أحدهما على صاحبه.

وحدثنا عبدالوارث بن سفيان قال: حدثنا قاسم بن أصبغ قال: حدثنا أبو بكر بن أبي خيثمة قال: حدثنا أحمد بن زهير بن حرب قال: حدثنا عبدالسلام بن صالح قال:

حدثنا عبدالله بن وهب قال: سمعت مالكا يقول: لا أفضل أحدًا من العشرة ولا غيرهم على صاحبه، وكان يقول: هذا من علم الله الذي لا يعلمه غيره.قال: وقال مالك: أدركت شيوخنا بالمدينة وهذا رأيهم.

قال أبو عمر: قول مالك هذا يدل على أنه لم يصح عنده حديث نافع عن ابن عمر: «**كنا نفاضل على عهد رسول الله ﷺ أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم نسكت فلا نفضل أحدًا**»[1] وكان أفهم الناس لنافع وأعلمهم بحديثه، وكان نافع عنده أحد الذين يقتدي بهم في دينه؛ فلو كان هذا الحديث عنده صحيحًا من حديث نافع عن ابن عمر ما قال قوله هذا، وهو حديث شاذ[2] لا يعضده شيء من الأصول، وكل حديث لا أصل له لا حجة فيه[3]، وقد مالت العامة بجهلها إليه، وهم مجمعون على خلافه بحيث لا يعلمون، وقد نقضوه مع قولهم به؛ لأنهم لا يختلفون في أن عليًا في التفضيل رابع

---

(١) صحيح: سنن أبي داود: ٤/٢٠٦/٤٦٣٨، صحيح ابن حبان: ١٦/٢٣٧/٧٢٥١، وصححه الهيثمي في مجمع الزوائد: ٩/١٢٠، وصححه ابن حجر في الفتح: ٧/١٥، وصححه الألباني في سنن أبي داود: ح (٤٦٣٨)، وفي السنة لابن أبي عاصم: ٢/٥٧٦/ ١١٩٠.

(٢) الحديث الشاذ: قال الشافعي: إنما الشاذ: أن يروي الثقة حديثًا يخالف ما روى الناس. مقدمة ابن الصلاح: ص ٣٦.

(٣) قال ابن حجر العسقلاني: وفي الحديث تقديم عثمان بعد أبي بكر وعمر كما هو المشهور عند جمهور أهل السنة، وذهب بعض السلف إلى تقديم علي على عثمان، وممن قال به سفيان الثوري، ويقال: إنه رجع عنه وقال به ابن خزيمة وطائفة قبله وبعده، وقيل لا يفضل أحدهما على الآخر قاله مالك في جماعة منهم يحيى القطان، ومن المتأخرين ابن حزم، وحديث الباب حجة للجمهور، وقد طعن فيه ابن عبدالبر، واستند إلى ما حكاه عن هارون بن إسحاق قال: سمعت بن معين يقول: من قال أبو بكر وعمر وعثمان وعلي، وعرف لعلي سابقته، فهو صاحب سنة، قال: فذكرت له من يقول أبو بكر وعمر وعثمان ويسكتون؛ فتكلم فيهم بكلام غليظ، وتعقب بأن ابن معين أنكر رأي قوم وهم العثمانية الذين يغالون في حب عثمان، وينتقصون عليًا، ولا شك في أن من اقتصر على ذلك ولم يعرف لعلي بن أبي طالب فضله فهو مذموم، وادعى ابن عبدالبر أيضًا أن هذا الحديث خلاف قول أهل السنة أن عليا أفضل الناس بعد الثلاثة؛ فإنهم اجمعوا على أن عليًا أفضل الخلق بعد الثلاثة، ودل هذا الإجماع على أن حديث ابن عمر غلط، وإن كان السند إليه صحيحًا، وتعقب أيضًا بأنه لا يلزم من سكوتهم إذ ذاك عن تفضيله عدم تفضيله على الدوام، وبأن الإجماع المذكور إنما حدث بعد الزمن الذي قيده ابن عمر؛ فيخرج حديثه عن أن يكون غلطًا، والذي أظن أن ابن عبدالبر إنما أنكر الزيادة التي وقعت في رواية عبيد الله بن عمر، وهي قول ابن =

الأربعة، وفي حديثهم عن ابن عمر أنهم لا يفضلون أحدًا بعد عثمان، وأنهم يسكتون بعد الثلاثة عن تفضيل أحد على أحد؛ فقد نقضوا ما أبرموا، والله المستعان على جهل عامة هذا الزمان.

أخبرنا يحيى بن عبدالرحمن ومحمد بن زكريا وعبدالرحمن بن يحيى قالوا: حدثنا أحمد بن سعيد قال: حدثنا أحمد بن خالد قال حدثنا مروان بن عبدالملك قال: سمعت هارون بن إسحاق يقول: سمعت يحيى بن معين يقول: من قال أبو بكر وعمر وعثمان وعلي، وعرف لعلي سابقته وفضله، فهو صاحب سنةن ومن قال أبو بكر وعمر وعلي وعثمان، وهو عارف لعثمان سابقته وفضله فهو صاحب سنة؛ فذكرت له هؤلاء الذين يقولون أبو بكر وعمر وعثمان ويسكتون؛ فتكلم فيهم بكلام غليظ، وكان يحيى بن سعيد يقول: أبو بكر وعمر وعلي وعثمان، وذكر الزبير ابن بكار قال: حدثنا إسماعيل بن أبي أويس عن مالك بن أنس قال: ليس من أمر الناس الذين مضوا التفضيل بين الناس. ذكر المغامي عن الزبير بن بكار عن إسماعيل عن مالك في كتابه **«فضائل مالك»** وقد عورض حديث ابن عمر هذا بحديث عبدالله بن مسعود روى شعبة عن أبي إسحاق عن عبدالرحمن بن يزيد عن علقمة عن عبدالله قال: **«كنا نتحدث أن أفضل أهل المدينة علي بن أبي طالب»**، وهذا عندي حديث فيه تصحيف ممن رواه عن شعبة هكذا، وإنما المحفوظ فيه عن ابن مسعود أنه قال: **«كنا نتحدث أن أقضى أهل المدينة علي بن أبي طالب»** هكذا من القضاء لا من الفضل. قال: حدثني إسماعيل ابن أبي أويس عن مالك بن أنس قال: **«ليس من أمر الناس الذين مضوا أن يفاضلوا بين الناس»**؛ وحدثنا عبدالوارث بن سفيان قال: حدثنا قاسم بن أصبغ قال: حدثنا أحمد

= عمر: «ثم نترك أصحاب رسول الله ﷺ الخ» لكن لم ينفرد بها نافع؛ فقد تابعه ابن الماجشون أخرجه خيثمة من طريق يوسف بن الماجشون عن أبيه عن ابن عمر: «كنا نقول في عهد رسول الله ﷺ أبو بكر وعمر وعثمان، ثم ندع أصحاب رسول ﷺ فلا نفاضل بينهم»، ومع ذلك فلا يلزم من تركهم التفاضل إذ ذاك أن لا يكونوا اعتقدوا بعد ذلك تفضيل علي على من سواه والله اعلم فتح الباري: ٧/ ٢١٥-٢١٦.

ابن زهير قال: سمعت مصعب بن عبدالله الوليدي يقول: لم يكن أحد من مشايخنا الذين أدركت ببلدنا يفضل بين أحد من العشرة لا مالك ولا غيره، وقال ابن أبي خيثمة: كان أحمد بن إبراهيم الدورقي يقول: لا أشهد لأحد بالجنة غير الأنبياء عليهم السلام.

قال أبو عمر: وقد روي عن مالك رحمه الله تقديم الشيخين أبو بكر وعمر رضي الله عنهما من رواية ابن القاسم وغيره حدثنا خلف بن قاسم قال: حدثنا أحمد بن عبدالله بن عبدالمؤمن قال: حدثنا أبو بشر الدولابي قال: حدثنا إسماعيل بن إسحاق قال: حدثنا أبو مصعب قال: حدثنا عبدالعزيز بن أبي حازم قال: سألت مالكًا فيما بيني وبينه من تقدم بعد رسول الله ﷺ قال: أقدم أبا بكر وعمر، قال: ولم يزل على هذا.

قال أبو عمر: جماعة أهل السنة، وهم أهل الفقه والآثار على تقديم أبي بكر وعمر، وتولي عثمان وعلي وجماعة أصحاب النبي عليه السلام وذكر محاسنهم، ونشر فضائلهم، والاستغفار لهم، وهذا هو الحق الذي لا يجوز عندنا خلافه والحمد لله(١).

(١) قال ابن تيمية: أما تفضيل أبي بكر ثم عمر على عثمان وعلي فهذا متفق عليه بين أئمة المسلمين المشهورين بالإمامة في العلم والدين من الصحابة والتابعين وتابعيهم، وهو مذهب مالك وأهل المدينة والليث بن سعد وأهل مصر والأوزاعي وأهل الشام وسفيان الثوري وأبي حنيفة وحماد بن زيد وحماد بن سلمة وأمثالهم من أهل العراق، وهو مذهب الشافعي وأحمد وإسحق وأبي عبيد وغير هؤلاء أئمة الإسلام الذين لهم لسان صدق في الأمة، وحكى مالك إجماع أهل المدينة على ذلك فقال: ما أدركت أحدًا ممن اقتدي به يشك في تقديم أبي بكر وعمر، وهذا مستفيض عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، وفي صحيح البخاري عن محمد بن الحنفية أنه قال لأبيه علي بن أبي طالب: «يا أبت من خير الناس بعد رسول الله ﷺ؟ قال: يا بني، أو ما تعرف؟ قلت: لا قال: أبو بكر قلت: ثم من؟ قال عمر» ويروي هذا عن علي بن أبي طالب من نحو ثمانين وجها وأنه كان يقول على منبر الكوفة بل قال: لا أوتي بأحد يفضلني على أبي بكر وعمر إلا جلدته حد المفتري فمن فضله على أبي بكر وعمر جلد بمقتضى قوله رضي الله عنه ثمانين سوطا، وكان سفيان يقول من فضل عليا على أبي بكر فقد أزرى بالمهاجرين وما أرى أنه يصعد له إلى الله عمل، وهو مقيم على ذلك، وفي الترمذي وغيره روى هذا التفضيل عن النبي ﷺ قال: «يا علي، هذان سيدا كهول أهل الجنة من الأولين والآخرين إلا النبيين والمرسلين»

=

....

= وقد استفاض في الصحيحين وغيرهما عن النبي ﷺ من غير وجه من حديث أبي سعيد، وابن عباس وجندب بن عبدالله بن الزبير وغيرهم أن النبي ﷺ قال: «لو كنت متخذًا من أهل الأرض خليلًا لاتخذت أبا بكر خليلًا، ولكن صاحبكم خليل الله» يعني بنفسه، وفي الصحيح: أنه قال على المنبر: «إن أمن الناس علي في صحبته وذات يده أبو بكر، ولو كنت متخذًا من أهل الأرض خليلًا لاتخذت أبا بكر خليلًا، ولكن صاحبكم خليل الله ألا لا يبقين في المسجد خوخة إلا سدت إلا خوخة أبي بكر» وهذا صريح في أنه لم يكن عنده من أهل الأرض من يستحق المخالة لو كانت ممكنة من المخلوقين إلا أبا بكر فعلم أنه لم يكن عنده أفضل منه ولا أحب إليه منه، وكذلك في الصحيح أنه قال عمرو بن العاص: أي الناس أحب إليك؟ قال: عائشة قال: فمن الرجال؟ قال: أبوها.

وكذلك في الصحيح: أنه قال لعائشة: «ادعي لي أباك وأخاك، حتى أكتب لأبي بكر كتابًا لا يختلف عليه الناس من بعدي» ثم قال: «يأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر» وفي الصحيح عنه أن امرأة قالت: يا رسول الله، أرأيت إن جئت فلم أجدك؟ كأنها تعني الموت قال: فأتي أبا بكر وفي السنن عنه: أنه قال: «اقتدوا بالذين من بعدي أبي بكر وعمر» وفي الصحيح عنه إنه كان في سفر فقال: «إن يطع القوم أبا بكر وعمر يرشدوا» وفي السنن عنه: قال: «رأيت كأني وضعت في كفة والأمة في كفة فرجحت بالأمة ثم وضع أبو بكر في كفة والأمة في كفة فرجح أبو بكر ثم وضع عمر في كفة والأمة في كفة فرجح عمر» وفي الصحيح: «أنه كان بين أبي بكر وعمر كلام فطلب أبو بكر من عمر أن يستغفر له فلم يفعل فجاء أبو بكر إلى النبي ﷺ فذكر ذلك؛ فقال: اجلس يا أبا بكر يغفر الله لك، وندم عمر فجاء إلى منزل أبي بكر فلم يجده، فجاء إلى النبي ﷺ فغضب النبي ﷺ وقال: يا أيها الناس إني جئت إليكم فقلت: إني رسول الله، فقلتم: كذبت، وقال أبو بكر: صدقت، فهل انتم تاركوا لي صاحبي؟ فهل أنتم تاركوا لي صاحبي؟ فهل أنتم تاركو لي صاحبي؟ «فما أوذي بعدها»، فقد تواتر في الصحيح والسنن: أن النبي ﷺ لما مرض قال: «مروا أبا بكر فليصل بالناس» مرتين أو ثلاثا حتى قال: «إنكن لأنتن صواحب يوسف مروا أبا بكر أن يصلي بالناس».

فهذا التخصيص والتكرير والتوكيد في تقديمه في الإمامة على سائر الصحابة مع حضور عمر وعثمان وعلي وغيرهم مما بين للأمة تقدمه عنده على غيره.

وفي الصحيح: أن جنازة عمر لما وضعت جاء علي بن أبي طالب يتخلل الصفوف ثم قال: لأرجو أن يجعلك الله مع صاحبيك فإني كثيرا ما كنت أسمع النبي ﷺ يقول: «دخلت أنا وأبو بكر وعمر،وخرجت أنا وأبو بكر وعمر، وذهبت أنا وأبو بكر وعمر» فهذا يبين ملازمتهما للنبي ﷺ في مدخله ومخرجه وذهابه؛ ولذلك قال مالك للرشيد لما قال له: يا أبا عبدالله أخبرني عن منزلة أبي بكر وعمر من النبي ﷺ فقال: يا أمير المؤمنين منزلتهما منه في حياته كمنزلتهما منه بعد وفاته؛ فقال شفيتني يا مالك، وهذا يبين أنه كان لهما من اختصاصهما بصحبته ومؤازرتهما له على أمره ومباطنتهما مما يعلمه بالاضطرار كل من كان عالما بأحوال النبي ﷺ وأقواله وأفعاله وسيرته مع أصحابه، ولهذا لم يتنازع في هذا أحد من أهل العلم بسيرته وسنته وأخلاقه وإنما ينفي هذا أو يقف فيه من لا يكون عالما بحقيقة أمور النبي ﷺ وإن كان له نصيب من كلام أو فقه أو حساب أو غير ذلك أو من يكون قد سمع أحاديث مكذوبة تناقض هذه الأمور المعلومة بالاضطرار عند الخاصة من =

= أهل العلم فتوقف في الأمر أو رجح غير أبي بكر، وهذا كسائر الأمور المعلومة بالاضطرار عند أهل العلم بسنة رسول الله ﷺ وإن كان غيرهم يشك فيها أو ينفيها كالأحاديث المتواترة عندهم في شفاعته وحوضه وخروج أهل الكبائر من النار والأحاديث المتواترة عندهم في الصفات والقدر والعلوم والرؤية وغير ذلك من الأصول التي اتفق عليها أهل العلم بسنته لما تواترت عندهم عنه وإن كان غيرهم لا يعلم ذلك كما تواترت عند الخاصة من أهل العلم عنه الحكم بالشفعة وتحليف المدعي عليه ورجم الزاني المحصن واعتبار النصاب في السرقة وأمثال ذلك من الأحكام التي ينازعهم فيها بعض أهل البدع، ولهذا كان أئمة الإسلام متفقين على تبديع من خالف في مثل هذه الأصول بخلاف من نازع في مسائل الاجتهاد التي لم تبلغ هذا المبلغ في تواتر السنن عنه كالتنازع بينهم في الحكم بشاهد ويمين وفي القسامة والقرعة وغير ذلك من الأمور التي لم تبلغ هذا المبلغ.

وأما عثمان وعلي فهذه دون تلك فإن هذه كان قد حصل فيها نزاع فإن سفيان الثوري وطائف من أهل الكوفة رجحوا عليا على عثمان، ثم رجع عن ذلك سفيان وغيره، وبعض أهل المدينة توقف في عثمان وعلي وهي إحدى الروايتين عن مالك لكن الرواية الآخرى عنه تقديم عثمان على علي كما هو مذهب سائر الأئمة كالشافعي وأبي حنيفة وأصحابه وأحمد بن حنبل وأصحابه وغيره هؤلاء من أئمة الإسلام حتى إن هؤلاء تنازعوا فيمن يقدم عليا على عثمان هل يعد من أهل البدعة على قولين هما روايتان عن أحمد وقد قال أيوب السختياني وأحمد بن حنبل والدارقطني: من قدم عليا على عثمان فقد أزرى بالمهاجرين والأنصار، وأيوب هذا إمام أهل السنة وإمام أهل البصرة روى عنه مالك في الموطأ، وكان لا يروي عن أهل العراق وروى أنه سئل عن الرواية عنه فقال: ما حدثتكم عن أحد إلا وأيوب أفضل منه، وذكره أبو حنيفة فقال: لقد رأيته مقعدا في مسجد رسول الله ﷺ ما ذكرته إلا اقشعر جسمي، والحجة لهذا ما أخرجاه في الصحيحين وغيرهما: عن ابن عمر أنه قال: «كنا نفاضل على عهد رسول الله ﷺ كنا نقول أبو بكر ثم عمر ثم عثمان، وفي بعض الطرق: يبلغ ذلك النبي ﷺ فلا ينكره»، وأيضا فقد ثبت بالنقل الصحيح في صحيح البخاري وغير البخاري أن أمير المؤمنين عمر ابن الخطاب لما جعل الخلافة شورى في ستة أنفس: عثمان وعلي وطلحة والزبير وسعد وعبدالرحمن ابن عوف ولم يدخل معهم سعيد بن زيد وهو أحد العشرة المشهود لهم بالجنة، وكان من بني عدي قبيلة عرم وقال عن ابنه عبدالله: يحضركم عبدالله وليس له في الأمر شيء، ووصى أن يصلي صهيب بعد موته حتى يتفقوا على واحد؛ فلما توفي عمر واجتمعوا عند المنبر قال طلحة: وما كان من هذا الأمر فهو لعثمان وقال الزبير: ما كان لي من هذا الأمر فهو لعلي وقال سعد: ما كان لي من هذا الأمر فهو لعبدالرحمن بن عوف فخرج ثلاثة وبقي ثلاثة فاجتمعوا فقال عبدالرحمن: أنا أخرج، وروى أنه قال: عليه عهد الله وميثاقه أن يولي أفضلهما ثم قام عبدالرحمن بن عوف ثلاثة أيام بلياليها يشاور المهاجرين والأنصار والتابعين لهم بإحسان ويشاور أمهات المؤمنين ويشاور أمراء الأمصار فإنهم كانوا في المدينة حجوا مع عمر وشهدوا موته حتى قال عبدالرحمن: إن لي ثلاثًا ما اغتمضت بنوم فلما كان اليوم الثالث قال لعثمان: عليك عهد الله وميثاقه إن وليتك لتعدلن، ولئن وليت عليا لتسمعن ولتطيعن قال: نعم، وقال لعلي: عليك عهد الله وميثاقه إن وليتك لتعدلن ولئن وليت عثمان لتسمعن ولتطيعن قال: نعم فقال: إني رأيت الناس لا يعدلون بعثمان فبايعه علي وعبدالرحمن وسائر =

. . . .

= المسلمين بيعة رضى واختيار من غير رغبة أعطاهم إياها ولا رهبة خوفهم بها.

وهذا إجماع منهم على تقديم عثمان على علي فلهذا قال أيوب وأحمد بن حنبل والدارقطني: من قدم عليًا على عثمان فقد أزرى بالمهاجرين والأنصار؛ فإنه لو لم يكن هو أحق بالتقديم وقد قدموه كانوا جاهلين بفضله، وإما ظالمين بتقديم المفضول من غير ترجيح ديني ومن نسبهم إلى الجهل والظلم فقد أزرى بهم.

«ولو زعم زاعم أنهم قدموا عثمان لضغن كان في نفس بعضهم على علي وأن أهل الضغن كانوا ذوي شوكة ونحو ذلك مما يقوله أهل الأهواء فقد نسبهم إلى العجز عن القيام بالحق وظهور أهل الباطل منهم على أهل الحق هذا وهم في أعز ما كانوا وأقوى ما كانوا فإنه حين مات عمر كان الإسلام من القوة والعز والظهور والإجتماع والإئتلاف فيما لم يصيروا في مثله قط وكان عمر أعز أهل الإيمان وأذل أهل الكفر والنفاق إلى حد بلغ في القوة والظهور مبلغا لا يخفى على من له أدنى معرفة بالأمور فمن جعلهم في مثل هذه الحال جاهلين أو ظالمين أو عاجزين عن الحق فقد أزرى بهم وجعل خير أمة أخرجت للناس على خلاف ما شهد الله به لهم وهذا هو أصل مذهب الرافضة» الفتاوى الكبرى: ٤/ ص ٤٤٠.

وقال ابن تيمية: «ومن أصول أهل السنة والجماعة سلامة قلوبهم وألسنتهم لأصحاب رسول الله كما وصفهم الله به في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠] وطاعة النبي في قوله: «لا تسبوا أصحابي؛ فوالذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل احد ذهبًا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه»، ويقبلون ما جاء به الكتاب والسنة والإجماع من فضائلهم ومراتبهم؛ فيفضلون من أنفق من قبل الفتح، وهو صلح الحديبية وقاتل على من انفق من بعده وقاتل، ويقدمون المهاجرين على الأنصار، ويؤمنون بأن الله قال لأهل بدر وكانوا ثلاثمائة وبضعة عشر: «اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم»، وبأنه لا يدخل النار أحد بايع تحت الشجرة كما اخبر به النبي، بل قد رضي الله عنهم، ورضوا عنه، وكانوا أكثر من ألف وأربعمائة، ويشهدون بالجنة لمن شهد له رسول الله بالجنة كالعشرة، وكثابت بن قيس بن شماس وغيرهم من الصحابة، ويقرون بما تواتر به النقل عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ وعن غيره من أن خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر، ويثلثون بعثمان، ويربعون بعلي رضي الله عنهم كما دلت عليه الآثار، وكما أجمع الصحابة رضي الله عنهم على تقديم عثمان في البيعة مع أن بعض أهل السنة كانوا قد اختلفوا في عثمان وعلي رضي الله عنهما بعد اتفاقهم على تقديم أبي بكر وعمر أيهما أفضل، فقدم قوم عثمان وسكتوا، أو ربعوا بعلي، وقدم قوم عليًا، وقوم توقفوا لكن استقر أمر أهل السنة على تقديم عثمان، وإن كانت هذه المسألة مسألة عثمان وعلي ليست من الأصول التي يضلل المخالف فيها عند جمهور أهل السنة، لكن المسألة التي يضلل المخالف فيها هي مسألة الخلافة، وذلك أنهم يؤمنون بأن الخليفة بعد رسول الله ﷺ أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي، ومن طعن في خلافة أحد من هؤلاء الأئمة فهو أضل من حمار أهله». مجموع الفتاوى: ٣/١٥٢-١٥٣.

وقال في منهاج السنة: «وأما أئمة المسلمين المشهورون فكلهم متفقون على أن أبا بكر و عمر أفضل =

= من عثمان و علي، و نقل هذا الإجماع غير واحد»، كما روى البيهقي في كتب مناقب الشافعي مسنده عن الشافعي قال: «ما اختلف أحد من الصحابة و التابعين في تفضيل أبي بكر و عمر وتقديمهما على جميع الصحابة»، وروى مالك عن نافع عن ابن عمر قال: «كنا نفاضل على عهد رسول الله ﷺ فنقول: خير الناس بعد رسول الله ﷺ أبو بكر ثم عمر»، و قد تقدم نقل البخاري عن علي هذا الكلام، والشيعة الذين صحبوا عليًا كانوا يقولون ذلك، و تواتر ذلك عن علي من نحو ثمانين وجهًا، و هذا مما يقطع به أهل العلم ليس هذا مما يخفى على من كان عارفًا بأحوال الرسول والخلفاء». منهاج السنة النبوية: ٧/٣٦٨-٣٦٩.

الفصل الثاني

القول في واجبات الراعي والرعية

- أقوال ابن عبدالبر في واجب الرعية نحو ولاة الأمر
- أقوال ابن عبدالبر في واجب الإمام تجاه رعيته
- أقوال ابن عبدالبر في واجب الأمة نحو بعضها البعض
- أقوال ابن عبدالبر في السمع والطاعة لولي الأمر
- أقوال ابن عبدالبر في بقاء الأمة المحمدية إلى قيام الساعة

أقوال ابن عبدالبر في واجب الرعية نحو ولاة الأمر

عن سهيل بن أبي صالح قال: أخبرني عطاء بن يزيد الليثي ـ صديقًا كان لأبي من أهل الشام ـ أنه سمع تميم الداري قال: قال رسول الله ﷺ: **«إن الدين النصيحة، إن الدين النصيحة، إن الدين النصيحة، قالوا: لمن يا رسول الله؟ قال: لله ولكتابه ولنبيه ولأئمة المسلمين وعامتهم»**(١).

قال أبو عمر(٢): ففي هذا الحديث أن من الدين النصح لأئمة المسلمين، وهذا أوجب ما يكون؛ فكل من واكلهم وجالسهم، وكل من أمكنه نصح السلطان لزمه ذلك إذا رجا أن يسمع منه، وروى معمر عن الزهري عن السائب بن يزيد قال: قال رجل لعمر ابن الخطاب: **«ألا أخاف في الله لومة لائم خير لي أم أقبل على أمري؟ فقال: أما من ولي من أمر المسلمين شيئًا فلا يخف في الله لومة لائم، ومن كان خلوًا فليقبل على نفسه، ولينصح لأميره»**(٣).

وسئل مالك بن أنس: أيأتي الرجل إلى السلطان فيعظه وينصح له ويندبه إلى الخير؟ فقال: إذا رجا أن يسمع منه، وإلا فليس ذلك عليه.

قال أبو عمر: إنما فر من فر من الأمراء؛ لأنه لا يمكنه أن ينصح لهم ولا يغير عليهم ولا يسلم من متابعتهم. روى كعب بن عجرة وغيره عن النبي ﷺ انه قال: **«سيكون بعدي أمراء؛ فمن دخل عليهم وصدقهم بكذبهم وأعانهم على ظلمهم؛ فليس مني ولست منهم؛ ولا يرد علي الحوض، ومن لم يصدقهم بكذبهم، ولم يعنهم على ظلمهم فهو مني وأنا منه، وسيرد علي الحوض»**(٤) وروى أبو سعيد الخدري عن النبي ﷺ أنه قال: **«إن**

---

(١) صحيح مسلم: ٥٥/٧٤/١.

(٢) التمهيد: ٢١/٢٨٥-٢١/٢٨٧.

(٣) مصنف عبدالرزاق: ٢٠٦٩٣/٣٣٣/١١، شعب الإيمان: ٧٥٦٢/٨٦/٦.

(٤) صحيح: سنن الترمذي: ٢٢٥٩/٥٢٥/٤، المستدرك على الصحيحين: ٢٦٣/١٥١/١، صحيح ابن حبان: ٢٨٢/٥١٧/١، سنن النسائي الكبرى: ٨٧٥٨/٢٣٠/٥، سنن البيهقي الكبرى: ٨/ ١٦٤٤٥/١٦٥، مصنف ابن أبي شيبة: ٣١٦٨٢/٣١٠/٦، مسند أحمد بن حنبل: ٢٤٣/٤/ ١٨١٥١، وصححه الألباني في سنن الترمذي: ح (٢٢٥٩) .

أفضل الجهاد كلمة حق أو قال: كلمة عدل عند ذي سلطان جائر»[1]... وأخبرنا أحمد ابن قاسم بن عيسى قال: حدثنا عبيد الله بن محمد بن حبابة قال: حدثنا عبدالله بن محمد بن عبدالعزيز البغوي قال: حدثنا علي بن الجعد أخبرنا حماد بن سلمة عن أبي غالب عن أبي أمامة أن رسول الله ﷺ قال: **«أفضل الجهاد من قال كلمة حق عند ذي سلطان جائر»**[2] وقد ذكرنا خبر بلال بن الحرث في باب محمد بن عمرو من هذا الكتاب وهو في معنى الكلام عند السلطان على حسبما فسرناه هناك، وقد كان الفضيل بن عياض يشدد في هذا؛ فيقول: ربما دخل العالم على السلطان ومعه دينه؛ فيخرج وما معه منه شيء، قالوا: كيف ذلك؟ قال: يمدحه في وجهه، ويصدقه في كذبه. وذكر احمد بن حنبل عن ابن المبارك قال: لا تأتهم؛ فإن أتيتهم فأصدقهم قال: وأنا أخاف ألا أصدقهم.

قال أبو عمر: إن لم يكن يتمكن من نصح السلطان؛ فالصبر والدعاء؛ فإنهم كانوا ينهون عن سب الأمراء. أخبرنا محمد بن خليفة قال: حدثنا محمد بن الحسين البغدادي قال: حدثنا عبدالله ابن محمد بن عبدالحميد قال: حدثنا أبو هشام الرفاعي قال: حدثنا يحيى بن يمان قال: حدثنا سفيان عن قيس بن وهب عن أنس بن مالك قال: كان الأكابر من أصحاب رسول الله ﷺ ينهوننا عن سب الأمراء، وحدثنا محمد ابن خليفة قال: حدثنا محمد بن الحسين قال: حدثنا أبو بكر بن أبي داود قال: حدثنا عيسى بن محمد أبو عمير الرملي عن ضمرة عن رجاء بن أبي سلمة عن عبادة بن نسي قال: وقف أبو الدرداء على باب معاوية؛ فحجبه لشغل كان فيه؛ فكأن أبا الدرداء

---

(١) صحيح: المستدرك على الصحيحين: ٨٥٤٣/٥٥١/٤، سنن أبي داود: ٤٣٤٤/١٢٤/٤، سنن ابن ماجه: ٤٠١١/١٣٢٩/٢، سنن الترمذي: ٤ /٤٧١ /٢١٧٤، مسند أحمد بن حنبل: ١٩/٣/ ١١١٥٩، وصححه الألباني في سنن أبي داود: ح (٤٣٤٤)، وسنن ابن ماجه: ح (٤٠١١)، وسنن الترمذي: (٢١٧٤) .

(٢) صحيح: سنن ابن ماجه: ٤٠١٢/١٣٣٠/٢، المعجم الأوسط: ١٥٩٦/١٦٦/٢، المعجم الصغير (الروض الداني): ١٥١/١٠٧/١، المعجم الكبير: ٨٠٨١/٢٨٢/٨، مسند ابن الجعد: ٤٨٠/١/ ٣٣٢٦، وصححه الألباني في سنن ابن ماجه: ح (٤٠١٢) .

وجد في نفسه، فقال: من يأت أبواب السلطان قام وقعد، ومن يجد بابًا مغلقًا يجد إلى جنبه بابًا رجا فُتحا إن سأل أعطي، وإن استعاذ أعيذ، وإن أول نفاق المرء طعنه على إمامه. وحدثنا محمد ابن خليفة قال: حدثنا محمد بن الحسين قال: حدثنا أبو بكر عبدالله بن محمد بن عبدالحميد الواسطي قال: حدثنا أبو هشام الرفاعي قال: حدثنا يحيى بن يمان عن إسرائيل عن أبي إسحاق قال: ما سب قوم أميرهم إلا حرموا خيره، أخبرنا أحمد بن سعيد بن بشر قال: حدثنا أحمد بن سعيد بن حزم قال: حدثنا محمد ابن أحمد قال: حدثنا ابن وضاح قال: حدثنا أبو بكر نصر بن مهاجر قال: حدثنا الفيض بن إسحاق عن زهير بن معاوية عن الأعمش قال: قال حذيفة: إذا كان والي القوم خيرًا منهم لم يزالوا في علياء، وإذا كان واليهم شرًا منهم أو قال: شرهم لم يزدادوا إلا سفالًا(١).

---

(١) قال ابن تيمية: «في الحديث المشهور في السنن من رواية فقيهي الصحابة عبدالله بن مسعود وزيد بن ثابت: «ثلاث لا يغل عليهن قلب مسلم: إخلاص العمل لله، ومناصحة ولات الأمر، ولزوم جماعة المسلمين؛ فإن دعوتهم تحيط من ورائهم»، وفي حديث أبي هريرة المحفوظ: «إن الله يرضى لكم ثلاثًا أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئًا، وأن تعتصموا بحبل الله جميعًا، ولا تفرقوا، وأن تناصحوا من ولاه الله أمركم»، فقد جمع في هذه الأحاديث بين الخصال الثلاث: إخلاص العمل لله، ومناصحة أولي الأمر، ولزوم جماعة المسلمين، وهذه الثلاث تجمع أصول الدين وقواعده، وتجمع الحقوق التي لله ولعباده، وتنتظم مصالح الدنيا والآخرة، وبيان ذلك أن الحقوق قسمان: حق لله، وحق لعباده، فحق الله أن نعبده ولا نشرك به شيئًا، كما جاء لفظه في أحد الحديثين، وهذا معنى إخلاص العمل لله، كما جاء في الحديث الآخر، وحقوق العباد قسمان: خاص، وعام، أما الخاص فمثل بر كل إنسان والديه، وحق زوجته وجاره؛ فهذه من فروع الدين؛ لأن المكلف قد يخلو عن وجوبها عليه؛ ولأن مصلحتها خاصة فردية وأما الحقوق العامة فالناس نوعان: رعاة ورعية، فحقوق الرعاة مناصحتهم، وحقوق الرعية لزوم جماعتهم؛ فإن مصلحتهم لا تتم إلا باجتماعهم، وهم لا يجتمعون على ضلالة بل مصلحة دينهم ودنياهم في اجتماعهم واعتصامهم بحبل الله جميعًا؛ فهذه الخصال تجمع أصول الدين، وقد جاءت مفسرة في الحديث الذي رواه مسلم عن تميم الداري قال: قال رسول الله: «الدين النصيحة، الدين النصيحة، الدين النصيحة، قالوا: لمن يا رسول الله؟ قال: لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم»؛ فالنصيحة لله ولكتابه ولرسوله تدخل في حق الله وعبادته وحده لا شريك له، والنصيحة لأئمة المسلمين وعامتهم هي مناصحة ولاة الأمر ولزوم جماعتهم؛ فإن لزوم جماعتهم هي نصيحتهم العامة، وأما النصيحة الخاصة لكل واحد منهم بعينه فهذه يمكن بعضها ويتعذر استيعابها على سبيل التعيين مجموع =

أقوال ابن عبدالبر في واجب الإمام تجاه رعيته

قال ابن عبدالبر[1]: وذكر البخاري من حديث أبي هريرة مرفوعًا: «إذا وسد الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة، وحينئذ ترفع الأمانة»[2].

قال أبو عمر: ويجب على الإمام من النصح لرعيته كالذي يجب عليهم له قال ﷺ: «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته، فالإمام الذي على الناس راع عليهم وهو مسئول عنهم»[3] الحديث رواه ابن عمر عن النبي ﷺ.

وروى ابن عباس عن النبي ﷺ أنه قال: «ما من أمير يؤمر على عشرة إلا يُسأل عنهم يوم القيامة»[4].

وروى الحسن عن معقل بن يسار قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من استرعاه الله رعية ومات وهو لها غاش، حرم الله عليه الجنة»[5].

حدثناه أحمد بن قاسم بن عبدالرحمن قال: حدثنا قاسم بن أصبغ قال: حدثنا الحرث بن أبي أسامة قال: حدثنا علي بن الجعد أخبرنا أبو الأشهب عن الحسن فذكره، وحدثنا عبدالوارث بن سفيان وأحمد بن قاسم قالا: حدثنا قاسم بن أصبغ قال: حدثنا أحمد بن زهير والحرث بن أبي أسامة قالا: حدثنا هوذة قال: حدثنا عوف عن الحسن

= الفتاوى: ١/١٨-١٩.

(١) التمهيد: ٢١/٢٨٨- ٢١/٢٨٩.

(٢) صحيح البخاري: ١/٣٣/٥٩، ولفظه: «عن أبي هريرة قال: بينما النبي ﷺ في مجلس يحدث القوم جاءه أعرابي؛ فقال: متى الساعة؟ فمضى رسول الله ﷺ يحدث؛ فقال بعض القوم: سمع ما قال فكره ما قال، وقال بعضهم: بل لم يسمع، حتى إذا قضى حديثه قال: أين أراه السائل عن الساعة؟ قال: ها أنا يا رسول الله، قال: فإذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة، قال: كيف إضاعتها؟ قال: إذا وسد الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة» .

(٣) صحيح البخاري: ٦/٢٦١١/٦٧١٩، ورواه مسلم من طريق نافع عن ابن عمر: ٣/١٤٥٩/ ١٨٢٩.

(٤) ضعيف: رواه الطبراني في المعجم الكبير: ١١/٤١١/١٢١٦٦، وذكره ابن عدي في الضعفاء: ٣/ ١٤٨/٦٦٨،وضعفه الهيثمي في مجمع الزوائد: ٥/٢٠٨، وقال: «رواه الطبراني وفيه رشدين بن كريب وهو ضعيف» .

(٥) صحيح البخاري: ٦/٢٦٤١/٦٧٣٢، صحيح مسلم: ١/١٢٥/١٤٢.

قال: مرض معقل بن يسار مرضًا ثقل فيه؛ فأتاه زياد يعوده؛ فقال: إني محدثك حديثا سمعته من رسول الله ﷺ سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«من استرعي رعية فلم يحطهم بنصيحة لم يجد ريح الجنة، وريحها يوجد من مسيرة خمسمائة عام»**.

وحدثنا محمد بن خليفة قال: حدثنا محمد بن الحسين قال: حدثنا ابن شاهين قال: حدثنا أبو هشام محمد بن يزيد الرفاعي قال: حدثنا إسحاق بن سهل عن المغيرة بن مسلم عن قتادة عن أبي الدرداء قال: **«لا إسلام إلا بطاعة، ولا خير إلا في الجماعة، والنصح لله وللخليفة وللمؤمنين عامة»**[١].

(١) قال ابن تيمية: «وقد دلت سنة رسول الله ﷺ على أن الولاية أمانة يجب أداؤها في مواضع مثل ما تقدم ومثل قوله لأبي ذر ﷺ في الأمارة: «إنها أمانة وإنها يوم القيامة خزي وندامة إلا من أخذها بحقها وأدى الذي عليه فيها» (رواه مسلم) وروى البخاري في صحيحه عن أبي هريرة ﷺ، أن النبي ﷺ قال: «إذا ضيعت الأمانة انتظر الساعة، قيل: يا رسول الله، وما إضاعتها؟ قال: إذا وسد الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة» وقد أجمع المسلمون على معنى هذا... وقال صلى الله عليه و سلم: «ما من راع يسترعيه الله رعية يموت يوم يموت وهو غاش لها إلا حرم الله عليه رائحة الجنة» (رواه مسلم) ودخل أبو مسلم الخولاني على معاوية بن أبي سفيان فقال: السلام عليك أيها الأجير، فقالوا: قل السلام عليك أيها الأمير، فقال: السلام عليك أيها الأجير، فقالوا: قل: أيها الأمير، فقال: السلام عليك أيها الأجير، فقالوا: قل الأمير فقال معاوية: دعوا أبا مسلم فإنه أعلم بما يقول؛ فقال: إنما أنت أجير استأجرك رب هذه الغنم لرعايتها؛ فإن أنت هنأت جرباها وداويت مرضاها وحبست أولاها على أخراها وفاك سيدها أجرها، وإن أنت لم تهنأ جرباها ولم تداو مرضاها، ولم تحبس أولاها على أخراها عاقبك سيدها. وهذا ظاهر الاعتبار فإن الخلق عباد الله والولاة نواب الله على عباده، وهم وكلاء العباد على نفوسهم بمنزلة أحد الشريكين مع الآخر (السياسة الشرعية: ١٧/١) .

أقوال ابن عبدالبر في واجب الأمة نحو بعضها البعض

عن ابن إسحاق قال: حدثني عبادة بن الوليد بن عبادة بن الصامت عن أبيه الوليد عن أبيه عبادة بن الصامت وكان أحد النقباء قال: «**بايعنا رسول الله بيعة الحرب - وكان عبادة من الاثنى عشر الذين بايعوا في العقبة الأولى - على السمع والطاعة في عسرنا ويسرنا ومنشطنا ومكرهنا، وأن لا ننازع الأمر أهله، وأن نقول بالحق حيثما كنا لا نخاف في الله لومة لائم**»[(١)].

قال أبو عمر[(٢)]: وأما قوله: «**لا نخاف في الله لومة لائم**»؛ فقد أجمع المسلمون أن المنكر واجب تغييره على كل من قدر عليه، وأنه إذا لم يلحقه في تغييره إلا اللوم الذي لا يتعدى إلى الأذى، فإن ذلك لا يجب أن يمنعه من تغييره بيده؛ فإن لم يقدر فبلسانه، فإن لم يقدر فبقلبه ليس عليه أكثر من ذلك، وإذا أنكره بقلبه فقد أدى ما عليه إذا لم يستطع سوى ذلك، والأحاديث عن النبي ﷺ في تأكيد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كثيرة جدًا، ولكنها كلها مقيدة بالاستطاعة، قال أبو ذر: «**أوصاني رسول الله أن أقول الحق، وإن كان مرًا، وأن لا أخاف في الله لومة لائم**»[(٣)] وقد روي عن النبي من وجوه أنه قال: «**أفضل الجهاد كلمة حق عند ذي سلطان**»[(٤)] وقال الله ﷻ: ﴿وَجَٰهِدُواْ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ﴾ [الحج: آية (٧٨)] ولما وجبت مجاهدة الكفار حتى يظهر دين الحق؛ فكذلك كل من عاند الحق من أهل الباطل واجب مجاهدته على من قدر عليه حتى يظهر الحق.

---

(١) صحيح مسلم: ١٧٠٩/١٤٠٧/٣.

(٢) التمهيد: ٢٨١/٢٣- ٢٨٤/٢٣.

(٣) صحيح ابن حبان: ٤٤٩/١٩٤/٢، سنن البيهقي الكبرى: ١٩٩٧٣/٩١/١٠، المعجم الأوسط: ٧٧٣٩/٣٦٤/٧، وقال: «لم يرو هذا الحديث عن عمر بن فرقد إلا علي بن حميد الذهلي تفرد به يعقوب الحضرمي»، المعجم الصغير (الروض الداني): ٧٥٨/٤٨/٢.

(٤) صحيح: سنن أبي داود: ٤٣٤٤/١٢٤/٤، سنن الترمذي: ٢١٧٤/٤٧١/٤، سنن ابن ماجه: ٢/ ٤٠١١/١٣٢٩، وصححه ألألباني في سنن أبي داود: ح (٤٣٤٤)،وسنن الترمذي: ح (٢١٧٤)، سنن ابن ماجه: ح (٤٠١١) .

حدثنا أحمد بن محمد، حدثنا أحمد ين الفضل، حدثنا محمد بن جرير، حدثنا محمد بن بشار، حدثنا عبدالرحمن عن سفيان عن أبيه عن الشعبي عن أبي جحيفة قال: قال علي: الجهاد بثلاثة باليد واللسان والقلب؛ فأولها اليد ثم اللسان ثم القلب؛ فإذا كان لا يعرف معروفًا ولا ينكر منكرًا نكس، فجعل أعلاه أسفله.

حدثنا أحمد بن محمد، حدثنا أحمد بن الفضل، حدثنا محمد بن جرير، حدثنا محمد بن المثنى، حدثنا وهب بن جرير، حدثنا شعبة عن معاوية بن إسحاق عن سعيد ابن جبير قال: قلت لابن عباس: آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر؟ قال: إن خشيت أن يقتلك فلا أخبرنا أحمد بن قاسم، حدثنا محمد بن معاوية، حدثنا إبراهيم بن موسى بن جميل، حدثنا إسماعيل بن إسحاق القاضي، حدثنا نصر بن علي قال: أخبرنا الأصمعي عن أبي الأشهب عن الحسن قال: إنما يكلم مؤمن يرجى أو جاهل يعلم؛ فأما من وضع سيفه أو سوطه، وقال لك: اتقني اتقني، فمالك وله؟!.

حدثنا أحمد بن محمد، حدثنا أحمد بن الفضل، حدثنا محمد بن جرير، حدثنا يعقوب بن إبراهيم، حدثنا إسماعيل بن إبراهيم، حدثنا أيوب عن مطرف بن الشخير أنه كان يقول: لئن لم يكن لي دين، حتى أقوم إلى رجل معه مائة ألف سيف، أرمي إليه كلمة فيقتلني، إن ديني إذا لضيق.

حدثنا أحمد بن محمد، حدثنا أحمد بن الفضل، حدثنا محمد بن جرير، حدثنا ابن بشار، حدثنا عبدالرحمن، حدثنا سفيان، وحدثنا أحمد، حدثنا محمد بن المثنى، حدثنا محمد ين جعفر، حدثنا شعبة جميعا عن قيس بن مسلم عن طارق بن شهاب قال: جاء عتريس بن عرقوب إلى عبدالله فقال: هلك من لم يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر؛ فقال عبدالله: بل هلك من لم يعرف المعروف بقلبه، وينكر المنكر بقلبه.

حدثنا أحمد بن محمد، حدثنا أحمد بن الفضل، حدثنا محمد بن جرير، حدثنا ابن المثنى، حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا شعبة عن عبدالملك بن عمير قال: سمعت ربيع بن عميلة قال: سمعت عبدالله بن مسعود يقول: حسب المؤمن إذا رأى منكرًا لا

يستطيع تغييره أن يعلم الله من قبله أنه له كاره.

حدثنا عبدالوارث، حدثنا قاسم، حدثنا ابن وضاح، حدثنا عبدالله بن أبي حسان عن ابن لهيعة عن الأعرج عن أبي هريرة قال: قال رسول الله: **«لا يحل لمؤمن أن يذل نفسه، قالوا: يا رسول الله، وما إذلاله لنفسه؟ قال: يتعرض من البلاء لما لا يقوم له»**(١).

وقال أبو عمر في موضع آخر(٢): عن الشعبي قال: سمعت النعمان بن بشير قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول على هذا المنبر: **«مثل المنتهك لحدود الله والمدهن فيها والقائم بها مثل ثلاثة نفر اصطحبوا في سفينة، فجعل أحدهم يحفرها؛ فقال الآخر: إنما تريد أن تغرقنا؛ وقال الآخر: دعه فإنما يحفر مكانه»**.

قال أبو عمر: دخل هذا في معنى قول الله ﷻ: ﴿أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذْنَا﴾ [الأعراف: آية ١٦٥] فلم يذكر في النجاة إلا من نهى وسكت عمن لم ينه، وأما من رضي فليس فيه اختلاف قال ﷺ في الأمراء: **«ولكن من رضي وتابع»**(٣) ومعلوم أن العقوبة إنما تستوجب بفعل ما نهي عنه، وترج فعل ما أمر به، وقد لزم النهي عن المنكر كل مستطيع بقوله ﷻ: ﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٤١﴾﴾ [الحج: ٤١] ومن مكن في الأرض لم يضعف عن ذلك ومن ضعف لزمه التغيير بقلبه، فإن لم يغير بقلبه فقد رضي وتابع، وقال عمر بن عبدالعزيز: كان يقال إن الله لا يعذب العامة بذنب الخاصة، ولكن إذا صنع المنكر جهارًا استحقوا العقوبة، ذكره مالك عن إسماعيل بن أبي حكيم عن عمر بن عبدالعزيز وهذا معناه: إذا قدروا وكانوا في عز وامتناع من الأذى، والله أعلم.

---

(١) صحيح: أخرجه الترمذي في سننه من طريق جندب عن حذيفة: ٢٢٥٤/٥٢٢/٤، وكذا ابن ماجه: ٤٠١٦/١٣٣٢/٢، والإمام أحمد بن حنبل في مسنده: ٢٣٤٩١/٤٠٥/٥، والبزار في مسنده: ٢٧٩٠/٢١٨/٧، وذكره ابن حبان في الثقات: ١٤٥٥٢/٤٨١/٨، وصححه الألباني في سنن الترمذي: ح (٢٢٥٤)، وسنن ابن ماجة: ح (٤٠١٦).

(٢) التمهيد: ٣١٠/٢٤ـ ٣١٦/٢٤.

(٣) صحيح مسلم: ١٨٥٤/١٤٨٠/٣.

أخبرنا عبدالله بن محمد قال: حدثنا أحمد بن جعفر بن حمدان قال: حدثنا عبدالله ابن أحمد بن حنبل قال: حدثنا أبي قال: حدثنا وكيع عن إسرائيل عن أبي إسحاق عن عبيد الله بن جرير عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: **«ما من قوم يعمل فيهم بالمعاصي هم أعز وأمنع لا يغيرون إلا عمهم الله بعقابه»**(١).

وحدثنا سعيد بن نصر قال: حدثنا قاسم بن أصبغ قال: حدثنا إسماعيل بن إسحاق قال: حدثنا سليمان بن حرب قال: حدثنا حماد بن زيد عن المعلى بن زياد عن الحسن عن ضبة بن محصن عن أم سلمة، وحدثنا عبدالوارث بن سفيان قال: حدثنا قاسم بن أصبغ قال: حدثنا بكر بن حماد قال: حدثنا مسدد قال: حدثنا حماد بن زيد عن المعلى بن زيادة وهشام بن حسان عن الحسن عن ضبة بن محصن عن أم سلمة، وحدثنا سعيد بن نصر قال: حدثنا قاسم قال: حدثنا عبدالله بن روح المدائني قال: حدثنا يزيد بن هارون؛ وحدثنا عبدالوارث قال: حدثنا قاسم قال: حدثنا بكر ابن حماد قال: حدثنا مسدد قال: حدثنا يحيى قالا: أخبرنا هشام بن حسان عن الحسن عن ضبة ابن محصن عن أم سلمة (واللفظ لحديث سليمان بن حرب) قالت: قال رسول الله ﷺ: **«يكون عليكم أئمة تعرفون عنهم وتنكرون؛ فمن أنكر فقد بريء، ومن كره فقد سلم، ولكن من رضي وتابع فأبعده الله، قيل: يا رسول الله، أفلا نقتلهم؟ قال: لا، ما صلوا»**(٢).

وحدثنا عبدالوارث بن سفيان قال: حدثنا قاسم بن أصبغ قال: حدثنا ابن زهير قال: حدثنا يحيى بن عبدالحميد الحمادي قال: حدثنا أبو بكر بن عياش عن مغيرة بن زياد عن عدي بن عدي عن العرس قال: قال رسول الله ﷺ: **«سيليكم ولاة يعملون أعمالاً تنكرونها؛ فمن أنكر سلم ومن غاب عنها فرضيها كان كمن شهدها»**، وذكره بقي بن

---

(١) حسن: صحيح ابن حبان: ٣٠٠/٥٣٦/١، سنن أبي داود: ٤٣٣٩/١٢٢/٤، سنن ابن ماجه: ٢/ ٤٠٠٩/١٣٢٩، المعجم الكبير: ٢/ ٢٣٨٢/٣٣٢، مسند أحمد بن حنبل: ١٩٢٥٠/٣٦٤/٤، وحسنه الألباني في سنن أبي داود: ح (٤٣٣٩)، وسنن ابن ماجه: ح (٤٠٠٩) .

(٢) صحيح مسلم: ١٨٥٤/١٤٨٠/٣.

مخلد قال: حدثنا يحيى بن عبدالحميد وعبيد بن يعيش قالا: حدثنا أبو بكر بن عياش عن المغيرة بن زياد عن عدي بن عدي عن رجل من أصحاب النبي ﷺ يقال له: العرس قال: قال رسول الله ﷺ: **«إذا عمل بالمعصية فمن شهدها وكرهها كان كمن غاب عنها، ومن غاب عنها ورضيها كان كمن شهدها»**[1] وروى من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ مثله.

وروى أبو جحيفة عن علي أنه قال: أول ما تغلبون عليه من دينكم الجهاد بأيديكم ثم الجهاد بألسنتكم ثم الجهاد بقلوبكم؛ فمن لم يعرف قلبه المعروف، وينكر قلبه المنكر نكس؛ فجعل أعلاه أسفله، وقال عبدالله بن مسعود: بحسب المؤمن إذا رأى منكرًا لا يستطيع تغييره أن يعلم الله من قلبه أنه له كاره، حدثناه أحمد بن محمد قال: حدثنا أحمد بن الفضل حدثنا محمد بن جرير حدثنا ابن المثنى حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن عبدالملك أبو عبيد قال: سمعت ربيع بن عميلة قال: سمعت عبدالله بن مسعود يقول فذكره، وحدثنا أحمد بن محمد حدثنا أحمد بن الفضل حدثنا محمد ابن جرير قال: حدثنا ابن المثنى قال: حدثنا عبدالرحمن قال: حدثنا شعبة عن الأعمش عن سليمان بن ميسرة عن طارق بن شهاب قال: قال عبدالله بن مسعود: إنكم في زمن الناطق فيه خير من الصامت، والقائم فيه خير من القاعد، وسيأتي عليكم زمان الصامت فيه خير من الناطق، والقاعد فيه خير من القائم؛ فقال له رجل (يرونه طارقًا): كيف يكون أمر من عمل به اليوم كان هدى، ومن عمل به بعد اليوم كان ضلالة؟! فقال: اعتبر ذلك برجلين من القوم يعملون بالمعاصي؛ فصمت أحدهما فسلم، وقال الآخر: إنكم تفعلون وتفعلون فأخذه فذهبوا به إلى سلطانهم، فلم يزالوا به حتى عمل مثل عملهم، حدثنا أحمد بن محمد حدثنا أحمد بن الفضل حدثنا محمد بن جرير حدثنا محمد بن حميد حدثنا جرير عن الأعمش عن سليمان ابن ميسرة عن طارق بن

---

(١) حسن: سنن أبي داود: ٤/١٢٤/٤٣٤٥، سنن البيهقي الكبرى: ٧/٢٦٦/١٤٣٢٨، المعجم الكبير: ١٧/١٣٩/٣٤٥، وحسنه الألباني في سنن أبي داود: ح (٤٣٤٥) .

شهاب الأحمسي عن عبدالله بن مسعود قال: إنكم في زمان الناطق فيه خير من الصامت وذكره مثله سواء بمعناه. عن الأعمش عن عمرو بن مرة عن أبي البختري عن زاذان قال: قال حذيفة: ليأتين عليكم زمان خياركم فيه من لم يأمر بالمعروف ولم ينه عن المنكر.

حدثنا أحمد بن محمد حدثنا أحمد بن الفضل حدثنا محمد بن جرير حدثنا يعقوب بن إبراهيم حدثنا إسماعيل بن إبراهيم حدثنا خالد عن أبي قلابة قال: قال حذيفة: إني لأشتري ديني بعضه ببعض مخافة أن يذهب كله، قال خالد: فحدثت به محمد بن سيرين؛ فقال: نعم قال حذيفة: إني لأصنع أشياء أكرهها مخافة أكثر منها.

حدثنا أحمد بن محمد حدثنا أحمد بن الفضل حدثنا محمد بن جرير حدثنا جعفر ابن مكرم حدثنا قريش بن أنس عن ابن عون عن الحسن عن الأحنف أنه كان جالسا عند معاوية؛ فقال: يا أبا بحر، ألا تتكلم؟ قال: إني أخاف الله إن كذبت، وأخافكم إن صدقت.

وروى مجالد وإسماعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم قال: سمعت أبا بكر يقول في خطبته: أيها الناس، إنكم تقرؤون هذه الآية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ ۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ ۚ﴾ [المائدة: آية (١٠٥)] وإن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه يوشك أن يعمهم الله بعقابه.

حدثنا أحمد بن محمد حدثنا أحمد بن الفضل حدثنا محمد بن جرير حدثنا أبو كريب حدثنا وكيع حدثنا يونس بن أبي إسحاق عن أبي إسحاق عن هلال بن خباب عن عكرمة بن عمرو عن عبدالله بن عمرو قال: قال لي رسول الله ﷺ: «كيف بك إذا بقيت في حثالة من الناس وقد مرجت عهودهم وأماناتهم؟ قال: قلت: كيف أصنع يا رسول الله؟ قال: عليك بخويصة نفسك ودع عوامهم»(١).

(١) صحيح: سنن أبي داود: ٤/١٢٤/٤٣٤٣، سنن النسائي الكبرى: ٦/٥٩/١٠٠٣٣، المستدرك على الصحيحين: ٤/٣١٥ / ٧٧٥٨، وقال الحاكم: «هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه»، ورواه ابن حبان في صحيحه عن أبي هريرة: ١٥/١٢٤ / ٦٧٣٠، مصنف ابن أبي شيبة:

حدثنا أبو محمد عبدالله بن محمد بن عبدالمؤمن بن يحيى قال: حدثنا أبو بكر بن محمد بن عبدالرزاق التمار بالبصرة قال: حدثنا أبو داود قال: حدثنا أبو الربيع سليمان ابن داود العتكي قال: حدثنا ابن المبارك عن عتبة بن أبي حكيم قال: حدثني عمرو بن جارية اللخمي قال: حدثنا أبو أمية الشعباني قال: سألت أبا ثعلبة الخشني؛ فقلت: يا أبا ثعلبة، كيف تقول في هذه الآية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡۚ﴾ [المائدة: ١٠٥] قال: أما والله لقد سألت عنها خبيرًا، سألت رسول الله ﷺ قال: **«ائتمروا بالمعروف، وتناهوا عن المنكر حتى إذا رأيت شحًا مطاعًا وهوى متبعًا ودنيا مؤثرة، وإعجاب كل ذي رأي برأيه؛ فعليك بنفسك ودع العوام، وقال: من ورائكم أيام الصبر فيها كقبض على الجمر، للعامل فيهم مثل أجر خمسين رجلا يعملون مثل عمله»**(١).

قال أبو عمر: قد قدمنا في باب يحيى بن سعيد عن عبادة بن الوليد من الآثار ما يوضح أن الحرج مرفوع عن كل من يخاف على نفسه في تغيير المنكر أو يضعف عن القيام بذلك.

= ٣٧١١٥/٤٤٧/٧، مسند أحمد بن حنبل: ٦٩٨٧/٢١٢/٢، وصححه الألباني في سنن أبي داود: ح (٤٣٤٣) .

(١) ضعيف: سنن أبي داود: ٤٣٤١/١٢٣/٤، سنن الترمذي: ٣٠٥٨ /٢٥٧/٥، سنن ابن ماجه: ٢/ ٤٠١٤/١٣٣٠، سنن البيهقي الكبرى: ١٩٩٨٠/٩١/١٠، المستدرك على الصحيحين: ٤/ ٧٩١٢/٣٥٨، صحيح ابن حبان: ٣٨٥/١٠٨/٢، وضعفه الألباني في سنن أبي داود: ح (٤٣٤١)، وسنن الترمذي: ح (٣٠٥٨)، وسنن ابن ماجه: ح (٤٠١٤) .

أقوال ابن عبدالبر في السمع والطاعة لولي الأمر

عن ابن إسحاق قال: حدثني عبادة بن الوليد بن عبادة بن الصامت عن أبيه الوليد عن أبيه عبادة بن الصامت وكان أحد النقباء قال: «بايعنا رسول الله بيعة الحرب ـ وكان عبادة من الاثنى عشر الذين بايعوا في العقبة الأولى ـ على السمع والطاعة في عسرنا ويسرنا ومنشطنا ومكرهنا، وأن لا ننازع الأمر أهله، وأن نقول بالحق حيثما كنا لا نخاف في الله لومة لائم»(١).

قال ابن عبدالبر(٢): وأما قوله وأن لا ننازع الأمر أهله، فاختلف الناس في ذلك فقال قائلون: أهله أهل العدل والإحسان والفضل والدين؛ فهؤلاء لا ينازعون؛ لأنهم أهله، وأما أهل الجور والفسق والظلم، فليسوا له بأهل ألا ترى إلى قول الله ﷻ لإبراهيم ﵇ قال: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ١٢٤] وإلى منازعة الظالم الجائر ذهبت طوائف من المعتزلة وعامة الخوارج.

وأما أهل الحق، وهم أهل السنة؛ فقالوا: هذا هو الاختيار أن يكون الإمام فاضلًا عدلًا محسنًا؛ فإن لم يكن فالصبر على طاعة الجائرين من الأئمة أولى من الخروج عليه؛ لأن في منازعته والخروج عليه استبدال الأمن بالخوف، ولأن ذلك يحمل على إهراق الدماء، وشن الغارات والفساد في الأرض، وذلك أعظم من الصبر على جوره وفسقه، والأصول تشهد والعقل والدين أن أعظم المكروهين أولاهما بالترك، وكل إمام يقيم الجمعة والعيد، ويجاهد العدو، ويقيم الحدود على أهل العداء، وينصف الناس من مظالمهم بعضهم لبعض، وتسكن له الدهماء، وتأمن به السبل؛ فواجب طاعته في كل ما يأمر به من الصلاح أو من المباح(٣).

---

(١) صحيح مسلم: ٣/١٤٠٧/١٧٠٩.

(٢) التمهيد: ٢٣/٢٧٨- ٢٨١، الاستذكار: ٥ /١٦.

(٣) قال ابن تيمية: «النبي ﷺ أمر بطاعة الأئمة الموجودين المعلومين الذين لهم سلطان يقدرون به على سياسة الناس لا بطاعة معدوم ولا مجهول ولا من ليس له سلطان ولا قدرة على شيء أصلا كما أمر النبي ﷺ بالاجتماع والائتلاف ونهى عن الفرقة والاختلاف ولم يأمر بطاعة الأئمة مطلقا بل =

حدثني خلف بن أحمد حدثنا أحمد بن مطرف حدثنا أيوب بن سليمان ومحمد ابن عمر قالا: حدثنا أبو زيد عبدالرحمن بن إبراهيم قال: حدثنا عبيد الله بن موسى عن الأعمش عن زيد بن وهب عن عبدالرحمن بن عبد رب الكعبة عن عبدالله بن عمرو ابن العاصي قال: كنا مع رسول الله ﷺ في سفر، فنزلنا منزلًا فمنا من ينتضل[1] ومنا من يصلح خباءه ومنا من هو في جشرة[2] إذ نادى منادي النبي الصلاة جامعة؛ فانتهيت إلى رسول الله ﷺ وهو يقول: «إنه لم يكن نبي قبلي إلا كان لله عليه حق أن يدل أمته على الذي هو خير لهم، وينذرهم الذي هو شر لهم، وإن هذه الأمة جعلت عافيتها

= أمر بطاعتهم في طاعة الله دون معصيته، وهذا يبين أن الأئمة الذين أمر بطاعتهم في طاعة الله ليسوا معصومين، ففي صحيح مسلم عن عوف بن مالك الأشجعي قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم وتصلون عليهم ويصلون عليكم، وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم وتلعنونهم ويلعنوكم، قال: قلنا يا رسول الله، أفلا ننابذهم عند ذلك؟ قال: لا ما أقاموا فيكم الصلاة، ألا من ولي عليه وال فرآه يأتي شيئا من معصية الله فليكره ما يأتي من معصية الله ولا ينزعن يدا من طاعة»، وفي صحيح مسلم عن أم سلمة أن النبي ﷺ قال: «ستكون أمراء فتعرفون وتنكرون فمن عرف برىء ومن أنكر سلم، ولكن من رضى وتابع قالوا: يا رسول الله، أفلا نقاتلهم؟ قال لا ما صلوا» وهذا يبين أن الأئمة هم الأمراء ولاة الأمور، وأنه يكره وينكر ما يأتونه من معصية الله، ولا تنزع اليد من طاعتهم بل يطاعون في طاعة الله، وأن منهم خيارًا وشرارًا من يحب ويدعى له ويحب الناس ويدعو لهم ومن يبغض ويدعو على الناس ويبغضونه ويدعون عليه، وفي الصحيحين عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء كلما هلك نبي خلفه نبي، وإنه لا نبي بعدي وستكون خلفاء فتكثر قالوا: فما تأمر؟ قال: وفوا ببيعة الأول فالأول، وأعطوهم حقهم فإن الله سائلهم عما استرعاهم» فقد أخبر أن بعده خلفاء كثيرين وأمر أن يوفى ببيعة الأول فالأول وأن يعطوهم حقهم، وفي الصحيحين عن عبدالله بن مسعود قال: قال لنا رسول الله ﷺ: «إنكم سترون بعدي أثرة وأمورًا تنكرونها، قالوا: فما تأمرنا يا رسول الله؟ قال: أدوا إليهم حقهم وسلوا الله حقكم» وفي لفظ «ستكون أثرة وأمور تنكرونها قالوا: يا رسول فما تأمرنا؟ قال: تؤدون الحق الذي عليكم وتسألون الله الذي لكم» وفي الصحيحين عن عبادة بن الصامت قال: «بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة في اليسر والعسر والمنشط والمكره، وعلى أثره علينا وعلى أن لا ننازع الأمر أهله وعلى أن نقول بالحق حيثما كنا لا نخاف في الله لومة لائم» وفي الصحيحين عن ابن عمر عن النبي ﷺ أنه قال: «على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب وكره إلا أن يؤمر بمعصية فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة» منهاج السنة النبوية: ١/١١٥-١١٩.

(١) يقال: خرج القوم ينتضلون إذا استبقوا في رمي الأغراض. لسان العرب: ٦٦٥/١١.

(٢) الجشر: القوم يخرجون بدوابهم إلى المرعى، ويبيتون مكانهم، ولا يأوون إلى البيوت. لسان العرب: ١٣٧/٤.

في أولها، وسيصيب آخرها بلاء وأمور ينكرونها وفتن مرفق بعضها بعضًا، تجيء الفتنة؛ فيقول المؤمن: هذه مهلكتي ثم تنكشف ثم تجيء أخرى؛ فيقول هذه هذه ثم تنكشف؛ فمن أحب أن يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتدركه منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر، وليأت إلى الناس ما يحب أن يؤتى إليه، ومن بايع إمامًا فأعطاه صفقة يمينه وثمرة قلبه فليطعه ما استطاع؛ فإن جاء أحد ينازعه، فاضربوا عنق الآخر، قال عبدالرحمن: فخرجت في الناس؛ فقلت: أنت سمعت هذا من رسول الله؟ قال: سمعته أذناي ووعاه قلبي، قلت: إن هذا ابن عمك معاوية يأمرنا أن نأكل أموالنا بيننا بالباطل، ونقتل أنفسنا، والله يقول: ﴿لَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ﴾ [النساء: ٢٩] ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ﴾ [النساء: ٢٩] قال: فضرب بيده على جبهته وأكب طويلًا ثم قال: أطعه فيما أطاع الله، واعصه فيما عصى الله»(١).

---

(١) صحيح مسلم: ١٨٤٤/١٤٧٢/٣.

أقوال ابن عبدالبر في بقاء الأمة المحمدية إلى قيام الساعة

عن عبدالله بن عبدالله بن جبار بن عتيك أنه قال: جاءنا عبدالله بن عمر في بني معاوية، وهي قرية من قرى الأنصار، فقال: «**هل تدرون أين صلى رسول الله ﷺ من مسجدكم هذا؟ فقلت له: نعم، وأشرت له إلى ناحية منه، فقال لي: هل تدري ما الثلاث التي دعا بهن فيه؟ فقلت له: نعم، قال: فأخبرني بهن؟ قال: فقلت: دعا بأن لا يظهر عليهم عدوًا من غيرهم، ولا يهلكهم بالسنين، فأعطيهما، ودعا بأن لا يجعل بأسهم بينهم، فمنعها، قال: صدقت، قال ابن عمر: فلن يزال الهرج إلى يوم القيامة**»(١).

قال ابن عبدالبر(٢): وقد بان بحمد الله في هذا الحديث أن الله لا يهلك أمة محمد ﷺ بالسنين، ولا يعمهم في أقطار الأرض بجوع وجدب، وهذا يدل على أن الأرض كلها لا يعمها الجدب أبدًا؛ لأن أمته في أكثر أقطارها، وإذا لم يعمهم الجدب والقحط والجوع فأحرى ألا يعم الأرض، وفي هذا الحديث دليل واضح على أن دين محمد ﷺ لا يزال إلى أن تقوم الساعة، ولا يهلك أمة محمد ﷺ عدو يستأصلها أبدًا، وأنها في أكثر أقطار الأرض، والحمد لله كثيرًا.

وفيه دليل على أن الفتن لا تزال في أمة محمد ﷺ يقتل بعضها بعضًا ما بقيت الدنيا؛ لأنه قد منع ﷺ ألا يجعل بأسهم بينهم، قال ابن عمر: «**فلن يزال الهرج إلى يوم القيامة**».

حدثنا عبدالوارث بن سفيان، وسعيد بن نصر قالا: حدثنا قاسم بن أصبغ قال: حدثنا إسماعيل ابن إسحاق قال: حدثنا سليمان بن حرب قال: حدثنا حماد بن زيد عن أيوب عن أبي قلابة عن أبي أسماء عن ثوبان قال: قال رسول الله ﷺ: «**زويت لي**

---

(١) صحيح: رواه مالك في الموطأ: ١/٢١٦/٥٠٣، واحمد في المسند: ٥/٤٤٥/٢٣٨٠٠، والشيباني في الآحاد والمثاني: ٤/ ١٥٦/ ٢١٤٠، وصححه الحاكم في المستدرك: ٤/٥٦٢/٨٥٧٩، وقال: «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه»، وصححه ابن كثير في تفسيره: ٢/١٤١، وقال: «ليس هو في شيء من الكتب الستة، وإسناده جيد قوي، ولله الحمد والمنة».

(٢) التمهيد: ١٩/ ١٩٧-٢٠٠.

الأرض، أو قال: إن الله زوى لي الأرض، فرأيت مشارقها ومغاربها، وإن مُلك أمتي سيبلغ ما زوي لي منها، وأعطيت الكنزين الأحمر والأبيض، وإني سألت ربي لأمتي أن لا يهلكهم بسنة بعامة، ولا يسلط عليهم عدوًا من قبل أنفسهم، فيستبيح بيضتهم[١]، وإن ربي قال: يا محمد، إني إذا قضيت قضاء فإنه لا يرد، ولا أهلكهم بسنة بعامة، ولا أسلط عليهم عدوًا من سوى أنفسهم يستبيح بيضتهم، ولو اجتمع عليهم من بين أقطارها، حتى يكون بعضهم يسبي بعضًا، وبعضهم يهلك بعضًا، وإنما أخاف على أمتي الأئمة المضلين، وإذا وضع السيف في أمتي لم يرفع عنها إلى القيامة»[٢].... وأخبرنا أحمد بن قاسم قال: حدثنا قاسم بن أصبغ قال: حدثنا الحرث بن أبي أسامة قال: حدثنا كثير بن هشام قال: حدثنا جعفر ابن برقان قال: حدثنا يزيد بن الأصم قال: سمعت أبا هريرة يقول: قال رسول الله: «تظهر الفتن ويكثر الهرج. قال: قلنا: وما الهرج؟ قال:القتل»[٣] وذكر الحديث.

وقال أبو عمر: قد ثبت عن النبي ﷺ من وجوه أن الهرج لا يزال إلى يوم القيامة، والهرْج -بتسكين الراء- القتل، وكذلك الرواية في هذا الحديث وغيره، وأصل الهرج اختلاف الناس من غير رئيس، وذلك يدعوهم إلى القتل، قال عبدالله بن قيس الرقيات (الخفيف):

لَيتَ شِعري أَأَوَّلُ الهَرجِ هَذا أَم زَمانٌ في فِتنَةٍ غَيرِ هَرجِ
إِن يَعِش مُصعَبٌ فَإِنّا بِخَيرٍ قَد أَتانا مِن عَيشِهِ ما نُرَجّي

---

(١) بيضة الإسلام جماعتهم. لسان العرب: ١٢٧/٧

(٢) صحيح: رواه أحمد في مسنده: ٢٢٥٠٥/٢٨٤/٥، وأبي داود في سننه: ٤٢٥٢/٩٧/٤، وابن ماجة في سننه: ١٣٠٤/٢/ ٣٩٥٢، والبزار في مسنده: ٣٤٨٧/٤١٣/٨، وابن حبان في صحيحه: ٦٧١٤/١٠٩/١٥، والحاكم في المستدرك: ٤٩٦/٤/ ٨٣٩٠، وقال: «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه بهذه السياقة»، والهيثمي في مجمع الزوائد: ٢٢١/٧، وقال: «رواه أحمد، والبزار، ورجال أحمد رجال الصحيح»، والطبري في تفسيره: ٢٢٣/٧، وابن كثير في تفسيره: ١٤٢/٢، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود: ح (٤٢٥٢)، وصحيح سنن ابن ماجة: ٣٩٥٢.

(٣) صحيح: رواه أحمد في مسنده: ١٠٩٦٨/٥٣٩/٢، وابن أبي شيبة في المصنف: ٥٠٥/٧/ ٣٧٥٨٩، والبيهقي في المدخل إلى السنن الكبرى: ح (٨٤٩)، والطبراني في مسند الشاميين: ١/ ٦٢٣/٣٦١، وأبو نعيم في الحلية: ٩٩/٤.

أخبرنا أبو محمد عبدالله بن محمد بن عبدالمؤمن قال: أخبرنا محمد بن يحيى بن عمر ابن علي قال: أخبرنا علي بن حرب قال: حدثنا ابن عيينة عن عمر، وسمع جابر ﷺ يقول: لما نزلت: ﴿قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ﴾ [الأنعام: ٦٥] قال رسول الله ﷺ: أعوذ بوجهك ﴿أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾ قال:أعوذ بوجهك ﴿أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ﴾ قال: «**هاتان أهون أو أيسر**»[١]...

وذكر عبدالرزاق وغيره عن عمر عن الزهري قال: راقب خباب بن الأرت، وكان بدريًا رسول الله ﷺ وهو يصلي، حتى إذا كان الصبح، قال له: «**يا نبي الله، لقد رأيتك الليلة تصلي صلاة ما رأيتك صليت مثلها؟ قال:أجل، إنها صلاة رغب ورهب، سألت ربي فيها ثلاث خصال فأعطاني اثنتين ومنعني واحدة. سألته ألا يهلكنا بما أهلك به الأمم، فأعطاني، وسألته أن لا يسلط علينا عدوًا، فأعطاني، وسألته أن لا يلبسنا شيعًا، فمنعني**»[٢].

وذكر سنيد عن حجاج عن ابن جريج عن مجاهد في قوله: ﴿قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾ [الأنعام: ٦٥] قال: لأمة محمد ﷺ فأعفاهم منها، ﴿أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ﴾ قال: ما كان من الفتن، والاختلاف، قال ابن جريج: ﴿عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ﴾ يقول: الرمي بالحجارة أو الغرق أو بعض ما عنده من العذاب ﴿أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾ قال: الخسف، قال: وحدثنا أبو سفيان عن معمر عن قتادة في قوله: ﴿فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ ﴿٤١﴾﴾ [الزخرف: ٤١] قال: ذهب النبي ﷺ وبقيت الفتنة، ولم ير النبي ﷺ في أمته شيئًا يكرهه حتى مضى، ولم يكن نبي إلا أري في أمته العقوبة إلا نبيكم ﷺ.

حدثنا سعيد بن نصر قال: حدثنا قاسم بن أصبغ قال: حدثنا محمد بن وضاح قال:

---

(١) صحيح البخاري: ٤/١٦٩٤/٤٣٥٢.

(٢) صحيح: رواه أحمد في المسند: ٥/١٠٨/٢١٠٩١، والترمذي في سننه: ٤/٤٧١/٢١٧٥، والنسائي في السنن الكبرى: ١/ ٤٢٠/١٣٣٢، وفي المجتبى: ٣/٢١٦/١٦٣٨، والطبراني في المعجم الكبير: ٤/٥٧/٣٦٢١، وابن حبان في صحيحه: ١٦/٢١٨/ ٧٢٣٦، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي: ح (٢١٧٥)، وصحيح سنن النسائي: ح (١٦٣٨) .

حدثنا أبو بكر ابن أبي شيبة قال: حدثنا وكيع عن عبادة بن مسلم الفزاري عن جبير بن أبي سليمان بن جبير ابن مطعم عن ابن عمر: **«أنَّ النبي ﷺ كان يقول في دعائه: اللَّهم إني أعوذ بك أن أغتال من تحتي، يعني: الخسف»**(١).

❁ ❁ ❁

(١) صحيح: رواه أحمد في المسند: ٢/٢٥/٤٧٨٥، وابن أبي شيبة: ٦/٣٥/٢٩٢٧٨، وأبو داود: ٤/ ٣١٨ / ٥٠٧٤، والنسائي في السنن الكبرى: ٤/٤٦٦/٧٩٧٠، وفي المجتبى: ٨/٢٨٢/٥٥٢٩، وابن ماجه في سننه: ٢/١٢٧٣/٣٨٧١، والطبراني في المعجم الكبير: ١٢/٣٤٣/١٣٢٩٦، وابن حبان في صحيحه: ٣/٢٤١/٩٦١، والحاكم في المستدرك: ١/٦٩٨/١٩٠٢، وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه»، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود: ح (٥٠٧٤)، وصحيح سنن النسائي: ح (٥٥٢٩)، وصحيح سنن ابن ماجه: ح (٣٨٧١) .

الفصل الثالث

القول في الولاء والبراء

- ❑ **أقوال ابن عبدالبر في الولاء والبراء.**

أقوال ابن عبدالبر في الولاء والبراء

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله تبارك وتعالى يقول يوم القيامة: أين المتحابون بجلالي؟ اليوم أظلهم في ظلي يوم لا ظل إلا ظلي**»(١).

قال أبو عمر(٢): معنى هذا الحديث واضح في فضل المتحابين في الله، ومعنى قوله فيه والله أعلم: «**أين المتحابون لجلالي؟**» أين المتحابون إجلالًا لي ومحبة في، فمن إجلال الله ﷻ إجلال أولياء الله ومحبتهم كما جاء في الأثر: «**من إجلال الله ﷻ إجلال ذي الشيبة المسلم، وحامل القرآن غير الغالي فيه، ولا الجافي عنه**»(٣) وإذا كان ذكرهم وذكر فضائلهم عمل بر فما ظنك بحبهم وإخلاص الود لهم؟ قرأت على أبي عثمان سعيد ابن نصر أن قاسم بن اصبغ حدثهم قال: حدثنا ابن وضاح قال: سمعت ابن أبي إسرائيل يقول: سمعت سفيان بن عيينة يقول: عند ذكر الصالحين تتنزل الرحمة، قال: وسمعت ابن أبي إسرائيل يقول: سمعت سفيان يقول: اسلكوا سبيل الحق، ولا تستوحشوا من قلة أهله، وذكر أبو عبيد قال: حدثنا معاذ بن معاذ عن عوف بن أبي جميلة عن زياد بن مخراق عن أبي كنانة عن أبي موسى الأشعري قال: إن من إجلال الله إكرام ذي الشيبة المسلم، وحامل القرآن غير الغالي فيه ولا الجافي عنه، وذي السلطان المقسط، وقد روي مرفوعًا عن النبي ﷺ أنه قال: «**من تعظيم جلال الله، إكرام ثلاثة: الإمام المقسط، وذي الشيبة المسلم، وحامل القرآن غير الغالي فيه ولا الجافي عنه**» من وجوه فيها لين، وحملة القرآن هم العاملون بأحكامه، وحلاله وحرامه والعاملون بما فيه،

(١) صحيح مسلم: ٤/١٩٨٨/ ٢٥٦٦.

(٢) التمهيد: ١٧/٤٢٩- ١٧/٤٣٨.

(٣) حسن: سنن أبي داود: ٤/٢٦١/٤٨٤٣، سنن البيهقي الكبرى: ٨/١٦٣/ ١٦٤٣٥، مصنف ابن أبي شيبة: /٤٤٠/٢١٩٢٢، مسند البزار: ٨/٧٤/٣٠٧٠، وصححه المناوي في فيض القدير: ٥/ ٤١٠، وقال: «رمز المصنف لحسنه، وهو كما قال أو أعلى فقد قال الهيثمي وغيره: رجاله وثقوا»، وحسنه الحافظ في تلخيص الحبير: ٢/١١٨، وقال: «وإسناده حسن، وأورده ابن الجوزي في الموضوعات بهذا اللفظ من حديث أنس، ونقل عن ابن حبان أنه لا أصل له، ولم يصيبا جميعًا، وله الأصل الأصيل من حديث أبي موسى، واللوم فيه على ابن الجوزي أكثر لأنه خرج على الأبواب»، وحسنه الألباني في سنن أبي داود: ح (٤٨٤٣) .

ومن أوثق عرى الإسلام: البغض في اللَّه والحب في اللَّه.

حدثنا محمد بن عبدالملك، حدثنا عبداللَّه بن مسروق، حدثنا عيسى بن مسكين، حدثنا محمد ابن عبداللَّه بن سنجر، حدثنا عارم، حدثنا الصعق بن حزن عن عقيل الجعدي عن أبي إسحاق عن سويد بن غفلة عن ابن مسعود قال: قال رسول اللَّه ﷺ: **«يا عبداللَّه بن مسعود، قلت: لبيك يا رسول اللَّه، قال: تدري أي عرى الإيمان أوثق؟ قال: قلت: اللَّه ورسوله أعلم. قال: الولاية في اللَّه: الحب والبغض فيه»**(١).

وذكر يعقوب بن شيبة قال: حدثنا أبو سلمة حدثنا حماد بن سلمة عن ثابت عن مسلم بن يسار قال: ما من عملي شيء إلا وأنا أخاف أن يكون قد دخله ما يفسده، إلا الحب في اللَّه، قال: وحدثنا عمرو بن مرزوق، حدثنا عمران القطان عن قتادة عن مسلم بن يسار قال: مرضت مرضة فلم يكن في عملي شيء أوثق في نفسي من قوم كنت أحبهم في اللَّه.

وذكر ابن المبارك عن فضيل بن غزوان عن أبي إسحاق عن أبي الأحوص عن عبداللَّه في قوله: ﴿لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ﴾[الأنفال: آية (٦٣] قال: نزلت في المتحابين في اللَّه.

وحدثنا محمد بن عبدالملك، حدثنا عبداللَّه بن مسرور، حدثني عيسى بن مسكين، حدثنا ابن سنجر، حدثنا سعيد بن سليمان، حدثنا إسماعيل بن زكرياء، حدثنا ليث عن عمرو بن مرة عن معاوية بن سويد بن مقرن عن البراء بن عازب قال: قال رسول اللَّه ﷺ: **«إن أوثق عرى الإسلام أن تحب في اللَّه وتبغض في اللَّه»**(٢).

---

(١) ضعيف: سنن البيهقي الكبرى: ٢٠٨٥٨/٢٣٣/١٠، المعجم الصغير: ٦٢٤/٣٧٢/١، المعجم الكبير: ١٠٣٥٧/١٧١/١٠، المستدرك على الصحيحين: ٣٧٩٠/٥٢٢/٢، وضعفه الهيثمي في مجمع الزوائد: ٩٠/١، وقال: «رواه الطبراني في الصغير وفيه عقيل بن الجعد قال البخاري منكر الحديث»، وذكره العقيلي في الضعفاء: ١٤٤٦/٤٠٨/٣، وابن حجر في لسان الميزان: ١٨٠/٤/ ٤٦٧.

(٢) ضعيف: رواه الإمام أحمد في مسنده: ٢٨٦/٤/، وابن أبي شيبة في المصنف: ٣٠٤٢٠/١٧٠/٦، والروياني في مسنده: ٣٩٩/٢٧٠/١، والطيالسي في مسنده: ٧٤٧/١٠١/١، والبيهقي في شعب =

قال أبو عمر: فمن الحب في اللَّه: حب أولياء اللَّه، وهم الأتقياء العلماء الفضلاء، ومن البغض في اللَّه بغض من حاد اللَّه وجاهر بمعاصيه، أو ألحد في صفاته، وكفر به وكذب رسله، أو نحو هذا كله، وأما قوله: «في ظل اللَّه» فإنه أراد - واللَّه أعلم - في ظل عرشه، وقد يكون الظل كناية عن الرحمة كما قال: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى ظِلَٰلٍ وَعُيُونٍ ۝٤١﴾ [المرسلات: ٤١] يعني بذلك: ما هم فيه من الرحمة والنعيم. وقال: ﴿أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَاۚ﴾ [الرعد: ٣٥] وقد يكون كناية عن العذاب كما قال ﷻ: ﴿وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ ۝٤٣ لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ۝٤٤﴾ [الواقعة: ٤٣ - ٤٤] ومن كان في ظل اللَّه يوم الحساب وقي شر ذلك اليوم، جعلنا اللَّه برحمته من المتحابين فيه ولوجهه، المستقرين تحت ظله يوم لا ظل إلا ظله، فإن ذلك من أفضل الأعمال، وأكرم الخلال.

أخبرنا خلف بن القاسم حدثنا أبو بكر محمد بن الحسين بن صالح السبيعي الحلبي بدمشق حدثنا أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سليمان الشعري حدثنا محمد بن محمد بن أبي الورد حدثنا سعيد بن منصور حدثنا خلف بن خليفة حدثنا حميد الأعرج عن عبداللَّه بن الحارث عن عبداللَّه بن مسعود قال: قال رسول اللَّه ﷺ: **«أوحى اللَّه ﷻ إلى نبي من الأنبياء: أن قل لفلان العابد: أما زهدك في الدنيا فتعجلت راحة نفسك، وأما انقطاعك إلي فتعززت بي، فماذا عملت فيما لي عليك؟ قال: وما ذاك علي؟ قال: هل واليت لي وليًا، أو عاديت لي عدوًا؟»**(١).

حدثنا أحمد بن محمد بن أحمد حدثنا أحمد بن الفضل بن العباس حدثنا الحسن ابن علي الرامقي حدثنا محمد بن عامر حدثنا عبداللَّه بن صالح حدثنا الليث بن سعد عن يحيى بن سعيد عن عمرة بنت عبدالرحمن عن عائشة قالت: **«قدمت امرأة مضحكة من أهل مكة فنزلت على امرأة مضحكة من أهل المدينة، ثم جاءت عائشة تسلم**

= الإيمان: ١/٤٦، والهيثمي في مجمع الزوائد وضعفه: ١/٨٩، فقال: «رواه أحمد وفيه ليث بن أبي سليم وضعفه الأكثر» .

(١) ضعيف: رواه أبو نعيم في الحلية: ١٠/٣١٦/٥٩٤، والبغدادي في تاريخ بغداد: ٣/٢٠٢، والديلمي في الفردوس بمأثور الخطاب: ١/١٤٥/ ٥١٨.

عليها، فقالت لها عائشة: أين نزلت؟ قالت: على فلانة، فقالت عائشة: صدق الله ورسوله، سمعت النبي ﷺ يقول: الأرواح جنود مجندة، فما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف»[1].

ومن دعاء الفضل الرقاشي: اللَّهم لا تدخلنا النار بعد أن أسكنت قلوبنا توحيدك، وأرجو أن لا تفعل، وإن فعلت لا تجمعن بيننا وبين قوم عاديناهم فيك.

وأخبرنا بعض أصحابنا قال: أملى علي أبو محمد عبدالله بن عبدالرحمن بن محمد الأزدي في مسجد النبي ﷺ من حفظه قال: حدثنا أبو جعفر أحمد بن إسحاق بن يزيد الحلبي قاضي حلب إملاء من حفظه بمصر، حدثنا علي بن عبدالحميد الغضائري، حدثنا محمد بن محمد بن أبي الورد حدثنا سعيد بن منصور حدثنا خلف بن خليفة عن حميد الأعرج عن عبدالله بن الحارث عن عبدالله بن مسعود عن النبي ﷺ قال: «أوحى الله إلى نبي من الأنبياء: أن قل لفلان العابد: أما زهدك في الدنيا فتعجلت راحتك، وأما انقطاعك إلي فتعززت بي، فماذا عملت فيما لي عليك؟ قال: يا رب، وما ذاك؟ فقال: هل واليت في وليًا، أو عاديت في عدوًا؟» قال الأردني: هذا الحديث لم يسنده إلا محمد بن محمد بن أبي الورد، والناس يوقفونه على ابن مسعود.

قال أبو عمر: قد أخبرنا به أبو القاسم خلف بن القاسم الحافظ عن أبي جعفر أحمد ابن إسحاق ابن يزيد الحلبي عن الغضائري بإسناده هذا موقوفًا على ابن مسعود من قوله لم يرفعه، وأخبرنا بعض أصحابنا أيضا قال: أملى علي أبو بكر محمد بن عبدالوهاب الاسفرايني الحافظ في المسجد الحرام من حفظه قال: حدثنا أبو الفضل أحمد بن حمدون الفقيه حدثنا علي بن عبدالحميد حدثنا ابن أبي الورد ـ واسمه محمد ـ حدثنا سعيد بن منصور حدثنا خلف بن خليفة عن حميد الأعرج عن عبدالله بن الحارث عن عبدالله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «أوحى الله إلى نبيه أن قل لفلان الزاهد: أما زهدك في الدنيا فقد تعجلت راحة نفسك، وأما انقطاعك إلي فقد

---

(١) صحيح البخاري: ٣/١٢١٣/٣١٥٨.

تعززت بي، فماذا عملت فيما لي عليك؟ قال: وما لك علي؟ قال: هل واليت في وليًا أو عاديت في عدوًا؟»[(١)] قال الاسفرايني: هذا حديث غريب ورجاله ثقات تفرد به ابن أبي الورد عن سعيد بن منصور. قال أبو عمر: أما قوله في هذا الحديث: ورجاله ثقات، فليس كما قال: لأن حميد الأعرج هذا الذي يروي عن عبدالله بن الحارث منكر الحديث عند جميع أهل العلم بالنقل، وهو حميد بن علي أبو يحيى الأعرج، له عن عبدالله بن الحارث مناكير....

قرأت على عبدالوارث بن سفيان، وأحمد بن قاسم بن عبدالرحمن أن محمد بن معاوية حدثهم قال: حدثنا أحمد بن الحسن بن عبدالجبار الصوفي حدثنا الهيثم بن خارجة حدثنا إسماعيل بن عياش عن صفوان بن عمرو عن عبدالرحمن بن ميسرة عن العرباض بن سارية عن النبي ﷺ قال: **«قال الله تبارك وتعالى: المتحابون لجلالي في ظل عرشي يوم لا ظل إلا ظلالي»** وليس في الحديث حكم من أحكام الدنيا، ولا معنى يشكل وقد مضى في بسط معناه بالآثار وغيرها كفاية.

وقد حدثنا أحمد بن قاسم بن عبدالرحمن حدثنا محمد بن معاوية بن عبدالرحمن حدثنا محمد ابن يحيى بن سليمان المروزي حدثنا عاصم بن علي حدثنا قيس عن عمارة بن القعقاع عن أبي زرعة بن عمرو بن جرير عن عمر بن الخطاب قال: قال رسول الله ﷺ: **«لله عباد لا بأنبياء ولا بشهداء يغبطهم الأنبياء والشهداء بمكانهم من الله ﷻ قالوا: يا نبي الله، من هم؟ وما أعمالهم لعلنا نحبهم؟ قال: قوم تحابوا بروح الله من غير أرحام بينهم ولا أموال يتعاطونها، والله إن وجوههم نور وإنهم لعلى منابر من نور، لا يخافون إذا خاف الناس، ولا يحزنون إذا حزن الناس ثم قرأ:** ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝٦٢﴾[يونس: آية ٦٢]»[(٢)].

وقد حدثنا خلف بن القاسم حدثنا محمد بن الحسين الحلبي حدثنا علي بن

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) صحيح: سنن أبي داود: ٣/٢٨٨/٣٥٢٧، وصححه الألباني في سنن أبي داود: ح (٣٥٢٧).

إسماعيل الشعري حدثنا عبدالأعلى حدثنا حماد بن سلمة عن ثابت عن أبي رافع عن أبي هريرة عن النبي ﷺ: «أن رجلًا زار أخا له في قرية أخرى، قال: فأرصد الله على مدرجته ملكًا، فلما أتى عليه قال له: أين تريد؟ قال: أريد أخا لي في هذه القرية، قال: هل له عليك من نعمة تربها؟ قال: لا، ولكن أحببته في الله، قال: فإني رسول الله إليك أنه قد أحبك كما أحببته فيه»(١).

وحدثنا خلف بن القاسم حدثنا محمد بن الحسين بن صالح الحلبي حدثنا أبو علي الحسن بن محمد بن موسى بن أبي جعفر البطناني حدثنا علي بن الجعد حدثنا مبارك ابن فضالة عن ثابت البناني عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «ما تحاب رجلان في الله قط إلا كان أفضلهما أشدهما حبًا لصاحبه»(٢).

حدثنا عبدالرحمن بن يحيى، حدثنا أحمد بن سعيد، حدثنا أحمد بن أبي عبيد اللؤلؤي، حدثنا علي بن حرب، حدثنا جعفر بن عون عن إبراهيم الهجري عن أبي الأحوص عن عبدالله قال: «الأرواح جنود مجندة، تلاقى في الهواء فتتشام كما تتشام الخيل، فما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف، ولو أن مؤمنًا جاء إلى مجلس فيه مائة منافق، ليس فيه إلا مؤمن واحد لقيض له حتى يجلس إليه»، وقد روى عن النبي ﷺ: «الأرواح جنود مجندة» جماعة من الصحابة منهم ابن مسعود وغيره، إلا أن هذا اللفظ قول ابن مسعود.

حدثنا أحمد بن محمد حدثنا أحمد بن الفضل حدثنا الحسن بن علي الرامقي حدثنا علي بن حرب حدثنا محمد بن فضيل قال: أتيت أبا إسحاق الهمداني، فقلت: أتعرفني؟ قال: نعم، ولولا الحياء منك لقبلتك. سمعت أبا الأحوص يحدث عن

---

(١) صحيح مسلم: ٤/ ١٩٨٨/ ٢٥٦٧.

(٢) صحيح: صحيح ابن حبان: ٢/٣٢٥/٥٦٦، المعجم الأوسط: ٣/١٩٢/٢٨٩٩، مسند أبي يعلى: ٦/١٤٣/٣٤١٩، مسند ابن الجعد: ١/٤٦٣/٣١٩٢، مسند الطيالسي: ١/٢٧٣/٢٠٥٣، المستدرك على الصحيحين: ٤/١٨٩/٧٣٢٣، وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه»، ووافقه الذهبي في سير أعلام النبلاء: ١٩/١٥١، والبخاري في الأدب المفرد: ١/١٩١/٥٤٤.

عبدالله في قول الله: ﴿لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ﴾[الأنفال: ٦٣] نزلت في المتحابين في الله.

وفي رسالة سفيان الثوري إلى عباد بن عباد رواه الفريابي عنه قال: المتحابون في الله هم المواسون فيه، والمتباذلون فيه، والمؤثرون لإخوانهم على أنفسهم بأموالهم.

الفصل الرابع

القول في الجماعة وفضائلها

- أقوال ابن عبدالبر في لزوم الجماعة.

أقوال ابن عبدالبر في لزوم الجماعة

عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «**إن الله يرضى لكم ثلاثًا، ويسخط لكم ثلاثًا يرضى لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئًا، وأن تعتصموا بحبل الله جميعًا وأن تناصحوا من ولاه الله أمركم، ويسخط لكم قيل وقال، وإضاعة المال، وكثرة السؤال**»(١).

قال أبو عمر(٢): في هذا الحديث ضروب من العلم منها أن الله يحب من عباده الإخلاص في عبادته، في التوحيد وسائر الأعمال كلها التي يعبد بها، وفي الإخلاص طرح الرياء كله؛ لأن الرياء شرك أو ضرب من الشرك، قال أهل العلم بالتأويل: إن قول الله ﷻ: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا﴾ [الكهف: ١١٠] نزلت في الرياء، ويدخل في الإخلاص أيضًا التوكل على الله، وأنه لا يضر ولا ينفع ولا يعطي ولا يمنع على الحقيقة غيره؛ لأنه لا مانع لما أعطى، ولا معطي لما منع لا شريك له، وفيه الحض على الاعتصام والتمسك بحبل الله في حال اجتماع وائتلاف، وحبل الله في هذا الموضع فيه قولان: أحدهما: كتاب الله، والآخر: الجماعة، ولا جماعة إلا بإمام، وهو عندي معنى متداخل متقارب؛ لأن كتاب الله يأمر بالألفة، وينهى عن الفرقة، قال الله ﷻ: ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخْتَلَفُواْ﴾ [آل عمران: ١٠٥] وقال: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾ [آل عمران: ١٠٣] وروى يزيد بن زريع عن سعيد عن قتادة في قوله: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾ الآية قال: حبل الله الذي أمر أن يعتصم به القرآن، وقال قتادة: إن الله قد كره إليكم الفرقة، وقدم إليكم فيها، وحذركموها ونهاكم عنها، ورضي لكم بالسمع والطاعة والألفة والجماعة؛ فارضوا لأنفسكم بما رضي الله لكم، فقد ذكر لنا أن نبي الله ﷺ كان يقول: «**من فارق جماعة المسلمين قيد شبر فقد خلع ربقة الإسلام(٣) من**

---

(١) صحيح مسلم: ١٧١٥/١٣٤٠/٣.

(٢) التمهيد: ٢٨٣/٢١-٢٧٢/٢١.

(٣) ربقة الإسلام: عقد الإسلام. لسان العرب: ١١٣/١٠.

عنقه»(١) وروى معمر عن قتادة في قوله: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟﴾ قال: بعهد الله وأمره، وروى ابن عيينة عن جامع بن أبي راشد عن أبي وائل عن عبدالله بن مسعود: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟﴾ قال: القرآن، وابن عيينة أيضًا عن إبراهيم الهجري(٢) عن أبي الأحوص عن عبدالله قال: حبل الله هو القرآن.

وقيس بن الربيع عن منصور عن أبي وائل عن ابن مسعود: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟﴾ قال: حبل الله، وصراط الله المستقيم كتاب الله، وأبو معاوية عن الهجري عن أبي الأحوص عن عبدالله قال: قال رسول الله ﷺ: **«إن هذا القرآن هو حبل الله»**(٣) فهذا قول.

والقول الثاني: روى بقي حدثنا يحيى بن عبدالحميد قال: حدثنا هشيم عن العوام ابن حوشب عن الشعبي عن عبدالله بن مسعود: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟﴾ قال: حبل الله الجماعة، قال بقي: وحدثنا عثمان ابن أبي شيبة قال: حدثنا محمد بن الحسن الأسدي عن هشيم عن العوام بن حوشب عن الشعبي عن عبدالله في قوله: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟﴾ قال: الحبل الذي أيد الله به الجماعة. قال: وحدثنا أبو كريب حدثنا أبو بكر بن عياش عن أبي حصين عن الشعبي عن ثابت بن قطبة قال: قال عبدالله بن مسعود في خطبته: **أيها الناس عليكم بالطاعة والجماعة؛ فإنها حبل الله الذي أمر به، وإن ما تكرهون في الجماعة خير مما تحبون في الفرقة**، وروى الوليد بن مسلم عن الأوزاعي عن حسان بن عطية عن عبدالرحمن بن

---

(١) صحيح: سنن أبي داود: ٤/٢٤١/٤٧٥٨، سنن البيهقي الكبرى: ٨/١٥٧/١٦٣٩١، مسند أحمد ابن حنبل: ٥/١٨٠/٢١٦٠٠، المستدرك على الصحيحين: ١/٢٠٣/٤٠١، وصححه الألباني في سنن أبي داود: ح (٤٧٥٨) .

(٢) إبراهيم بن مسلم الهجري أبو إسحاق روى عن بن أبي أوفى وأبي الأحوص روى عنه الثوري وشعبة وزهير بن معاوية وابن عيينة يعد في الكوفيين، عن يحيى بن معين قال: إبراهيم الهجري ليس بشيء الجرح والتعديل: ٢/١٣١.

(٣) سنن الدارمي: ٢/٥٢٣/٣٣١٥،المستدرك على الصحيحين: ١/٧٤١/٢٠٤٠.

سابط عن عمرو بن ميمون قال: قال عبدالله بن مسعود: الجماعة القائل بالحق وإن كان وحده، وفيما أجاز لنا أبو ذر الهروي قال: حدثنا علي بن عمر بن محمد ابن سادان الشكري قال: حدثنا عبدالله بن محمد البغوي قال: حدثنا عبيد الله بن عمر قال: حدثنا حماد بن زيد قال: حدثنا مجالد عن الشعبي عن ثابت بن قطبة قال: خطبنا ابن مسعود خطبة لم يخطبنا قبلها ولا بعدها؛ فقال: أيها الناس، اتقوا الله وعليكم بالطاعة والجماعة؛ فإنهما حبل الله الذي أمر به، وإن ما تكرهون في الجماعة خير مما تحبون في الفرقة، وإن الله ﷻ لم يخلق شيئًا من الدنيا إلا جعل له نهاية فينتهي إليه، وإن الإسلام بدأ فثبت ويوشك أن ينقص ويزيد إلى يوم القيامة، وآية ذلك أن تقطعوا أرحامكم، وأن تفشو فيكم الفاقة حتى لا يخاف الغني إلا الفقر، وحتى لا يجد الفقير من يعطف عليه حتى يرى الرجل أخاه وابن عمه فقيرًا لا يعطف عليه، وحتى يقوم السائل يسأل فيما بين الجمعتين فلا يوضع في يده شيء، فبينما الناس كذلك إذ خارت الأرض خورة مثل خوار البقر، يحسب كل قوم إنما خارت من ساحتهم، ثم يكون رجوع، ثم تخور الثانية بأفلاذ كبدها، قيل: وما أفلاذ كبدها؟ قال: أمثال هذه السواري من الذهب والفضة، فمن يومئذ لا ينفع الذهب والفضة إلى يوم القيامة، حتى لا يجد الرجل من يقبل منه ماله صدقة.

قال أبو عمر: الظاهر في حديث سهيل هذا في قوله: «**ويرضى لكم أن تعتصموا بحبل الله جميعًا**» أنه أراد الجماعة والله اعلم، وهو أشبه بسياق الحديث.

وأما كتاب الله، فقد أمر الله ﷻ بالتمسك والاعتصام به في غير ما آية وغير ما حديث، غير أن هذا الحديث المراد به والله أعلم، الجماعة على إمام يسمع له ويطاع؛ فيكون ولي من لا ولي له في النكاح، وتقديم القضاة للعقد على الأيتام، وسائر الأحكام، ويقيم الأعياد والجمعات، وتؤمن به السبل، وينتصف به المظلوم، ويجاهد عن الأمة عدوها، ويقسم بينها فيها؛ لأن الاختلاف والفرقة هلكة، والجماعة نجاة، قال ابن المبارك رَحِمَهُ اللَّهُ:

إن الجماعة حبل الله فاعتصموا منه بعروته الوثقى لمن دانا
كم يرفع الله بالسلطان مظلمة في ديننا رحمة منه ودنيانا
لولا الخلافة لم تؤمن لنا سبل وكان أضعفنا نهبا لأقوانا

وروى شعبة عن عمر بن سليمان بن عاصم بن عمر بن الخطاب عن عبدالرحمن بن أبان بن عثمان عن أبيه عن زيد بن ثابت قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول في حديث ذكره: «ثلاث لا يغل عليهن قلب امرئ مسلم إخلاص العمل لله، ومناصحة ولاة الأمر، ولزوم الجماعة؛ فإن دعوتهم تحيط من ورائهم»[1] وهذا حديث ثابت في معنى حديث سهيل في هذا الباب، وهو يفسره، وقد رواه عن النبي ﷺ جماعة منهم جبير بن مطعم، وعبدالله بن مسعود، وأنس بن مالك، وقد ذكرنا طرقه في كتاب العلم.

حدثنا عبدالوارث بن سفيان قال: حدثنا قاسم بن أصبغ قال: حدثنا محمد بن عبدالسلام قال: حدثنا محمد بن بشار قال: حدثنا أبو داود قال: حدثنا شعبة عن عمر ابن سليمان قال: سمعت عبدالرحمن بن إبان يحدث عن أبيه قال: خرج زيد بن ثابت من عند مروان نصف النهار، قلت: ما بعث فيه هذه الساعة إلا لشيء سأله عنه، فسألته؛ فقال: سألنا عن أشياء سمعناها من رسول الله ﷺ سمعت رسول الله ﷺ يقول: «نضر الله امرئ سمع منا حديثًا فبلغه؛ فرب حامل فقه إلى من هو أفقه منه، ورب حامل فقه ليس بفقيه، ثلاث لا يغل عليهن قلب مسلم، إخلاص العمل لله، ومناصحة ولاة الأمر، ولزوم الجماعة، فإن دعوتهم تحيط من ورائهم، ومن كانت الدنيا نيته فرق الله عليه أمره، وجعل فقره بين عينيه، ولم يأته من الدنيا إلا ما كتب له، ومن كانت الآخرة نيته جمع الله أمره، وجعل غناه في قلبه، وأتته الدنيا وهي راغمة، وسألنا عن الصلاة الوسطى وهي الظهر»[2].

---

(١) صحيح ابن حبان: ٦٨٠/٤٥٤/٢، المعجم الكبير: ٤٨٩٠/١٤٣/٥.

(٢) صحيح: سنن الترمذي: ٢٦٥٦/٣٣/٥، سنن النسائي الكبرى: ٥٨٤٧/٤٣١/٣، سنن ابن ماجه: ٤١٠٥/١٣٧٥/٢، سنن الدارمي: ٢٢٩/٨٦/١، صحيح ابن حبان: ٦٧/٢٧٠/١، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي: ح (٢٦٥٦)، وسنن ابن ماجة: ح (٤١٠٥).

حدثنا أحمد بن قاسم بن عبدالرحمن قال: حدثنا قاسم بن أصبغ قال: حدثنا الحرث ابن أبي أسامة قال: حدثنا محمد بن عمر قال: حدثنا محمد بن إسحاق عن الزهري عن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه قال: سمعت رسول الله ﷺ يخطب بخيف منى؛ فقال: «**نضر الله عبدًا سمع مقالتي فوعاها، ثم أداها إلى من لم يسمعها؛ فرب حامل فقه لا فقه له، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه، ثلاث لا يغل عليهن قلب مؤمن إخلاص العلم لله، ولزوم الجماعة، ومناصحة ولاة الأمر؛ فإن دعوة المسلمين من ورائهم محيطة**»[1]... ألا ترى أنه ﷺ دعا لمن حفظ مقالته هذه فوعاها ثم أداها تأكيدا منه في حفظها وتبليغها، وهي قوله: «**ثلاث لا يغل عليهن قلب مسلم إخلاص العمل لله، ولزوم الجماعة، ومناصحة أولي الأمر**».

فأما قوله: «**ثلاث لا يغل عليهن قلب مؤمن**»؛ فمعناه لا يكون القلب عليهن ومعهن غليلًا أبدًا، يعني: لا يقوى فيه مرض ولا نفاق إذا أخلص العمل لله، ولزم الجماعة، وناصح أولي الأمر، وأما قوله: «**فإن دعوتهم تحيط من ورائهم، أو هي من ورائهم محيطة**»؛ فمعناه عند أهل العلم: أن أهل الجماعة في مصر من أمصار المسلمين إذا مات إمامهم، ولم يكن لهم إمام؛ فأقام أهل ذلك المصر الذي هو حضرة الإمام وموضعه إمامًا لأنفسهم اجتمعوا عليه ورضوه؛ فإن كل من خلفهم وأمامهم من المسلمين في الآفاق يلزمهم الدخول في طاعة ذلك الإمام؛ إذا لم يكن معلنا بالفسق والفساد معروفًا بذلك؛ لأنها دعوة محيطة بهم يجب إجابتها، ولا يسع أحد التخلف عنها، لما في إقامة إمامين من اختلاف الكلمة، وفساد ذات البين.

حدثنا سعيد بن نصر قال: حدثنا قاسم بن أصبغ قال: حدثنا محمد بن إسماعيل الترمذي، وأحمد ابن زهير واللفظ للترمذي قالا: حدثنا الحميدي قال: حدثنا سفيان

---

(١) سنن ابن ماجه: ٢/١٠١٥/٣٠٥٦، المستدرك على الصحيحين: ١/١٦٢/٢٩٤، سنن الدارمي: ١/٨٦/٢٢٨، المعجم الكبير: ٢/١٢٦/١٥٤١، مسند أبي يعلى: ١٣/٤٠٨/٧٤١٣، مسند أحمد بن حنبل: ٤/٨٠/١٦٧٨٤، مسند البزار: ٨/٣٤٣/٣٤١٧، وصححه الألباني في سنن ابن ماجه: ح (٣٠٥٦).

قال: حدثنا عبدالملك بن عمير عن مرة عن عبدالرحمن بن عبدالله بن مسعود عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: «نضر الله عبدًا سمع مقالتي»؛ فذكر الحديث؛ وفيه: «ثلاث لا يغل عليهن قط مسلم: إخلاص العمل لله، ومناصحة المسلمين، ولزوم جماعتهم؛ فإن دعوتهم تحيط من ورائهم»، هكذا قال: «ومناصحة المسلمين»، وإنما المحفوظ في هذا الحديث خاصة «ومناصحة ولاة المسلمين» وإن كانت مناصحة المسلمين قد وردت في غير ما حديث.

حدثنا محمد بن خليفة قال: حدثنا محمد بن الحسين قال: حدثنا إبراهيم بن موسى الجوزي قال: حدثنا داود بن رشيد قال: حدثنا الوليد بن مسلم عن ثور بن يزيد عن خالد بن معوان عن عبدالرحمن بن عمرو السلمي، وحجر الكلاعي قالا: دخلنا على العرباض بن سارية وهو الذي نزل فيه: ﴿وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ﴾[التوبة: ٩٢] وهو مريض؛ فقلنا: إنا جئناك زائرين وعائدين ومقتبسين؛ فقال عرباض: إن رسول الله ﷺ صلى صلاة الغداة، ثم أقبل علينا؛ فوعظنا بموعظة بليغة ذرفت منها العيون، ووجلت منها القلوب؛ فقال قائل: يا رسول الله، إن هذه لموعظة مودع؛ فما تعهد إلينا؟ قال: «أوصيكم بتقوى الله، والسمع والطاعة وإن كان عبدًا حبشيًا؛ فإنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافًا كثيرًا، فعليكم بسنتي، وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور؛ فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة»(١) وروى الحارث الأشعري عن النبي ﷺ أنه قال: «آمركم بخمس أمرني الله بهن: الجماعة، والسمع، والطاعة، والهجرة، والجهاد»(٢)

(١) صحيح: سنن الترمذي: ٢٦٧٦/٤٤/٥، سنن أبي داود: ٤٦٠٧/٢٠٠/٤، سنن الدارمي: ٥٧/١/ ٩٥، صحيح ابن حبان: ٥/١٧٨/١،المستدرك على الصحيحين: ٣٣٢/١٧٦/١، وصححه الألباني في سنن الترمذي: ح (٢٦٧٦)، وسنن أبي داود: ح (٤٦٠٧) .

(٢) صحيح: سنن البيهقي الكبرى: ١٦٣٩٠/١٥٧/٨، المستدرك على الصحيحين: ٤٠٤/٢٠٤/١، المعجم الكبير: ٣٤٣١/٢٨٩/٣، مسند أحمد بن حنبل: ٢٢٩٦١/٣٤٤/٥، وصححه ابن حجر في الفتح: ٣١٦/١٣.

حدثناه قاسم بن محمد قال: حدثنا خالد بن سعد قال: حدثنا أحمد بن عمرو بن منصور قال: حدثنا محمد بن سنجر قال: حدثنا موسى بن إسماعيل قال: حدثنا إبان قال: حدثنا يحيى، يعني: ابن أبي كثير أن زيدًا حدثه: أن أبا سلام حدثه: أن الحارث الأشعري حدثه: أن رسول اللَّه ﷺ قال: «**إن اللَّه أمر يحيى بن زكرياء بخمس كلمات يعمل بهن، ويأمر بني إسرائيل أن يعملوا بهن، وأنه كان يبطئ بهن، وأن عيسى بن مريم قال له: إن اللَّه أمرك بخمس كلمات تعمل بهن، وتأمر بني إسرائيل أن يعملوا بهن؛ فإما أن تأمرهم، وإما أن نأمرهم قال: يا أخي، إنك إن تسبقني بهن خشيت أن أعذب أو يخسف بي؛ فجمع الناس في بيت المقدس حتى امتلأ وقعد الناس على الشرف؛ فقال: إن اللَّه أمرني بخمس كلمات أن أعمل بهن، وآمركم أن تعملوا بهن: أن تعبدوا اللَّه، ولا تشركوا به شيئًا، وإن مثل من أشرك باللَّه كمثل رجل اشترى عبدًا من خالص ماله بذهب أو ورق؛ فقال: هذه داري، وهذا عملي؛ فاعمل وأد إلي، فجعل العبد يعمل ويؤدي إلى غير سيده؛ فأيكم يسره أن يكون عبده كذلك؟ وإن اللَّه خلقكم ورزقكم؛ فلا تشركوا به شيئًا، وآمركم بالصلاة فإذا صليتم فلا تلتفتوا، فإن اللَّه ينصب وجهه لعبده ما لم يلتفت في صلاته، وإن اللَّه أمركم بالصيام، وإن مثل الصيام كمثل رجل معه صرة فيها مسك في عصابة كلهم يعجبه أن يجد ريحها، وإن الصيام عند اللَّه أطيب من ريح المسك، وآمركم بالصدقة، وإن مثل ذلك كمثل رجل أسره العدو؛ فأوثقوه إلى عنقه، وقربوه ليضربوا عنقه؛ فقال لهم: هل لكم أن أفدي نفسي منكم؟ فجعل يعطيهم القليل والكثير حتى فدى نفسه منهم، وآمركم بذكر اللَّه كثيرًا وإن مثل ذلك كرجل أصابه العدو سراعًا في إثره، حتى أتى على حصن حصين؛ فأحرز نفسه فيه، وكذلك العبد لا يحرز نفسه من الشيطان إلا بذكر اللَّه**»[(١)]؛ فقال رسول اللَّه ﷺ: وأنا آمركم بخمس أمرني اللَّه بهن الجماعة والسمع

(١) صحيح: سنن الترمذي: ٥/١٤٨/٢٨٦٣، المستدرك على الصحيحين: ١/٣٦٢/٨٦٣، صحيح ابن حبان: ١٤/١٢٤/٦٢٣٣، صحيح ابن خزيمة: ٢/٦٤/ ٩٣٠، المعجم الكبير: ٣/٢٨٧/ ٣٤٣٠، مسند أبي يعلى: ٣/١٤٠/١٥٧١، مسند أحمد بن حنبل: ٤/١٣٠/١٧٢٠٩، وصححه الحافظ العراقي في أماليه: ١/٨٩/٩٠، وصححه الألباني في سنن الترمذي: ح (٢٨٦٣).

والطاعة والهجرة والجهاد في سبيل الله؛ فمن فارق الجماعة قيد شبر، فقد خلع ربقة الإسلام من رأسه إلا أن يرجع، ومن دعا بدعوى الجاهلية؛ فإنه من حثاء جهنم. قال رجل: وإن صام وصلى؟ قال: **«وإن صام وصلى، أدعو بدعوى الله الذي سماكم المؤمنين عباد الله»**(١).

قال أبو عمر: كذا قال: **«حثاء جهنم»**، وغيره يرويه: **«جثاء جهنم»** بالجيم، وذلك كله خطأ عند أهل العلم باللغة، وقد أنكره أبو عبيدة وغيره. وقال أبو عبيد: إنما هو من حثاء جهنم، وهو كما قال أبو عبيد.

حدثنا عبدالوارث بن سفيان حدثنا قاسم بن أصبغ حدثنا محمد بن إسماعيل الصائغ حدثنا يحيى بن معين بمكة حدثنا غندر حدثنا شعبة عن حبيب بن الزبير قال: سمعت عبدالله بن أبي الهذيل قال: كان عمرو بن العاصي يتخولنا؛ فقال رجل من بكر بن وائل: لئن لم تنته قريش لنضعن هذا الأمر في جمهور من جماهير العرب غيرهم؛ فقال عمرو بن العاصي كذبت سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«قريش ولاة الناس في الخير والشر إلى يوم القيامة»**(٢) وروي من حديث أبي ذر، وأبي هريرة، وابن عباس بمعنى واحد عن النبي ﷺ أنه قال: **«من خرج من الطاعة، وفارق الجماعة؛ فمات فميتته جاهلية»**(٣) وروى ابن عمر عن النبي ﷺ أنه سمعه يقول: **«من نزع يدًا من طاعة فلا حجة له، ومن مات ولا طاعة عليه كان ميتته ضلالة»**(٤) وروى أبو إدريس الخولاني عن حذيفة قال: قال لي رسول الله ﷺ: **«الزم جماعة المسلمين وإمامهم، قلت: فإن لم يكن جماعة ولا إمام؟ قال: تعتزل تلك الفرق كلها، ولو أن تعض على شجرة حتى يدركك الموت وأنت كذلك»**(٥) وروى النعمان بن بشير عن النبي ﷺ أنه قال: **«الجماعة رحمة،**

(١) سبق تخريجه.
(٢) صحيح: سنن الترمذي: ٤/٥٠٣/٢٢٢٧، مسند أحمد بن حنبل: ٤/٢٠٣/١٧٨٤١، وصححه الألباني في سنن الترمذي: ح (٢٢٢٧).
(٣) صحيح مسلم: ٣/١٤٧٦/١٨٤٨.
(٤) صحيح مسلم: ٣/١٤٧٨/١٨٥١.
(٥) صحيح البخاري: ٣/١٣١٩/٣٤١١، صحيح مسلم: ٣/١٤٧٥/١٨٤٧.

والفرقة عذاب»[١] والآثار المرفوعة عن النبي ﷺ في هذا الباب كثيرة جدًا، وكذلك عن الصحابة أيضًا وروى أبو صادق عن علي بن أبي طالب أنه قال: إن الإسلام ثلاث أثافي[٢] الإيمان والصلاة والجماعة؛ فلا تقبل الصلاة إلا بإيمان، ومن آمن صلى وجامع، ومن فارق الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه. حدثنا عبدالوارث بن سفيان قال: حدثنا قاسم بن أصبغ حدثنا أحمد ابن زهير حدثنا صبيح بن عبدالله الفرغاني قال: حدثنا أبو إسحاق الفزاري عن الأوزاعي قال: كان يقال: خمس كان عليها أصحاب محمد والتابعون لهم بإحسان: لزوم الجماعة، واتباع السنة، وعمارة المساجد، وتلاوة القرآن، والجهاد في سبيل الله.

قال أبو عمر: الآثار المرفوعة في هذا الباب كلها تدل على أن مفارقة الجماعة، وشق عصا المسلمين، والخلاف على السلطان المجتمع عليه يريق الدم، ويبيحه، ويوجب قتال من فعل ذلك؛ فإن قيل: قد قال رسول الله ﷺ: «**أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله؛ فإذا قالوها فقد عصموا دماءهم وأموالهم إلا بحقها، وحسابهم على الله**»[٣] فمن قال لا إله إلا الله حرم دمه؛ قيل لقائل: ذلك لو تدبرت قوله في هذا الحديث: «**إلا بحقها**» لعلمت أنه خلاف ما ظننت، ألا ترى أن أبا بكر الصديق قد رد على عمر ما نزع به من هذا الحديث، وقال: من حقها الزكاة؟! ففهم عمر ذلك من قوله، وانصرف إليه، وأجمع الصحابة عليه؛ فقاتلوا مانعي الزكاة كما قاتلوا أهل الردة، وسماهم بعضهم: أهل ردة على الاتساع؛ لأنهم ارتدوا عن أداء الزكاة، ومعلوم مشهور عنهم أنهم قالوا: ما تركنا ديننا؛ ولكن شححنا على أموالنا، فكما جاز قتالهم عند جميع الصحابة على منعهم الزكاة، وكان ذلك عندهم في معنى قوله عليه السلام إلا بحقها؛

---

(١) مسند أحمد بن حنبل: ١٨٤٧٢/٢٧٨/٤، مسند البزار: ٣٢٨٢/٢٢٦/٨، ضعفه ابن كثير في تفسيره: ٥٢٤/٤.

(٢) الأثافي: هي جمع أثفية، وقد تخفف الياء في الجمع، وهي الحجارة التي تنصب وتجعل القدر عليها. لسان العرب: ٣/٩.

(٣) صحيح البخاري: ٢٧٨٦/١٠٧٧/٣، صحيح مسلم: ٢١/٥٢/١.

فكذلك من شق عصا المسلمين، وخالف إمام جماعتهم، وفرق كلمتهم؛ لأن الفرض الواجب اجتماع كلمة أهل دين الله المسلمين على من خالف دينهم من الكافرين، حتى تكون كلمتهم واحدة، وجماعتهم غير مفترقة، ومن الحقوق المريقة للدماء المبيحة للقتال الفساد في الأرض، وقتل النفس، وانتهاب الأهل والمال والبغي على السلطان والامتناع من حكمه، هذا كله داخل تحت قوله: «إلا بحقها» كما دخل في ذلك الزاني المحصن، وقاتل النفس بغير حق، والمرتد عن دينه، وقد أمر الله ﷻ بقتال الفئة الباغية بقوله: ﴿فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِي تَبۡغِي حَتَّىٰ تَفِيٓءَ إِلَىٰٓ أَمۡرِ ٱللَّهِۚ﴾[الحجرات: ٩] وفي قوله: ﴿فَقَٰتِلُواْ﴾ دليل على أن الباغي إذا انهزم عن القتال أو ضعف عنه بما لحقه من الآفات المانعة للقتال حرم دمه؛ لأنه غير مقاتل، ولم نؤمر بقتاله إلا إذا قاتل؛ لأن الله تعالى قال: ﴿فَقَٰتِلُوٓاْ﴾ ولم يقل: فاقتلوا، والمقاتلة إنما تكون لمن قاتل، والله أعلم لأنها تقوم من اثنين، وعلى هذا كان حكم علي رضي الله عنه فيمن بغى عليه، وتلك كانت سيرته فيهم رضي الله عنه، وعلى ذلك جمهور العلماء، وللكلام في هذه المسألة موضع غير هذا إن شاء الله، وقال نعيم بن حماد: قلت لسفيان ابن عيينة: أرأيت قوله: «من ترك الجماعة فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه» ؟ فقال: من فارق الجماعة خلع طاعة الله والاستسلام لأمره وللرسول ولأولي الأمر، قال: ولا أعلم أحدا عوقب بأشد من عقوبتهم، ثم قال:﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ أَوۡ تُقَطَّعَ أَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم مِّنۡ خِلَٰفٍ أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِۚ ذَٰلِكَ لَهُمۡ خِزۡيٌ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ٣٣﴾ [المائدة: ٣٣] هذا في أهل الإسلام(١).

(١) قال ابن تيمية: «من أصول أهل السنة والجماعة: لزوم الجماعة، وترك قتال الأئمة، وترك القتال في الفتنة، وأما أهل الأهواء كالمعتزلة؛ فيرون القتال للأئمة من أصول دينهم، ويجعل المعتزلة أصول دينهم خمسة التوحيد الذي هو سلب الصفات، والعدل الذي هو التكذيب بالقدر، و المنزلة بين المنزلتين، و إنفاذ الوعيد، و الأمر بالمعروف، والنهى عن المنكر الذي منه قتال الأئمة» مجموع الفتاوى: ١٢٨/٢٨.

الفصل الخامس

القول في الوقت الذي تطلب فيه العزلة

- ❑ اقوال ابن عبدالبر في العزلة وفضائلها.

أقوال ابن عبدالبر في العزلة وفضائلها

عن عطاء بن يسار أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا أخبركم بخير الناس منزلًا؟ رجل آخذ بعنان فرسه يجاهد في سبيل الله ألا أخبركم بخير الناس منزلة بعده؟ رجل معتزل في غنيمة له يقيم الصلاة، ويؤتي الزكاة، ويعبدالله لا يشرك به شيئًا»(١)......

قال ابن عبدالبر(٢): وأما قوله: «خير الناس بعده رجل معتزل في غنيمة له»؛ ففي ذلك حض على الانفراد عن الناس واعتزالهم والفرار عنهم، ولست أدري في هذا الكتاب موضعًا أولى بذكر العزلة وفضلها من هذا الموضع، وقد فضلها رسول الله ﷺ كما ترى، وفضلها جماعة العلماء والحكماء لاسيما في زمن الفتن وفساد الناس، وقد يكون الاعتزال عن الناس مرة في الجبال والشعاب، ومرة في السواحل والرباط، ومرة في البيوت، وقد جاء في غير هذا الحديث: «إذا كانت الفتنة فاخف مكانك، وكف لسانك»، ولم يخص موضعا من موضع، وقد قال عقبة بن عامر لرسول الله ﷺ: «ما النجاة يا رسول الله؟ فقال: يا عقبة أمسك عليك لسانك، وليسعك بيتك وابك على خطيئتك»(٣) وبمثل هذا أوصى ابن مسعود رجلًا قال: «أوصني»، وقد حدثنا محمد بن عبدالملك حدثنا ابن الأعرابي، وحدثنا سعيد بن نصر حدثنا قاسم بن أصبغ قالا: حدثنا إبراهيم ابن عبدالله العبسي أخبرنا وكيع عن الأعمش عن مسلم البطين عن عدسة قال: مر بنا ابن مسعود؛ فأهدي له طائر؛ فقال ابن مسعود: وددت أني حيث صيد هذا الطائر لا يكلمني أحد، ولا أكلمه. وقال رسول الله ﷺ لعبدالله بن عمرو: «إذا رأيت الناس

(١) صحيح ابن حبان: ٦٠٤/٣٦٧/٢، سنن النسائي الكبرى: ٢٣٥٠/٤٤/٢، مصنف ابن أبي شيبة: ١٩٣٣١/٢٠٤/٤، موطأ مالك: ٩٥٩/٤٤٥/٢، مسند أحمد بن حنبل: ٢٩٢٩/٣١٩/١، مسند الطيالسي: ٢٦٦١/٣٤٧/١، مسند عبد بن حميد: ١ /٢٢٣ /٦٦٨، سنن الدارمي: ٢/ ٢٦٥ /٢٣٩٥.

(٢) التمهيد: ١٧/٤٣٩-١٧/ ٤٥٠

(٣) صحيح: سنن الترمذي: ٢٤٠٦/٦٠٥/٤، قال أبو عيسى: «هذا حديث حسن»، مسند أحمد بن حنبل: ١٤٨/٤/ ١٧٣٧٢، والطبراني في المعجم الكبير: ٧٤١/٢٧٠/١٧،ومسند الشاميين: ١/ ٢٥٣/١٥٦، وشعب الإيمان: ٨٠٥/٤٩٢/١، مسند الروياني: ١/ ١٤٦/ ١٥٨، فتح الباري: ٣٠٩/١١، وصححه الألباني في سنن الترمذي: ح (٢٤٠٦) .

مرجت[١] عهودهم، وخفت أماناتهم؛ فالزم بيتك، واملك عليك لسانك، وخذ ما تعرف، ودع ما تنكر»[٢] وقالت عائشة: «كان أول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصادقة، ثم حبب إليه الخلاء؛ فكان يمكث الأيام في غار حراء يتعبد ويتزود لذلك من عند خديجة، فيبقى الأيام ذوات العدد ثم يرجع إلى خديجة فتزوده، فلم يزل كذلك حتى جاءه الوحي»[٣] ذكره معمر وغيره عن الزهري عن عروة عن عائشة.

وكان يقال قديمًا: طوبى لمن خزن لسانه ووسعه بيته وبكى على خطيئته.

حدثنا محمد بن خليفة حدثنا محمد بن الحسين حدثنا علي بن أزهر أبو الحسن الفرغاني بفرغان حدثنا عيسى بن يونس عن ثور بن يزيد عن أبي يحيى سليم بن عامر قال: قال أبو الدرداء: نعم صومعة الرجل بيته، يكف فيه بصره، ونفسه، وفرجه، وإياكم والمجالس في الأسواق فإنها تلغي وتلهي. حدثنا عبدالرحمن بن يحيى حدثنا علي بن محمد حدثنا أحمد بن داود حدثنا سحنون حدثنا ابن وهب أخبرني مسلم بن خالد عن إسماعيل بن أمية أن عمر بن الخطاب قال: إن اليأس غنى، وإن الطمع فقر حاضر، وإن العزلة راحة من خلطاء السوء.

وقد روي عن النبي ﷺ أنه قال: «صوامع المؤمنين بيوتهم»[٤] من مراسيل الحسن وغيره، وأخبرنا محمد بن خليفة حدثنا محمد بن الحسين حدثنا محمد بن مخلد حدثنا محمد بن إسحاق الصاغاني حدثنا سعيد بن أبي مريم أخبرنا ابن لهيعة عن يسار

---

(١) قد مرجت عهودهم وأماناتهم: أي اختلطت. لسان العرب: ٢/٣٦٥.

(٢) المستدرك على الصحيحين: ٤/٣١٥/٧٧٥٨، وقال الحاكم: «حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه»، صحيح ابن حبان: ١٥ /١٢٤/ ٦٧٣٠، سنن النسائي الكبرى: ٦/٥٩/١٠٠٣٣، سنن أبي داود: ٤/١٢٤/٤٣٤٣، سنن ابن ماجه: ٢/١٣٠٧/٣٩٥٧، مصنف ابن أبي شيبة: ٧/٤٤٧/ ٣٧١١٥، مسند أحمد بن حنبل: ٢/٢١٢/٦٩٨٧، وصححه الألباني في سنن أبي داود: (٤٣٤٣) .

(٣) صحيح البخاري: ١/٤/٣، صحيح مسلم: ١/١٣٩/١٦٠.

(٤) ضعيف: مصنف ابن أبي شيبة: ٧/١٩٨/٣٥٣٠٧، وضعفه الذهبي في ميزان الاعتدال: ٦/١٧٤، وضعفه ابن عدي في الكامل في الضعفاء: ٦/٢٧٦، وضعفه ابن حجر في تهذيب التهذيب: ٩/ ١٧٩.

ابن عبدالرحمن قال: قال لي بكير بن الأشج: ما فعل خالك قال: قلت: لزم البيت منذ كذا وكذا؛ فقال:ألا أن رجالا من أهل بدر لزموا بيوتهم بعد قتل عثمان؛ فلم يخرجوا إلا إلى قبورهم، قال: وحدثنا محمد بن مخلد حدثنا عبدالملك بن محمد بن عبدالله الرقاشي حدثنا محمد بن كثير أخبرنا شعبة عن إسماعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم قال: قال طلحة بن عبيد الله: أقل لعيب الرجل لزومه بيته. وعن حذيفة أنه قال: لوددت أني وجدت من يقوم لي في مالي؛ فدخلت بيتي؛ فأغلقت بابي؛ فلم يدخل علي أحد، ولم أخرج إلى أحد حتى ألحق بالله ﷻ. وقال غيره: طوبى لمن كان غنيًا خفيًا، وكان طاوس يجلس في البيت؛ فقيل له: لم تكثر الجلوس في البيت؛ فقال: حيف الأئمة، وفساد الناس.

قال أبو عمر: فر الناس قديمًا من الناس؛ فكيف بالحال اليوم مع ظهور فسادهم، وتعذر السلامة منهم، ورحم الله منصورًا الفقيه[1] حيث يقول (المجتث):

النَّاسُ بحرٌ عَميقٌ وَالبُعدُ عنهُم سَفينَة
وقد نصحتُك فانظُر لنفسِك المستَكينَة

وقال رجل لسفيان الثوري: أوصني؛ فقال: هذا زمان السكوت، ولزوم البيوت، أخذ هذا منصور فقال:

الخير أجمع في السكوت وفي ملازمة البيوت
فإذا استوى لك ذا وذا فاقتنع بأقل قوت

وقال منصور أيضًا (الخفيف):

ليسَ هذا زَمانُ قولِكَ ما الحكـ ـمُ على من يقولُ أَنت حرامُ
وَالحَقي بائِنًا بِأَهلِكِ أَو أَنـ ـتَ عَتيقٌ مُحَرَّرٌ يا غُلامُ
أَو متى تُنكَح المصابَةُ في العِد دَةِ عن شبهة وكيف الكلامُ

(١) منصور بن إسماعيل الفقيه شاعر وفقيه شافعي، ضرير، أصله من رأس العين (بالجزيرة) سافر إلى بغداد في شبابه، ومدح بها الخليفة والمعتز ثم سكن مصر وتوفي بها. له كتب منها: (الواجب)، (المستعمل)، (والهداية) في الفقه، (وزاد المسافر) .

فِي حـرام أَصـابَ بِسِنٌ غـزالٍ فـتـوَلّـى وَلِـلـغَـزالِ بُـغـامُ
إِنَّمـا ذا زَمـانُ كـدحٍ إِلـى المو تِ وقـوتٍ مـبـلّـغٍ وَالـسَّـلامُ

حدثنا محمد بن خليفة حدثنا محمد بن الحسين حدثنا عبدالله بن محمد بن عبدالحميد حدثنا إسماعيل بن أبي الحارث قال: سمعت أحمد بن عبدالله بن يونس يقول: سمعت سفيان الثوري يقول: ما رأيت لأحد خيرا من أن يدخل في جحر، وقال يحيى بن يمان: قال لي سفيان: أنكر من تعرف ولا تتعرف إلى من لا تعرف. وحدثنا محمد بن خليفة حدثنا محمد بن الحسين حدثنا يحيى ابن محمد بن صاعد سمعت الحسين بن الحسن المروزي يقول: سمعت سفيان بن عيينة يقول: رأيت الثوري في النوم؛ فقلت له: أوصني فقال: أقل من معرفة الناس. أقل من معرفة الناس قال ابن عيينة: كأنه ملدوغ من مجالسة الناس، وقال داود الطائي: فر من الناس كما تفر من الأسد، واستوحش منهم كما تستوحش من السباع، ومما يروى للشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ وزمانه لا محالة خير من زماننا هذا (البسيط):

لَيتَ السباع لَنا كانَت مُجاوِرَةً وَلَيتَنا لا نَرى مِمّا نَرى أَحَدا
إِنَّ السـباع لَتَهدا في مَواطِنِها وَالناسُ لَيسَ بِهادٍ شَرُّهُم أَبَدا
فَاهرُب بِنَفسِكَ وَاستَأنِس بِوِحدَتِها تعش سَليمًا إِذا ما كُنتَ مُنفَرِدا

وقال الفضيل بن عياض: أقل من معرفة الناس، وليكن شغلك في نفسك. وقال وهيب بن الورد: خالطت الناس خمسين سنة فما وجدت رجلًا غفر لي ذنبا فيما بيني وبينه، ولا وصلني إذا قطعته، ولا ستر علي عورة، ولا أمنته إذا غضب، فالاشتغال بهؤلاء حمق. وقال مالك بن دينار: قال لي راهب من الرهبان: يا مالك إن استطعت أن تجعل بينك وبين الناس سورًا من حديد؛ فافعل؛ فانظر كل جليس لا تستفيد منه خيرًا في دينك فانبذه عنك.

حدثنا محمد بن خليفة حدثنا محمد بن الحسين حدثنا الفريابي حدثنا محمد بن المثنى حدثنا يحيى بن سعيد وعبدالرحمن بن مهدي ووهب بن جرير عن شعبة عن

حبيب بن عبدالرحمن عن حفص بن عاصم قال: قال عمر بن الخطاب: خذوا بحظكم من العزلة، وكان سعيد بن المسيب يقول: العزلة عبادة. وذكر عبدالله بن حبيق قال: قال لي يوسف بن أسباط: قال لي سفيان الثوري ـ وهو يطوف حول الكعبة ـ: والذي لا إله إلا هو لقد حلت العزلة، وقال بعض الحكماء: الحكمة عشرة أجزاء: تسعة منها في الصمت، والعاشرة عزلة الناس، قال: وعالجت نفسي على الصمت فلم أظفر به؛ فرأيت أن العاشرة خير الأجزاء، وهي عزلة الناس.

قال أبو عمر: وقد جعلت طائفة من العلماء العزلة اعتزال الشر وأهله بقلبك وعملك، وإن كنت بين ظهرانيهم. ذكر ابن المبارك قال: حدثنا وهيب بن الورد قال: جاء رجل إلى وهب بن منبه؛ فقال: إن الناس قد وقعوا فيما فيه وقعوا، وقد حدثت نفسي أن لا أخالطهم؛ فقال: لا تفعل إنه لا بد لك من الناس، ولا بد لهم منك، ولك إليهم حوائج ولهم إليك حوائج، ولكن كن فيهم أصم سميعًا أعمى بصيرًا سكوتًا نطوقًا، وقال ابن المبارك في تفسير العزلة: أن تكون مع القوم فإذا خاضوا في ذكر الله فخض معهم، وإن خاضوا في غير ذلك فاسكت.

قال أبو عمر: يشبه أن يكون من ذهب هذا المذهب من حجته ما حدثناه أحمد بن قاسم بن عيسى حدثنا عبيد الله بن محمد بن حبابة حدثنا البغوي حدثنا علي بن الجعد حدثنا شعبة عن الأعمش عن يحيى بن وثاب حدثني شيخ من أصحاب النبي ﷺ قلت: من هو؟ قال: ابن عمر عن النبي ﷺ قال: **«المؤمن الذي يخالط الناس، ويصبر على أذاهم أفضل من المؤمن الذي لا يخالطهم، ولا يصبر على أذاهم»**[1].

ورويـنا عن الأحنف بن قيس أنه قال: الكلام بالخير أفضل من السكوت، والسكوت

---

(١) صحيح: سنن الترمذي: ٤/٦٦٢/٢٥٠٧، سنن ابن ماجه: ٢/١٣٣٨/٤٠٣٢، سنن البيهقي الكبرى: ١٠/٨٩/١٩٩٦٢، مصنف ابن أبي شيبة: ٥/٢٩٣/٢٦٢٢٠، المعجم الأوسط: ٦/١٠٩/٥٩٥٣، مسند أحمد بن حنبل: ٢/٤٣/٥٠٢٢، مسند الحارث (زوائدالهيثمي): ٢/٧٩٩/٨٠٩، مسند الطيالسي: ١/٢٥٦/١٨٧٦، وحسنه ابن حجر في فتح الباري: ١٠/٥١٢، وصححه الألباني في سنن الترمذي: ح (٢٥٠٧)، وسنن ابن ماجة: ح (٤٠٣٢) .

خير من الكلام باللغو والباطل، والجليس الصالح خير من الوحدة، والوحدة خير من جليس السوء، وهذا باب يتسع بالآثار والحكايات عن العلماء والحكماء، وهو باب مجتمع عليه على حسب ما ذكرنا وبالله توفيقنا.

وأما الآثار المرفوعة في هذا الباب؛ فحدثنا سعيد بن نصر حدثنا قاسم بن أصبغ حدثنا محمد ابن وضاح حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا شبابة، وأخبرنا محمد بن خليفة حدثنا محمد بن الحسين البغدادي حدثنا جعفر بن محمد الفريابي حدثنا قتيبة ابن سعيد حدثنا محمد بن إسماعيل ابن أبي فديك جميعًا عن ابن أبي ذئب عن سعيد ابن خالد عن إسماعيل بن عبدالرحمن بن أبي ذؤيب عن عطاء بن يسار عن ابن عباس أن النبي ﷺ خرج عليهم، وهم جلوس؛ فقال: **«ألا أخبركم بخير الناس منزلًا؟ قلنا: بلى يا رسول الله، فقال: رجل يمسك بعنان فرسه في سبيل الله حتى يقتل أو يموت، ألا أخبركم بالذي يليه؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: رجل معتزل في شعب يقيم الصلاة ويؤتي الزكاة ويعتزل شر الناس»**.

أخبرنا محمد بن خليفة، حدثنا محمد بن الحسين، حدثنا جعفر بن محمد الفريابي، حدثنا قتيبة ابن سعيد، حدثنا ابن لهيعة عن بكير بن عبدالله بن الأشج عن عطاء بن يسار عن ابن عباس أن النبي ﷺ قال: **«ألا أخبركم بخير الناس؟ رجل ممسك بعنان فرسه في سبيل الله، ألا أخبركم بالذي يتلوه؟ رجل معتزل في غنيمة له يؤدي حق الله فيها، ألا أخبركم بشر الناس؟ رجل يُسأل بالله ولا يعطي به»**، قد رواه بعضهم عن عطاء ابن يسار عن أبي هريرة، والصحيح فيه عن ابن عباس إن شاء الله، وروي هذا المعنى أيضًا من حديث الزهري عن عطاء بن يزيد الليثي حدثنا محمد ابن إبراهيم حدثنا محمد بن معاوية حدثنا أحمد بن شعيب أخبرنا كثير بن عبيد حدثنا بقية عن الزبيدي عن الزهري عن عطاء بن يزيد عن أبي سعيد الخدري: **«أن رجلًا أتى رسول الله ﷺ؛ فقال: يا رسول الله، أي الناس أفضل؟ قال مؤمن يجاهد في سبيل الله بنفسه وماله؛ فقال: ثم من يا رسول الله؟ قال: ثم مؤمن في شعب من الشعاب يتقي الله ويدع الناس من**

شره»[(١)] وحدثنا محمد بن خليفة حدثنا محمد بن الحسين حدثنا الفريابي حدثنا عبدالرحمن بن إبراهيم حدثنا الوليد بن مسلم حدثنا الأوزاعي عن الزهري عن عطاء ابن يزيد الليثي عن أبي سعيد الخدري قال: **«قيل: يا رسول الله، أي الأعمال أفضل؟ قال: الجهاد في سبيل الله ﷻ قيل: ثم مه؟ قال: رجل في شعب من الشعاب يتقي ربه ﷻ، ويذر الناس من شره»** حدثنا سعيد بن نصر حدثنا قاسم بن أصبغ حدثنا ابن وضاح حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا وكيع حدثنا أسامة بن زيد عن نعجة بن عبدالله الجهني عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: **«يأتي على الناس زمان يكون خير الناس فيه منزلة من أخذ بعنان فرسه في سبيل الله كلما سمع بهيعة استوى على متنه، ثم يطلب الموت في مظانه، ورجل في شعب من هذه الشعاب يقيم الصلاة، ويؤتي الزكاة، ويدع الناس إلا من خير»**[(٢)] حدثنا محمد بن خليفة حدثنا محمد بن الحسين حدثنا الفريابي حدثنا أبو جعفر النفيلي حدثنا محمد بن سلمة عن محمد ابن إسحاق عن عبدالله بن أبي نجيح عن مجاهد عن أم بشر بنت البراء بن معرور قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول لأصحابه: **«ألا أخبركم بخير الناس رجلًا؟ قالوا: بلى، يا رسول الله، فأشار بيده إلى الشام، وقال: رجل أخذ بعنان فرسه في سبيل الله ينتظر أن يغير أو يغار عليه، ثم قال: ألا أخبركم بخير الناس بعده؟ قالوا: بلى يا رسول الله، فأشار بيده نحو الحجاز، ثم قال: رجل في غنيمة يقيم الصلاة، ويؤتي الزكاة، ويقيم حق الله في ماله قد اعتزل شرور الناس»**[(٣)].

قال أبو عمر: ويدخل في هذا الباب قوله ﷺ: **«يوشك أن يكون خير مال المسلم غنم يتبع بها شعف الجبال، ومواقع القطر يفر بدينه من الفتن»**[(٤)]... وإنما جاءت هذه الأحاديث بذكر الشعاب والجبال واتباع الغنم والله أعلم؛ لأن ذلك هو الأغلب في

(١) صحيح البخاري: ٥/٢٣٨١/٦١٢٩، صحيح مسلم: ٣/١٥٠٣/١٨٨٨.
(٢) صحيح مسلم: ٣/١٥٠٣/١٨٨٩.
(٣) المعجم الكبير: ٢٥/١٠٤/٢٧١
(٤) صحيح البخاري: ١/١٥/١٩.

المواضع التي يعتزل فيها الناس، فكل موضع يبعد عن الناس فهو داخل في هذا المعنى، مثل اسم الاعتكاف في المساجد ولزوم السواحل للرباط والذكر ولزوم البيوت فرارًا عن شرور الناس؛ لأن من نأى عنهم سلموا منه وسلم منهم لما في مجالستهم ومخالطتهم من الخوض في الغيبة واللغو وأنواع اللفظ، وبالله العصمة والتوفيق لا رب غيره[1].

---

(١) قال ابن تيمية: «وأما قوله: هل الأفضل للسالك العزلة أو الخلطة فهذه المسألة وإن كان الناس يتنازعون فيها إما نزاعا كليا وإما حاليا فحقيقة الأمر أن الخلطة تارة تكون واجبة أو مستحبة والشخص الواحد قد يكون مأمورًا بالمخالطة تارة وبالإنفراد تارة، وجماع ذلك: أن المخالطة إن كان فيها تعاون على البر والتقوى فهي مأمور بها وإن كان فيها تعاون على الإثم والعدوان فهي منهي عنها، فالاختلاط بالمسلمين في جنس العبادات كالصلوات الخمس والجمعة والعيدين وصلاة الكسوف والاستسقاء ونحو ذلك هو مما أمر الله به ورسوله وكذلك الاختلاط بهم في الحج وفي غزو الكفار والخوارج المارقين، وإن كان أئمة ذلك فجارا وإن كان في تلك الجماعات فجار وكذلك الاجتماع الذي يزداد العبد به أيمانا إما لانتفاعه به وإما لنفعه له ونحو ذلك ولا بد للعبد من أوقات ينفرد بها بنفسه في دعائه وذكره وصلاته وتفكره ومحاسبة نفسه وإصلاح قلبه وما يختص به من الأمور التي لا يشركه فيها غيره فهذه يحتاج فيها إلى انفراده لنفسه إما في بيته كما قال طاوس: نعم صومعة الرجل بيته يكف فيها بصره ولسانه، وإما في غير بيته فاختيار المخالطة مطلقا خطأ واختيار الانفراد مطلقا خطأ.
وأما مقدار ما يحتاج إليه كل إنسان من هذا وهذا وما هو الأصلح له في كل حال فهذا يحتاج إلى نظر خاص». (الفتاوى الكبرى: ٢/١٦٣).

الفصل السادس

القول في الفرق الإسلامية

❑ أقوال ابن عبدالبر في الخوارج

أقوال ابن عبدالبر في الخوارج

عن أبي سعيد الخدري قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يخرج فيكم قوم تحقرون صلاتكم مع صلاتهم، وصيامكم مع صيامهم، وأعمالكم مع أعمالهم، يقرؤون القرآن ولا يجاوز حناجرهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، تنظر في النصل[١] فلا ترى شيئًا، وتنظر في القدح[٢] فلا ترى شيئًا وتنظر في الريش[٣] فلا ترى شيئًا ويتمارى في الفوق»[٤].

عن يحيى بن سعيد أن محمد بن إبراهيم أخبره عن أبي سلمة بن عبدالرحمن وعطاء بن يسار أنهما سألا أبا سعيد الخدري عن الحرورية؛ فقالا: هل سمعت رسول الله ﷺ يذكرها؟ فقال: لا أدري ما الحرورية، ولكني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يخرج في هذه الأمة، ولم يقل منها قوم تحقرون صلاتكم مع صلاتهم، يقرؤون القرآن لا يجاوز حلوقهم أو قال: حناجرهم يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية؛ فينظر الرامي إلى سهمه ثم إلى نصله ثم إلى رصافه[٥]؛ فيتمارى في الفوقة هل علق بها من الدم شيء»[٦].

قال أبو عمر[٧]: فأما قوله: «يخرج فيكم» فمن هذه اللفظة سميت الخوارج خوارج، ومعنى قوله يخرج فيكم: يريد فيكم أنفسكم، يعني: أصحابه، أي: يخرج عليكم، وكذلك خرجت الخوارج ومرقت المارقة في زمن الصحابة رضي الله عنهم.

---

(١) النصل: كل حديدة من حدائد السهام، والجمع أنصل ونصول ونصال. لسان العرب: ٦٦٢/١١.

(٢) القدح قيل: أول ما يقطع ويقضب يسمى قطعًا، والجمع: القطوع، ثم يبرى؛ فيسمى: بريًا وذلك قبل أن يقوم؛ فإذا قوم وآن له أن يراش وينصل؛ فهو القدح؛ فإذا ريش وركب نصله فيه صار نصلًا. لسان العرب: ٥٥٦/٢.

(٣) الريش (بالفتح): مصدر راش سهمه يريشه ريشًا إذا ركب عليه الريش. لسان العرب: ٣٠٩/٦.

(٤) صحيح البخاري: ٤٧٧١/١٩٢٨/٤.

(٥) الرصفة: واحدة الرصاف، وهي العقبة التي تلوى فوق رعظ السهم إذا انكسر وجمعه رصف. لسان العرب: ١٢٠/٩.

(٦) صحيح البخاري: ٦٥٣٢/٢٥٤٠/٦، صحيح مسلم: ١٠٦٤/٧٤٣/٢.

(٧) التمهيد: ٣٢١/٢٣ـ ٣٤٠/٢٣.

وأول من سماهم حرورية علي ﷺ إذ خرجوا مخالفين للمسلمين ناصبين لراية الخلاف والخروج، وأما تسمية الناس لهم بالمارقة وبالخوارج؛ فمن أصل ذلك هذا الحديث، وهي أسماء مشهورة لهم في الأشعار والأخبار، قال عبدالله بن قيس الرقيات (الطويل):

أَلا طَرَقَت مِن آلِ نَذرَةَ طارِقَه عَلى أَنَّها مَعشوقَةُ الدَلِّ عاشِقَه
تَسُدَّت وَعَينُ السوسِ بَيني وَبَينَها وَرُزداقُ سولافٍ حَمَتهُ الأَزارِقَة
إِذا نَحنُ شِئنا صارَبَتنا كَتيبَةٌ حَرورِيَّةٌ أَمسَت مِنَ الدينِ مارِقَة
والأزارقة من الخوارج أصحاب نافع بن الأزرق وأتباعه

والمعنى في هذا الحديث ومثله مما جاء عن النبي ﷺ في ذلك عند جماعة أهل العلم المراد به عندهم: القوم الذين خرجوا على علي بن أبي طالب يوم النهروان؛ فهم أصل الخوارج، وأول خارجة خرجت إلا أن منهم طائفة كانت ممن قصد المدينة يوم الدار في قتل عثمان رَحِمَهُ اللَّهُ.

قال أبو عمر: كان للخوارج مع خروجهم تأويلات في القرآن، ومذاهب سوء مفارقة لسلف هذه الأمة من الصحابة والتابعين لهم بإحسان الذين أخذوا الكتاب والسنة عنهم، وتفقهوا معهم؛ فخالفوا في تأويلهم ومذاهبهم الصحابة والتابعين، وكفروهم، وأوجبوا على الحائض الصلاة، ودفعوا رجم المحصن الزاني، ومنهم من دفع الظهر والعصر، وكفروا المسلمين بالمعاصي، واستحلوا بالذنوب دماءهم، وكان خروجهم فيما زعموا تغيير للمنكر ورد للباطل، فكان ما جاءوا به أعظم المنكر وأشد الباطل إلى قبيح مذاهبهم مما قد وقفنا على أكثرها، وليس هذا والحمد لله موضع ذكرها؛ فهذا أصل أمر الخوارج، وأول خروجهم كان على علي ﷺ فقتلهم بالنهروان ثم بقيت منهم بقايا من أنسابهم ومن غير أنسابهم على مذاهبهم يتناسلون ويعتقدون مذاهبهم، وهم بحمد الله مع الجماعة مستترون بسوء مذهبهم غير مظهرين لذلك ولا ظاهرين به ـ والحمد لله ـ وكان للقوم صلاة بالليل والنهار وصيام يحتقر الناس أعمالهم عندها،

وكانوا يتلون القرآن آناء الليل والنهار، ولم يكن يتجاوز حناجرهم ولا تراقيهم؛ لأنهم كانوا يتأولونه بغير علم بالسنة المبينة؛ فكانوا قد حرموا فهمه والأجر على تلاوته؛ فهذا ـ والله أعلم ـ معنى قوله: «لا يجاوز حناجرهم» يقول: لا ينتفعون بقراءته كما لا ينتفع الآكل والشارب من المأكول والمشروب بما لا يجاوز حنجرته، وقد قيل: إن معنى ذلك أنهم كانوا يتلونه بألسنتهم، ولا تعتقده قلوبهم،وهذا إنما هو في المنافقين، وروى ابن وهب عن سفيان بن عيينة عن عبيد الله بن أبي يزيد قال: ذكرت الخوارج واجتهادهم عند ابن عباس وأنا عنده؛ فسمعته يقول: ليسوا بأشد اجتهادًا من اليهود والنصارى وهم يضلون. وحدثناه خلف بن قاسم قال: حدثنا عبدالله يعني ابن إسحاق الجوهري قال: حدثنا أحمد بن محمد بن الحجاج قال: حدثنا خالي أبو الربيع قال: حدثنا ابن وهب فذكره قال أحمد: وحدثنا أحمد بن صالح وعبدالرحمن بن يعقوب وسعيد بن ديسم قالوا: حدثنا سفيان بن عيينة عن عبيد الله بن أبي يزيد فذكره.

وكانوا بتكفيرهم الناس لا يقبلون خبر أحد عن النبي[1] فلم يعرفوا لذلك شيئًا من سننه وأحكامه المبينة لمجمل كتاب الله والمخبرة عن مراد الله من خطابه في تنزيله بما أراد الله من عباده في شرائعه التي تعبدهم بها، وكتاب الله عربي وألفاظه محتملة للمعاني، فلا سبيل إلى مراد الله منها إلا ببيان رسوله ألا ترى إلى قول الله ﷻ: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل: ٤٤]،ألا ترى أن الصلاة والزكاة والحج والصيام وسائر الأحكام إنما جاء ذكرها وفرضها في القرآن مجملًا ثم بين النبي أحكامها؛ فمن لم يقبل أخبار العدول عن النبي بذلك ضل وصار في عمياء؛ فلما لم يقبل القوم أخبار الأمة عن نبيها، ولم يكن عندهم بنبيهم عدل ولا مؤمن، وكفروا عليًا وأصحابه فمن دونهم، ضلوا وأضلوا ومرقوا من الدين وخالفوا سبيل المؤمنين، عافانا الله وعصمنا من الضلال كله برحمته وفضله؛ فإنه قادر على ذلك لا شريك له.

---

(١) عرفه الشافعي بقوله: «خبر الواحد عن الواحد حتى قرب به إلى النبي أو من انتهى به إليه دونه» الرسالة: ص ٣٦٩.

ذكر عبدالرزاق عن معمر عن أيوب عن نافع قال: قيل لابن عمر: إن نجدة يقول: إنك كافر وأراد قتل مولاك إذ لم يقل إنك كافر؛ فقال عبدالله: كذب، والله ما كفرت منذ أسلمت، قال نافع: وكان ابن عمر حين خرج نجدة يرى قتاله.

قال عبدالرزاق، وأخبرنا معمر عن ابن طاوس عن أبيه أنه كان يحرض الناس على قتال زريق الحروري؛ فأما قوله: «يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم» فالحناجر جمع حنجرة، وهي آخر الحلق مما يلي الفم، ومنه قول الله ﷻ: ﴿وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ﴾ [الأحزاب: ١٠] وقيل: الحنجرة أعلى الصدر عند طرف الحلقوم، وأما قوله: «يمرقون من الدين» فالمروق الخروج السريع كما يمرق السهم من الرمية، والرمية الطريد من الصيد المرمية، وأتت بهاء التأنيث؛ لأنه ذهب مذهب الأسماء التي لم تجيء على مذهب النعت، وإن كان فعيل نعتًا للمؤنث وهو في تأويل مفعول كان بغير هاء نحو لحية خصيب وكف دهين وشاة رمي؛ لأنها في تأويل مخضوبة ومدهونة ومرمية، وقد تجيء فعيل بالهاء وهي في تأويل فعولة تخرج مخرج الأسماء، ولا يذهب بها مذهب النعوت نحو النطيحة والذبيحة والفريسة وأكيلة السبع وهي فعيلة من الرمي؛ لأن كل فاعل يبنى على فعله فالاسم منه فاعل والمفعول منه مفعول كقولك ضرب فهو ضارب والمفعول مضروب والأنثى مضروبة؛ فإذا بنيت الفعل من بنات الياء قلت: رمى فهو رام، والمفعول مرمي، وكان أصله مرموي حتى يكون على وزن مفعول؛ فاستثقلت العرب ياء قبلها ضمة؛ فقلبت الواو ياء ثم أدغمتها في الياء التي بعدها؛ فصار مرمي، فإذا أنثته قلت: مرمية، وإذا أدخلت عليها الألف واللام قلت: المرمية والرمية، مثل المقتولة والقتيلة، قال الشاعر: والنفس موقوفة والموت غايتها، نصب الرمية للأحداث ترميها، قال أبو عبيد في قوله: «كما يخرج السهم من الرمية» قال: يقول: يخرج السهم ولم يتمسك بشيء كما خرج هؤلاء من الإسلام ولم يتمسكوا بشيء، وقال غيره: «تتمارى في الفوق» أي: تشك، والتماري الشك، وذلك يوجب أن لا يقطع على الخوارج ولا على غيرهم من أهل البدع بالخروج من الإسلام، وأن يشك في أمرهم،

وكل شيء يشك فيه فسبيله التوقف عنه دون القطع عليه، وقال الأخفش: شبهه برمية الرامي الشديد الساعد إذا رمى فأنفذ سهمه في جنب الرمية؛ فخرج السهم من الجانب الآخر من شدة رميه وسرعة خروج سهمه؛ فلم يتعلق بالسهم دم ولا فرث، فكأن الرامي أخذ ذلك السهم فنظر في النصل وهو الحديدة التي في السهم؛ فلم ير شيئًا، يريد من فرث ولا دم ثم نظر في القدح والقدح عود السهم نفسه، فلم ير شيئًا، ونظر في الريش فلم ير شيئًا، وقوله: «تتمارى في الفوق» الفوق هو الشق الذي يدخل في الوتر، أي: تشك إن كان أصاب الدم الفوق، يقول: فكما خرج السهم خاليًا نقيًا من الفرث والدم لم يتعلق منها شيء؛ فكذلك خرج هؤلاء من الدين يعني الخوارج، وفي غير حديث مالك ذكر «الرعظ» وهو مدخل السهم في الزج، و «الرصاف» وهو العقب الذي يشد عليه، و «القذذ» وهو الريش واحدتها قذة.

أخبرنا خلف، حدثنا عبدالله بن عمر، حدثنا أحمد بن محمد بن الحجاج، حدثنا أحمد بن صالح قال: النصل الحديدة، والرصاف العقب، والقذذ الريش، والنضي السهم كله إلى الريش.

قال أبو عمر: قد قال فيهم رسول الله ﷺ: «يخرج قوم من أمتي» إن صحت هذه اللفظة فقد جعلهم من أمته، وقد قال قوم: معناه من أمتي بدعواهم.

ذكر الحميدي عن ابن عيينة عن ابن جدعان عن أبي نضرة عن أبي سعيد الخدري عن النبي قال: **«لا تقوم الساعة حتى تقتتل فئتان عظيمتان، دعواهما واحدة، فبينما هم كذلك إذ مرقت مارقة، كأنما يمرق السهم من الرمية، تقتلها أولى الطائفتين بالحق»**(١).

حدثنا أحمد بن محمد، حدثنا أحمد بن الفضل، حدثنا أبو علي الحسن بن علي الرافقي بإنطاكية سنة ثلاث وعشرين قال: حدثنا أحمد بن محمد بن أبي الخناجر قال: حدثنا مؤمل بن إسماعيل قال: حدثنا مبارك بن فضالة عن علي بن زيد عن أبي

(١) صحيح: مصنف عبدالرزاق: ١٨٦٥٨/١٥١/١٠، مسند الحميدي: ٧٤٩/٣٣٠/٢، المعجم الأوسط: ٧٦٥٩/٣٣٥/٧، مسند أحمد بن حنبل: ١١٩٢٥/٩٥/٣، وله شاهد من صحيح البخاري: ٣٤١٣/١٣٢٠/٣، وصحيح مسلم: ١٥٧/٢٢١٤/٤عن أبي هريرة.

نضرة عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: **«تلتقي من أمتي فئتان عظيمتان دعواهما واحدة، فبينا هم كذلك إذ مرقت بينهما مارقة، تقتلهم أولى الطائفتين بالحق»**.

حدثنا أحمد بن قاسم حدثنا محمد بن معاوية، حدثنا أبو يعلى محمد بن زهير الأيلي القاضي بالأيلة، حدثنا يعقوب بن إسحاق بن زياد القلوسي، حدثنا بشير بن عباد الساعدي، حدثنا القاسم ابن الفضل، حدثنا أبو نضرة عن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ: **«تمرق مارقة عند فرقة من الناس تقتلها أولى الطائفتين بالحق»**(١).

حدثنا عبدالوارث بن سفيان قراءة مني عليه أن قاسم بن أصبغ حدثهم قال: حدثنا بكر بن حماد قال: حدثنا مسدد قال: حدثنا عبدالواحد قال: حدثنا مجالد قال: حدثنا أبو الوداك قال: سمعت أبا سعيد الخدري يقول: قال رسول الله ﷺ: **«يخرج قوم من أمتي بعد فرقة من الناس أو عند اختلاف من الناس، قوم يقرؤون القرآن كأحسن ما يقرأه الناس ويرعونه كأحسن ما يرعاه الناس، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، يرمي الرجل الصيد فينفذ الفرث والدم، فيأخذ السهم فيتمارى أصابه شيء أم لا، هم شرار الخلق والخليقة، يقتلهم أولى الطائفتين بالله أو أقرب الطائفتين إلى الله»**.

حدثنا سعيد بن نصر قال: حدثنا قاسم بن أصبغ قال: حدثنا محمد بن وضاح قال: حدثنا أبو بكر ابن أبي شيبة قال: حدثنا علي بن مسهر عن الشيباني، يعني أبا إسحاق عن بشير بن عمرو قال: سألت سهل بن حنيف هل سمعت رسول الله يذكر هؤلاء الخوارج؟ قال: **«سمعته وأشار بيده نحو المشرق، يقول: يخرج منه قوم يقرؤون القرآن بألسنتهم لا يعدو تراقيهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية»**(٢).

وروى ابن وهب عن يونس بن يزيد عن ابن شهاب عن أبي سلمة بن عبدالرحمن عن أبي سعيد الخدري قال: **«بينا نحن عند رسول الله، وهو يقسم قسمًا أتاه ذو الخويصرة، وهو رجل من بني تميم؛ فقال: يا رسول الله، اعدل؛ فقال رسول الله ﷺ:**

(١) صحيح مسلم: ١٠٦٤/٧٤٦/٢.
(٢) صحيح مسلم: ١٠٦٨/٧٥٠/٢.

ويلك، ومن يعدل إذا لم أعدل، لقد خبت وخسرت إذا لم أعدل، فقال عمر: يا رسول الله، ائذن لي فيه فأضرب عنقه؛ فقال: دعه فإن له أصحابًا يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم، يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية، ينظر إلى نصله فلا يوجد فيه شيء، ثم ينظر إلى رصافه فلا يوجد فيه شيء، ثم ينظر إلى نضيه فلا يوجد فيه شيء، وهو القدح، ثم ينظر إلى قذذه فلا يوجد فيه شيء، سبق الفرث والدم آيتهم رجل أسود إحدى عضديه مثل ثدي المرأة أو مثل البضعة تدردر، يخرجون على حين فرقة من الناس، قال أبو سعيد: فأشهد أني سمعت هذا من رسول الله، وأشهد أن علي بن أبي طالب قاتلهم وأنا معه؛ فأمر بذلك الرجل فالتمس فوجد، فأتي به حتى نظرت إليه على نعت رسول الله الذي نعت»(1).

وحدثنا سعيد بن نصر قال: حدثنا قاسم قال: حدثنا ابن وضاح قال: حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة قال: حدثنا يحيى بن آدم عن سعيد بن عبدالعزيز قال: حدثنا إسحاق بن راشد عن الزهري عن أبي سلمة عن عبدالرحمن والضحاك بن قيس عن أبي سعيد الخدري قال: **«بينا رسول الله ﷺ يقسم مغنمًا يوم حنين، أتاه رجل من بني تميم يقال له: ذو الخويصرة؛ فقال: يا رسول الله، اعدل قال: لقد خبت وخسرت إن لم أعدل؛ فقال عمر: يا رسول الله، دعني أقتله، قال: لا، إن لهذا أصحابًا يخرجون عند اختلاف من الناس، يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم أو حناجرهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، آيتهم رجل منهم كأن يده ثدي المرأة أو كأنها بضعة تدردر؛ فقال أبو سعيد: سمعت أذني من رسول الله يوم حنين وبصرت عيني مع علي بن أبي طالب حين قتلهم؛ فنظرت إليه. وذكر الضحاك في هذا الحديث طائفة عن يونس وعن الأوزاعي عن الزهري، وطائفة تقول فيه الضحاك المشرقي، وطائفة تقول الضحاك بن مزاحم ولم يذكره معمر»**.

وروى ابن وهب عن عمرو بن الحارث عن بكير بن عبدالله بن الأشج عن بسر بن سعيد عن عبيد الله بن أبي رافع مولى رسول الله ﷺ أن الحرورية لما خرجت وهو مع

(١) صحيح البخاري: ٣/١٣٢١/ ٣٤١٤، صحيح مسلم: ٢/٧٤٤/١٠٦٤.

علي بن أبي طالب؛ فقالوا: لا حكم إلا لله؛ فقال علي: كلمة حق أريد بها باطل، إن رسول الله وصف أناسا إني لأعرف صفتهم في هؤلاء، يقولون الحق بألسنتهم لا يجاوز هذا منهم، وأشار إلى حلقه، من أبغض خلق الله إليه، منهم أوسد إحدى يديه كطبي شاة وحلمة ثدي، فلما قتلهم علي بن أبي طالب قال: انظروا، انظروا، فلم يجدوا شيئًا؛ فقال: ارجعوا فوالله ما كذبت ولا كذبت مرتين أو ثلاثًا، ثم وجدوه في خربة؛ فأتوا به حتى وضعوه بين يديه؛ فقال عبيد الله: أنا حاضر ذلك من أمرهم، وقول علي فيهم، قال بكير بن الأشج: وحدثني رجل عن إبراهيم بن حنين أنه قال: رأيت ذلك الأسود.

قال أبو عمر: قوله: «يخرج» وقوله: «إن لهذا أصحابا يخرجون عند اختلاف من الناس» يدل على أنهم لم يكونوا خرجوا بعد، وأنهم يخرجون فيهم، وقد استدل بنحو هذا الاستدلال من زعم أن ذا الخويصرة ليس ذا الثدية ـ والله أعلم ـ.

ويحتمل قوله: «إن لهذا أصحابًا» يريد على مذهبه، وإن لم يكونوا ممن صحبه كما يقال لأتباع الشافعي وأتباع مالك وأتباع أبي حنيفة وغيرهم من الفقهاء، فيمن تبعهم على مذاهبهم هؤلاء أصحاب فلان، وهذا من أصحاب فلان ـ والله أعلم ـ.

ويقال: إن ذا الخويصرة اسمه حرقوص، وروى عن محمد بن كعب القرظي أنه قال: حرقوص ابن زهير هو ذو الثدية، وهو الذي قال للنبي: ما عدلت، وذكر المدائني عن نعيم بن حكيم عن أبي مريم قصة ذي الثدية بتمامها وطولها، وقال: يقال له: نافع ذو الثدية.

وذكر عبدالرزاق عن معمر عن الزهري عن أبي سلمة عن أبي سعيد الخدري: قال بينا رسول الله ﷺ يقسم قسمًا إذ جاء ابن أبي الخويصرة؛ فقال: اعدل يا محمد، قال: ويلك، إذا لم أعدل فمن يعدل، قال رسول الله ﷺ: إن له أصحابًا يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، فيهم رجل إحدى يديه أو على يديه مثل ثدي المرأة أو مثل البضعة تدردر، يخرجون على حين فترة من الناس، قال: فنزلت فيهم: ﴿وَمِنْهُم مَّن

بَلْمِزُكَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ فَإِنْ أُعْطُواْ مِنْهَا رَضُواْ وَإِن لَّمْ يُعْطَوْاْ مِنْهَآ إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ﴿٥٨﴾ [التوبة: آية (٥٨)] قال أبو سعيد: أشهد أني سمعت هذا الحديث من رسول الله ﷺ وأشهد أن عليًا قتلهم، وأنا حين قتلهم معه حتى أتى الرجل على النعت الذي قال رسول الله ﷺ.

أخبرنا عبدالوارث بن سفيان، وسعيد بن نصر قالا: حدثنا قاسم بن أصبغ قال: حدثنا إسماعيل ابن إسحاق قال: حدثنا محمد بن كثير قال: حدثنا سفيان، وحدثنا عبدالوارث قال: حدثنا قاسم قال: حدثنا أحمد بن زهير، حدثنا علي بن الجعد، حدثنا زهير جميعا عن الأعمش عن خيثمة عن سويد بن غفلة عن علي بن أبي طالب قال: سمعت رسول الله يقول: **«يكون قوم في آخر الزمان سفهاء الأحلام، يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، فإنما لقيتهم فاقتلهم فإن قتلهم أجر لمن قتلهم»**(١).

وروى يحيى بن آدم عن إسرائيل عن محمد بن معن عن الحارث بن مالك قال: شهدت مع علي النهروان؛ فلما فرغ منهم قال: اطلبوه، اطلبوه، فطلبوه فلم يقدروا على شيء؛ فأخذه الكرب، فرأيت جبينه يتحدر منه العرق، ثم وجده فخر ساجدًا، وقال: والله ما كذبت، ولا كذبت.

وروينا عن خليفة الطائي قال: لما رجعنا من النهروان، لقينا العزار الطائي قبل أن ينتهي إلى المدائن؛ فقال لعدي بن حاتم: يا أبا طريف، أغانم سالم أم ظالم آثم؟ قال: بل غانم سالم إن شاء الله، قال: فالحكم والأمر إذًا إليك؛ فقال الأسود بن يزيد والأسود بن قيس المراديان: ما أخرج هذا الكلام منك إلا شر، وأنا لنعرفك برأي القوم؟ فأتيا به عليًا؛ فقالا: إن هذا يرى رأي الخوارج، وقد قال كذا وكذا، قال: فما أصنع به؟ قال: تقتله، قال: لا أقتل من لا يخرج علي، قال: فتحبسه، قال: ولا أحبس من ليست له جناية، خليا سبيل الرجل.

(١) صحيح البخاري: ١٣٢١/٣/ ٣٤١٥، صحيح مسلم: ٧٤٦/٢/ ١٠٦٦.

حدثنا خلف بن قاسم، حدثنا عبدالله يعني: ابن إسحاق، حدثنا أحمد بن محمد ابن الحجاج، حدثنا يحيى بن عبدالله بن بكير قال: حدثني ابن لهيعة قال: حدثني بكير بن عبدالله بن الأشج أنه سأل نافعًا كيف كان رأى ابن عمر في الخوارج؟ فقال: كان يقول: هم شرار الخلق، انطلقوا إلى آيات أنزلت في الكفار فجعلوها على المؤمنين.

وحدثنا خلف بن قاسم، حدثنا عبدالله بن إسحاق، حدثنا أحمد بن محمد بن الحجاج قال: حدثني خالي أبو الربيع، وأحمد بن عمرو، وأحمد بن صالح قالوا: حدثنا ابن وهب قال: أخبرني عمرو بن الحرث أن بكير بن الأشج حدثه: أنه سأل نافعًا كيف كان رأي ابن عمر في الحرورية؟ قال: يراهم شرار خلق الله، قال: إنهم انطلقوا إلى آيات في الكفار؛ فجعلوها على المؤمنين.

وروى حكيم بن جابر، وطارق بن شهاب، والحسن وغيرهم عن علي بمعنى واحد أنه سئل عن أهل النهروان أكفار هم؟ قال: من الكفر فروا، قيل: فمنافقون هم؟ قال: إن المنافقين لا يذكرون الله إلا قليلًا، قيل فما هم؟ قال: قوم أصابتهم فتنة فعموا فيها وصموا، وبغوا علينا وحاربونا، وقاتلونا فقتلناهم، وروى عنه أن هذا القول كان منه في أصحاب الجمل ـ والله أعلم ـ وأخبار الخوارج بالنهروان، وقتلهم للرجال والولدان، وتكفيرهم الناس، واستحلالهم الدماء والأموال مشهور معروف، ولأبي زيد عمر ابن شبة في أخبار النهروان وأخبار صفين ديوان كبير من تأمله اشتفى من تلك الأخبار، ولغيره في ذلك كتب حسان والله المستعان.

وروى إسرائيل عن مسلم بن عبيد عن أبي الطفيل عن علي في قول الله ﷻ: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ۝١٠٣﴾ [الكهف: ١٠٣] قال: هم أهل النهر.

وروي الثوري عن قيس بن مسلم عن طارق بن شهاب أن عتريس بن عرقوب أتى عبدالله ابن مسعود؛ فقال: يا أبا عبدالرحمن، هلك من لم يأمر بالمعروف ولم ينه عن المنكر؛ فقال عبدالله بن مسعود: هلك من لم ينكر المنكر بقلبه، ولم يعرف المعروف بقلبه.

أخبرنا أحمد بن محمد، حدثنا محمد بن عيسى، حدثنا بكر بن سهل، حدثنا نعيم ابن حماد، حدثنا وكيع عن مسعر عن عامر بن شقيق عن أبي وائل عن علي قال: لم نقاتل أهل النهر على الشرك.

حدثنا نعيم حدثنا وكيع عن ابن أبي خالد عن حكيم بن جابر عن علي مثله.

حدثنا نعيم، حدثنا عثمان بن سعيد بن كثير، حدثنا هشام بن يحيى الغسابي عن أبيه أن عمر ابن عبدالعزيز كتب إليه في الخوارج: إن كان من رأى القوم أن يسيحوا في الأرض من غير فساد على الأئمة، ولا على أحد من أهل الذمة، ولا يتناولون أحدًا، ولا قطع سبيل من سبل المسلمين؛ فليذهبوا حيث شاءوا، وإن كان رأيهم القتال، فواللَّه لو أن أبكاري من ولدي خرجوا رغبة عن جماعة المسلمين لأرقت دماءهم التمس بذلك وجه اللَّه والدار الآخرة.

وذكر ابن وهب عن يونس عن ابن شهاب قال: صاحبت الفتنة الأولى، فأدركت رجالًا ذوي عدد من أصحاب رسول اللَّه ﷺ ممن شهد بدرًا؛ فبلغنا أنهم كانوا يرون أن يُهدر أمر الفتنة، فلا يقام فيها على رجل قصاص في قتل ولا دم، ولا يرون على امرأة سبيت فأصيبت حدًا، ولا يرون بينها وبين زوجها ملاعنة، ومن رماها جلد الحد، وترد إلى زوجها بعد أن تعتد من الآخر، قال ابن شهاب: وقالو:ا لا يضمن مال ذهب إلا أن يوجد شيء بعينه فيرد إلى أهله.

وقال ابن القاسم: بلغني أن مالكًا قال: الدماء موضوعة عنهم، وأما الأموال فإن وجد شيء بعينه أخذ وإلا لم يتبعوا بشيء، قال ذلك في الخوارج.

قال ابن القاسم: وفرق بين المحاربين وبين الخوارج؛ لأن الخوارج خرجوا واستهلكوا ذلك على تأويل يرون أنه صواب والمحاربون خرجوا فسقًا مجونًا وخلاعةً على غير تأويل؛ فيوضع عن المحارب إذا تاب قبل أن يقدر عليه حد الحرابة، ولا توضع عنه حقوق الناس يعني في دم ولا مال.

قال أبو عمر: قال إسماعيل بن إسحاق: رأى مالك قتل الخوارج وأهل القدر من أجل

الفساد الداخل في الدين، وهو من باب الفساد في الأرض وليس إفسادهم بدون فساد قطاع الطريق والمحاربين للمسلمين على أموالهم؛ فوجب بذلك قتلهم إلا أنه يرى استتابتهم لعلهم يراجعون الحق، فإن تمادوا قتلوا على إفسادهم لا على كفر.

قال أبو عمر: هذا قول عامة الفقهاء الذين يرون قتلهم واستتابتهم، ومنهم من يقول لا يتعرض لهم باستتابة ولا غيرها ما استتروا ولم يبغوا ويحاربوا، وهذا مذهب الشافعي وأبي حنيفة وأصحابهما وجمهور أهل الفقه وكثير من أهل الحديث. قال الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ في كتاب قتال أهل البغي: لو أن قومًا أظهروا رأي الخوارج، وتجنبوا جماعة المسلمين، وكفروهم لم تحل بذلك دماؤهم ولا قتالهم؛ لأنهم على حرمة الإيمان، حتى يصيروا إلى الحال التي يجوز فيها قتالهم، من خروجهم إلى قتال المسلمين، وإشهارهم السلاح، وامتناعهم من نفوذ الحق عليهم وقال: بلغنا أن علي بن أبي طالب بينما هو يخطب إذا سمع تحكيمًا من ناحية المسجد؛ فقال: ما هذا؟ فقيل: رجل يقول لا حكم إلا لله؛ فقال علي رَحِمَهُ اللَّهُ كلمة حق أريد بها باطل لا نمنعكم مساجد الله أن يذكروا فيها اسم الله، ولا نمنعكم الفيء ما كانت أيديكم من أيدينا، ولا نبدؤكم بقتال، قال: وكتب عدي إلى عمر بن عبدالعزيز أن الخوارج عندنا يسبونك؛ فكتب إليه عمر إن سبوني فسبوهم أو اعفوا عنهم، وإن شهروا السلاح فأشهروا عليهم، وإن ضربوا فاضربوا.

قال الشافعي: وبهذا كله نقول، فإن قاتلونا على ما وصفنا قاتلناهم، فإن انهزموا لم نتبعهم ولم نجهز على جريحهم.

قال أبو عمر: قول مالك في ذلك ومذهبه عند أصحابه في أن لا يتبع مدبر من الفئة الباغية، ولا يجهز على جريح كمذهب الشافعي سواء، وكذلك الحكم في قتال أهل القبلة عند جمهور الفقهاء، وقال أبو حنيفة: إن انهزم الخارجي أو الباغي إلى فئة اتبع، وإن انهزم إلى غير فئة لم يتبع.

قال أبو عمر: أجمع العلماء على أن من شق العصا، وفارق الجماعة، وشهر على

المسلمين السلاح، وأخاف السبيل، وأفسد بالقتل والسلب؛ فقتلهم وإراقة دمائهم واجب؛ لأن هذا من الفساد العظيم في الأرض، والفساد في الأرض موجب لإراقة الدماء بإجماع إلا أن يتوب فاعل ذلك من قبل أن يقدر عليه، والانهزام عندهم ضرب من التوبة، وكذلك من عجز عن القتال لم يقتل إلا بما وجب عليه قبل ذلك.

ومن أهل الحديث طائفة تراهم كفارًا على ظواهر الأحاديث فيهم مثل قوله **«من حمل علينا السلاح فليس منا»** ومثل قوله **«يمرقون من الدين»** وهي آثار يعارضها غيرها فيمن لا يشرك بالله شيئا، ويريد بعمله وجهه وإن أخطأ في حكمه واجتهاده، والنظر يشهد أن الكفر لا يكون إلا بضد الحال التي يكون بها الإيمان؛ لأنهما ضدان(١).

(١) قال ابن تيمية: «الخوارج لما كانوا أهل سيف وقتال ظهرت مخالفتهم للجماعة حين كانوا يقاتلون الناس...قال الامام أحمد ابن حنبل: صح الحديث في الخوارج من عشرة أوجه وهذه قد رواها صاحبه مسلم بن الحجاج في صحيحه وروى البخاري قطعة منها واتفقت الصحابة على قتال الخوارج حتى إن ابن عمر مع امتناعه عن الدخول في فرقة كسعد وغيره من السابقين ولهذا لم يبايعوا لأحد إلا في الجماعة قال عند الموت: ما آسى على شيء إلا على أني لم أقاتل الطائفة الباغية مع علي، يريد بذلك قتال الخوارج، والا فهو لم يبايع لا لعلي ولا غيره، ولم يبايع معاوية الا بعد أن اجتمع الناس عليه؛ فكيف يقاتل احدى الطائفتين؟ وإنما أراد المارقة التي قال فيها النبي ﷺ: «تمرق مارقة على حين فرقة من الناس يقتلهم أدنى الطائفتين إلى الحق» وهذا حدث به أبو سعيد فلما بلغ ابن عمر قول النبي ﷺ: في الخوارج وأمره بقتالهم، تحسر على ترك قتالهم فكان قتالهم ثابتًا بالسنة الصحيحة الصريحة وباتفاق الصحابة بخلاف فتنة الجمل وصفين؛ فإن أكثر السابقين الأولين كرهوا القتال في هذا وهذا وكثير من الصحابة قاتلوا إما من هذا الجانب وإما من هذا الجانب؛ فكانت الصحابة في ذلك على ثلاثة اقوال، لكن الذي دلت عليه السنة الصحيحة أن علي بن أبي طالب كان أولى بالحق وأن ترك القتال بالكلية كان خيرًا وأولى؛ ففي الصحيحين عن أبي سعيد أن النبي ﷺ قال: «تمرق مارقة على حين فرقة من الاسلام يقتلهم أولى الطائفتين بالحق» وقد ثبت عنه أنه جعل القاعد فيها خيرًا من القائم والقائم خيرا من الماشي والماشي خيرًا من الساعي، وانه أثنى على من صالح ولم يثن على من قاتل ففي البخاري وغيره عن أبي بكرة ان النبي ﷺ قال عن الحسن: «إن ابني هذا سيد، وسيصلح الله به بين فئتين من المسلمين» فاثنى على الحسن في اصلاح الله به بين الفئتين وفي صحيح مسلم وبعض نسخ البخاري أن النبي ﷺ قال لعمار: «تقتلك الفئة الباغية» وفي الصحيحين أيضًا أنه قال: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم حتى تقوم الساعة، قال معاذ: وهم بالشام» وفي صحيح مسلم عنه أنه قال: «لا يزال أهل المغرب ظاهرين لا يضرهم من خذلهم» قال أحمد بن حنبل وغيره: أهل المغرب أهل الشام أي أنها: أول المغرب فان التغريب والتشريق أمر نسبي؛... والمقصود هنا أن الخوارج ظهروا في الفتنة =

= وكفروا عثمان وعليا ومن والاهما وباينوا المسلمين في الدار وسموا دارهم دار الهجرة وكانوا كما وصفهم النبي ﷺ: يقتلون أهل الاسلام ويدعون أهل الاوثان وكانوا أعظم الناس صلاة وصياما وقراءة كما قال النبي صلى الله عليه و سلم يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم وقراءته مع قراءتهم يقرأون القرآن لا يجاوز حناجرهم يمرقون من الاسلام كما يمرق السهم من الرمية ومروقهم منه خروجهم باستحلالهم دماء المسلمين وأموالهم فانه قد ثبت عنه في الصحيح أنه قال المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه وهم بسطوا في المسلمين أيديهم وألسنتهم فخرجوا منه ولم يحكم علي وأئمة الصحابة فيهم بحكمهم في المرتدين بل جعلوهم مسلمين، وسعد بن أبي وقاص وهو أفضل من كان قد بقي بعد علي وهو من أهل الشورى واعتزل في الفتنة فلم يقاتل لا مع علي ولا مع معاوية ولكنه ممن تكلم في الخوارج وتأول فيهم قوله: ﴿ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٢٧﴾﴾ وحدث أيضا طوائف الشيعة الالهية الغلاة فرفع الى علي منهم طائفة ادعوا فيه الالهية فأمرهم بالرجوع فأصروا فأمهلهم ثلاثًا، ثم أمر بأخاديد من نار فخددت وألقاهم فيها فرأى قتلهم بالنار، وأما ابن عباس فقال: لو كنت أنا لم أحرقهم بالنار لنهي رسول الله ﷺ أن يعذب بعذاب الله ولضربت أعناقهم لقوله ﷺ: «من بدل دينه فاقتلوه» رواه البخاري وأكثر الفقهاء على قول ابن عباس وروي أنه بلغه أن ابن السوداء يسب أبا بكر وعمر فطلب قتله فهرب منه فأما قتله على السب أو لأنه كان متهمًا بالزندقة وقيل إنه هو الذي ابتدع بدعة الرافضة وأنه كان قصده افساد دين الاسلام وهذا يستحق القتل باتفاق المسلمين والذين يسبون أبا بكر وعمر فيهم تزندق كالاسماعيلية والنصيرية فهؤلاء يستحقون القتل بالاتفاق وفيهم من يعتقد بنبوة النبي صلى الله عليه و سلم كالامامية فهؤلاء في قتلهم نزاع وتفصيل مذكور في غير هذا الموضع وتواتر عن علي بن أبي طالب أنه قال خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر وهذا متفق عليه بين قدماء الشيعة وكلهم كانوا يفضلوا أبا بكر وعمر وانما كان النزاع في علي وعثمان حين صار لهذا شيعة». النبوات: ص١٣٩.

منهج ابن عبدالبر القرطبي في العقيدة

من خلال جمعنا لأقوال ابن عبدالبر يتبين لنا ما يأتي:

أولًا: كانت عقيدة ابن عبدالبر على مذهب السلف قولًا واحدًا، ويظهر ذلك مما يأتي:

(١) إثباته صفة العلو للَّه ﷻ، وهذا خلاف ما قالت به المعتزلة والجهمية من أن اللَّه في كل مكان، فقال عند تعرضه لحديث النزول[١]: «**وفيه دليل على أن اللَّه ﷻ في السماء على العرش من فوق سبع سماوات كما قالت الجماعة، وهو من حجتهم على المعتزلة، والجهمية في قولهم: إن اللَّه في كل مكان وليس على العرش**»[٢].

(٢) في حمله صفات المولى ﷻ الواردة في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة على ظاهرها من غير تأويل ولا تحريف ولا تمثيل، فقال معلقًا على مقولة نعيم بن حماد[٣]: «ينزل بذاته وهو على كرسيه» قال أبو عمر: «**ليس هذا بشيء عند أهل الفهم من أهل السنة؛ لأن هذا كيفية وهم يفزعون منها لأنها لا تصلح إلا فيما يحاط به عيانًا، وقد جل اللَّه وتعالى عن ذلك، وما غاب عن العيون فلا يصفه ذوو العقول إلا بخبر ولا خبر في صفات اللَّه إلا ما وصف نفسه به في كتابه أو على لسان رسوله ﷺ فلا نتعدى ذلك إلى تشبيه أو قياس أو تمثيل أو تنظير؛ فإنه ليس كمثله شيء وهو السميع البصير.**

أهل السنة مجموعون على الإقرار بالصفات الواردة كلها في القرآن والسنة والإيمان بها وحملها على الحقيقة لا على المجاز، إلا أنهم لا يكيفون شيئًا من ذلك ولا يحدون

---

(١) وهو قول رسول الله ﷺ: «ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة...» . متفق عليه.

(٢) التمهيد: ١٢٩/٧

(٣) نعيم بن حماد بن معاوية الخزاعي المروزي أبو عبدالله نزيل مصر روى ابن عيينة وابن المبارك وخلق وعنه ابن معين والبخاري وأبو حاتم وأبو زرعة وآخرون وكان أول من جمع المسند حبس بسامر بسبب محنة القرآن حتى مات سنة ثمان وعشرين ومائتين وأوصى أن يدفن في قيوده. طبقات الحفاظ: ١٨٤/١

فيه صفة محصورة، وأما أهل البدع والجهمية والمعتزلة كلها والخوارج فكلهم ينكرها ولا يحمل شيئًا منها على الحقيقة، ويزعمون أن من أقر بها مشبه، وهم عند من أثبتها نافون للمعبود والحق فيما قاله القائلون بما نطق به كتاب الله وسنة رسوله وهم أئمة الجماعة والحمد لله»[1].

(٣) أثبت رؤية الله ﷻ في الآخرة برؤية العين؛ فقال: «وفي قول الله ﷻ: ﴿فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى﴾ [الأعراف: ١٤٣] دلالة واضحة لمن أراد الله هداه أنه يُرى إذا شاء، ولم يشأ ذلك في الدنيا بقوله ﷻ: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣] وقد شاء ذلك في الجنة بقوله: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة: الآيتان (٢٢ - ٢٣]... وإذا امتنع أن يرى في الدنيا بما ذكرنا لم يكن لقوله: ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة: ٢٣] وجه إلا النظر إليه في القيامة على ما جاء في الآثار الصحاح عن النبي ﷺ وأصحابه وأهل اللسان، وجعل الله الرؤية لأوليائه يوم القيامة، ومنعها من أعدائه»[2].

(٤) ذهب إلى أن القرآن الكريم كلام الله، وصفة من صفاته ليس بمخلوق[3].

(٥) ابن عبدالبر يقدم النقل على العقل وهذه سمة أهل السنة؛ فمن ذلك حين أخذ يتحدث عن الجن وأكلهم وشربهم؛ فتراه يقول: **«وهذا أشياء لا تدرك بعقل ولا تقاس على أصل وإنما فيه التسليم لمن أتاه الله من العلم ما لم يؤتنا وهو نبينا ﷺ»**[4].

(٦) أثبت وجود السحر والسحرة؛ فقال عند شرحه لحديث عائشة ﵂: **«أنها أعتقت جارية لها على دبر..»**[5]: **«وفيه أن السحر حق وأنه يؤثر في الأجسام»**[6].

(٧) يوافق أهل السنة في حمل الكلام على حقيقته حتى يأتي ما يدل على أنه أريد

---

(١) التمهيد لابن عبدالبر: ١٤٥/٧

(٢) التمهيد: ١٥٣/٧.

(٣) التمهيد: ٢٣١/١٩.

(٤) التمهيد: ١١٦/١١

(٥) سبق تخريجه.

(٦) الاستذكار: ١٦٠/٨.

به المجاز؛ فقال: «ومن حق الكلام أن يحمل على حقيقته، حتى تتفق الأمة أنه أريد به المجاز إذ لا سبيل إلى اتباع ما أُنزل إلينا من ربنا إلا على ذلك، وإنما يوجه كلام الله ﷻ إلى الأشهر والأظهر من وجوهه ما لم يمنع من ذلك ما يجب له التسليم، ولو ساغ ادعاء المجاز لكل مدع ما ثبت شيء من العبارات، وجل الله ﷻ عن أن يُخاطبَ إلا بما تفهمه العربُ في معهود مخاطباتها مما يصح معناه عند السامعين»(١).

(٨) حين يتحدث عن القضاء والقدر ترى في كلماته خيرًا كثيرًا، ووسطية ما عرفت إلا لأهل السنة من السلف؛ فيقول: «وجملة القول في القدر أنه سر الله لا يدرك بجدال ولا نظر ولا تشفي منه خصومة ولا احتجاج، وحسب المؤمن من القدر أن يعلم أن الله لا يقوم شيء دون إرادته، ولا يكون شيء إلا بمشيئته، له الخلق والأمر كله لا شريك له، نظام ذلك: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ﴾ [الإنسان: ٣٠] وقوله: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَٰهُ بِقَدَرٖ ﴿٤٩﴾﴾ [القمر: ٤٩] وحسب المؤمن من القدر أن يعلم أن الله لا يظلم مثقال ذرة، ولا يكلف نفسًا إلا وسعها، وهو الرحمن الرحيم، فمن رد على الله تعالى خبره في الوجهين أو في أحدهما، كان عنادًا وكفرًا، وقد تظاهرت الآثار في التسليم للقدر، والنهي عن الجدل فيه، والاستسلام له، والإقرار بخيره وشره والعلم بعدل قدره وحكمته، وفي نقض عزائم الإنسان برهان فيما قلنا وتبيان»(٢).

(٩) وترى موافقته لأهل السنة في القول في الإيمان؛ فيقول: «أجمع أهل الفقه والحديث على أن الإيمان قول وعمل، ولا عمل إلا بنية، والإيمان عندهم يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية، والطاعات كلها عندهم إيمان»(٣).

(١٠) وافق أهل السنة من الإقرار بحوض النبي ﷺ؛ فقال: «الأحاديث في حوضه ﷺ متواترة صحيحة ثابتة كثيرة، والإيمان بالحوض عند جماعة علماء المسلمين واجب، والإقرار به عند الجماعة لازم، وقد نفاه أهل البدع من الخوارج والمعتزلة، وأهل الحق على التصديق

(١) التمهيد: ١٣١/٧.

(٢) التمهيد: ١٣٩/٣

(٣) التمهيد: ٢٣٨/٩.

بما جاء عنه في ذلك ﷺ»(١).

(١١) وافق أهل السنة في التصديق بشفاعة النبي ﷺ؛ فقال: «والآثار في هذا كثيرة متواترة والجماعة أهل السنة على التصديق بها ولا ينكرها إلا أهل البدع»(٢).

(١٢) أثبت فتنة القبر؛ فقال: «فإنه أراد فتنة الملكين منكر ونكير حين يسألان العبد من ربك وما دينك ومن نبيك والآثار في هذا متواترة وأهل السنة والجماعة كلهم على الإيمان بذلك ولا ينكره إلا أهل البدع»(٣).

(١٣) نهج منهج أهل السنة في صفة المعية ففسرها بمعية العلم، ولم ينهج منهج أهل التفويض؛ فقال: «وأما احتجاجهم بقوله ﷻ: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟﴾ [المجادلة: آية ٧] فلا حجة لهم في ظاهر هذه الآية؛ لأن علماء الصحابة والتابعين الذين حملت عنهم التأويل في القرآن قالوا في تأويل هذه الآية: هو على العرش وعلمه في كل مكان، وما خالفهم في ذلك أحد يحتج بقوله»(٤).

(١٤) وافق السلف أهل السنة في جميع أركان الإيمان الستة، وهي: الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقضاء والقدر.

(١٥) تتجلى سلفية ابن عبدالبر المحضة وخلوه من التعصب حين يعرض لمسألة خلافة أبي بكر الصديق والرد على الشيعة فقال بعد أن سرد أدلة استخلاف أبي بكر ﷺ، وعرض أدلة أهل الزيغ والضلال من الشيعة القائلين بأن الخلافة لعلي وأن أبا بكر والصحابة غصبوه حقه: «وليس في شيء منها ما يدل على أنه استخلفه بعده، ولا ينكر فضل علي مؤمن، ولا يجهل سابقته وموضعه من رسول الله ﷺ ومن دين الله عالم، وقد ثبت عنه ﷺ أنه فضل أبا بكر على نفسه من طرق صحاح، وقال: خير الناس بعد

---

(١) التمهيد: ٢٩١/٢.
(٢) التمهيد: ٦٩/١٩.
(٣) التمهيد: ٢٤٧/٢٢.
(٤) التمهيد: ١٣٨/٧- ١٣٩/٧.

رسول الله ﷺ أبو بكر ثم عمر وحسبك بهذا منه»[1].

(١٦) وقد وافق أهل السنة في أصل عظيم، وهو تقديمه لأبي بكر وعمر؛ فقال: **«وأما أصحاب رسول الله ﷺ الذين تخلفهم رسول الله ﷺ بعده فأفضلهم أبو بكر وعمر، على هذا جماعة علماء المسلمين إلا من شذ»**[2].

(١٧) وقد وافق أهل السنة من سلفنا الصالح في سلامة القلب واللسان لأصحاب رسول الله ﷺ فقال: **«جماعة أهل السنة، وهم أهل الفقه والأثار على تقديم أبي بكر وعمر، وتولي عثمان وعلي وجماعة أصحاب النبي ﷺ وذكر محاسنهم ونشر فضائلهم، والاستغفار لهم، وهذا هو الحق الذي لا يجوز عندنا خلافه والحمد لله»**[3].

ثانيًا: خالف ابن عبدالبر السلف أهل السنة ولم يخالفهم إلا في مسائل قليلة جدًا، وفيما يلي أذكر تلك المسائل:

(أ) في صفات الله تعالى: أوّل صفة ضحك الله ﷻ؛ فقال: **«وأما قوله يضحك الله فمعناه يرحم الله عبده عند ذاك ويتلقاه بالروح والراحة والرحمة والرأفة، وهذا مجاز مفهوم»**[4] وقال عن أحاديث الصفات: **«ومخرج هذه الأحاديث كلها مجاز في الصفات مفهوم عند أهل العلم»**[5] وهذا التأويل مناقض لمنهجه في إثبات الصفات على ظاهرها من غير تحريف ولا تعطيل، ولا تكييف، ولا تمثيل، وهو مذهب السلف رضوان الله عليهم.

(ب) في نواقض التوحيد: أجاز التبرك بقبور الأنبياء والصالحين باعتبارها أماكن مباركة يستجاب الدعاء فيها؛ وهذا مخالف لما قرره أهل السنة ودعوا إليه من سد الذرائع إلى الشرك في الأموات؛ فقال عند شرحه لحديث محمد بن عمران الأنصاري

---

(١) التمهيد: ١٣٣/٢٢.
(٢) التمهيد٢٢٨/٢١.
(٣) الاستذكار: ١١٠/٥.
(٤) التمهيد: ٣٤٥/١٨
(٥) التمهيد: ٤٠٥/٢٤

عن أبيه أنه قال: عدل إلي ابن عمر وأنا نازل تحت سرحةبطريق مكة، فقال: ما أنزلك تحت هذه السرحة؟ فقلت: أردت ظلها؛ فقال: هل غير ذلك؟ فقلت: لا، ما أنزلني إلا ذلك؛ فقال ابن عمر: قال رسول الله ﷺ: **«إذا كنت بين الأخشبين من منى، ونفخ بيده نحو المشرق؛ فإن هناك واديًا يقال له السرر به شجرة سر تحتها سبعون نبيًا»**(١).

قال ابن عبدالبر: **«في هذا الحديث دليل على التبرك بمواضع الأنبياء والصالحين ومقاماتهم ومساكنهم، وإلى هذا قصد عبدالله بن عمر بحديثه هذا»**(٢).

وهذا لا يقلل من شأن ابن عبدالبر كعالم سلفي، وإنما فيه معنى ما قال الإمام مالك: **«كل يوخذ من قوله ويرد إلا صاحب هذا القبر»** وأشار إلى قبر النبي ﷺ، وفيه معنى ما قال أهل العلم: **«أبى الله لكتاب أن يكتمل إلا لكتابه»**، وفيه أن النقص آفة بشرية لا يسلم منه أحد إلا من عصمه الله، ولا عصمة لأحد من خلق الله إلا لأنبيائه صلوات ربي عليهم وتسليماته.

---

(١) صحيح: رواه مالك في الموطأ: ٩٤٩/٤٢٣/١، وأحمد في مسنده: ٦٢٣٣/١٣٨/٢، والنسائي في السنن الكبرى: ٣٩٨٦ /٤١٧/٢، وفي المجتبى: ٢٩٩٥/١٤٨/٥، والبيهقي في السنن الكبرى: ٩٣٩٢/١٣٩/٥، وابن حبان في صحيحه: ١٣٧/١٤/ ٦٢٤٤، وصححه المزي في تهذيب الكمال: ٣٦٦/٢٢.

(٢) التمهيد: ٦٧/١٣.

فهرس الموضوعات

تم الجمع والصف بمكتب الرضا للدعاية والإعلان
عمارة الهدى - ١٥ ش امتداد رمسيس بجوار نقابة التجاريين - مدينة نصر
: ٠٢٣٤٢٨٨٢٩، ٢٣٢٠٢٥٤ ٠٨٢، محمول: ٠١٠١٤٦٠٨٦١
E-mail: reda_mesr@yahoo.com
dar_alreda@yahoo.com